



مؤتمر القدس الثالث عشر

دائرة العلاقات العامة

القدس في المشهد الفلسطيني

عقدت جامعة النجاح الوطنية مؤتمر يوم القدس الثالث عشر بعنوان: « القدس في المشهد الفلسطيني » بمناسبة مرور مائة عام على وعد بلفور المشؤوم، ويأتي عقد هذا المؤتمر في ظل أوضاع سياسية صعبة ومعقدة، تحاول عزل المدينة من محيطها العربي والإسلامي، وفرض سياسة التهويد وطمس المعالم الإسلامية والمسيحية في المدينة المقدسة.

وقد دأبت جامعة النجاح على عقد مؤتمر يوم القدس في كل عام إيماناً من الجامعة بأن موضوع القدس يجب أن يكون في مركز اهتمامها، ويحظى باهتمام الباحثين والدارسين، وأن تكون القدس حاضرة في تفكيرنا، ودراساتنا وأبحاثنا، وأن يتعلم النشء الجديد كيف نحافظ على القدس، وكيف ندافع عنها، وكيف نتمسك بها.

وجاءت أوراق العمل التي قدمت للمؤتمر شاملة لعدد من الموضوعات التي تناولتها محاور المؤتمر، وتداعى للمؤتمر عدد كبير من الباحثين من داخل فلسطين وخارجها، من الجزائر والسعودية ومصر والأردن، وبسبب معوقات الاحتلال، ورفضه منح تصاريح للباحثين الوصول إلى فلسطين تعذر على الباحثين من خارج فلسطين المشاركة في المؤتمر، وتمت مشاركتهم من خلال وسائل الاتصال الحديثة.

وتوصل المؤتمر إلى عدد من التوصيات أهمها:

« ضرورة بذل كل الجهود التي من شأنها المحافظة على عروبة مدينة القدس وإسلاميتها، والتصدي لمحاولات التهويد الهادفة إلى طمس معالمها العربية، والعمل على تعزيز صمود سكانها، ومقاومة سياسة الإحلال العنصرية الممارسة بحقهم.

« مواصلة المحافظة على المعالم التاريخية والدينية في مدينة القدس، والعمل على دوام حمايتها والدفاع عنها، وتعزيز روح المقاومة الشعبية في سبيل تحقيق ذلك.

« ضرورة رفد المناهج الدراسية في المؤسسة التعليمية والأكاديمية الفلسطينية بالمزيد من المواد التاريخية والدينية والحضارية التي تعزز الانتماء لقضية القدس، وتغرس مفاهيم التمسك بها.

« إنشاء مركز وطني للأبحاث والدراسات الخاصة بمدينة القدس وتعزيز سبل ووسائل البحث والتعاون العلمي والثقافي فلسطينياً وعربياً ودولياً، وتشجيع الأدياء والكتاب على جعل مدينة القدس على رأس سلم أولوياتهم، وتحفيزهم على ذلك من خلال دعوة المؤسسات ذات العلاقة لتبني أعمالهم الأدبية والفكرية والمساهمة في نشرها.

« تشكيل جبهة إسلامية مسيحية موحدة للدفاع عن القدس سياسياً وإعلامياً، وضمان عدم عزل قضيتها عن عمقها العربي والإسلامي.

« ضرورة إيلاء مدينة القدس أقصى درجات الاهتمام من جانب وسائل الإعلام، المقررة والمسموعة والمرئية، الفلسطينية والعربية والدولية الصديقة، وترويج قضيتها عالمياً، وفضح ممارسات



سلطات الاحتلال بحقها .

- « تطوير وتعزيز آليات وسبل تقوية عرى التلاحم بين أبناء الشعب الواحد في شطري الوطن؛ فلسطين المحتلة عام ١٩٦٩م، وشقيقتها المحتلة عام ١٩٤٩م، حتى يظل شعبنا موحداً في خندق قضية القدس.
- « على الجهات الرسمية والشعبية مواصلة الضغط على بريطانيا والمجتمع الدولي بهدف إسقاط وعد بلفور، ومحو آثاره وتداعياته.
- « طباعة الأوراق البحثية المقدمة في كتاب خاص يحمل اسم المؤتمر وعنوانه وتاريخه ومكان انعقاده، والعمل على نشره، التوصية بعقد مؤتمر القدس في كل عام، وحث المؤسسات الأكاديمية والجامعات على اعطاء موضوع القدس للأهمية التي تستحقها.

رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر

أ. د. خليل عودة

أعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر :

أ. د. يحيى جبر	عضواً
د. نايف أبو خلف	عضواً
د. أحمد موسى	عضواً
د. عامر القبيج	عضواً
أ. موسى أبو دية	عضواً
أ. يمامة داوود	عضواً
أ. محمد وهبة	سكرتير المؤتمر



كلمة أ.د. ماهر النتشة

القائم بأعمال رئيس الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الأخ المهندس عدنان الحسيني ممثل راعي المؤتمر دولة رئيس الوزراء الأستاذ الدكتور رامي حمد الله

سماحة الشيخ محمد حسين مفتي القدس والديار الفلسطينية
السفير احمد الرويضي المحترم ، ممثل منظمة التعاون الاسلامي في فلسطين
الباحثون والباحثات المشاركون في المؤتمر
الحضور الكريم

تطلق هذا اليوم فعاليات مؤتمر يوم القدس الثالث عشر، ويأتي هذا المؤتمر امتداداً للمؤتمرات السابقة التي عقدها جامعة النجاح والتي حاولت من خلالها رسم المشهد العام للمدينة المقدسة في ماضيها وحاضرها، واستشراف مستقبلها .

واسمحوا لي بداية أن أرحب بكم في جامعة النجاح التي تستضيف هذا المؤتمر، وأن أوجه باسمكم جميعاً تحية تقدير واعتزاز للقدس وأهل القدس الصامدين المرابطين الذين ضربوا أروع الأمثلة في الصمود والتصدي لمحاولات الاحتلال فرض سياسة العزل والحصار للمسجد الأقصى، وقبة الصخرة، وتحية أيضاً إلى القيادة الفلسطينية وعلى رأسها فخامة الرئيس محمود عباس ودولة الأخ الأستاذ الدكتور رامي حمد الله الذين جعلوا القدس في أولوية اهتمامهم، وعلى رأس مسؤولياتهم، وتحية أيضاً إلى شعبنا الفلسطيني الذي تحدى بإرادته كل الاجراءات التعسفية ضد القدس وأفضل مخططاته في فرض سيادته وسيطرته على باحات الأقصى، وأثبت للعالم كله إن إرادة الشعوب لا تقهر، وأن الحق لا يهزم.

واليوم يأتي هذا المؤتمر بمناسبة مرور مائة عام على وعد بلفور الذي يعد وصمة عار في جبين الإنسانية، ونموذجاً من نماذج الغباء السياسي والانحراف الاخلاقي، فأرض الغير ليست رهنأ بوعود باطلة، أو قرارات كاذبة تصدر من هنا أو هناك، وإنما هي ميراث الآباء والأجداد وحقوق الأبناء والأحفاد، ولا يمكن للحقوق أن تنتهك أو أن يتصرف بها من لا يملك، والأمر لا يتعلق بمجرد أرض أو حقل أو بيت، وإنما هي قصة وطن بأكمله، وشعب له أصوله وجذوره على هذه الأرض التي لم يأت إليها مهاجراً أو زائراً أو ضيفاً .

وإذا كانت فلسطين بأكملها تعاني من وعد مشئوم جعل الفلسطيني مهاجراً ومحاصراً وملاحقاً وغريباً في وطنه، فإن المأساة تزداد وتكبر عندما نتحدث عن القدس التي أصبحت في حصار داخل الحصار، وفي عزلة داخل العزلة، فبعد مائة عام على وعد بلفور، لم تعد القدس كما كانت، مدينة التسامح والسلام والمحبة، وإنما أصبحت مدينة تحت الاحتلال الذي يضرب من حولها



سوراً عنصرياً يعزل المدينة عن محيطها العربي والإسلامي، ويحول المدينة من مدينة مفتوحة لكل الديانات إلى مدينة محاصرة بسور وأسوار، لا تسمح إلا لمن يحمل أذنأ أو تصريحاً بالدخول أو الخروج.

وكانت المحاولات الأخيرة وضع بوابات إضافية داخل السور لتتحكم بدخول المصلين وخروجهم، للسيطرة على المسجد الأقصى، وتحويله من مكان للعبادة إلى ساحة للعبث السياسي، وجاء الرد قوياً بحجم المحاولة واستطاع المقدسيون بصبرهم وصمودهم وثباتهم أن يفشلوا هذه المحاولة التي كادت أن تحرم المصلين من الوصول ليس إلى القدس فقط، وإنما إلى المسجد الأقصى وقبة الصخرة.

إننا في جامعة النجاح الوطنية نتضامن مع القدس وأهل القدس ومقدسات القدس، وسوف نجعل هذا المؤتمر بفعالياته وجهود الباحثين، تقليداً سنوياً نجدد فيه العهد والالتزام لمدينة القدس ومقدساتها، حتى تحقيق الهدف الذي تسعى إلى تحقيقه بإقامة دولتنا الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

أشكركم جميعاً على وقوفكم وتضامنكم مع القدس، وأشكر القائمين على هذا المؤتمر، والباحثين والحضور الذين جاءوا جميعاً لنصرة القدس.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة المهندس عدنان الحسيني
وزير شؤون القدس ومحافظها
نيابة عن دولة رئيس الوزراء

السادة الحضور مع حفظ الأسماء والألقاب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جئكم أحمل إليكم تحيات إخوانكم المرابطين في القدس الذين يحافظون على مقدسات الأمة لوحدتهم، ولكتهم الرجال الرجال الأشداء اللذين يستحقون القدس... وتضخر القدس بهم. وإنه لمن دواعي سروري أن أكون معكم في هذا الصرح الفلسطيني المميز الذي يخرج الجيل المتعلمة القادرة على المضي تجاه الدولة والحرية، وأنه لشرف لي أن أنقل إليكم تحيات سيادة الأخ الرئيس وأن أمثل دولة الأخ رئيس الوزراء الدكتور رامي الحمد الله في مؤتمر القدس الثالث عشر والذي يأتي بمناسبة مرور مائة عام على وعد بلفور المشؤوم هذه المناسبة الليمة التي مست ويشكل صارخ حقوق وكرامة شعبنا الفلسطيني في أعز ما يملك.... بوطنه فلسطين.

كانت البدايات في عام ١٧٩٨ عندما وعد نابليون اليهود بوطن قومي لفلسطين في حال دعم حملته لغزو الشرق وبتبعتها وعد رئيس وزراء بريطانيا في عام ١٩٠٨ (بعد مؤتمر بازل بعشرة سنوات) بزرع اليهود على أرض فلسطين من أجل فصل وتقسيم الشرق العربي عن غربه ويأتي بعد ذلك وعد بلفور عام ١٩١٧ ليؤسس لنكبه فلسطين علم ١٩٤٨، وبداية لمأساة الشعب الفلسطيني المستمرة منذ عقود طويلة، وستبقى تلك الذكرى جرحاً عميقاً في الذاكرة والوعي والضمير الانساني كعنوان لمظلمة القرن.

وغدا الذي يوافق القناني من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر عام ٢٠١٧ تأتي ذكرى مرور مائة عام على هذا الوعد المشؤوم الذي يمثل أكبر مؤامرة في التاريخ والذي حوّل حياة الفلسطيني إلى جحيم، واصبح مشرداً ولاجئاً في كل اصقاع الأرض... فما أصعب التشرد، وما أصعب اللجوء!!! فالتفاصيل عشناها وما زلنا نعيشها بكل قسوتها وتستمر، ولا نرى نهاية لها،،، ويبقى ٦٠٪ من الشعب الفلسطيني مشرداً خارج وطنه والبقية غرباء داخل وطنهم.

لقد فتحت بريطانيا من خلال وعد وزير خارجيتها فلسطين لليهود من أجل إنشاء وطن قومي لهم، في الوقت الذي كان عددهم اقل من (٥٠٠٠) أي اقل من (٧٪) من سكان فلسطين في حين كان الفلسطينيون (٦٥٠٠٠) ألفاً.

وأشار الوعد وبكل وقاحة واستهتار بأن لا يتم التعرض للحقوق الانسانية والدينية للطوائف الأخرى!!! (أي المسلمين والمسيحيين) وهم أهل الأرض الأصليين، أصبح اليهود أصحاب الأرض وتحول «أصحاب الأرض»- الطوائف الأخرى- فهذا ظلم ما بعده ظلم ووقاحة وما بعدها وقاحة!!! السادة الكرام،،، يأتي هذا الأمر في سياق تقسيم المنطقة العربية بعد الحرب العالمية الأولى وإرضاء



اليهود وللإستجابة إلى مصالح ورغبات من هم خلفهم في دول الغرب، وللخلاص من مشاكلهم وتدخلاتهم وفسادهم في الدول التي يعيشون بها ليأتي بعد ذلك قرار عصبة الأمم بالانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٢٤ تمهيداً لتنفيذ الوعد وتقديم كل المساعدات اللازمة لليهود وتشجيع الهجرة، ووضع كل القوانين والمعايير للتسهيل عليهم، وبنفس الوقت تضيق الخناق على الفلسطينيين أصحاب الأرض، واستكملت هيئة الأمم هذا الظلم بقرار التقسيم عام ١٩٤٧ بحيث منح القرار (٥٦٪) من فلسطين لليهود و (٤٤٪) للفلسطينيين، الأمر الذي رفضه الفلسطينيون بشكل قاطع.

ومباشرة أقيمت دولة اسرائيل وتم الاعتراف بها فوراً، وبعد ذلك يأتي عام ١٩٦٧ معلناً عن احتلال كل فلسطين وبعض الأراضي العربية، حيث بلغت مساحة الضفة الغربية وقطاع غزة (٢٢٪) من فلسطين... وهكذا تم الاستيلاء على كل أراضي فلسطين خلال سبعين عاماً تقريباً. وجاء إعلان المبادئ عام ١٩٩٣ الذي يطالب بدولة فلسطينية على حدود ١٩٦٧ البالغة (٢٢٪) من فلسطين التاريخية) ولكن هذا أيضاً يجري تشويبه لصالح المشاريع الاحتلالية الاسرائيلية تشير إلى عدم وجود أي أجندة لتمكين الفلسطينيين من إقامة دولتهم... بل إن موضوع الدولة غير وارد نهائياً. بعد هذه السنوات الطويلة سوف تحتفل بريطانيا هذه الأيام بمرور مائة عام على وعد بلفور المشؤوم لتؤكد على الظلم وتزيد من الألم الشعب الفلسطيني ومعاناته وتؤكد على دورها الاستعماري البغيض الذي عانى منه العالم وما زال، والذي اشتهر بتقسيم الأراضي وتقطيع الأوصال في كل مكان استعمرته، والذي انتهى إلى غير رجعة إلا في فلسطين من خلال هذا الكيان الذي زرعه ودعمته على أرض لا علاقة لها بها، وجرى هذا مع الأسف أمام أعين الدول الغربية جميعها دون أن تحرك ساكناً، لا بل أسهمت فيه، مع عدم الجدية في التعامل مع هذا الأمر عربياً وإسلامياً. ما هو مطلوب من بريطانيا اليوم، والتي تفتخر بهذا الوعد ويقام دولة اسرائيل، أن تلغي هذا الاحتفال الذي يمثل الاستباحة لكل القيم والأخلاق ولا يليق أبداً بالدول التي تدعي التحضر، وأن تقوم بتقديم الاعتذار للشعب الفلسطيني والاعتراف بالدولة الفلسطينية، والعمل بجدية من أجل إعادة حقوق الشعب الفلسطيني وإنهاء الاحتلال الاسرائيلي وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة وفق مقررات الشرعية الدولية والقانون الدولي، وكذلك دفع التعويضات للمعانة والخسائر والتشرد الذي سببته للشعب الفلسطيني.

مع الذكرى المائة لصدور وعد من لا يملك لمن لا يستحق فان المسؤولية التاريخية والأخلاقية والقانونية والمادية والمعنية لن تسقط عن حكومة بريطانيا المتسبب الرئيس في كل ما يعانيه الشعب الفلسطيني نتيجة النكبة والاحتلال الاسرائيلي، وأن هذه الجريمة لن تسقط من ذاكرة وتاريخ ووعي الشعب الفلسطيني والأمة العربية.

إننا نؤكد استمرار المساعي الرامية لإثارة مسؤولية بريطانيا عن هذا الوعد، وضرورة توظيف كافة الأدوات السياسية والدبلوماسية والقانونية وبمشاركة كافة الهيئات والاتحادات ومنظمات المجتمع المدني العربية والدولية المعنية بحقوق الانسان لإثارة المسؤولية عن هذا الجرم وما لحق بالشعب



الفلسطيني جراءه، وبتحميل بريطانيا المسؤولية التاريخية عنه وعن تبعاته الكاملة. وسوف نتابع ودون كلل فضح بريطانيا في كل المحافل وفي كل المناسبات حتى تعود عن خطيئتها وتقدم الحق كاملاً للفلسطينيين ثم بعد ذلك سوف نتابع الحكومة الاسرائيلية في كل المحافل أيضاً لفضح مقولة واحة الديمقراطية المزعومة إلى أن يحصل الفلسطيني على حقوقه كاملة بالدولة المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، وهو أمر نرى أنه قادم لا محالة بإذن الله. الرحمة لشهدائنا الأبرار والحرية لأسرانا البواسل

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة سماحة الشيخ (محمد حسين)

مفتي القدس والديار الفلسطينية

الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وعلى كامل المرسلين والمرابطين وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين وآلهم وصحبهم أجمعين وبعد
معالي وزير القدس ومحافظها المهندس الأخ عدنان الحسيني ممثل دولة رئيس الوزراء راعي المؤتمر
الأستاذ الدكتور ماهر النتشه القائم بأعمال جامعة النجاح الوطنية
الأخ المحامي السفير أحمد الرويضي ممثل منظمة التعاون الاسلامي
الأخ منذر ابو رموز ممثل مؤسسه الرؤيه الفلسطينييه
الأخ الأستاذ الدكتور خليل عوده، مقرر اللجنة التحضيرية للمؤتمر
الأخوه والأخوات الطلاب والطالبات الزهراء والأشبال الحضور جميعا
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فإنه في هذا اليوم الذي نجتمع فيه في رحاب جامعه النجاح الوطنية، الجامعة التي ترعى المؤتمرات العلمية بمختلف تخصصاتها وتوجهاتها، وكله يصب في مصلحة هذا الوطن العزيز، فالقدس بكل ما تحمل من العظمة والتاريخ والحضارة والعقيدة والإنسانية والتعايش المشترك الذي غاب عن القدس منذ هذا الوعد المشؤوم قبل مئة عام، وقبل المئة عام كانت المغامرات على القدس وعلى فلسطين وعلى ديار العرب و المسلمين، واستمرت، ولكن كان هذا الوعد المشؤوم نقطه سوداء في مسيرة تاريخ هذه الديار، لأنه أعطى لمن لا يملك وطن الفلسطينيين لمن لا يستحقه، فالوطن هذا هو للفلسطينيين وحدهم، مهما تكالبت الامم ومهما حاول الاستعمار ومشاريع الاستعمار أن يزرعوا اليهود في هذه الديار المباركة.

وهذا دليل واضح على تواطؤ وتآمر واستمرار المحاولة البريطانية الاستعمارية لتثبيت هذا الكيان الغاصب والظالم في أرض فلسطين.

وعلينا أن نواجه ذلك كله بالثبات على أرضنا وأرض أجدادنا وآبائنا، وأن نتوحد جميعاً في مواجهة الخطر المحقق بالقدس وفلسطين، ومن هنا نحيي شهداءنا الأبرار الذين ارتقت أرواحهم من أجل القدس وفلسطين.

ونحیی القيادة الفلسطينية وعلى رأسها الأخ الرئيس محمود عباس أبو مازن، ونحیی كل أبناء الشعب الفلسطيني، وكل فصائل الشعب الفلسطيني على هذا الجهد الكبير الذي يجب أن يستمر حتى ينتهي الانقسام من قاموس الشعب الفلسطيني، وتتحقق الوحدة فوق هذه الأرض جغرافياً وشعبياً، وفي كل الاتجاهات والتوجهات، لتكون كل البوصله موجهة نحو فلسطين .



كلمة السفير أحمد الرويضي

ممثل منظمة التعاون الاسلامي لدى فلسطين

جميع الحضور الكريم مع حفظ الالقاب .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يسعدني في بدايه هذا المؤتمر أن أنقل لكم تحيات وتقدير معالي الأمين العالم لمنظمة التعاون الاسلامي الدكتور يوسف بن أحمد العثيمين لجامعة النجاح هذا الصرح الاعلامي المهم لفلسطين، ولكافة المتحدثين في هذا المؤتمر، ونحن بانتظار التوصيات في المجالات المختلفه التي يعالجها هذا المؤتمر على مستوى الانتهاكات، وعلى المستوى التاريخي وعلى المستوى التعليمي، وغير ذلك من القضايا لإبرازها من خلال الأمانة العامه لمنظمة التعاون الإسلامي لدى الدول الاسلاميه جميعا .

يأتي مؤتمركم هذا ومدينه القدس تمر بظروف صعبه يحاصرها جدار الفصل العنصري، والتضييق على أهلها واستهداف مقدساتها الاسلاميه والمسيحيه، والافتحامات اليوميه للمسجد الاقصى المبارك والاعتداء على أهالي البلده القديمه بالابعاد، وعلى المرابطين والمرابطات، وأيضا استهداف عقارات المدينه بالهدم والاستيلاء، واستهداف قطاعات التنميه فيها، وبشكل خاص التعليم، ومحاوله فرض المنهاج الاسرائيلي، عدا عن استمرار إغلاق المؤسسات المقدسيه وفي مقدمتها بيت الشرق والغرفه التجاريه، وغيرها من المؤسسات، هذا الواقع الصعب الذي يلتقي مع واقع سياسي صعب يتحدث فيه رئيس حكومه الاحتلال عن ضم مستوطنات جديده في محيط المدينه، إلى ما يعرف بالقدس الكبرى والتخلي عن أحياء فلسطينيه وتشكيل سلطه محليه .

هذا الظرف صعب، ويأتي مؤتمركم فيه ليعبر عن رسال واضحه، هناك إضافة إلى الشعب الصامد في مدينه القدس هناك الباحثون والمتخصصون الذين بإمكانهم تقديم الرؤية والإستراتيجيات الواضحه لتعزيز صمود المؤسسات، وتعزيز صمود أهل المدينه، ونحن في منظمه التعاون الإسلامي من خلال الأمانة العامه، ووكالات المنظمات المختلفه المتخصصه منها، وبشكل خاص الوكالات الماليه، وعلى رأسها مجموعه بنك التنميه الإسلامي، وصندوق التضامن الإسلامي، وبيت مال القدس الشريف، والصناديق الإنسانيه في تواصل مع الحكومه الفلسطينيه، ومع وزير القدس ومحافظها، ومع هيئة الصناديق العربيه والاسلاميه في مجلس الوزراء، لتعزيز دور الوكالات في دعم القطاعات التنمويه ضمن الخطة والرؤية التي تم اعدادها من قبل الرئاسة الفلسطينيه، بما يعزز صمود أهل القدس ومؤسسات القدس .

هذا الأسبوع كان اجتمع للبنك الإسلامي، وكان هناك ممثل دولة فلسطين معالي الوزير ناصر قطامي، رئيس هيئة الصناديق العربيه والاسلاميه في مجلس الوزراء، وكان الاجتماع متخصصاً في مشاريع متعلقه بفلسطين والقدس، وكانت القدس حاضره في جملة المشاريع التي تم تقديمها وأيضا كان اجتماع بالأردن لبحث موضوع التمكين الاقتصادي، بناء على قمة تركيا التي تحدثت في قراراتها عن التمكين الاقتصادي للشعب الفلسطيني، ومشاريع القدس في القطاعات التنمويه المختلفه التي كانت على جدول الاجتماعات، وبالتالي المنظمه تتبنى ما تقدمه الحكومه الفلسطينيه من مشاريع،



سواء على المستوى السياسي أو على المستوى الاقتصادي التتموي، أو على المستوى القانوني، وبالتالي يعمل المكتب هنا في فلسطين على التواصل الدائم أيضا في إعداد تقارير حول الانتهاكات والجرائم التي يمارسها الاحتلال، في سبيل استمرار دعم برنامج فلسطين في الملاحقة القانونية في إطار المحكمة الجنائية الدولية، نعتز بهذا المؤتمر ونتطلع إلى نتائجه، وإن شاء الله على استعداد للتسيق والتعاون بما يضمن تعزيز المطالب والاحتياجات لمدينة القدس
الشكر والتقدير لكم على هذه المبادرة الرائعة والشكر والتقدير للجميع، وإن شاء الله مؤتمركم القادم في المسجد الأقصى المبارك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



القدس المحكي الأول في الكتابة السير ذاتية بين جبرا إبراهيم جبرا وإدوارد سعيد

الباحثة صليحة بن حني
جامعة قاصدي مرياح ورقلة
الجزائر

الملخص:

تحاول هذه الدراسة تمثّل الكتابة السير ذاتية لدى وجهين بارزين استدعيا القدس من موقع الاغتراب لتصبح الكتابة عنها ملاذاً ، وهاجسا للاقتراب منها ، أو العودة إليها ، فكثيرا ما صادف المحكي عن القدس نتاجات أدبية تولدت من رحم المخيلة فحسب ، وأخرى ترسمت الحضر في الذاكرة باعتبارها نقوشا لا تتمحي بسهولة ، والحال أن أكثر النقوش رسوخا جاءت من محكيات عاشت الابتعاد والانفصال عن وطنها . فهذا الحضر الذي يشتغل في النص السير ذاتي لجبرا إبراهيم جبرا وإدوارد سعيد يبرز خصوصية هذه الكتابة المؤتلة لحميمية علاقتها بالمدينة . فلحظة تحتفي السيرة الذاتية لسعيد وجبرا بالأمكنة لا يعود هذا الاحتفاء لدى الأول يترصد إلا حضورا لافتا لمكان واحد خارج المكان ، وحين تعبر ذكرى طفولة الثاني في البئر الأولى معبر الكتابة عن الذات فإن البئر الأولى تغدو ثنائية ، وثالثة في جل إبداعاته إلا أن هذه الآبار ستبقى تسترجع صدى الصوت الأول الذي نادى باسم القدس بوصفها المحكي الأول للمفكر والكاتب معا .

Abstract

The study aims to representing the writing of biographies of two eminent faces narrating Jerusalem from a safe outsider haven to become their only way to approaches or coming back to it. The storyteller of Jerusalem has come across literary results that were only emerged from a deep imagination. And part of it that has been drilled in the memory as indelible inscriptions easily. However, the most inscribed inscriptions came from deep sorrow and grief that they lived away from their homeland The idiosyncrasy in writing of Jabbra Ibrahim Jabbra and Edward said is exemplified by the intimacy of its relationship with the city. When the biographies of said and Jabbra celebrate the places this celebration with said will be the special representing of one place outside place and when the memory of childhood of Jabbra in the first well crossing the self-writing However the childhood of first well will be the second and third in his novels but these wells will still hear the sound of the voice who called the name of Jerusalem as the first narrative of the writer and the thinker together.

مدخل

أوجد الخالق وشيخة جامعة بين المكان والإنسان لا تتفصم عراها بسهولة ، فالعارف لا يعدم القول بأن المكان كان الأسبق وجودا من الإنسان قبل أن يستخلف في الأرض ، وبين تمنع وتملك عاش الإنسان فرحة الاتصال بالمكان أو التوق والحنين إليه بعد انفصاله عنه .

ولئن بين العلم أن الإنسان يحقق معرفته ، وخبرته بالعالم الخارجي من خلال إطارين أساسيين هما الزمان والمكان فإنه عد « المكان صورة أولية ترجع إلى قوة الحساسية الظاهرة التي تشمل حواسنا الخمس [١] » في حين يتحدد الزمان بوصفه شكلا لتجربتنا الداخلية إلا أن الزمان يأخذ صفة « أعم وأشمل من المكان » [٢] وقد أضفت النظرية الأدبية على الزمان والمكان بعدا معرفيا . هذا البعد المعرفي الذي حدد بأن الزمان والمكان يشكلان «العامل الأساس في تحديد سياق الآثار الأدبية من حيث اشتمالهما على معنى إنساني ، وقد يتمثل الفرق بينهما في أن المكان - بمعاونة الأشياء - ينزع إلى تحديد موقف ، ووضع شخص ما في حين نجد الزمان هو المحور الكامن في الأحداث مما ينتهي بنا إلى وضع ثنائية جديدة بين هاتين المجموعتين » [٣] .

ولعل المكان لم يكن بمنأى عن النظرية الأدبية متجاوزة اعتباره «مجرد خلفية تقع فيها الأحداث الدرامية كما لا يعتبر معادلا كئائيا للشخصية الروائية فقط ، ولكن أصبح ينظر إليه على أنه عنصر شكلي وتشكيلي من عناصر العمل الفني » [٤] . وهكذا تراءى المكان مجالاً للبحث والدراسة لا يغفل عنه الدارسون ويترسمون وجوده بين ثنايا ما كتب المبدعون . ويبدو أن كاتب السيرة الذاتية لا يتمثل زمنا ماضيا عاشه بل يمنح المكان صورته الأزلية المحفورة بالذاكرة .

جبرا إبراهيم جبرا وإدوارد سعيد

ولا يبدو الحكي عن المكان من قبل اسم احتضت حياته بجميع أشكال الإبداع إلا لونا آخر ينضاف إلى لوحته التشكيلية التي رسمها لعقود من الزمن. عرف فيها القارئ العربي جبرا إبراهيم جبرا الروائي الذي كتب «البحث عن وليد مسعود» و«السفينة» والشاعر صاحب «تموز في المدينة» والناقد المؤمن بأن عليه «أن يبحث عن الصلات، والشوائب، والتصاميم الخفية في كل جزء من العمل، وإبرازها للعين، لكي تتطلق المعاني الأوسع والأعمق الحبيسة فيه» [5] هذه العلاقات الخفية التي وجدها جبرا في كتابة حلیم بركات أو في كلامه عن شكسبير، أو عن والت ویتمان، فوكنر، وليم بليك. أما جبرا المترجم فقد تراسى جهده الثر على أطراف الإبداع العالمي.

فجبرا الذي ترجم سنة ١٩٥٧ جزءا من غصن جيمس فريزر الذهبي «أدونيس أو تموز» عاد ليخط أروع ترجماته بمآسي شكسبير الكبرى، ولم يكتف بهذا الجهد الخصب في الترجمة، بل طبع بصمته الخاصة في أوساط الفن التشكيلي فرآه من حوله الفنان المرهف الذي يبدع فنا تشكليا كما أبدع نثرا وشعرا ودون توقف راح جبرا يمزج كل هذا التنوع الإبداعي بتجربته الذاتية، فكل شكل من أشكال الفن عنده يمثل شطرا من حياته. والكتابة عن الحياة أو جزء منها هي من أدب السيرة الذاتية والاعتراف الذي «قد يكون جميلا وبارع التركيب، وقد لا يكون. فإذا كان، فهو خلق أدبي، وإلا فلا» [٦]، ولا يخلو الأمر من أن تكون كتابة السيرة الذاتية عند جبرا هي الأخرى تحفة أدبية.

وقد تبلغ السيرة الذاتية مبلغ القيمة الفنية والنقدية مع اسم آخر صنع من كتاباته عن الأنساق المضمرمة في الإبداع العالمي الغربي شكلا من أشكال المقاومة. فإدوارد سعيد المفكر والناقد الثقافي من حاول بكلامه عن الشرق، الذي كان يُعتقد إلى ذلك الحين أنه مجرد واقعة من وقائع الطبيعة، أن يكشف الهجس الجغرافي المقيم، والمتلون كثيرا بعالم بعيد، ومتعذر بلوغه ساعد أوربا على تعريف ذاتها بكونه الضد والنقيض [٧]. سعيد الذي أصبح خطابا لافتا في قراءاته للرواية الغربية مناقشا «موضوعات سجالية مسكوتا عنها»، ومنها أن الروائيين البريطانيين في القرن التاسع عشر، والقرن العشرين، وحتى من بدا منهم غير مهتم ظاهريا بالسياسة كجين أوستن، اعطوا الإمبريالية شرعية ثقافية [٨].

هكذا بدا لإدوارد سعيد أن يقرأ هذه النصوص من منظور مختلف، وهو ما عبر عنه بقوله «إن طريقي هي أن أركز بقدر المستطاع على أعمال فردية، أن أقرأها أولا كنتاج عظيم للخيال الخلاق أو التأويلي، ثم أن أجلو كونها جزءا من العلاقة بين الثقافة والإمبراطورية». [٩] لما تحمله هذه الأعمال من تمثيلات للثقافة التي نشأت فيها. وإيمان راسخ منه أن الكتاب لا يتحددون بصورة آلية العقائدية الإيديولوجيا، أو الطبقة، أو التاريخ الاقتصادي، بيد أن المؤلفين كما يؤمن، كاثنون إلى حد بعيد في تاريخ مجتمعاتهم، يشكلون بذلك التاريخ، وتجربتهم الاجتماعية بدرجات متفاوتة [١٠] حيث لونا إدوارد سعيد هذه القراءة بطابع خاص، والفاحص لأعماله يدرك أنه تكاد تكون



تجربة المنفى وانفصاله عن وطنه الأم سببا رئيسا في اتخاذ هذا المنحى من الكتابة النقدية .
ويبدو أن تجربة الإجماع عن المكان والمنفى أصبحت «التجربة الأكثر دلالة على سعيد : اقتلاع الذات عن الزمان والمكان معا» [١١] ، بل إن اقتلاع جذوره من مكانه أو وطنه فلسطين كان «إطارا مهما في تحديد توجهه المعرفي ، وفي رؤيته النقدية ، ومنهجه التأويلي ، وفي طبيعة الأسئلة المركزية التي كانت تؤرقه في كل مشروعه النقدي والفكري» [١٢]. والظاهر أن هذا الاقتلاع تجسد في نقده للخطاب الاستعماري حيث « أطلق عمل سعيد ما بدا أشكالا جديدة من الدراسة الثقافية والتاريخية ، وأسس بالفعل لنوعين أكاديميين جديدين ينموان بسرعة : دراسات ما بعد الاستعمار » و«تحليل الخطاب الاستعماري» [١٣] أين سيغدو كاتب الاستشراق من أبرز لوجوه العالمية بنقدها للغرب في شكل من أشكال تمثيلاته المتعددة .

فقد اختار إدوارد سعيد لنفسه مساراً مختلفاً من خلال « الاستشراق » و«الثقافة والإمبريالية» ثم في الكتب الخمسة أو الستة المعنية بفلسطين ، والعالم الإسلامي التي كتبها في الفترة ذاتها تقريبا كان يشعر أنه يقوم بصياغة ذات تكشف للجمهور الغربي شيئا كان إلى الآن إما خفيا أو أنه لم يناقش أو يبحث على الإطلاق [١٤] من قبل الباحثين . أما السيرة الذاتية فسيكون لها النصيب الأوفر من ذوات حملت قلقها الداخلي معها في كل مكان حلت به .

جبرا إبراهيم جبرا وإدوارد سعيد والسيرة الذاتية

غالبا ما يأتي المحكي في الكتابة السير ذاتية تحريضا للذاكرة بهدف استعادة ماض بعيد ، ولا تختلف السيرتان الذاتيتان للأديب جبرا إبراهيم جبرا ، والمفكر إدوارد سعيد عن طبيعة السيرة الذاتية بما هي «حكي استعادي نشري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص ، وذلك عندما يركز على حياته الفردية ، وعلى تاريخ شخصيته ، بصفة عامة» [١٥] إلا أن جبرا وسعيد لا يستعيان فحسب جزءا من حياتهما الفردية أو أحداثا معينة من ماضيهما بقدر ما يسترجعان أمكنة أثيرة على نفسيهما بيت لحم ، كنيسة القيامة ، كنيسة المهد ، قبة الصخرة ، ضهور الشوير ، القاهرة ، لبنان . لكن لحظة تحضي السيرة الذاتية لسعيد وجبرا بالأمكنة لا يعود هذا الاحتفاء لدى الأول يترصد إلا حضورا لافتا لمكان واحد خارج المكان ، وحين تعبر ذكرى طفولة الثاني في البئر الأولى معبر الكتابة عن الذات فإن البئر الأولى تغدو ثانية ، وثالثة في جل إبداعاته إلا أن هذه الآبار ستبقى تسترجع صدى الصوت الأول الذي نادى باسم القدس بوصفها المحكي الأول للمفكر والكاتب معا .
لقد فضل ابنا بيت لحم والقدس تدوين اللحظات الأعمق والأهم التي حفلت بها حياتهما لما حملتا من وعود الانتماء لمكان واحد ، ولو عاشا بعيدا عنه فقبل الأول بغداد منفى له ، وانتهى المطاف بالثاني في بلاد العم سام الذي تخضبت لحظاته بالمأساة وبمرارة الانفصال عن الوطن واللغة الأم ، وبآثار المنفى فاختر سعيد أن يتمثل كل هذه الآثار محاولا أن يكشف قدر ما استطاع من حياته الشخصية خصوصا بين العام ١٩٣٥ و العام ١٩٦٢ [١٦] في كتاب «هو سجل لعالم مفقود ، ومنسي» [١٧].



وهكذا قدم إدوارد سعيد لمذكراته «خارج المكان» إذ صار يتعين عليه - بعد تشخيص الأطباء مرضه - أن يتفحص حياة كان قد تقبل «شدوذاتها»، وغرابة أطوارها مثل كثير من حقائق الطبيعة «[١٨] لكن فحص سعيد لكل خبيثة من حياته كان ارتيادا لعوالم من الأمكنة و المشاعر . والأحاسيس اتجاه اسمه الذي كان يلزمه قرابة ،خمسين سنة لكي يعتاد على إدوارد ويخفف من الحرج الذي سببه له الاسم الإنجليزي الأخرق الذي وضع كالنير على عائق «سعيد»[١٩]. وبالإضافة إلى هذا فقد فحص إدوارد سعيد مشاعره نحو من كانوا طرفا في حياته وربطته بهم علاقات متغيرة منها الملتبسة التي جمعته بوالده وديع سعيد .

أما العلاقة بوالده فقد ظلت تقرر ، وتحتم عليه أن يكون مختلفا «أن أكون ذاتياً كان يعني أن لا أكون تماما في موقفى الصحيح ،ولكن الأمر لم يقتصر على ذلك ،وإنما كان يعني أيضا أنني لم أنعم براحة بال [...] كنت دوما في غير مكاني . لم يترك نظام الضبط والتربية المنزلية الجامد الصارم الذي حبسني فيه أبي منذ سن التاسعة .أي متنفس أو أي مجال للإحساس بالذات في ما يتجاوز قواعده وترسيماته » [٢٠] لكن قواعد الوالد الصارمة لم تعف إدوارد الابن لاحقا من الانتباه إلى أن هذا النظام الأبوي القاسي قد طبع حياته ببعض الآثار الإيجابية ،ولو خلف وراءه معوقات وموانع . وخلافا لما جمعه بأبيه فإن العلاقة الأكثر حميمية هي العلاقة التي ربطته لمدة ربع قرن بوالدته هيلدا[٢١] الكائن الأكثر انتماء إليه .

وأبقى إدوارد سعيد لوالدته مكانا مميزا بمخيلته ، ووجدانه الأم التي صار مطبوعا بالكثير من «وجهات نظرها ،وعاداتها التي سيرت حياته من قلق يشل إرادتها إزاء تعدد احتمالات التصرف إلى أرق مزمّن ،واهتمام عميق بالموسيقى واللغة بجماليات المظهر ،والأسلوب والشكل» [٢٢] وعبر مشاعره نحو أمه حتى، وهي متوفاة راح إدوارد سعيد يعين الأثر الواضح الذي تركته في حياته ،ودون أن يتخفى وراء شيء من الزيف وسم مذكراته بكثير من الصدق في سرده لمشاعره اتجاه أفراد من أسرته والديه ، عمته نبيهة أنطلي ميليا حيث كان «خارج المكان» مرسما لعالم سعيد الذي فقدته ، وهو يعرض فيه «طبيعة مشاعره تجاه هؤلاء الأشخاص راسما لقارئه صورة المكان المنسحب على خلفية هذه المشاعر» [٢٣] التي قد تبلغ حد التناقض في بعض الأحيان .

أما الحديث عن المكان والماضي والذكريات ، فخصه جبرا إبراهيم جبرا بكتابين الأول « البئر الأولى » والثاني «شارع الأميرات فصول من سيرة ذاتية » الكتاب الذي «كُرس بشكل أساسي إلى الفترة الأولى من إقامته في بغداد بعد النكبة الفلسطينية ،واقترصر هذا الكتاب على سنة أو سنتين من حياته الجديدة مع ارتدادات سريعة إلى حياته في فلسطين بعد «البئر الأولى» ثم لقطات من حياة الدراسة في انكلترا» [٢٤] ، ففي شارع الأميرات اختير جبرا استعادة مرحلة سنوية توسم بالنضج .

ومقارنة بشارع الأميرات كانت الكتابة في «البئر الأولى» حفرا عميقا في حياة أو بئر جبرا



الأولى أليست حياة الإنسان إلا سلسلة من الآبار؟ الحفر عن أول قلم ودفتر امتلكه جبرا الطفل عن هيطلية أمه ،والحكيم الرومي وحمارة عن أشياء محددة استقاها من طفولته ، وهو ما عبر عنه قائلا «كان لابد من أنتقي أحداثا معينة بقيت تفرض نفسها على ذاكرتي ، وتنضح في دمي برقة لا أستطيع تغييرها وجمال يتزايد مع الزمن ، وشاعرية تزيدها الألام توقدا ، ومفارقات تتوازي بفرابتها مع العشق الطفولي لكل دقيقة مع تلك الحياة - تلك الحياة التي قد تبدو الآن في الكثير منها قاسية ،ومرفوضة» [٢٥] هي قسوة ثانية من نوع آخر حتمتها حياة الفاقة التي عاشها الأديب . وإذا كان إدوارد سعيد عرف حياة ميسورة وفرها له والده وديع سعيد، فما عايناه جبرا في البئر الأولى لم يكن صورة من صور الثراء والرفاهية . فهو الذي عاش تجربة مرض والده وتخلي أخوه يوسف عن دراسته ليعيل عائلته ،مؤكدًا أن الفقر جعله أشد قريبا أو صلة «بالأرض بالتراب والعشب والماء . أقول الأرض والتراب والعشب لأنني عرفتها بقدمي الحافيتين .» [٢٦] ، وهي تعبر طرقات بيت لحم في بردها وحرها .

وتطالعنا سيرة جبرا بزمن محكيها القادم من حاضنة الطفولة ، وفترات قليلة من المراهقة ، هذه الكتابة التي كان مرامها تدوين لحظات من الطفولة أو «البئر الأولى» هي بئر الطفولة « إنها تلك البئر التي جمعت فيها أولى التجارب ،والرؤى ،والأصوات ،أولى الأفراح والأحزان ،والأشواق والمخاوف التي تتهمر على الطفل فأخذ إدراكه يتزايد ، ووعيه يتصاعد لما يمر به كل يوم يعاينه أو يتلذذ به » [٢٧] ، وهكذا شغلت الطفولة مساحة عريضة من البئر الأولى . ولأن جبرا يدرك أهمية الطفولة ،ودورها الفاعل في شحذ الذهن بل و يعتبرها البئر التي لا تنضب ،حيث يقول « طفولتي مازالت هي ينبوعي الأغزر [...] إنها البئر أو العين التي تمدني بالكثير من النسخ لما يتنامى في ذهني من نبت الخيال ، وأرجو أنها ستستمر في منع الجفاف أو العطش » [٢٨] . وهو ما كان فقد بقيت مخيلة جبرا تقنات من جمال الطبيعة الذي عرفه في منبت وطنه .

و لعل لسان حال جبرا يتمنى كما تمنى وليد مسعود « لو أن للذاكرة إكسيرا يعيد إليها كل ما حدث في تسلسله الزمني ،واقعة واقعة ، ويجسدها ألفاظا تهال على الورق » [٢٩] لكن جبرا يدرك أن أمنية كهذه تبدو مستحيلة ، ولأن استعادة كل واقعة من حياته مهمة عسيرة فضل جبرا أن يستعيد زمن اثنتي عشر سنة فقط . قائلا «فقررت أخيرا الاكتفاء بالسنتين الاثنتي عشر الأولى من حياتي - أو بالأحرى بسبع أو ثمانتي سنوات منها - منتهيا بانتقالي مع والدي من بيت لحم ،إلى القدس عام ١٩٣٢ . وكان هذا حدثا حاسما بالنسبة لما جرى لي فيما بعد » [٣٠] ، ويبدو أن فضاء الانتقال للقدس لم يحمل فقط معنى عاديا بل صار حدثا جلا سيكون له الأثر الواضحة في تشكيل شخصية جبرا الطفل ثم جبرا المبدع والفنان لما سعتنيه لاحقا المأساة الفلسطينية والانفصال عن الوطن ، وبيت لحم ، والقدس في كتاباته الإبداعية .

فالقارئ للبحث عن وليد مسعود أو يوميات سراب عفان أو السفينة يدرك أنه يعسر أحيانا الفصل بين جبرا الإنسان ، وجبرا الكاتب ، أو بينه وكتابات « [٣١] فلم تكن شخصيات جبرا في رواياته بعيدة عن مشاعر ألم وخسارة عاشها الكاتب نفسه بل كثيرا ما يحسبها القارئ تزوي وراء



ذكرياته ، ويتعبير عبد الرحمن منيف فإن «جبرا بث مقدارا غير قليل من «السيرة» في ثانيا ما كتب ، أولا في الروايات ، ثم في الكتب النقدية «[٣٢] ، وهو ما يشير إليه جبرا «أما أنا فإنني دائما موجود في ثانيا المتاهات التي أبتدعها في كتاباتي . ولست أجد عن ذلك ندحة . فالكتابة عندي ضرب من الاعتراف» [٣٣] ، وقد عرف جبرا هذا الضرب من الاعتراف في سيرته الذاتية .

السيرة الذاتية التي لم يعتبرها جبرا ضربا من التاريخ للعشرينات أو بدايات الثلاثينيات بقوله «أنا لا أكتب هنا تاريخا لتلك الفترة [...] . ولا أنا أكتب تاريخا لأسرتي لأن ذلك شأن آخر، ولا أزعم أن لدي القدرة عليه . ولا أنا أكتب تحليلا اجتماعيا لبلدة فلسطينية كانت يومئذ صغيرة» [٣٤] لكن جبرا في البئر الأولى لا يكتب عن شخصه الموجود في فلسطين ، وبيت لحم ، والقدس فقط بل يكتب عن «بعض تلك البيوت ، والأشجار والوديان ، والتلال ، بعض الشمس ، والأمطار والوجوه والأصوات التي بها تحيا ، وبها تكتشف القيم والأخلاق ، وتكتشف الجمال والقبح ، والفرح والبؤس جميعا» [٣٥] .

ويبدو أن الوعي بالمكان عند جبرا يمتد بجذوره إلى الطفولة بتعبيره قائلا : «وهذا كله يعود عندي ، كما لاشك عند الكثيرين غيري ، إلى تجربة المكان إبان الطفولة وسنوات المراهقة - تلك الفترة التكوينية الحافلة - التي تجعل الإنسان ما هو عليه جوهريا حتى النهاية ، مهما تغيرت ظروفه فيما بعد» [٣٦] فقد تعينت علاقته بالمكان في بيت لحم من خلال «كنيسة المهد التي قُدت من الصخر ظاهرا وباطنا . وساحتها الأمامية مرصوفة أيامئذ ببلاطاتها صقلتها ملايين أقدام البشر طوال ستة عشر قرنا من الزمن» [٣٧] . لكن علاقة جبرا بالقدس ستبدأ من الطريق إليها .

جبرا إبراهيم جبرا الطريق إلى القدس

ربما كانت حال جبرا - من زار القدس أول مرة - أن يحمل وعودا بالعودة إليها ، وهو ابن الثامنة ، وأن يشق طريقه إلى أزقتها ، وبيوتها مرة أخرى ، وأن يعيش قلق الضياع بين طرفاتها . فلا زالت ذاكرة جبرا تتعثر بذكرى الرحلة الأولى التي قادته ، ووالدته إلى القدس لشراء حذاء آخر بدلا عن حذاء البوتين الذي باعته أمه لتدخر بضعة قروش للعيد [٣٨] . وقد كان جبرا تحت وطأة الدهشة ، وهو يصف تجربة زيارته قائلا « وقمت بأول رحلة لي إلى المدينة الرائعة - القدس . ورأيت باب الخليل لأول مرة ، وقد ازدحم بالبشر ، والدواب ، ونزلنا في «السويقة» ، وأنا لا أكاد أصدق أن في الدنيا حوانيت ، وأناسا بهذه الكثرة والصخب» [٣٩] . الذي تضج به «المدينة الرائعة» هكذا حدد جبرا الكاتب والإنسان العلاقة الأبدية بالقدس التي ظلت قابضة في كل ركن منه .

والواضح أن توصيف جبرا حمل قدرا كبيرا مما شاهده لأول مرة في المدينة . فالدكاكين ، الأصوات الأحمية ، حارة اليهود ، النساء ، كانت الصور التي التقطتها ذاكرة جبرا الطفل حيث كان يصف كل تفصيل انعكس فيها ودون أن يفارقه ملمس الحذاء الذي باعته أمه خلف جبرا القدس وراءه عائدا إلى مدينته ، مانحا قدميه لفردتين بأثنتين اشتراهما بقرشين بدلا من حذائه الأول .



【٤٠】 الحذاء الذي أصبح مجرد ذكرى كلما حل العيد .

وقد قُدر لجبرا أن يعود للقدس مرة ثانية ، لكن هذه المرة كانت رحلته إليها من دون والدته وبعيدا عن التجربة الأولى التي تركت داخله شعورا بالحسرة . وهو يعود أدراجه من القدس محملا بذكرى الحذاء المرقع الذي أبغضه ، وحاول التخلص من ذكرائه【٤١】 كانت رحلته الثانية لأجل الرسامة في دير مارمرقس مبعث بهجة وسرور . فبالرغم من رفض والدته قرر جبرا وصديقه جورج أن يرافق جماعة من الصبية في هذه الرحلة مشيا على الأقدام ، بقليل من بزر البطيخ المحمص الذي ملأ به جيوب سترته بدأ جبرا رحلته مع المعلم جريس【٤٢】 إلى القدس .

كان الطريق إلى القدس في وصف جبرا للطبيعة التي تزخر بها فلسطين أشجار الزيتون ، والخروب ودوالي العناب يبشر بغيظته رغم علمه أن المسافة الواجب قطعها هي ثمانية كيلومترات ، وهي كما يقول جبرا «من المعالم المثبتة على جانبي الطريق - تلك الأحجار المستطيلة التي نقرت فيها أرقام الكيلومترات التي كان يروق لي أن أجلس عليها قليلا ، كلما بلغت حجرا منها ، زهوا بما قطعت من مسافة سيرا على القدمين»【٤٣】 في رحلته إلى القدس .

أما الثمانية كيلومترات المسافة التي قطعها جبرا فستبقى عالقة في ذهنه على حد تعبيره « لسوف تمر السنون بعد ذلك ، وأقطع تلك الطريق جيئة وذهابا عشرات المرات حتى لأعرف محاجرها كلها ، وكل صخرة على جوانبها ، وكل زيتونة ودالية ، وكل دار تطل عليها - والدور أيامئذ قليلة - فأعرف كل باب ، ونافذة فيها أشكالها ، والوانها»【٤٤】 . ولأن القادم إلى القدس ينبغي أن «يأتيها من أبواب أسوارها التي ترتصف حجارها الضخمة ، صفا فوق صف ، منبتقة من السفح الصخري للتلال التي بنيت عليها في الأصل : أبراجها تذكر بماض يعود إلى بضعة قرون ، و لكن حجارها السفلى وأسسها تذكر بالعهود الأولى التي تعود إلى أربعين قرنا أو أكثر من زمن يضح بالتاريخ»【٤٥】 . عاد جبرا ليدخل «سويقة» باب الخليل من جديد .

وبعد انفصاله عن الجماعة التي صحبها رافق جبرا صديقه جورج إلى بيت عمته لقضاء ليلتهما عندها حتى يحين موعد الرسامة في صباح اليوم التالي . وقد استقبل جبرا ذهابه إلى الكنيسة بكثير من الدهشة والغبطة لكن سرعان ما استحالته دهشته إلى خوف وجزع . فبعيد انتهاء الرسامة ونزوله الباحة انتبه جبرا إلى أن جماعته قد تفرقت ، وصديقه جورج اختفى فما كان منه إلا أن وجد نفسه ضائعا يتلمس طريق العودة إلى بيته【٤٦】 ذلك أن الداخل إلى القدس «إنما يتغلغل في طرقات معقودة ، وأزقة مقنطرة تتخللها أفضية بين حين وحين ليؤكد شعاعها العتمة المتعاقبة ، ويكون السير على الأرضية المبلطة بالحجارة الصقيلة كالسير من خلال رقرقة الحرير ، وحفيف الزخرفة التي ترسمها الأضواء والظلال»【٤٧】 ، وهو ما وجد جبرا بعد ضياعه «وخرجت إلى الأزقة التي لا أعرفها جزعا مضطربا ، لولا أن تمتعت برؤية الطرق الصاعدة النازلة ، المتفرعة دوما ، المنعطفة دوما ، الملأى بالأطفال في ملابس يوم الأحد كانت تغالب اضطرابي ، وجزعي وأدركت أنني لن أهتدي إلى بيت عمه صديقي في تلك الشعاب مهما حاولت»【٤٨】 ،ومن ثم فإن محاولات



جبرا صارت تهجس بكيفية العودة إلى بيته .

وباهتدائه إلى السوق صعد جبرا أدراجها للمساء في اتجاه باب الخليل قاصدا الساحة المجاورة حيث تنتظر السيارات والعربات مجيء القاصدين إلى بيت لحم والخليل ،ويعد أن يأس أن يجد من يعرفه . [٤٩] اختار جبرا أن يرجع إلى بيت لحم مشيا على الأقدام «سأعود إلى أهلي ، وأروي لهم عن القدس ، وعن رسامتي ، وامتدت الطريق «[٥٠] إلى بيت لحم . ورغم التعب حقق جبرا مراده ،وعاد لبيته ، لكن هذه المرة لن يكون والده من يروي له الحكاية بل سيكون جبرا من سيروي محكيه الأول عن القدس .

ولا تفارق وجدان جبرا ذكرياته عن الأمكنة عن بيت لحم عن كنيسة المهد أو كنيسة القيامة، أما القدس فسيكون له عنها ذكريات أثيرة بعيد انتقاله للعيش فيها. ففي أواخر شهر آذار سنة ١٩٣٢ ، وباقتراح من أخيه يوسف قررت العائلة الانتقال إلى القدس .المدينة التي توجس منها جبرا خوفا من أن يضيع فيها كما ضاع مرة من قبل [٥١] لكن هذه المرة لم يضع جبرا فيها بقدر ما عرف كل زاوية منها ، وكتب عن القدس في كل مؤلفاته إلا أن جبرا لم يكتب عن أية مدينة فتأتي أوصافه مجردة ذهنية ، بل عن القدس التي فقدتها في أوج تكون وعيه بنفسه ،ومجتمعه وما كان ،وما يريد لنفسه فارتبط بمصيره بمصيرها حتى أصبحت رمزا مقدسا حيا لغريته المتجلية في كل ما كتب «[٥٢]. وفي أجمل ما رسم .

وهكذا كانت ١٩٣٢ سنة التغيير ،وانتقال جبرا إلى القدس و مدرسة الرشيدية الثانوية و الحي الجديد - جورة العناب ، التي كانت على منحفض من الطريق العام ،قبيل بلوغ باب الخليل ، ويشمخ فوقها وفوق الطريق ، سور المدينة الغربي ،حيث قلعة النبي داود ، ومثدنة القلعة ، وكلتاها من معالم القدس الشهيرة ولسوف أرسمهما بالألوان المائية في لوحة من أجمل ما رسمت بعد بضعة سنوات «[٥٣] ، وخلال سنوات انتقاله إلى القدس عرف جبرا كشوفات كثيرة كانت - يقول جبرا- «هناك مدينة القدس الجميلة ،اكتشفها حيا حيا ، وحجرا حجرا ،القديمة منها والجديدة ، تاريخها وحاضرها «[٥٤].

ويبدو أن انتقال جبرا من بيت إلى بيت نتيجة الظروف القاسية التي عرفتها عائلته سيصير مع المأساة الفلسطينية قدرا حتم عليه أن يجتث من جذوره وأن يبقى الفلسطيني بداخل سعيد - كما يقول - مشدودا إلى «الكيفية التي أدى بها عدد متزايد جدا من المغادرات إلى زعزعة أركان حياتي منذ بداياتها الأولى . وفي نظري إن ما من شيء يميز حياتي على نحو أشد إيلاما - والمفارقة أنه هو ذاته ما أتوق إليه توقا -أكثر من تنقلاتي العديدة عبر البلدان، والمدن، والمساكن، واللغات، والبيئات، وهي تنقلات ظلت تحركني خلال تلك السنوات «[٥٥]. ومن ثم فقد احتلت الجغرافية ركنا مهما من حياة إدوارد سعيد .

إدوارد سعيد والجغرافية الأولى

عاين إدوارد سعيد ،وهو ابن الثالثة عشر معنى المنفى ، وممرارة الاغتراب عن مكانه الأول قائلا «مع ربيع ١٩٤٨ كانت عائلتي قد أجليت عن المكان ،وعاشت المنفى منذ ذلك الحين «[٥٦] ، حيث

سيمثل المنفى لسعيد بوصفه منفيا «الشرح المفروض الذي لا التمام له بين كائن بشري، ومكان الأصلي بين الذات وموطنها الحقيقي : فلا يمكن البتة التغلب على ما يولده من شجن أساسي» [٥٧] ، وشعور عميق بألم الخسارة . وإن كان سعيد قد تأمل في عديد المرات محاسن ومشاق أن يكون المرء غريبا ومنفيا ، وكان في العادة يشدد على المزايا الفكرية التي يمكن كسبها من تلك المواقع إلا أنه أوحى أن وعيا منفويا ، وعلاقة ظلت إشكالية مع الوطن الضائع ، شكلتا موقفه النقدي بأسره وأثرتا في طريقة تفكيره وكتابته [٥٨] .

فبعد الإبعاد المبكر أو الارتحال الأول عن القدس بدت حياته محكومة بتعدد الأمكنة بل كانت- كما عبر عنها - «الجغرافية في مركز ذكرياتي عن تلك السنوات خصوصا جغرافية الارتحال من مغادرة بوصول ، ووداع ومنفى ، وشوق وحنين إلى الوطن ، وانتماء ناهيك عن السفر ذاته» [٥٩] فهو الذي فرض عليه أن يحيا بين عالمين لا على مستوى المكان فحسب بل على مستوى اللغة الأم ، وانفصامه عنها . الانفصام الكبير في حياته بين لغته العربية ، وبين اللغة الإنجليزية ، وهي اللغة التي تعلم ، وكتب بها [٦٠] أبحاثه وكتبه ، وسيرته الذاتية .

يدرك الفاحص لمذكرات إدوارد سعيد «خارج المكان» أن القدس الجغرافية الأولى التي انطبعت بذاكرته ، وعلى الرغم أن والديه كانا يعيشان في القاهرة ١٩٣٥ فقد قررا أن تكون ولادته مقدسية المكان ويرجع سعيد دواعي هذا القرار إلى أن والدته كانت «قد ولدت في أحد مستشفيات القاهرة طفلا ذكرا تقررت تسميته «جيرالد» إلا أنه أصيب بالتهاب قضي من جرائه بعيد ولادته . وكبديل جذري من كارثة استشفائية أخرى سافر والدي إلى القدس خلال الصيف» [٦١] أين سيولد إدوارد في بيته المقدسي .

البيت الذي سيبقى بعيدا عنه ، وستكون العودة إليه حلما مؤجلا . «وقد مر وقت طويل بلغ ٤٥ سنة من الغياب قبل أن يتمكن هو وزوجته ، وأولاده زيارة وطنه المفقود ، وقصد منزل العائلة في القدس ثم المنزل الذي نشأت فيه أمه في الناصرة ، وذلك في عام ١٩٩٢ بعد حوالي من سنة من اكتشافه أنه مصاب بسرطان الدم اللمفاوي كما لو أنه ذهب ليودع البيت الذي ولد فيه لا ليستعيده» [٦٢] بل ليقاوم مشاق المرض الذي كان يستدعي- بتعبير سعيد - «الإكثار من الاستذكارات ، ومحاولات إحياء نتف من حياة عشتها أو استحضر بشرا غابوا» [٦٣] . أو بشرا لازالوا على قيد الحياة .

وبالقدر الذي لم تمثل فيه ذكريات سعيد الأولى عن فلسطين حالة استثنائية بل يعرض له أن يصفها بأنها «ذكريات عادية ، والغريب أنها غير لافتة ، قياسا إلى عميق انشغالي اللاحق بالشؤون الفلسطينية» [٦٤] إلا أن استعادته لبعض من هذه الذكريات ليظهر كثيرا من ذلك التباين بين الحياة في القدس ، والعيش في القاهرة أو لبنان والولايات المتحدة الأمريكية .

ولئن عد إدوارد سعيد كل مكان من الأمكنة التي عاش فيها- قائلا - «يملك شبكة كثيفة ، ومركبة من العناصر الجاذبة شكلت جزءا من عملية نموي ، واكتسابي هويتي ، وتكوين وعيي لنفسي الآخرين» [٦٥] ، إلا أن القدس كانت المكان الأمثل الذي حمل له الشعور بالانتماء إلى العائلة



والعشيرة، والحرية فمقارنة بإقامته في القاهرة - يذكر سعيد - بدت إقاماته «المتقطعة في فلسطين ذات طبيعة عائلية صرفة، أي أننا لم نكن نأتي أي نشاط كعائلة مصغرة، وإنما يلازمنا دائما سائر أفراد العشيرة... وذلك على العكس تماما مما يحدث في القاهرة حيث كنا متوحدين في بيئة نفتقد فيها العلاقات الفعلية الأمر الذي زاد إحساسنا بالتماسك الداخلي» [٦٦].

تلمس ابن القدس شطرا من هذا التماسك الداخلي الذي عاشه في فلسطين. مستعيدا فضائل ما ملكه، وفقده بقوله « كانت فلسطين مكانا أسلم به تسليما، بما هو الوطن الذي انتمي إليه، يعيش فيه أقرباء وأصدقاء بطمأنينة لا تحتاج إلى تفكير» [٦٧]. هناك حيث منزله العائلي الواقع «في الطالبية، وهو حي من القدس الغربية قليل السكان بناه، وسكن فيه حصرا فلسطينيون مسيحيون» [٦٨] من أمثاله ويقدر ما كانت تتباعد زيارته للقدس - يقول إدوارد سعيد - «استقطبت فلسطين طابعا ناعسا حلميا. هناك كنت أتححر من ذلك الشعور الحاد بالوحدة الذي أخذ يقض مضجعي فيما بعد [...] . وعلى الرغم من أنني كنت أشعر بانحسار وطأة التنظيم المحكم للزمان والمكان، وهو تنظيم كان محور حياتي في مصر، فأني لم أستطع الاستمتاع كليا بذلك التححر النسبي منه الذي عشته في القدس» [٦٩].

ورغم هذا التححر لم تكن جغرافية حي الطالبية عند إدوارد سعيد بتلك الرحابة التي وجدها في جغرافية القاهرة، وهو الذي يثبت هذا القدر من الاتساع بقوله « أما جغرافية القاهرة، وبيئتها الأغنى دلالة، والأشد كثافة فكانتا تتركزان بالنسبة إلينا في الزمالك وهي الجزيرة التي تتوسط النيل بين المدينة القديمة إلى الشرق والجزيرة جهة الغرب يسكنها الأجانب والأغنياء المحليون» [٧٠]. ومع كل هذه الكثافة جغرافية الزمالك لم تحمل شيئا من التجانس السكاني الذي وسم حيه في القدس -يقول سعيد- «فخلافًا للطالبية المتجانسة السكان من تجار، ومهنيين ميسورين. لم تكن الزمالك تشكل جماعة موحدة، وإنما كانت أشبه بالمركز الكولونيالي الأمامي يتحكم فيه الأوروبيون الذين لم يكن لنا- أو لم يكد يكون لنا - اتصال بهم. وقد شكلنا عالما الخاص داخل الزمالك» [٧١].

وبمرور السنوات بدأت تتحصر رحلات إدوارد سعيد إلى القدس خاصة بعد سنة ١٩٤٢. ففي فترة النصف الأول من هذه السنة كرس عائلته فترة أطول لقضاء عطلة الصيف في فلسطين، وقد اعتبر سعيد بأن ذلك الصيف غير مجرى عائلته على نحو دراماتيكي حيث أجبرت أسرته على السفر بالسيارة بدلا من القطار بسبب ظروف الحرب العالمية. [٧٢] ولم تكن عطلة الصيف التي قضتها العائلة في رام الله لتقتصر على مصاعب الطريق من القاهرة إلى فلسطين بل راحت تتجاوزها إلى انتكاسة والده الصحية. فقد ظلت صور الأب في انغلاقه وصمته تفرض نفسها على ذاكرة إدوارد الابن لسنوات، ومع عودته إلى القاهرة بدأ مسار التحول في حياة سعيد بل، وشجفته أمه على الاعتقاد أن المرحلة الأوفر السعادة، والأقل أشكالا قد ولت بلا رجعة [٧٣] هكذا بدت الحياة الهنيئة التي كان ينعم بها إدوارد سعيد في مكانه الأول تتهادى بعيدا .

فلربما لأنه كان يعرف منذ البداية كلما زار القدس أن إقامته المقدسية بقيت تعين ذلك الشعور

الطليق والمؤقت، والزائل الذي عذبه دائما، وقد تبين لاحقا- لإدوارد سعيد- أنها فعلا كذلك . [٧٤] ومنه فقد ظل سعيد لسنوات كثيرة ينسب حياة السعادة والحرية المؤقتة إلى الجغرافية الأولى التي عرفها . ذلك وإن كان سعيد أرجع السبب الرئيس في تدوينه لسيرته الذاتية إلى أنه كان مشدودا إلى أيامه الأولى حين كان صبيا في القدس ، والقاهرة ، وظهر الشوير فإنه وجد نفسه ، وهو يحيي من جديد ما في سنواته الأولى من مآزق سردية ، إحساسه بالشك ، بكونه خارج المكان ، وشعوره الدائم بأنه يقف في الركن الخطأ في مكان بدا كأنه ينزلق منه بعيدا كلما حاول أن يحدده أو يصفه . [٧٥] لكن مع كل ما عينه إدوارد سعيد من ذكريات عن حياته في الأمكنة الثلاثة التي تنقل بينها يبقى السؤال لماذا كان يشعر دائما بكونه خارج المكان؟ هل لأنه فقد مكانه الأول؟ فبالرغم من كل ما وصل إليه إدوارد سعيد لماذا يلمح القارئ في سيرته هذا الالتباس في علاقته بالمكان؟ وما هو المسمى الذي يمكن أن يهبه سعيد لجغرافيته الأولى؟

القدس الضياء والبيت

إن ذكريات جبرا وسعيد ظلت تأتي إلا أن تحتفظ للقدس بمسمياتها الأصلية المادية والروحية ، فقد ترك جبرا إبراهيم جبرا للقدس مكانها الأول في البئر الأولى ليحفظها داخله . القدس ، ووجهها الذي «ينتشر فوق الأفق وراء الجبل ، [...] إنه ضياء مدينة القدس . يريد الله لها أن تتوجه في وسط الظلام الذي يملأ الدنيا .» [٧٦] هذا ما قاله أخوه يوسف عندما سأله جبرا عن الضياء الغريب الذي يغطي الأفق . أما الكتابة في خارج المكان فمنحت لإدوارد سعيد تلك الذاكرة المضاعفة في استبقاء وطنه حاضرا ، وهو ما عبر عنه قائلًا «وهذه المذكرات هي في وجه من وجوها استعادة لتجربة المغادرة والفرار إذ أشعر بوطأة الزمن يتسارع وينقضي . ولما كنت قد عشت في نيويورك بإحساس مؤقت على الرغم من إقامة دامت سبعة و ثلاثين عاما فقد فاقم ذلك من ضياعي المتراكم بدلا من مراكمة الفوائد» [٧٧] فبالرغم مما حققه إدوارد سعيد من مكاسب في المنفى إلا أن شعوره بالفقد ظل يتكرر دائما معه ، وإحساسه بأنه «بعيد عن البيت» [٧٨] كان الإحساس الذي لم يفارقه طوال حياته أو بالأحرى الانفصال عن القدس مدينة الألوان التي صقلت موهبة جبرا الفنان التشكيلي ، برسوماتها على جدران الكنائس ، والموسيقى المنبعثة من ترانيم المنشدين فيها . وقد ظللت سماء القدس بظلالها ابن بيت لحم جبرا إبراهيم جبرا سنة ١٩٣٢ ، واستقبلت عائلة وديع سعيد ميلاد ابنها إدوارد سعيد تحت ذات السماء ١٩٣٥ . بات مصير الواحد منهما محكوما بجغرافية القدس سواء عاش الأول في بغداد ، أو الثاني في الولايات المتحدة الأمريكية ربما لأنه لا ينبغي النسيان نسيان مفارقة البيت والوطن والمأساة . فلا يمكن لجبرا أن ينسى وطنه «فلسطين لم تكن تغيب عن بالي لحظة واحدة ، ولا كانت تغيب عن بالي هموم أسرتي في تلك الفترة العصيبة - ومتى لم تكن يوم ولدت لا نمر أفرادا أو وطننا في فترة عصيبة ، وكاننا كل يوم نقهر قدرا لا يفك حصاره عنا » [٧٩] ، وعليه فإن جبرا استشعر الحياة القلقة من خلال المعاناة التي عاشتها أسرته . ولئن صنعت السنة التي قضاها جبرا إبراهيم جبرا في الولايات المتحدة الأمريكية تصورات



عن الشرقي الذي يذهب صوب الغرب من عليه «أن يشق طريقه عموديا في تراكمه الحضاري - في تأليفه، ورواياته ، وعلومه ، وفنونه» [٨٠] فقد ترسخت في ذهنه بعض الشكوك - متسائلا- عن جدوى إتباع الشرقي طريقه «في تراكمات الثقافة الغربية: ليس من الأجدى أن ينمي المرء طاقاته بالبحث عن غذاء له في هذا القلق الشاسع ، الطالع النازل في بلادنا العربية ،هذا القلق الذي مازال يتيح للفرد فسحات عريضة من الفعل والتأثير ليس في الغرب ما يضاهاها» [٨١]. أما القلق الذي تحدث عنه جبرا فقد عايناه هو نفسه عن قرب في مأساة بلاده.

لكن هل يمكن أن يكون هناك استثناء يأتي من القدس نفسها يشق طريقه في الغرب بكل تراكماته الثقافية طباقيا ، ويقراً تأليفه ، ورواياته ، ويتعرف على فنونه ، وأن لا يفارقه القلق النازل بوطنه بالمأساة التي يعانها الشعب الفلسطيني بل سيحمل إدوارد سعيد القلق نفسه الذي حمله جبرا بين جوانبه .وسيتاح له أن ييئه في كل ما كتب عن منفاه ، وفلسطين ، ذلك أن ما كتبه في خارج المكان ، وإن حمل تاريخا شخصيا فقد وجد سعيد نفسه يكتب مذكراته على خلفية ما جرى في الشرق الأوسط [٨٢].

وعلى النحو الذي تمثلت فيه الكتابة السير ذاتية عند جبرا إبراهيم جبرا وإدوارد سعيد القدس من موقع الاغتراب والمنفى لتصبح الكتابة عنها ملاذا ، وهاجسا للاقتراب منها ،أو العودة إليها ، فكثيرا ما صادف المحكي عن القدس نتاجات أدبية تولدت من رحم المخيلة فحسب ، وأخرى ترسمت الحضر في الذاكرة باعتبارها نقوشا لا تتمحي بسهولة . والحال أن أكثر النقوش رسوخا جاءت من محكيات عاشت الابتعاد والانفصال عن وطنها .فهذا الحضر الذي يشتغل في البئر الأولى وخارج المكان يبرز خصوصية هذه الكتابة المؤتلة لحميمية علاقتها بالقدس لكونها المأوى والمكان الوحيد الذي ظل يحن إليه من سكن في شارع الأميرات ،وكما ستظل القدس البيت لمن عرف أنه منذ إبعاد عائلته عن وطنه سنة ١٩٤٨ سيبقى أسيرا لحقيقية سفره .

الهوامش و الإحالات

١. يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة ،دار المعارف ،مصر ،ط٥ ، ١٩٨٦، ص ٢٢٢ .
٢. يمنى طريف الخولي ، الزمان في الفلسفة والعلم ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ب- ط ، ٢٠١٢ ، ص ١٩ .
٣. صلاح فضل ، النظرية البنائية في النقد الأدبي ،دار الشروق ،مصر ، ط١ ، ١٩٩٨، ص٢١٨ .
٤. مجموعة من المؤلفين ، جماليات المكان ، عيون المقالات باندونغ ،الدار البيضاء ،المغرب ،ط ٢ ، ١٩٨٨، ص٠٢ .
٥. جبرا إبراهيم جبرا ،الحرية والطوفان ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت لبنان ،ط٢، ١٩٧٩، ص١٣١ .
٦. المرجع نفسه ،ص ١٢٤ .
٧. إدوارد سعيد ،تأملات في المنفى مقالات أخرى ١ ، ترجمة ثائر ديب ،دار الآداب ،بيروت لبنان ،ط٢ ، ٢٠٠٧ ، ص ٣٨٠ .
٨. حلیم بركات ،غربة الكاتب العربي ، دار الساقى ، بيروت لبنان ،ط ١ ، ٢٠١١ ، ص ١٠٩ .
٩. إدوارد سعيد ، الثقافة والإمبريالية ، ترجمة كمال أبو ديب ، دار الآداب ،بيروت لبنان ،ط ٤ ، ٢٠١٤، ص ٦٦ .
١٠. المرجع نفسه ،ص ٦٦ .
١١. إدوارد سعيد ،عن الأسلوب المتأخر موسيقى وأدب عكس التيار ، ترجمة فواز طرابلسي دار الآداب ،بيروت لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٥، ص ١١ .
١٢. مجموعة من الأكاديميين العرب ،الفلسفة العربية المعاصرة ،منشورات ضفاف وآخرون ، بيروت لبنان ،ط ١ ، ٢٠١٤، ص ٤٧٢ .
١٣. ستيفن هاو ،إدوارد سعيد :المسافر والمنفى ،ترجمة صبحي حديدي ، مجلة الكرمل، بيروت لبنان ،عدد ٧٨ ، شتاء ٢٠٠٤ ، ص١٦ .
١٤. إدوارد سعيد ،تأملات في المنفى ،ص ٣٨٠ .
١٥. فيليب لوجون ، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي ، ترجمة عمر حلي ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب ، ط ١ ، ١٩٩٤ ، ص ٢٢ .
١٦. ينظر :إدوارد سعيد ، خارج المكان ،ترجمة فواز طرابلسي ،دار الآداب ،بيروت لبنان ،ط٢ ، ٢٠١٤ ، ص ٢١ .
١٧. المرجع نفسه،ص ١٩ .
١٨. ينظر: إدوارد سعيد ،تأملات حول المنفى ومقالات أخرى ١ ، ترجمة ثائر ديب ،دار الآداب ،بيروت لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٧ ، ص ٣٦٩ .
١٩. إدوارد سعيد ، خارج المكان ،ص ٢٥ .



٢٠. المرجع نفسه، ص ٤٢ .
٢١. نفسه، ص ٣٥ .
٢٢. نفسه، ص نفسها .
٢٣. فخري صالح ، إدوارد سعيد دراسة وترجمات ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط ١ ، ٢٠٠٩ ، ص ٤٠ .
٢٤. جبرا إبراهيم جبرا ، شارع الأميرات فصول في سيرة ذاتية ، دار الآداب ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٢ ، ص ٥٥ .
٢٥. جبرا إبراهيم جبرا ، البئر الأولى فصول من سيرة ذاتية ، دار الآداب ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٩ ، ص ١٢ .
٢٦. جبرا إبراهيم جبرا ، الفن والحلم والفضل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد العراق ، ب-ط ، ١٩٨٥ ، ص ٣٦٦ .
٢٧. جبرا إبراهيم جبرا ، البئر الأولى ، ص ١٥ .
٢٨. جبرا إبراهيم جبرا ، الفن والحلم والفضل ، ص ٣٩١-٣٩٢ .
٢٩. جبرا إبراهيم جبرا ، البحث عن وليد مسعود ، مكتبة الشرق الأوسط ، بغداد العراق ، ط ٢ ، ١٩٨٥ ، ص ١١ .
٣٠. جبرا إبراهيم جبرا ، البئر الأولى ، ص ٠٨ .
٣١. حلیم بركات ، غربة الكاتب العربي ، ص ٦٩ .
٣٢. جبرا إبراهيم جبرا ، شارع الأميرات ، ص ٥٥ .
٣٣. جبرا إبراهيم جبرا ، الحرية و الطوفان ، ص ١٢٤ .
٣٤. جبرا إبراهيم جبرا ، البئر الأولى ، ص ١٠ .
٣٥. المرجع نفسه ، ص نفسها .
٣٦. جبرا إبراهيم جبرا ، تأملات في بنيان مرمري رياض الريس للكتب والنشر ، المملكة المتحدة ، ب- ط ، ١٩٨٩ ، ص ٨٧ .
٣٧. المرجع نفسه ، ص ٨٨ .
٣٨. ينظر: جبرا إبراهيم جبرا ، البئر الأولى ، ص ٧٦-٧٨ .
٣٩. المرجع نفسه ، ص ٧٩ .
٤٠. نفسه ، ص ٨٠ .
٤١. المرجع السابق ، ص ١٠٢ .
٤٢. نفسه ، ص ١٠١ .
٤٣. نفسه ، ص ١٠٣ .
٤٤. نفسه ، ص نفسها .
٤٥. جبرا إبراهيم جبرا ، تأملات في بنيان مرمري ، ص ٨٩ .



- ٤٦ . ينظر : جبرا إبراهيم جبرا ، البئر الأولى ، ص ١٠٥ .
- ٤٧ . جبرا إبراهيم جبرا ، تأملات في بنيان مرمرى ، ص ٨٩ .
- ٤٨ . جبرا إبراهيم جبرا ، البئر الأولى، ص ١٠٥ .
- ٤٩ . المرجع نفسه ، ص نفسها .
- ٥٠ . نفسه ، ص نفسها .
- ٥١ . نفسه، ص ١٨١ .
- ٥٢ . حلیم بركات ، غربة الكاتب العربي، ص ٧٤ .
- ٥٣ . جبرا إبراهيم جبرا ، البئر الأولى ، ص ١٨٢ .
- ٥٤ . المرجع السابق ، ص ٢١٢ .
- ٥٥ . إدوارد سعيد ، خارج المكان ، ص ٢٧١ .
- ٥٦ . المرجع نفسه ، ص ٢٠ .
- ٥٧ . إدوارد سعيد ، تأملات في المنفى ، ص ١١٧ .
- ٥٨ . ستيفن هاو ، إدوارد سعيد : المسافر والمنفى ، ص ٢٢ .
- ٥٩ . إدوارد سعيد ، خارج المكان ، ص ٢٢ .
- ٦٠ . المرجع السابق، ص نفسها .
- ٦١ . نفسه ، ص ٤٥ .
- ٦٢ . حلیم بركات ، غربة الكاتب العربي ، ص ١١٢ .
- ٦٣ . إدوارد سعيد ، خارج المكان ، ص ٢٦٨ .
- ٦٤ . المرجع نفسه ، ص ٤٥ .
- ٦٥ . نفسه ، ص ٢٢ .
- ٦٦ . المرجع السابق ، ص ٤٥ .
- ٦٧ . نفسه ، ص نفسها .
- ٦٨ . نفسه ، ص ٤٦ .
- ٦٩ . نفسه ، ص ٤٦-٤٧ .
- ٧٠ . نفسه ، ص ٤٧ .
- ٧١ . نفسه ، ص نفسها .
- ٧٢ . نفسه ، ص ٥٠ .
- ٧٣ . المرجع السابق ، ص ٥٢-٥٣ .
- ٧٤ . نفسه ، ص ٤٧ .
- ٧٥ . إدوارد سعيد ، تأملات في المنفى ، ص ٣٧١ .
- ٧٦ . جبرا إبراهيم جبرا ، البئر الأولى ، ص ٩٩ .
- ٧٧ . إدوارد سعيد ، خارج المكان ، ص ٢٧٦ .

- ٧٨ . المرجع نفسه، ص نفسها .
 ٧٩ . جبرا إبراهيم جبرا، شارع الأميرات، ص ٤٥ .
 ٨٠ . جبرا إبراهيم جبرا ، الحرية والطوفان ، ص ١٣٤ .
 ٨١ . المرجع نفسه، ص نفسها .
 ٨٢ . إدوارد سعيد ، خارج المكان ، ص ٢١ .

مصادر البحث ومراجعته

- ١ . إدوارد سعيد ، خارج المكان ، ترجمة فواز طرابلسي ، دار الآداب ، بيروت لبنان ، ط ٢ ، ٢٠١٤ .
 ٢ . إدوارد سعيد ، تأملات حول المنفى ومقالات أخرى ١ ، ترجمة ثائر ديب ، دار الآداب ، بيروت لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٧ .
 ٣ . إدوارد سعيد ، الثقافة والإمبريالية ، ترجمة كمال أبو ديب ، دار الآداب ، بيروت لبنان ، ط ٤ ، ٢٠١٤ .
 ٤ . إدوارد سعيد ، عن الأسلوب المتأخر موسيقى وأدب عكس التيار ، ترجمة فواز طرابلسي ، دار الآداب ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٥ .
 ٥ . جبرا إبراهيم جبرا ، البئر الأولى فصول من سيرة ذاتية ، دار الآداب ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٩ .
 ٦ . جبرا إبراهيم جبرا ، البحث عن وليد مسعود ، مكتبة الشرق الأوسط ، بغداد العراق ، ط ٢ ، ١٩٨٥ .
 ٧ . جبرا إبراهيم جبرا ، تأملات في بنيان مرمري رياض الريس للكتب والنشر ، المملكة المتحدة ، ب- ط ١٩٨٩ .
 ٨ . جبرا إبراهيم جبرا ، الحرية والطوفان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت لبنان ، ط ٢ ، ١٩٧٩ .
 ٩ . جبرا إبراهيم جبرا شارع الأميرات فصول في سيرة ذاتية ، دار الآداب ، بيروت لبنان ، ط ٢ ، ٢٠١٢ .
 ١٠ . جبرا إبراهيم جبرا ، الفن والحلم والفعال ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد العراق ، ب- ط ١٩٨٥ .
 ١١ . حلیم بركات ، غربة الكاتب العربي ، دار الساقي ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ٢٠١١ .
 ١٢ . ستيفن هاو ، إدوارد سعيد : المسافر والمنفى ، ترجمة صبحي حديدي ، مجلة الكرمل ، بيروت لبنان ، عدد ٧٨ ، شتاء ٢٠٠٤ .
 ١٣ . صلاح فضل ، النظرية البنائية في النقد الأدبي ، دار الشروق ، مصر ، ط ١٩٩٨ .



١٤. فخري صالح ، إدوارد سعيد دراسة وترجمات ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٩ .
١٥. فيليب لوجون ، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي ، ترجمة عمر حلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط ١ ، ١٩٩٤ .
١٦. مجموعة من الأكاديميين العرب ، الفلسفة العربية المعاصرة ، منشورات ضفاف وآخرون ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٤ .
١٧. مجموعة من المؤلفين ، جماليات المكان ، عيون المقالات باندونغ ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط ٢ ، ١٩٨٨ .
١٨. يمنى طريف الخولي ، الزمان في الفلسفة والعلم ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، ب- ط ، ٢٠١٢ .
١٩. يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف ، مصر ، ط ٥ ، ١٩٨٦ .

القدس في دواوين الشعراء الجزائريين المعاصرين

د. عمر بن طرية
جامعة قاصدي مرياح
ورقلة / الجزائر

الملخص :

تسمى هذه الورقة البحثية الموسومة — : القدس في دواوين الشعراء الجزائريين المعاصرين» إلى رسم مشهد القدس العابس والمشرق في آن في الشعر الجزائري المعاصر من خلال لفيظ من الدواوين الشعرية لشعراء معاصرين تشرّبوا معاناة الشعب الفلسطيني جراء ما يتعرضون له من قصف ، ودمار، وتقتيل، واعتداء ، وسفك للدماء ، وانتهاك للحرمات ، والمقدسات وعلى رأسها القدس الشريف، فجادت قرائحهم بقصائد من درر رسمت بريشة المبدع الحزين الوجه العابس للقدس ، هذا من جهة ، ورسوموا الوجه المشرق للقدس من خلال نظراتهم التفاؤلية المستبشرة بالنصر للقضية العادلة ، واندحار الظلم ، وزوال الظلمة ، من جهة أخرى .

وجاءت الورقة البحثية في محور واحد ، ومدخل ، وتقديم ، وخاتمة. فالمدخل أبرز معاناة القدس الشريف ، وموقف الشعب الجزائري.

أما المحور : فتناول مشهد القدس في لفيظ من دواوين شعراء جزائريين معاصرين ، وهي على التوالي:

- ديوان مروج الذهب للشاعر بشير قيطون
 - ديوان صرخة الميلاد للشاعر محمد الأخضر سعداوي
 - ديوان هذه قضيتي للشاعر جمال سعداوي
 - ديوان مخطوط بعنوان : أيها الطائر المسجون للشاعرة نبيلة قوقي والخاتمة حوصلت أهم النتائج المتوصل إليها.
- وسلكت الورقة البحثية المنهج الوصفي التحليلي الملائم لمثل هذه الدراسة .
- الكلمات المفتاحية : القدس ، مشهد ، الدواوين ، الشعراء الجزائريون ، المعاصرون.

تقديم

تربيع القدس - منذ أحقاب وأمد - على مكانة سامقة في تاريخ الإنسانية جمعاء ، فهي مهد الديانات ، ومثابة للحضارات ، تهفو إليه النفوس ، وتستشعر به القلوب ، وتعلق به الأرواح... وتمثل القدس بالنسبة للجزائريين سويداء الفؤاد ، وأوكسجين النفوس ، ويلسم الحياة ، و وارث الماضي، والحاضر ، والمستقبل.

وأحبّ الجزائريون القدس حتى النخاع ، ونصروها ولا يزلون إلى أن يتحقق النصر الموعود وتعود القدس حرة أبية كريمة فالشعب الجزائري رسم معلما لا يحيد عنه أبدا من القضية الأم (مع فلسطين مظلومة أو ظالمة)، ففلسطين هي الجزائر، والجزائر هي فلسطين ، قلبا وقالبا .

مدخل

كانت القدس عرضة للعدوان والحروب والانتهاكات منذ فجر الإنسانية إلى يومنا هذا وما زالت يتعرض لهمجية الصهاينة الذين يبذلون كل ما يملكون من أجل امتلاك القدس وكامل التراب الفلسطيني ، وكذا السعي الحثيث لطمس هويتها العربية والإسلامية.

ومن هذا المنظور لا يختلف عاقلان على أن الشعراء الجزائريين المعاصرين حملوا على عاتقهم مسؤولية الجرح الفلسطيني النازف ، وظلم الصهاينة الجارف ، وألوان التعذيب ، والتقتيل ، والتشريد ، والتكيبيل الذي بلغ حد الجنون والإسراف ، راسما مشاهد أليمة ، ومعاناة مريرة ، وجراحات بليغة ، وأحزان ، وأوجاع مستمرة... تتكرر لوحاتها وصورها المتزركشة الأشكال والألوان يستفتح بها أبناء الشعب الفلسطيني يومهم.

أمام هذه الحرب الضروس التي لا هوادة فيها ، والتي أتت على الأخضر واليابس ، وأقنت الصغار والكبار ، والشباب والشيوخ ، والنسوة والعجائز ، والحيوان والجماد ، وأهلكت البلاد والعباد ، لا تبقى ولا تدر... تفجرت قرائح الشعراء الجزائريين المعاصرين بفيض من القصائد معبرة بصدق ووفاء وحب ومودة وأخوة عن معاناة الشعب الفلسطيني الجريح ، فرسموا بما اختلج في صدورهم ، وما اعتصر في نفوسهم من توجعات ، وآلام ، وآهات ، وأنات تجاه إخوانهم الفلسطينيين مبينين أن قضية فلسطين قضية العالم الإسلامي برمته ، وليست قضية أبناء فلسطين وحدهم الذين يصابرون ويرابطون من أجل تحريرها ، وتحرير القدس الشريف.

وأمام انكسارات الأمة العربية ، وخيبة الأمل التي أصيبت بها ، وأمام هذا التخاذل العربي المهين والصمت الرهيب ، تعالت أصوات الشعراء هنا وهناك في كل أصقاع العالم مصورة ما يحدث من خزي ومذلة ومسكنة تسربت به أمتنا العربية ... فجاءت قصائدهم ناصعة البياض ، مشرقة الأسارير ، محملة بالآمال العراض ، معلنة عن ثورة تتلظى ناراً على العدو الفاشم ، ونورا على الفدائيين البسّل الذين يقدمون الغالي والنفيس من أجل القدس الشريف.

والقارئ لهذه الورقة البحثية سيجد أنني ابتعدت عن النماذج الشعرية المستهلكة ، وعن الشعراء الذين يشار إليهم بالبنان وعدلت عنهم إلى شعراء كان لهم من الإبداع ما لهم على الرغم من أنهم لم ينالوا شهرة أولئك الشعراء ، إلا أنهم رسموا بحروف من نار ونور مواقفهم من القضية الأم التي تمس كل عربي ، وكل مسلم ، وتهز مشاعرهم ، وتمثل جرحاً غائراً في جسد أمتنا عامة ، وفي جسد الشعب الفلسطيني خاصة.

أولا : مشهد القدس في ديوان مروج الذهب للشاعر بشير قيطون:

يصور الشاعر بشير قيطون في قصيدته الموسومة بـ القدس يستغيث تصويراً حياً ومؤثراً ومحزناً للواقع الأليم الذي يحييه أبناء الشعب الفلسطيني جراء الاعتداءات الوحشية التي يتعرضون لها من قبل العدو الفاشم الصهيوني مبينا عن حقد دفين ، وعداء مكين لهذا الشعب الأبي .

فالشاعر يستهل قصيدته بالإشارة إلى قوة الأمة العربية قائلا:

اندشروا أعلامنا برا وبحرا /// واذكروا أعمالنا سرا وجهرا (١)



ثم يسترسل موضعا أن الصهاينة ظلمة ، وليس لهم مقام في القدس مهما حاولوا إرهاب أبناء الشعب الفلسطيني ، مصورا ما اقترفوه من جرائم بشعة في شتلا وصبيرا ، وما قاموا به من اعتقالات ، والزج بهم في السجون ، وقتل الأجنة في بطون الأمهات دون شفقة ولا رحمة ، هذه حقيقة بني صهيون .

استمع إليه ، وهو يقول :

ليس للصهيون في القدس مقاما /// ظالم لما غزى شتلى وصبيرا

زج بالأجداد والأحفاد مكرًا /// واعتدى عن شعبنا جورا ونكرا (٢)

إلى أن يقول :

قتلوا الأبناء والآباء عمدا /// والأجنة في البطون لا مضرا (٣)

ولا يقف الشاعر عند هذا الحد ، بل راح يذكرنا أن العداء بيننا وبينهم قديم أزلي بنصوص القرآن الكريم ، إذ يقول :

إذ أراهم شر خلق في وجود /// قد سجاهم ربنا الرحمــن وززا

نحن للصهيون أعداء قديما /// جاء في القرآن فالصهيون شررا (٤)

وبعد أن أبان الشاعر عن العداوة التي يضمها العدو الصهيوني ، راح ينادي القدس الشريف مشبها إياها بعروس الشرق مقدما نفسه مهر فداء لها ، حيث يقول :

يا عروس الشرق هل يغنيك هامي /// فاقبلي لو كان ذا يرضيك مهرا (٥)

ثم راح الشاعر يرسم لنا مشهد فلسطين وهي حبلى ، ثم تتجب الليوث والصقور يحملون الحجارة دفاعا عن قدسهم ووطنهم حتى لقبوا بأطفال الحجارة . ومن أنجبهم ؟ أنجبهم أمهات اتصفن بخلال كريمة ، وصفات رفيعة تجلت في الرقي ، والطاعة ، والصبر ، والتمسك بالدين عابדות سائحات مؤمنات قانتات ... كما وصف القرآن الكريم النساء الصالحات ، حيث قال الشاعر :

ذي فلسطين بدت للدهر حبلى /// ذات يوم أنجبت ليثا وصقرا

إذ نناديهم بأطفال الحجارة /// فاذكروهم للملا شعرا ونثرا

أنجبتهم أمهات راقيات /// طبعات يرتقين المجد صبيرا

مسلمات مؤمنات قانتات /// تائبات يستقين الموت غدرا

عابדות سائحات ثيبات /// فاعلات كالرجل ألف ذكرى (٦)

ثم يصور الخصومة بين الأفلاك السيارة وهي تتنازع فيما بينها من أجل القدس ، وهي منتصرة من يضاهاي بها الأفلاك الأخرى نور وضياء احتفاء بيوم نصرها ، إذ يقول :

قالت الجوزاء للمريخ تروى /// عن عطارده يوم نصر القدس يجري

كل نجم قد يضاهاي الشمس حينما /// في الضياء ذاك منها عد نذرا (٧)

ثم ينقلنا الشاعر عبر مشاهد معاناة القدس التي تصرخ أنقذوني من الحرياء التي استأسدت ، وصارت كبرى ، فأخطبوط ألقى أذرعه المحملة بالمكر في بقاع الأرض ، وتلك الرموز : الحرياء ، الكبرى ، الأخطبوط كلها صور لبني صهيون الذين جبلوا على المكر والخداع ، والظلم ، والعدوان ... حيث



يقول:

قسما يا عرب أن القدس قال /// أنقذوني من فم السكير وترأ
باتت الحرياء تدنو منه زحفا /// ثم صارت هذه الحرياء كبرى
أخطبوط الأرض بالمكر تحدى /// كل جنس من حيتان البر فجرا (٨)
ثم يرتد بنا إلى الحقيقة السرمدية للقدس مذكرا أنها أولى القبلتين وثاني الحرمين ، فحري
بالعرب أن يقيموا عرسا ، وليسجدوا شكرا لله ، فيقول :
عد في القرآن أولى القبلتين /// أو بتالي الحرمين القدس فاقرا
إذ تحرى أن يقيم العرب عرسا/// يومها وليسجدوا شكرا (٩)
ويختتم الشاعر هذه المشاهد بدعوة الجميع إلى الغناء معه في كل ذكرى بأن نرى القدس متحررا ،
ثم يهدي سلاما يغشى الوجود عطرا وأزهارا .
يقول الشاعر:

إخوتي غنوا معي في كل ذكرى /// إذ متى تبدو لنا يا قدس حرا
أيها القدس فخذ مني سلاما /// يملأ الأجواء أزهارا وعطرا (١٠)
وفي قصيده محمد الدرّه يصور الانتفاضة التي قادها أبناء فلسطين من باب بيت المقدس ضد كلاب
الغدر (المقصود الصهاينة) فسقوهم سما ناقعا ومعقدا حيث يقول :
فمن بيت القدس قدنا انتفاضة /// لنسقي كلاب الغدر سما معقدا (١١)
ويكي الشاعر بكاء مرا لما حل بالقدس من جرائم ودماء وجراحات، وينادي الكهول من الرجال
للهجوم على العدو هجمة الأسود المتمرده ، فأجاب الجميع ملين نداء القدس نسورا... ولولا حماة
القدس ودفاعهم وانتفاضتهم ، لشق الخليل (إشارة إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام) القبر مدافعا
عن حياض القدس ومنجدا لها من أيدي العدى ، وفي هذا الصدد قال الشاعر:
بكيث لبيت القدس تدمي جراحها /// أيا كهل فاهجم مثل أسد تمردا
أجبنا معا لبيك يا قدس إننا /// نسور فذا وعستد وريك شاهدا (١٢)
إلى أن يقول :

فقل يا حماة القدس لولا دفاعكم /// لشق الخليل القبر يأتيه منجدا (١٣)
وخير ما أختم به فيوضات الشاعر بشير قيطون حول القدس وما أكثرها في ديوانه ما قاله عن
مقتل محمد الدرّه ومشهد العروبة المخزي المذل حتى شبههم بالمرء ، وهي صفة تناه في الرجولة
والشجاعة ، فيقول:

أيقتل ابن العرب في عقر داره /// وتسبى الصبايا والعروبة مردا؟ (١٤)
ثانيا : مشهد القدس في ديوان صرخة الميلاد للشاعر محمد الأخضر سعداوي :
يتقمص الشاعر محمد الأخضر الأقصى المثخن بالجراح عبر الزمان ، مذكرا بأن الأقصى له
قداسته ، لأنه يحتفظ بحادثة عظيمة في الإسلام تجلت في حادثة الإسراء ، إسراء المصطفى صلى
الله عليه وسلم ، التي أشار إليها القرآن الكريم في سورة الإسراء ، قال تعالى : « سُبْحَانَ الَّذِي



أَسْرَى بِعَيْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) » (١٥)

ثم يعبر الشاعر في تدمر وأسى عن ذلك المجد القديم ، الذي صار في خبر الذكريات يلوكها لسانه ، إذ يقول :

أنا الأقصى أنا جرح الزمان /// أنا مسرى الأمين إلى الأمان

أنا ... وأنا .. وصارت ذكريات /// عهد العز يمضغها لساني (١٦)

ثم ينقل الشاعر مشاهد الحرمان التي يعيشها الصغار الذين يحملون بقطعة من الخبز ، وشربة ماء ، ونوم هادئ ، وتلك أسمى الأمانى ، وأمهاات يتمنين كباقي النساء أن يلتفتن بأبنائهن من حولهن يملأن المكان، ولكن صاروا أشلاء وشظايا جراء القذف والقصف ، ولم يبق لهن عزاء إلا اللقاء بهم في جنان الخلد . وفي هذا الصدد يقول الشاعر :

صغار حلمهم خبز وماء /// ونوم هادئ كل الأمانى

وأما كم رجت مثل النساء /// بنيتها حولها ملء المكان

غدوا تحت القذائف كالشظايا /// عزائهم لقاء في الجنان (١٧)

ويعلو صوت الشاعر مدويا صارخا متسائلا : إلى متى والأقصى مباح ، والجرح نازف، والدمع منهمر ؟

كان يرجو ثورة في سبيل الحق ، ونصرة للأقصى ، ولكن آتاه الجواب البائس من خلال سكوتهم وصمتهم عن الحق ، فيقول :

صرخت إلى متى حرمني مباح /// وجرحي نازف والمقلتان

رجوت هبويكم في الحق لكن /// جوابي في سكوتكم اتاني (١٨)

كما صور الشاعر في قصيدة : صَفَار و صَغَار يحكي قصة محمد الدرة الذي قدم نفسه قريانا فداء للأقصى الجريح ، ليروي بدمه الطاهر التراب الطيب ، ليسقى ويخضر، لعل نصرا يشرق ، وفجرا بعد ظلام بيزغ .

مشهد حزين ينقله الشاعر عن طريق حوار دار بين الأب وابنه محمد الشهيد البطل، فاستمع إليه :

أنا ماض أبي خيرفاقي /// وأمي ، قل لهم قدردعاه

وحلم لم يزل بنيه عشا /// تحقق والأنام أجل رآه

أنا ماض عسى القريان يفدي /// حمى الأقصى ويستسقي سماه (١٩)

ثم يبعث الشاعر سلامه إلى الأقصى ، وهواه متعلق بمحمد ، مقدما اعتذاره لذبيح الأمة وفقيدها ، والعجز يخنقه ، والألم الممتق دك قلبه ، ففاضت شفاهه صياحا متأثرا بتلك الجراحات التي لا تنتهي ، ولا تبرحنا كالأطلال ملكها البوم ، والبوم رمز للشؤم، والتطير، والملازمة . حتى صرن نقاس بالجرح والآهات طولاً وعمراً ، وتسربلنا بالآهات ، وفي هذا يقول :

سلاما أيها الأقصى وأهوى /// (محمد) يقتفي أثرها هسوا



ذبيح الأمة الأمة اعتذاري /// فقيد العجز تخنقني يساده
هو الألم المعتق دك قلبي /// ففاضت صيحة هذي الشفاه
جراح ليس تبرحنا كأننا /// طولول ملكها اليوم اشتراه
فصرنا بالجراح نقاس طولاً /// وعمرا ، كلنا في الآه... آه (٢٠)

أما في قصيدته :زهرة الروض فيبدو الشاعر متفائلا - ولعل عنوان القصيدة يوحي بذلك - إذ نراه يستبشر بالنصر بعد أن هوى الشهيد محمد بين يدي أبيه ، بعد أن تصيده وحش صهيون اللثيم ، وبهذا المشهد منح محمدا القدس روحا جديدة ، وزاد الانتفاضة لهيبا ، ونارا تتلظى يصطلي بلهيبها العدو الغاشم ، يقول الشاعر:

تصيد وحش صهيون اللثيم /// محمد دون خوف أو حياء
وبين يدي أبيه هوى شهيدا /// وكل العالم المشغول راثي
وفارق مقعدا للدرس كرها /// وأما ودعته بالدعاء

منحت القدس روحا سوف تغدو /// لهيبا تحت أقدام العداء (٢١)
ثم ينهي المشهد بأن ما صنعه محمد جعل منه مفخرة ، لأنه بذل النفس رخيصة من أجل الوطن ، فليسعد بالجزاء .

يقول الشاعر:

و مفخرة صنعت ، وأنت طفل /// بذلت النفس ، فاسعد بالجزاء (٢٢)

وفي الختام يشرق الأمل ، ويلوح الفجر في نفس الشاعر مؤمنا أنّ ما يقترفه المحتل الظالم المستبد سيأتي يوما وينكسر، ويندثر ، ويرجع الأقصى إلى أمة الإسلام نورا وضياء .
يقول الشاعر:

ومهما يفعل المحتل يرجع /// لنا الأقصى رجوعا بالضياء (٢٣)

ثالثا : مشهد القدس في ديوان هذه قضيتي للشاعر جمال سعداوي :

قبل الحديث عن مشهد القدس في شعر الشاعر جمال سعداوي ، وجب الحديث عن ديوانه هذه قضيتي لما له من أهمية بالغة في تناول القضية الفلسطينية عامة ، والقدس خاصة .

ومن ثمّ يعد ديوان هذه قضيتي للشاعر جمال سعداوي من الدواوين القليلة التي رسمت خطأ موحدًا لمعالجة قضية أبدية تصاحب الإنسان العربي المسلم طوال رحلته - إلى أن يشاء الله - تلك القضية تتمثل في القضية الفلسطينية ، وجرائم المحتل الغاشم المستبد الذي عاث في الأرض إجراما ، وتكيفا ، وتعذيبا ، وفسادا

لشعب قال : لا للا ستمار ، لا للذل والهوان ، لشعب قال آمنت بالحرية والوطن ، وكفرت بالظلم ، والطفيان ، والمسكنة ، والصغار .

ولخص الشاعر هدفه الرئيس من هذا الديوان في مقدمته ، إذ يقول : « ... لأجل ذلك عملت ، لأن تقف قصائدي على المساحة والأرضية الصلبة لهذه القضية ، لأضع يدي في يد ذاك الإنسان المحاصر بسهام الموت ، ولامبالاة أخيه الإنسان ،

وحقد البعض ، وخيانة الأخ ، وغدر الصديق ، إنها لحظة تتأرجح بين الإقبال والإدبار ، فتوضع الخطط ، وتحاك المؤامرات «(٢٤)

خصص الشاعر جمال سداوي في ديوانه سبع قصائد تتحدث عن القدس ومعاناته
ففي قصيدة أنباء من القدس يتساءل الشاعر في مطلعها عما حل بالقدس الشريف ، أخلت القدس
من العشاق ، أم رحل عنها المجد ، وفاتها الركب أم ما الخبر؟
ثم يمضي مسترسلا في تساؤلاته عن مواعيد الجهاد والقتال من أجل تحقيق عزة القدس وكرامتها
وقدسيتها، وتبعث القدس من جديد ، وتتوحد الأمة ، وتلم شملها ، وتنهض من أجل
قدس مسلمة فيقول :

خبريني يا قدس

ما الخطب؟

أرحل العشاق

أم هاجر المجد

أم فاتك الركب

متى يعود موسم الجهاد؟

وتستجمع الأمة

قواها وتهب (٢٥)

ثم يطلقها زفرات وتوجعات عما حل بالعرب من تخاذل وجبن جعلهم يحاصرون القضية ويحتكرونها ،
ويقزمونها ، ولكن قضية القدس قضية الإسلام ، ولها في كل نفس منبع ونصيب يقول الشاعر:

قدس يا مسلمة

أختزلك

احترك

العرب

والإسلام على مد البشرية

له في كل نفس مصب

آه يا قدس (٢٦)

ومما زاد الطين بلة أن العرب باعوا شرف العروبة في المزاد العلني بثمن بخس دراهم معدودة ،
وأشترى الغرب ، يقول الشاعر:

آه يا قدس

نخر الشوق للنصر ثناياك

رايت الأمة

تبيع شرفها

في المزاد

ويشتري الغرب (٢٧)

ويستأنف الشاعر في تصوير مشهد العرب ، وكيف حاربوا الإسلام وعزلوه ، وأحلوا محله النعرات
والعصبية ، ورجعت القلبية من جديد ، وأطلت الفتنة كما كانت على أيام داحس والغبراء ،
والبسوس المعركتان اللتان دامت الواحدة منهما زهاء أربعين سنة أتت على الأخضر واليابس ، وشاب
لها الطفل قبل المشيب ، وإلى هذا أشار الشاعر قائلاً:

عزلوا الإسلام

أرست القبيلة خيامها

عادت

داحس والغبراء

تقرع طبولها

الحرب... (٢٨)

ثم يبدي الشاعر تعجبه من ساسة العرب حين تحدثهم عن القدس ، فيقولون هي القلب ، والقلب
هو الحياة ، هو الروح ، فالقلب لنفاسته لا يحق لأحد أن يتركه للعدى يتحكمون في أنفاسه ودقاته.
وفي هذا الصدد يقول الشاعر:

أكلما قلت يا قدسنا

أشاروا

القدس هي القلب

كيف تبقي القلب

في يد العدى

يعد لك دقاته

يشرع لك الحياة (٢٩)

وبعد هذه الحيرة والحيص بيص التي يعيشها الشاعر أمام هذا التخاذل والانبطاح العربي ،
والانكسار أمام شوكة الغرب ، وراح يسترجع شخص عمر الفاروق رضي الله عنه ، منادياً إياه
مستذكراً مقولته الشهيرة لست بالخبّ ، ولا الخبّ يخدعني ، ليصل إلى أننا صرنا نحن الخبّ لما
اتصفنا به من هجران للذكر ، وابتعدنا عن شرعة الله ، ومنهجه القويم ، ورحنا نعشق الموسيقى
والغناء ، وتمايل حيث تميل.

يقول الشاعر :

أيها الفاروق

صار الخبّ

يخدعنا

بل صرنا

نحن الخبّ



هجر لساننا

الذكر

استعذبت آذنا الموسيقى

عشقت

عيوننا زيف الحقيقة (٣٠)

وسرنا وراء كل رذيلة حتى غرقت قلوبنا ، ووقع كل هذا ، والرسول أخرجنا خير أمة للناس ، ولكن
تكنبنا الصراط ، واتبعنا سبل الشر ، ودخلنا كل جحر ، يقول الشاعر:

أقدامنا

في وحل الرذيلة غريقة

قلوبنا

بحب الدنيا لصيقة

ويعد أن

أخرجتنا

يا محمد

خير أمة للناس

دخلنا جحر شر

الخليقة... (٣١)

ويرى الشاعر أن التكذب عن القدس وقديسيته بمثابة هجر للقرآن الكريم ، فيعبر عن ذلك قائلا :

يا قدس

هجرك

هجر القرآن

إذا ما عاد

إليه الوصل ... (٣٢)

وعلى الرغم من ذلك ، فإن هذا المشهد الحالك ، والليل المظلم لن يدوم ، ودوام الحال من المحال ، ولا بد لليل أن ينجلي ، وللقيد أن ينكسر ، ولا بد أن تلوح بشائر الحرية والعزة والكرامة ، وتعلو راية النصر ، ويلجج صوت الحق مدويا من فوق المآذن ، وتسحق جحافل العدو ، وتهزم شر هزيمة ، يقول الشاعر:

علت فوق مآذنك

راية توحد الله

ومن حولك

تتهاوى جحافل العدى

في هوة سحيفة (٣٣)



وفي قصيدة مبعث النور يصور الشاعر مشهد أولئك الذين آمنوا بالكلام ، واللجوء إلى السياسة ،
مؤمناً أن السياسة لا تحرر وطننا ، ولا تحقق نصراً ، إذا لم تتبع بالفعال ، وفي هذا الصدد يقول :

لا يجدي

الكلام المجيد

إذا لم يتوج

بالفعال

من كان له

في نفسه

محبة لعدو

إذا مني بهزيمة

يرى النصر

من المحال (٣٤)

ثم يتساءل ما القدس؟

فيجيب :

ما القدس

حيلة

تصاغ

بمكر

واحتيال

ما القدس

عقدة

تفك

بتجرد

من الصفات

والخصال (٣٥)

إذ القدس عقيدة ، وإيمان ، والتزام ، واقتداء ، واقتداء بنفس ، ومال ، وغال ونفيس...

يقول الشاعر:

القدس

عقيدة

فحواها

إيمان

التزام



اقتداء

افتداء

بنفس

ومال (٣٦)

ثم ينقل لنا مشهد الفرد العربي الذي تقاعس عن الجهاد والذود عن حياض القدس ، إذ يشبهه بالمقعد المشلول راح ينسج خيوط النصر من سبجات خياله ، يبني قصور الوهم ، ويهدمها دون أن يحرك ساكنا متمنيا على الله الأمانى ، وفي هذا يقول:

لا خير

في مقعد

يبني

يهدم

قصورا

في الخيال

ذا الحال... (٣٧)

وعلى الرغم من ذلك يتفاءل الشاعر بأن مصابيح القدس هي مبعث النور في الديجور ، فيقول:

يا قدس

قضت

مصابيحك

أن مبعث

نورها

عبق الفداء (٣٨)

وفي ختام الديوان تستوقفنا قصيدة موسومة بـ: آخر ما تبقى يصور لنا من خلالها مشهدا رائعا للقدس حيث يشبهها بطفلة تركض في مرايع القلب ، وتغتسل في جداول المحبة إشارة إلى أن القدس ما زالت فتية في عنفوان الشباب والحيوية والحركة ، ويسمه بصفات تتم على منزلة القدس ومكانتها في النفوس ، فهي رمز المحبة ، وصفاء القلب ، ومسرح الحكمة.

يقول الشاعر:

قدس

يا طفلة

تركض

في مرايع

القلب

تغتسل



في جداول

المحبة

تخط

على بياض

جدرانه

أنا

آخر ما تبقى

من قتاديل

الحكمة... (٣٩)

ثم بيدي الشاعر أسفه الشديد على ما حل بالأمة العربية من عجز وانكسار وتخاذل أمام شرذمة من الصهاينة الذين دنسوا القدس واستباحوا كل شيء حتى أن المشهد صار ظاهرا على ملامحه في رابعة النهار ، وضاعت كل المعالم نتيجة التشردم والتمزق الحاصل في الصف العربي الإسلامي ، وسيماء هذا التمزق لاح في انفصام أواصر الأخوة والصداقة ، واختلط الحابل بالنابل، حتى صار المرء لا يميز بين الصديق والعدو وبين الأخ المخلص ، والخادع.
وفي هذا يقول:

يا قدس

بين أسف

على القوم

وعجز

لم تعد

تخفيه

ملامحي

ضاعت

المعالم

في ضباب الرؤى

تمزق الشمل

انفصمت

الأواصر

والعرى

لم يعد

الأخ

الصديق



بالجلي

الواضح

خادع

ومبيض

العدى (٤٠)

وبعد هذا المشهد المخزي المحزن الباعث عن الأسى والهوان يبعث بدعوة إلى القدس مناجيا إياه
بالصمود والتصدي للعدو الغاصب ، فإن ليل الظلم ليس بسرمدى ، وسيأتي يوم ، ويندحر فيه
العدو ، ويتحقق النصر...

حيث يقول :

أصمدي

يا قدس

وصدي

عبثا

تصالحي... (٤١)

وفي نهاية المطاف يؤمن الشاعر جمال سعداوي إيمانا جازما أن قضية القدس ، قضية كل مسلم
حر أبي شريف ، امتلأ قلبه إيمانا ، وحباً للمقدسات الإسلامية ، وإحساسا نبيلاً بكل مسلم ألمّ به
كرب ، أو مصيبة ، فيهب لنصرته في السراء والضراء ، وينصره مظلوماً ،
أو ظلماً كما بيّن الهدي الشريف .
فالشاعر جعل القضية قضيته الأساس تجري في عروقه جريان الدم .

القدس في ديوان مخطوط بعنوان : أيها الطائر المسجون للشاعرة نبيلة قوقي :

تستلهم الشاعرة نبيلة قوقي - في ديوانها المخطوط الموسوم بـ أيها الطائر المسجون - من وحي
إبداعها الشعري مشاهد حزينة ومشرقة لمأساة القدس الشريف ، ومعاناة أبناء الشعب الفلسطيني
من خلال قصائد متنوعة انتخبنا نماذج منها للإيضاح والتدليل .
ففي قصيدتها يا قدس ، ألفينا الشاعرة تنعت القدس بالأم ، لأن الأم رمز العطاء ، ومنبع الحنان ،
ومثال للصبر والتجلد في المحن والشدائد ، وهي الملاذ والأمان ...
فتدعوها إلى التحلي بالصبر ، لأن المعجزات ستعود ، والهـم سيفنى ويقبر ، والكلمات ستتحـرر ،
وسيكتبها التاريخ في الدفاتر ، وتبقى شاهدة العصر للأجيال .

وفي هذا تقول:

يا قدس...

يا أمي ، صبرا

ستعود المعجزات



صبرا

سيصبح للهّم قبرا

وكلماتنا المسجونة

ستتحرر

سيقيدها التاريخ

في الدفتر

صبرا (٤٢)

ولم تقف الشاعرة عند هذا الحد ، بل راحت تصف القدس بالتاج المرصع باللؤلؤ المتلألئ ، تضيء الكون نورا ، وتناجي القدس وتدعوها للنوم راضية ، لأن الحب يحرسها ، والأمان يرعها ، والآمال فيها تكبر ، والوحش (إشارة إلى العدو الصهيوني الماكر) لن يجد متسعا في الأرض ، ولن يحتويه غيم ، لأن الغيم سيمطر... ويهلك .

تقول الشاعرة:

... ويكون لتاجك المرصع

نورا يضيء الكون ...

إلى أن تقول:

يا قدس ... يا أمي

نامي على جفن الرضا

يحرسك الحب

ويرعاك الأمان

والأمل فيك سيكبر

والوحش

لن تحتويه الأرض

لن يحتويه الغيم

فالفيم سيمطر... (٤٣)

وفي نهاية القصيدة تصف القدس بأنها رمز العروبة، وراية عزتها، والقدس حر ، حر والفردي لا محالة .

وفي هذا تقول الشاعرة:

يا قدس ...

يا رمز عروبتنا



يا راية عزتنا

أنا حرّ... أنا حرّ

أنا الحرّ العربي... (٤٤)

فالنصر قادم ، وراية الحرية ستترفرف ، والورود ستزهر ، والأشجار ستثمر ، والعدو سيرحل.
تقول الشاعرة:

ونرحل فيك

والورد سيثمر

والشجر سيثمر... (٤٥)

أما في قصيدة أيها التاج الجميل ، تصف الشاعرة القدس بالأميرة الحسناء تترصّع بالتاج على رأسها مثلها مثل أبناء العروبة ، والشهامة ، فتقول:

أيها التاج الجميل

على رأس عروبتنا

على رأس شهامتنا

! حفظي ماء وجوهنا

فقد غرقنا في الخجل... (٤٦)

ثم تسترسل الشاعرة في قريضها مصورة مشهد القدس التي تمثل جسرا نعبّر منه لتحقيق النصر والحرية ، حيث تقول :

يا قدسنا انجدينا من الهوان

أنت جسر

موصول بالأمل... (٤٧)

فالقدس تزهو مرفرفة كالعلم فوق رؤوسنا ، حيث تقول:

فأنت العلم

فوق رؤوسنا

يرفرف الحمام

يا قدسنا

أنّ وقت السلام آن (٤٨)

وتزداد الشاعرة تضاؤلًا ويشرا ، رغم الجرائم الوحشية المتلوّنة والمتعددة ، ورغم ألوان العذابات ، والآهات ، والمحن ، والإحن ... إلا أن النصر قادم ، والأطفال يحملون الأعلام بدل الحجارة ، وأولاد الجيران يلهون ويمرحون ، وقد طلقوا الدموع ، ورحل عنهم الدمار ، إذ تقول الشاعرة:

والولد الصغير

سيحمل العلم

بدل الحجر



ويلهو وولد الجار
لا دموع ، لا دمار... (٤٩)
والشاعرة في أغلب قصائدها تحمل وجع القدس وآلامها وأحزانها، ويكبر الجرح الفلسطيني الغائر
في قلبها، وتبت قصائد الحرية ، والنصر المنشود .
ففي قصيدتها الموسومة — : سأعود يا قدس تنقل مشهدا رائعا للعودة إلى القدس ، وتعم
بالحرية ، ومغادرة الحزن ، والرفل في أثواب الفرح والمسرة.
تقول الشاعرة:
سأعود يا أمي
وامشي بين أحضان القدس
لن أشاهد في سماء ي السواد
ولا في البيوت الحداد
امشي في شوارع القدس
وافشي السلام على الأولاد
لا غريب بيننا
ويا حرية جودي
سأعود يا أمي
كما وعدتني ذات يوم
وعن الأحزان سوف أصوم
وأغطس في دنيا الأفراح
وأعوم ... (٥٠)



الخاتمة

من خلال هذه الورقة البحثية المتواضعة ، والجولة السريعة في ثنايا دواوين متعددة لشعراء جزائريين معاصرين نقلوا وعاشوا معاناة القدس الشريف ، وتجرعوا غصصه ، وآلامه ، وجراحاته، وأحزانه ... توقف اليراع معلنا عن بعض الثمار والأكل جنينها فيما يلي من

السلال :

- القدس لها مكانتها وقداستها في نفوس الشعراء الجزائريين المعاصرين ، لأنها تمثل عصب العروبة ، وسنام الإسلام.
 - تصوير الأحداث تصويرا دقيقا ، ونقل المشاهد نقلا مؤثرا ومعبرا .
 - رسم المشاهد رسما نابضا بالحركة والإيحاء والحياة .
 - حمل شعرهم نظرة تفاؤلية ، ونهاية سعيدة ، وغدا مشرقا في قابيل الأيام ، معلنا بتحرير القدس وكامل التراب الفلسطيني.
 - محنة القدس مجالا رحبا وخصبا للإبداع بكل ألوانه ، وفنونه ، وأغراضه ، سيما الشعر .
- وفي نهاية المطاف يمكن القول :

إن الحديث ذو أشجان وشجون ، ومن ثمّ، فإنه لا مناص لأمتنا إذا ما أردت أن تحي حياة حرة كريمة ، قوية الشوكة ، مهابة الجانب ، إلا أن تنهج شرعة الأوائل مت توهب لك الحياة أي طريق الحياة هو الموت ، وكل ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بمثلها .

ومن هذا المنطلق فالمسلمون جميعا يتحملون مسؤولية القدس خاصة ، وفلسطين عامة غير منقوصة ، إذ لم يبق في النفوس منزع ، ونفدت سهام الكنانة كما يقال . ولتعلم الأمة الإسلامية جمعاء أن الأوطان تميتهما الدموع ، وتحببها التضحيات ، والدماء ، والمهج الحرة .



الهوامش والإحالات

- ١- قصيدة : القدس يستغيث ، ص ٢٣ ديوان مروج الذهب ، بشير قيطون ، قصيدة : القدس يستغيث ، ص ٢٣ ،
- ٢- قصيدة : القدس يستغيث ، ص ٢٣ ،
- ٣- قصيدة : القدس يستغيث ، ص ٢٣ ،
- ٤- قصيدة : القدس يستغيث ، ص ٢٣ ،
- ٥- قصيدة : القدس يستغيث ، ص ٢٣ ،
- ٦- قصيدة : القدس يستغيث ، ص ٢٤ ،
- ٧- قصيدة : القدس يستغيث ، ص ٢٤ ،
- ٨- قصيدة : القدس يستغيث ، ص ٢٤ ،
- ٩- قصيدة : القدس يستغيث ، ص ٢٤ ،
- ١٠- قصيدة : القدس يستغيث ، ص ٢٤ ،
- ١١- قصيدة محمد الدرة ، ص ٢٦ ،
- ١٢- قصيدة محمد الدرة ، ص ٢٦ ،
- ١٣- قصيدة محمد الدرة ، ص ٢٦ ،
- ١٤- قصيدة محمد الدرة ، ص ٢٦ ،
- ١٥- سورة الإسراء ، الآية : ١٠ ،
- ١٦- محمد الأخضر سعداوي ، صرخة الميلاد ، قصيدة ، أنا الأقصى ، ص ٤٥ ،
- ١٧- قصيدة ، أنا الأقصى ، ص ٤٥ ،
- ١٨- قصيدة ، أنا الأقصى ، ص ٤٦ ،
- ١٩- قصيدة صغار وصغار ، ص ٤١ ،
- ٢٠- قصيدة صغار وصغار ، ص ٤٢ ،
- ٢١- قصيدة ، زهرة الروض ، ص ٥٣ ،
- ٢٢- قصيدة ، زهرة الروض ، ص ٥٤ ،
- ٢٣- قصيدة ، زهرة الروض ، ص ٥٤ ،
- ٢٤- جمال سعداوي ، ديوان هذه قضيتي ، مقدمة الديوان ، ص ١٣ ،
- ٢٥- قصيدة أنباء من القدس ، ص ٢٩ ،
- ٢٦- قصيدة أنباء من القدس ، ص ٢٩ ،
- ٢٧- قصيدة أنباء من القدس ، ص ٢٩/٣٠ ،
- ٢٨- قصيدة أنباء من القدس ، ص ٣٠ ،
- ٢٩- قصيدة أنباء من القدس ، ص ٣٠ ،



- ٣٠- قصيدة أنباء من القدس ، ص ٢١
٣١- قصيدة أنباء من القدس ، ص ٢٢
٣٢- قصيدة أنباء من القدس ، ص ٢٢
٣٣- قصيدة أنباء من القدس ، ص ٢٣
٣٤- قصيدة مبعث النور ، ص ٥٢
٣٥- قصيدة مبعث النور ، ص ٥٣
٣٦- قصيدة مبعث النور ، ص ٥٣
٣٧- قصيدة مبعث النور ، ص ٥٥
٣٨- قصيدة مبعث النور ، ص ٥٦
٣٩- قصيدة آخر ما تبقى ، ص ٥٧
٤٠- قصيدة آخر ما تبقى ، ص ٥٩
٤١- قصيدة آخر ما تبقى ، ص ٦٠
٤٢- نبيلة قوقى ، ديوان مخطوط ، أيها الطائر المسجون ، تقرت ، الجزائر ، قصيدة
يا قدس ، ص ١٥
٤٣- قصيدة يا قدس ، ص ١٦
٤٤- قصيدة يا قدس ، ص ١٧
٤٥- قصيدة يا قدس ، ص ١٨
٤٦- قصيدة أيها التاج الجميل ، ص ٢٥
٤٧- قصيدة أيها التاج الجميل ، ص ٢٦
٤٨- قصيدة أيها التاج الجميل ، ص ٢٧
٤٩- قصيدة أيها التاج الجميل ، ص ٢٨
٥٠- قصيدة سأعود يا قدس ، ص ٣٧



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر

- ١- بشير قيطون ، ديوان مروج الذهب ، مديرية الثقافة ، ورقلة ، الجزائر ، ط ١ / ٢٠٠٢
- ٢- جمال سداوي ، ديوان هذه قضيتي ، دار جبر ، للنشر والطباعة ، ، براقى الجزائر، ط ١ ٢٠١٤
- ٣- محمد الأخضر سداوي ، صرخة الميلاد ، مديرية الثقافة ، ورقلة ، الجزائر ط ١ / ٢٠٠٣

المخطوطات

- ١- نبيلة قوقي ، ديوان مخطوط بعنوان : أيها الطائر المسجون ، ورقلة ، الجزائر.

الدلالات اللغوية والمعرفية للمصطلح السياسي والإعلامي في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي دراسة تحليلية

د. سعيد عياد

ملخص البحث

يناقش هذا البحث، « الدلالات اللغوية والمعرفية للمصطلحات والمفاهيم في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي»، وذلك لما لهذه المصطلحات من أهمية في إنتاج معرفة سياسية تروم الوعي الفردي والوعي الجمعي للمتلقيين، وتوظف المصطلحات ودلالاتها في إطار الصراع كأدوات ناعمة تؤسس لقواعد معرفية تساند طرف في صراعه مع الآخر.

وقد وظف الباحث المنهج التحليلي لتحليل المصطلحات لغويا بقصد التوصل إلى دلالاتها المعرفية والسياسية، ولهذه الغاية اعتمد قائمة من الضوابط المعرفية كمحكات قاعدية في تحليل المصطلحات ومنها ضوابط (التناقض، والتماثل، والجزء والكل، والتواطؤ...).

يناقش البحث المصطلحات في الخطابين الفلسطيني والإسرائيلي، ولاسيما التي ترتبط بموضوع واحد مثل موضوعات (الاستيطان، القدس، الجدار، الأرض، المواطنين...)، ولتحقيق هذه الغاية جرد الباحث باستخدام بطاقة رصد أكثر من مائة مصطلح بالرجوع إلى مصادر الخطابين الفلسطيني والإسرائيلي ومنها وسائل الإعلام، معتمدا بالضرورة على الترجمات العربية للمصطلحات الإسرائيلية. ولأن تحليل مائة مصطلح في إطار هذا البحث سيلزمه وقت أطول، فقد اختار البحث عينة مقصودة بحجم خمسة وعشرين بالمائة، وهي — في حدود علمه — الأكثر تداولاً في الخطابين الفلسطيني والإسرائيلي.

توصل البحث إلى نتائج يمكن إجمالها بأن الخطاب الإسرائيلي بشقيه السياسي والإعلامي يوظف مصطلحا واحدا للقضية المرتبطة به، فهو على سبيل التمثيل، يوظف مصطلح مستوطنة كمصطلح وحيد لوصف الاستيطان في الأراضي الفلسطينية. ويوظف مصطلح شرقي القدس وغربي القدس، بقصد تأكيد على أن القدس واحدة غير مقسمة. في المقابل نجد أن الخطاب الفلسطيني بشقيه السياسي والإعلامي غير متفق على مفهوم مصطلح واحد ودلالاته، فتمَّ مصطلحات عديدة متباينة في الدلالة حول فعل الاستيطان الإسرائيلي، إذ ثمة مصطلح مستوطنة وهو مكرس في الخطاب الرسمي ويافق الخطاب الإسرائيلي، وتمَّ مصطلح مستعمرة في الخطاب اليساري، ومصطلح مقتنبة في الخطاب الحزبي الديني. أما بالنسبة للقدس فينتج الخطاب الفلسطيني وتحديدًا الرسمي مصطلحات تؤكد تقسيم القدس، واحدة فلسطينية والأخرى إسرائيلية، بل يطابق مصطلحا



إسرائيليا في وصف الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ وهو (القدس والضفة الغربية). ومن خلال تحليل هذه المصطلحات وتفكيكها كما سيرد في متن البحث، سيتبين ومن خلال إجراء مقارنة بين تقابلية للمصطلحات في الخطابين الفلسطيني عدل، نجد أن بعض المصطلحات الإسرائيلية قد هيمنت على الخطاب الفلسطيني في جوانب عديدة، فأخذ هذا الخطاب العديد من المصطلحات الإسرائيلية وأعاد إنتاجها كما وأنه أنتجها في الأصل.

ما يعني إعادة إنتاج الرواية الإسرائيلية فلسطينيا، وبصرف النظر عن وعي الخطاب الفلسطيني بشقيه الإعلامي والسياسي بذلك أم لا، فإن تكريس تلك المصطلحات في الخطاب الفلسطيني يؤدي إلى تضارب معرفي وتاريخي لدى المتلقي الفلسطيني وهم الجمهور المستهدف من الخطاب الفلسطيني، وهو الذي ينشأ عادة بين ما اكتسبه المتلقي من دلالات لتلك المصطلحات من مصادر متعددة وتحديد المنهج المدرسي وبين ما يبثه الخطاب الفلسطيني الذي قد يتعارض مع تلك المكتسبات. ويرى الباحث أن سبب ذلك هو عدم إدراك منتج الخطاب الفلسطيني للدلالات المترتبة على توظيف تلك المصطلحات في مضمون الخطاب سواء السياسي أو الإعلامي.

عندما نأخذ المصطلحات الفلسطينية والإسرائيلية في وضع تقابلي، فسيتبين أن الخطاب الإسرائيلي بشقيه الإعلامي والسياسي، وبعد مراجعة مصطلحاته أنه يبنها قصديا لتنتج دلالة معرفية أو سلوكية أو نفسية تخدم غرضا سياسيا أو دينيا أو تاريخيا. ويستند في ذلك إلى مراجعه الخاصة وأهمها « التوراة » ولاسيما حين يتصل الأمر بمصطلحات دينية أو تاريخية، لإطلاقها على مواقع تاريخية أو جغرافية فلسطينية بقصد تغيير مسمياتها وبالتالي إنتاج معرفة جديدة تزيج المعرفة الأصيلة وتطمسها.

استخلاصا من ذلك، فإن الباحث يوصي بأهمية فكك الخطاب الفلسطيني من تبني مصطلحات إسرائيلية حتى لو كان التواطؤ بينها تواطؤا لغويا وإن اختلفت الدلالة، ولذلك يقترح البحث مصطلحات بديلة إما اشتقتها من قاعدة اصطلاحية قائمة مثل الاحتلال اشتق منها مصطلح محتلة للدلالة على فعل الاستيطان، أو مصطلحات مهمة تجاوزها الخطاب الفلسطيني مثل مصطلح « فلسطينيو ٤٨ » بديلا عن مصطلح « عرب إسرائيل»، أو نحتها مستندا على واقع جغرافي وتاريخي مثل مصطلح « الوسط الشرقي من فلسطين» بديلا عن مصطلح الضفة الغربية.



الفصل الأول الإشكالية والمنهج

مقدمة

يأخذ المصطلح السياسي والمصطلح الإعلامي حيزا كبيرا في الصراع الفلسطيني—الإسرائيلي لاسيما من طرف الاحتلال، ويعتبر إحدى أدواته الثقافية والمعرفية، فقد « طور الإعلام الإسرائيلي قواعد لغوية خاصة به في تغطيته للصراع مع الفلسطينيين» (خريشة. شؤون فلسطينية. عدد ٥٨)، يأتي ذلك في إطار التفسير الأحادي لرواية هذا الصراع ودوافعه وأسبابه ، « إن اليهود قبل أن يكون لهم بلد، قاموا بصياغة بلدهم في مخيلتهم» (بيتريرغ. ٢٠٠٩. ص ٢٢٢). وهو في هذا السياق يكرس ثقافة سياسية مغايرة تبرر ومعرفة فرض واقع سياسي جديد مستندا إلى بنية مفاهيمية سياسية وتاريخية وجغرافية وكأنها حقائق ثابتة، فالمصطلحات الإعلامية الإسرائيلية « تتسم بالمرآوغة وتجاهل حقائق التاريخ والجغرافيا» (نفسه). ولذلك فإن الخطاب الإسرائيلي يتسم « بتكاثف مفرط في المصطلحات» (المسيري. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. المجلد السابع. ٢٠٠٢).

ويُعنى الخطاب الإسرائيلي السياسي والإعلامي وهما موحدان في تبني المصطلحات بالتركيب اللغوي للمصطلح بدقة، فيوظفان أكثر من ضابط معرفي وأهمها التناقض والتغاير والتضاد مع الرؤية الفلسطينية للتحقق والواقع، سواء كان ذلك عند بناء المصطلح استحداثا أو اشتقاقا أو نحتا، فينتج مصطلح جديد بدلالات جديدة، بقصد إنتاج « النموذج الإدراكي التفسيري » (نفسه. المجلد الأول. ص ١٩. بتصرف)، المرجعي في تشكيل الوعي والوعي المضاد. ولاسيما أن الخطاب الإسرائيلي المحمل عليه المصطلح هو تعبوي لتعبئة الرأي العام بتبني الفكرة الصهيونية ورؤيتها في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وخطاب معرفي يقصد إنتاج معرفة جديدة تتوافق مع الرؤية الصهيونية وتحل محل الرؤية والرواية الفلسطينية وتفتيها. وهذا ما جسدهت الرؤية الإسرائيلية مبكرا منذ عام ١٩٤٨ حين تشكلت لجنة إسرائيلية مؤلفة من علماء آثار ومؤرخين هدفها « اختيار أسماء عبرية لجميع الأماكن، جبال ووديان ونبابيع وطرقات (...) لإزالة الأسماء العربية (...) لعدم الاعتراف بملكية العرب السياسية لهذه البلاد، كذلك لا نعترف بملكيتهم الروحية وبأسمائهم» (بيتريرغ. مرجع سابق. ص ٢٤٠).

فالمصطلح الإسرائيلي (طبقا لما تم تجريده لغايات هذا البحث) ، ينسجم مع رؤية تلك اللجنة، فيكون إما مصطلحا تعبويا مثل مصطلح (يهودا والسامرة)، أو وصفيا يصف جماعة مثل مصطلح (عرب إسرائيل) ، أو معرفيا مثل مصطلح (شرقي القدس / غربي القدس). فبدأ الإسرائيليون برسم خريطة مصطلحات ومفاهيم منذ اللحظة الأولى لاحتلالهم لفلسطين، فتلك الخريطة وفرت لهم قاعدة معرفية لتغيير معالم الأمكنة ومسمياتها، في سبيل عبرنة فلسطين أو تهويدها، لقطع الصلة الجذرية التاريخية للفلسطينيين بوطنهم.

ولذلك لا نجد مصطلحا إسرائيليا يكرس أو يعترف بالرؤية الفلسطينية لواقع ما، سياسيا كان



أم تاريخياً، فمثلاً لا يتضمن الخطاب الإسرائيلي مصطلح (الدولة الفلسطينية) أو حتى لا يقر بمصطلحات سياسية تولدت بفعل اتفاق « أوسلو »، مثل مصطلح (الرئيس الفلسطيني) أو مصطلح (وزير فلسطيني) فهو يوظف مصطلح (مسؤول حقيبة بدلا من وزير)، و (chair man) بدلا من (رئيس) لكي لا تترتب على مصطلحات رئيس ووزير أية معرفة سياسية.

في المقابل نجد أن الخطاب الفلسطيني بشقيه السياسي والإعلامي، لا يقوم في أغلب مصطلحاته على التغيرات أو التناقض مع المصطلحات الإسرائيلية، وإنما تمّ مصطلحات تقوم على التماثل سواء من حيث التركيب اللغوي وحتى التماثل في المعنى والدلالة، مثل مصطلح (القدس والضفة الغربية)، وكذلك لا يلغي مصطلح (دولة إسرائيل)، ويبين رصد المصطلحات الفلسطينية وتحديدًا في الخطاب السياسي الرسمي، أن كثيرا منها مستدعاة من الخطاب الإسرائيلي لفظا وتركيبا ودلالة مثل (مستوطنة، الجيش الإسرائيلي...)، وأكثر من ذلك أنتج هذا الخطاب مصطلحات سياسية تتسجم مع التغيرات السياسية بفعل « اتفاق أوسلو » مثل (الطرف الآخر، الشريك الإسرائيلي، إسرائيل، جيراننا، حل الدولتين...) وأحدها محل مصطلحات راسخة ذات دلالات تاريخية وسياسية مثل (العدو)، من دون أن يكون لها نظير إسرائيلي.

ويمكن تعريف المصطلح بأنه « اتفاق طائفة ما على شيء مخصوص (...) [ومن ثم] اتفاقهم على مدلول كلمة أو إشارة أو رقم أو مفهوم، وذلك يتم نتيجة تراكم معرّفٍ وحضاري وممارسة فكرية عبر الزمن » (عبد الوهاب المسيري. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. ٢٠٠٣. ص ٤٢).

أما المعنى فهو « ما يقصد بشيء، ومعنى الكلام فحواء ومضمونه وما يدل عليه القول أو اللفظ أو الرمز أو الإشارة » (نفسه. ص ٦٠). والمعنى « ليس شيئا في نفسه وإنما هو مجموعة من العلاقات التقابلية » (الشوملي. ١٩٩٣. ص ٢١٨). وعلى ذلك فإن التعبير الاصطلاحي « يستمد معناه من المواضع واصطلاح الجماعة اللغوية » (حسام الدين. ١٩٨٥. ص ٧٨).

ويرى الباحث أن المصطلح هو خطاب معرّفٍ، وبما « أن المعرفة قوة [ولذلك هو] تعبير عن إرادة القوة » (كما جاء في علي. ٢٠٠٩. ص ٦٧. بتصرف)، فهو يستهدف ولاسيما المصطلح السياسي والإعلامي إلى إحداث تغيير ثقافي ومعرّفٍ في موضوعه لدى المتلقي، فيما أنه معرفة ويتمتع بقوة إرادة فيعمل على « توليد معرفة جديدة سواء بدافع الحاجة إليها لحل إشكاليات عجزت المعرفة عن حلها أو حتى بغير هذا الدافع » (نفسه. ص ٧٠). وعلى ذلك فإن هذا المصطلح هو القاعدة لإنشاء تصور عن مقاصد المصطلح نفسه، ثم حين تستقر الدلالة والمعنى كمفهوم في وعي المتلقي، فإنه ينشئ حكما على مقصد المصطلح من خلال دلالاته. فالمفهوم هو « المعنى الذهني الذي يثيره اللفظ في الأذهان، واللفظ دلالة كلامية عليه » (الميداني ٢٠١١. ص ٤٥).

ويقصد به إجرائيا في هذا البحث، تلك المصطلحات (الفلسطينية والإسرائيلية) السياسية والتاريخية والأمنية والقانونية والدينية المرتبطة بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي، ويسعى البحث إلى رصدها وتجريدها من مصادرها لتفكيك دلالاتها ومن ثم تفسيرها.

إشكالية البحث

لاحظ الباحث من خلال اشتغاله في حقل الإعلام منذ ستة وثلاثين عاما ومتابعته لوسائل إعلام فلسطينية (تلفزيون فلسطين، تلفزيون الأقصى، تلفزيون فلسطين اليوم، إذاعة صوت فلسطين، إذاعات محلية)، وتحليله لخطابات سياسية رسمية وحزبية فلسطينية، (مجموعة من خطابات الرئيس محمود عباس، على سبيل التمثيل)، أنهم يعيدون توظيف مصطلحات سياسية وإعلامية موظفة في الخطابين الإسرائيليين والإعلامي والسياسي، بما تعكسه تلك المصطلحات من دلالات معرفية وسياسية وتاريخية وثقافية وفقا للمنظور الإسرائيلي، من دون أخذ بعين الاعتبار ما يترتب على هذه المصطلحات من وقائع كما وأنها محايدة.

فالخطاب الإسرائيلي يوظف مصطلحات سياسية وإعلامية قصدا لتكريس الرواية الإسرائيلية وإثباتها، ولخلق واقع سياسي وتاريخي وجغرافي جديد ومن ثم ثقافة سياسية مغايرة تكرس الأمر الواقع.

وتمّ جانب آخر للمشكلة، فقد لاحظ الباحث أن هناك تضاربا وتعارضا في توظيف المصطلحات السياسية والإعلامية في الخطاب الفلسطيني ذاته، ويرجع ذلك في أحد أسبابه إلى تباين الأيديولوجية التي تتبناها الفصائل الفلسطينية، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر فالحركات الإسلامية (حماس والجهاد) توظف في خطابها مصطلح «مفتنبة» كتعبير عن المستوطنة، وحركة فتح توظف مصطلح «مستوطنة» وحركات يسارية (الديمقراطية) توظف مصطلح مستعمرة، وحركات يسارية أخرى (الجبهة الشعبية) توظف مصطلح « الاستعمار الاحتلالي»، مع أن لكل مصطلح من هذه المصطلحات دلالات سياسية وتاريخية وقانونية مختلفة.

ما يعني أن الخطاب الفلسطيني بشقيه السياسي (الرسمي والحزبي) والإعلامي غير موحد في توظيف المصطلحات، وبالتالي إنتاج دلالات مختلفة لهذه المصطلحات .

مراجعة الأدبيات

في ضوء مشكلة البحث راجع الباحث أدبيات متاحة حول موضوعه، فتبين له أن ما كتب حول موضوع البحث لا يتخطى كتابة مقالات رأي، أو إصدارات تجرد مصطلحات إعلامية موظفة في وسائل إعلام فلسطينية أو إسرائيلية، ولم يعثر على دراسات علمية — في حدود علمه — بهذا الخصوص.

ويتبين للباحث أن ما كُتب حول موضوع المصطلح والمفهوم الخاص بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي لا يتخطى الآراء وهي كتابات وصفية، كما أن ما كتب حول الموضوع على قلته كان متناثرا في مقالات أو أوراق بحثية مما يؤدي إلى تشتت القارئ، وقد اهتمت تلك المقالات بتجريد مصطلحات متفرقة لمصطلحات منتقاة، وتقديم قراءة انطباعية وليست تفكيكية أو تفسيرية لها، وإنما اكتفت فقط بتقديم معلومات، فأدى ذلك إلى سرد معاني مصطلحات يكتنفها الغموض خاصة في دلالاتها السياسية والمعرفية وكان أغلبها تلخيصيا ومجرد عرض لها. ولم يعثر الباحث على دراسة تفكك دلالات هذه المصطلحات ومن ثم تفسيرها.



أسئلة البحث

في ضوء إشكالية البحث ومراجعة أدبيات متاحة فيمكن صياغة مشكلة البحث بالسؤال الرئيس التالي :

ما الدلالات اللغوية والمعرفية والسياسية للمصطلحات السياسية والإعلامية الموظفة في الخطابين السياسي والإعلامي الفلسطيني والخطابين الإعلامي والسياسي الإسرائيلي ذات الصلة بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي ؟

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث من خلال حرص العديد من المؤسسات الإعلامية على عقد مؤتمرات أو ورشات عمل للعاملين في القطاع الإعلامي حول أهمية المصطلح الإعلامي والسياسي وتوحيد هذا المصطلحات على أساس إنتاج دلالة موحدة لها، ولا سيما أنه لا يوجد مرجع لتبين دلالات هذه المصطلحات. وبالتالي فإن هذا البحث قد يوفر للمهتمين قاعدة معرفية ضرورية عند توظيف المصطلحات.

ويرى الباحث أن تحليل هذه المصطلحات قد يحرر الخطاب السياسي الفلسطيني من تبني بعض المصطلحات الإسرائيلية بدلالاتها، ما يعني عدم تمكن تسرب الرواية الإسرائيلية إلى الوعي الفردي والجمعي الفلسطيني عبر الخطاب الفلسطيني.

أهداف البحث

إنه يروم استقصاء دلالات المصطلح كما استقصاء تركيبته اللغوية وتفكيكها، لانتحال مقاصده المعرفية والسياسية التي يروم استقرارها في وعي المتلقي.

وكذلك تقديم رؤية لمصطلح بديل قد يوحد الرؤية المفاهيمية الإعلامية والسياسية الفلسطينية للقضايا الوطنية، والمساهمة في إنهاء حالة الجدل الاصطلاحي المفاهيمي من القضية الواحدة، ما يؤثر على الرواية الفلسطينية بسبب تعدد حاملاتها الناعمة وتباينها، ومن ثم تبين مخاطر تبني مفاهيم منتجة إسرائيلية.

منهجية البحث

ينتمي هذا البحث إلى الدراسات النوعية تلك الدراسات التي تفسر وتحلل الظواهر وتبين أبعادها ودلالاتها، وهو يندرج ضمن سياق معرفي ثقافي سياسي محدد، يهتم بتقديم تحليل لمكونات معرفية مفاهيمية فلسطينية وإسرائيلية هي نتاج لصراع سياسي وتاريخي مع الاحتلال. ويستفيد من المنهج « المعرفي التحليلي المركب، والتفسيري الاجتهادي المركب » كما طوره عبد الوهاب المسيري في موسوعته « اليهود واليهودية والصهيونية » (٢٠٠٣). وهو المنهج الذي سيمكن الباحث من وضع المصطلحات في سياق مقارنة (المصطلحات الفلسطينية يقابلها المصطلحات الإسرائيلية ذات الصلة بموضوع واحد).

أدوات البحث

وفي هذا السياق يوظف البحث عددا من الأدوات لجمع البيانات الكمية والنوعية، ومن



بينها تصميم بطاقتي رصد وتصنيف، لرصد المصطلحات وتصنيفها، وذلك وفق منهجية متسلسلة، إذ يجري رصد المصطلحات الحالية وتجريدها في الخطابات السياسية والإعلامية الفلسطينية والإسرائيلية. والهدف من التجريد « توفير إمكانية النظر إلى ما يتصور المرء أنه أهم سمات ظاهرة ما وحدودها في صورتها النقية البحثية أي جوهرها » (نفسه. ص ٦٣).

حدود البحث

تحدد نتائج البحث في المصطلحات الموظفة في الخطابين السياسي والإعلامي الفلسطينيين والإسرائيليين بعد اتفاق « أوسلو » عام ١٩٩٣. ويبرر الباحث اعتماده هذه الفترة بالنظر إلى اعتبار الموقفين الفلسطيني والإسرائيلي اتفاق « أوسلو » مرحلة تاريخية جديدة وفقا للخطابات المتبادلة بين ياسر عرفات وإسحق رابين عام ١٩٩٣. ولا يعمد البحث إلى المصطلحات السياسية أو الإعلامية في الخطاب الفلسطيني الداخلي، ويقصد بها خطاب الأحزاب الفلسطينية.

عينة البحث

رصد الباحث مائة مصطلح موظفة في الخطابات الفلسطينية والإسرائيلية (الإعلامية والسياسية)، واعتبرها مجتمعا للبحث، ونظرا لأن تحليلها لغويا ومعرفيا وسياسيا ومن ثم بناء مصطلحات بديلة مقترحة، فإن الاشتغال عليها جميعا يتطلب فترة زمنية طويلة، ولذلك فإن البحث اختار عينة مقصودة من بين هذه المصطلحات المائة، بنسبة عشرين بالمائة ما مجموعه عشرون مصطلحا، راعى فيها الحيازات الثلاث السياسية والتاريخية والجغرافية والدينية. وإن كان الباحث سيستكمل في الجزء من البحث لاحقا تحليل المصطلحات الأخرى.



الفصل الثاني في تحليل المصطلحات مصطلح (القدس والضفة الغربية)

أنتج هذا المصطلح الخطاب الإسرائيلي السياسي وتبناه الخطاب الإعلامي، في إطار الصراع الفلسطيني الإسرائيلي على القدس. ثم تبناه الخطاب الفلسطيني الرسمي والحزبي. يتبين أن هذا المصطلح يتألف من مقطعين الأول القدس والثاني الضفة الغربية، وهو مصطلح منحوت بقصد إنتاج مصطلح واحد يعطي دلالة واحدة. فالمصطلح في الخطاب الإسرائيلي مبني على التخالف بين المنطقتين (القدس والضفة الغربية) والواو الواردة هي للمغايرة والفصل وليست للعطف أي ليست القدس معطوفة على الضفة بمعنى مصاحبة لها سواء على الترتيب القبلي أو الترتيب البعدي ، فيفهم بالعطف أنهما متلازمان لا تكون إحداهما من دون الآخر. ويرى الباحث أن حرف « الواو » الوارد في المصطلح له وظيفة إضافية وهي الحد بين شطري المصطلح، والحد يعني « الفصل بين الشئين لثلا يختلط أحدهما بالآخر أو لثلا يتعدى أحدهما على الآخر » (الحديدي ٢٠٠٦، ص ١٧). ما يعني الفصل بين القدس وباقي مدن الضفة الغربية. يوفر مبدأ التخالف وفقا للخطاب الإسرائيلي عدم وجود علاقة أو رابط بين المنطقتين ولا من أي نوع، أي أن القدس ليست جزءا من أراضي الضفة الغربية وإنما منفصلة عنها. إذ يتم استبعاد خاصية أو صفة الوحدة بين القدس والضفة أو حتى صفة الجزئي والكلي أي أن القدس ليست جزءا من الكلي وهي الضفة، وبالتالي انتفاء اللزومية السياسية التي تقر بأن القدس هي جزء من الضفة، ما يعني نفي صفة الاحتلال عنها، ومن ثم نفي التساوي بينهما بأنهما أرض محتلة معا، فيخرج القدس من أي صراع على مصيرها، وحصن ذلك بقانون اعتبارها عاصمة لدولته. وذلك بخلاف الواقع الجغرافي والتاريخي إذ هما منطقة واحدة وفقا لما كانت عليه حدود عام ١٩٦٧. وعززت سلطات الاحتلال موقفها هذا بشواهد «قانونية» من بينها قانون ضم القدس عام ١٩٨٠، ومن ثم إصدار بطاقات تعريف إسرائيلية خاصة بمواطني القدس الفلسطينيين مغايرة لبطاقات التعريف الخاصة بمواطني باقي مدن الضفة الغربية، فاكتمل عامل التخالف بعدا آخر غير البعد الجغرافي وإنما الديمغرافي أيضا. ثم يتوعد عن تكرار ضحك هذا المصطلح في الخطاب السياسي والإعلامي، حالة من التشكيك لدى الوعي المستهدف وهو هنا الوعي الفلسطيني، فيبني إدراكات تصورية على وجه الخصوص بدلا من العموم بأن المنطقتين متغايرتان فعلا وليستا منطقة واحدة، ثم ينبثق عنه إدراك تصديقي بأن القدس ليست جزءا من الضفة ولا نسبة سياسية بينهما، وهذا التغاير واضح في الخطاب التداولي الجماهيري، من خلال التعبير، مواطنو القدس ومواطنو الضفة. الخطاب السياسي الفلسطيني الرسمي والحزبي وأحيانا الإعلامي، يتبنى المصطلح ذاته (القدس والضفة الغربية)، ويعيد إنتاجه بكثافة. هو يتعامل مع المصطلح في سياق العموم والخصوص المطلق (الميداني. مرجع سابق. ص ٤٨)، أي ما ينطبق على العموم (الضفة) ينطبق على الخصوص (



القدس) أو العكس، ولذلك يقرن المصطلح بعبارة الأراضي المحتلة، وهي صفة عمومية تشمل الضفة والقدس معا، فما يترتب على الضفة يترتب سياسيا على القدس بالتساوي، وهنا يحقق الفهم الفلسطيني للمصطلح خاصية التناقض في الدلالة مع الفهم الإسرائيلي للمصطلح، لكن من حيث التركيب اللغوي يقام المصطلح في الخطاب الفلسطيني على أساس التواطؤ اللفظي مع المصطلح الإسرائيلي، أي التوافق في التركيب واللفظ، فلا تغاير بين المصطلحين على الأقل ظاهريا. ويوحي التواطؤ اللفظي أن المصطلح في الخطابين المتصارعين كما وأنه واحد، ما قد يؤدي إلى التشكيك لدى المتلقي فيظن أنهما متواطئان (متوافقان) لفظا ودلالة ومعنى، على الرغم من أنهما مشتركان في اللفظ متغايران في المعنى والدلالة. التواطؤ يضاف إلى مخزون المصطلح الإسرائيلي، بحكم الأقوى والضح الإعلامي المكثف للمصطلح، مما قد يحدث تضاربا معرفيا لدى المتلقي الفلسطيني، فمن المحتمل أن يتبنى المعنى والدلالة الإسرائيلية للمصطلح.

وخروجا من حالة التواطؤ في اللفظ، فلا بد من بناء مصطلح مغاير أو مناقض للمصطلح الإسرائيلي لفظا ومعنى، وعلى ذلك فإن المصطلح البديل الذي يقترحه البحث في الخطاب الفلسطيني هو (الضفة الغربية بما فيها القدس)، فبالتحقيق في بنية المصطلح وتركيبته اللغوية سنجد أنها قائمة على مبدأ العمومية والخصوصية المطلقة لفظا ودلالة ومعنى، فمن الناحية اللغوية فإن كلمة بما وأصلها «(إما) وإن كانت» مسبوقه بحرف جر الباء هي اسم موصول، بمعنى الذي إن وقع بعدها ما يصلح أن يكون صلة «(معجم الوسيط)»، ما يعني أن القدس موصولة بالضفة ومتضمنة فيها وتحتويها بكل دلالاتها. ومن ناحية المعنى فهو يحقق الخصوصية المطلقة للقدس بإظهارها في بنية المصطلح كمفردة لغوية بحمولتها السياسية، وبما أنها محتواة في الضفة الغربية وهي العموم، فما ينطبق عليها ينطبق على القدس، لأن المتضمن في الشيء هو الشيء ذاته أو جزء منه، وبالتالي يتحقق المراد الفلسطيني من المصطلح لفظا ومعنى ودلالة.

مصطلح شرقي القدس / غربي القدس

يقتصر هذا المصطلح على الخطاب الإسرائيلي السياسي والإعلامي. ويلاحظ أنه يتكون من جزأين (شرقي القدس) و(غربي القدس) وكل جزء يتألف من لفظتين وهما يدلان على الاتجاه أو الجهة جغرافيا. وعند التدقيق في بنائهما اللغوي، سنجد أن مفردة (القدس المحتلة) هي المشترك بينهما المضاف إليها وبحكم ذلك فهي المنسوب إليها كل من (شرقي وغربي) فشرقي مضافة إلى القدس وكذا الغربي مضافة إلى القدس، أي أن كليهما ينتسبان للشيء ذاته وهي القدس ويقصد بذلك التعريف بأحياء القدس شرقيها وغربيها، وهنا يتحقق مبدأ التماثل، والتماثل هنا يعني هو «نسبة بين معنى ومعنى آخر مساوٍ له في النتيجة» (الميداني. مرجع سابق. ص ٥٦)، فمفردة (شرقي) تدل على معنى الشرق، ومفردة (غربي) تدل على معنى الغرب، وهما بذلك معنيان قائمان بذاتهما ولكن بما أنهما ينتسبان إلى مشترك واحد (القدس) فهما متساويان في النتيجة، أي أن ما في أحدهما ينطبق على الآخر.

تهدف الصياغة اللغوية للمصطلح وبنائه اللفظي أن يبني المتلقي تصوره الإدراكي عن جهتي



القدس، بأن إدراكه لجهة لا تتم إلا بإدراكه للجهة الأخرى، فشرقي القدس، لا تدرك إلا بغربي القدس. وهذا إدراك حسي.

من هنا يتبين أن البناء اللفظي للمصطلح يخدم الدلالة والمعنى المقصودين منه إسرائيلياً، وهو أن القدس واحدة لها أحياء غربية وأخرى شرقية، وليست قدسين. وهذا إدراك عقلي أو منطقي. والتصنيف الإسرائيلي لهذه الأحياء هو تصنيف ديمغرافي (فلسطينيون في الأحياء الشرقية ويهود في الأحياء الغربية) وليس تصنيفاً جغرافياً منفصلاً، ونلاحظ أن بناء هذا المصطلح وتضمينه للخطابين السياسي والإعلامي لا يتناقض مع قرارات الاحتلال باعتبار القدس (عاصمة موحدة) للكيان الإسرائيلي.

مصطلح (القدس الشرقية / القدس الغربية)

هو مصطلح أنتجه الخطاب السياسي الفلسطيني وتبناه الخطاب الإعلامي، وتأسس على أساس ما كان واقعاً قبل الاحتلال عام ١٩٦٧، حين احتلت (إسرائيل) القدس بحدودها الجغرافية والتاريخية بما في ذلك البلدة القديمة والأحياء الأخرى خارج الأسوار، وكان يفصل القدس عن تلك الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨ جدار (مدلبوم) أو ما يعرف بخط الهدنة. وفرت هذه البيئة السياسية والجغرافية أرضية لبناء مصطلح (القدس الشرقية / القدس الغربية) على اعتبار أن ما يقع شرق خط الهدنة هو القدس الشرقية وما يقع غرب خط الهدنة هو القدس الغربية. وي طرح الخطاب الفلسطيني هذا المصطلح كحل للصراع مع الاحتلال بشأن القدس.

ويلاحظ من خلال تحليل خطابات إسرائيلية (لغاية هذا البحث) أنها لم تتضمن هذا المصطلح، مقابل تبيينها مصطلح (شرقي القدس / وغربي القدس).

عند تحليل المصطلح يتبين أنه مكون من جزأين متقابلين (القدس الشرقية) يقابله (القدس الغربية)، وعند التمعن في بنائه اللغوي ومقارنته أو مقابلته بالمصطلح الإسرائيلي (شرقي القدس / وغربي القدس). سيتبين أن المصطلحين بكل مكوناتهما يتضمنان المفردات ذاتها (القدس/ شرق / غرب)، ولكن بنائهما اللغوي يختلف، ففي المصطلح الإسرائيلي نسب الشرق ونسب الغرب (الجهة إلى شيء واحد وهو القدس، في حين يتبين أن المصطلح الفلسطيني يعتبر الشرق صفة والغرب صفة وليس (نسبة إلى) أي ليست مضافة، تصف الموصوف هنا وهو القدس، ويؤكد البناء اللغوي بصيغة المَعْرِف (القدس الشرقية) للمصطلح، والمَعْرِف هو «تحديد معنى الشيء» (معجم المعاني)، أي أنه تم تحديد ما هي القدس وعرفها بالشرقية، والشرقية هنا تدل أكثر على الحدود المعروفة المحددة بتلك الواقعة في الشرق لحدود شيء آخر، وقد يكون ذلك الشيء قدساً أخرى يطلق عليها (القدس الغربية) أو شيء آخر مختلف، ما يعني طبقاً للمصطلح الفلسطيني أن ليس بالضرورة أن تكون هناك قدس واحدة، ثم قدسان واحدة شرقية (فلسطينية) وأخرى غربية (إسرائيلية) قائمتان بذاتهما، فالصفة هنا (الشرقية / الغربية) توضح الموصوف (القدس) على وجه التباين أي أنهما مختلفتان في الدلالة والمعنى ولا ينطبق على ما في أحدهما على الآخر، وليس كما على وجه التماثل متساويتان في الشيء ذاته.

وبالتالي فإن إدراكهما من طرف المتلقي يكون إدراكا حسيا (الشرقية والغربية) وإدراكا عقليا بما أنهما قائمتان على وجه التقابل المتضاد والمتباين، إذ هما مدينتان متقابلتان متضادتان، « أي عدم اجتماعهما معا » (الميداني. مرجع سابق. ص ٥٤). فكل واحدة تقابل الأخرى بانفصال عنها. مع أن الواقع يؤكد أن ليس ثمَّ قدس إلا قدس واحدة.

مصطلح (القدس المحتلة)

يتبين من خلال تحليل مصطلحي (القدس الشرقية) مصطلح فلسطيني، ومصطلح (شرقي القدس) مصطلح إسرائيلي، سيتبين لنا أن ضابط التناقض مع المصطلح الفلسطيني قائم في المصطلح بكل وضوح. والتناقض هنا يعني « أن صدق إحدى القضيتين ينقض احتمال صدق الأخرى ويجعلها كاذبة حتما » (نفسه. ص ١٥٦). فمن وجهة النظر الإسرائيلية أن القدس هي مدينة موحدة، ولذلك بنى مصطلحا لغويا يحمل دلالة واحدة دون أن يناقض نفسه، فشرقي القدس تعني الأحياء الشرقية يماثلها وجود أحياء غربية لمدينة واحدة. (شرقي القدس ، غربي القدس). ومن وجهة النظر الفلسطينية أن القدس مدينتين (شرقية وغربية)، وبما أن القدس في الواقع الجغرافي والتاريخي هي مدينة واحدة، فنلاحظ أن بناء المصطلح الإسرائيلي ينسجم مع الرؤية الإسرائيلية. وانطلاقا من مفهوم التناقض فإن الخطاب الإسرائيلي يسعى لنفي الرؤية الفلسطينية للقدس ويكذبها، لأن الخطاب الفلسطيني يناه في الواقع الفعلي باعتباره القدس مدينتين لا مدينة واحدة . في ضوء ذلك واستخلاصا من دلالات المصطلحين الإسرائيلي (شرقي القدس / غربي القدس) والفلسطيني (القدس الشرقية / القدس الغربية)، يقترح البحث بأن يقتصر الخطاب الفلسطيني على مصطلح (القدس المحتلة) من دون الحقها بصفة تقسمها وتوضحها كشرقية أو غربية، فالقدس هنا عامة، يصاغ مصطلحها على وجه العموم لا على وجه التخصيص أو التحديد، فيتحرر من كل قيد أو شرط سياسي أو جغرافي، فإذا تم نفي « مفردة الشرقية) وهي التخصيص أو الأخص لا ينفي الأعم وهي القدس، طبقا لقاعدة « نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم » (الميداني. مرجع سابق. ص ٣٥٦).

هذا المصطلح مولد دلاليا إذ هو « مرتبط بظهور معنى جديد بالنسبة لوحدة موجودة أصلا » (غاليم. ١٩٨٧. ص ٤٩). والوحدة الأصلية هي وجود مدينة قدس واحدة، وفي الوقت ذاته محتلة. ما يعني أن مصطلح (القدس المحتلة) يكون مضاد للمصطلح الإسرائيلي ونافيا له. فالمصطلح الإسرائيلي لا يعترف إلا بقدس واحدة لها أحياء شرقية وأخرى غربية، بينما الخطاب الفلسطيني يقر بقدسين، ويعترف بإحداها للإسرائيليين لا يصارعهم عليها. بينما الإسرائيليون يصارعونه على القدس الشرقية.

مصطلح (مستوطنة)

مصطلح يتكون من مفردة واحدة، ويشترك في بنائه اللفظي الخطابان الفلسطيني الرسمي والإسرائيلي (بشقيهما الإعلامي والسياسي). فهما بذلك متماثلان يجتمعان في بنائه اللغوي. ولكنه مصطلح إشكالي في الخطاب الفلسطيني الحزبي، بمعنى تعدد المصطلح الحزبي فيما يدل على



شيء واحد، بينما هو واحد في الخطاب الإسرائيلي.

ويبتين أن مصطلح مستوطنة متداخل شكلا من جانب اللفظ في الخطابين الفلسطيني والإسرائيلي، ولكنهما « وحدتان معجميتان بداليتين مختلفتين متباعدتين لهما الشكل الصريح نفسه » (الحديدي. مرجع سابق. ص ٥٨. بتصرف).

فالأصل اللغوي لمستوطنة، هو الاسم وَطَن، والوطن هو « مكان إقامة الإنسان ومقره ، وإليه انتماؤه، سواء ولد فيه أم لم يولد» (معجم المعاني). والفعل هو وَطَنَ أي « أقام في المكان وسكنه وألفه واتخذها وطنًا» (نفسه). ومعنى مستوطنة « أرض ينزل فيها أجنبي ويتخذها موطنًا له عسبا عن أهلها الأصليين» (المعجم الوسيط). يلاحظ من خلال التدقيق في مصطلحي وطن ومستوطنة، أنهما يحملان معنيين متناقضين.

مفهوم الخطاب الإسرائيلي من مستوطنة يشق من معنى « وطن » أي أن الإسرائيليين « يستوطنون أرضا ألفوها واتخذوها وطنًا لهم » وليسوا مهاجرين [إليها] وإنما عادوا إلى بلدهم » (الخطيب ٢٠٠٧)، ودلالة المصطلح هو إضفاء شرعية (الألفة) على الاستيطان بأنه حق للإسرائيلي وليس اغتصابا، يعزز ذلك بشواهد دينية (أرض الميعاد)، إضافة إلى فرض الأمر الواقع (البناء الفعلي والتوسع فيه). ومع الزمن تتحول المستوطنة من واقع مفروض (فعل سائد بالقوة) إلى واقعي (حقيقة / ناتجة بحكم الواقع) مدرك، بمعنى أنها ستصبح حيزا مكانيا واقعا لمن يقطنها بحكم ديمومتها، أو أنها « الواقع الموضوعي » (المسيري. مرجع سابق. المجلد الأول ص ٢٨). وعلى هذا النحو ستدرك عقليا (تصديقا) بأنها كذلك.

في حين يقصد الخطاب الفلسطيني الرسمي المعنى الثاني وهو مستوطنة وهي صيغة المؤنث لمفعول استوطن بما يحمله من معنى الاغتصاب وسلب الأرض فينفي الشرعية عن المستوطن. معتقدا بأن لا وحدة بين ظاهر الشيء (اللفظ) والشيء في ذاته (المعنى).

مع أن الأمر مغاير، فإذا كانت دلالة المصطلحين متباينة ومتضادة مع اجتماعهما في اللفظ، فإن التماثل في بناء المصطلح تركيبيا ولفظيا، فإن « توظيف دلالة اللفظ الواحد على مفاهيم متعددة سيؤدي إلى مشكلة كبيرة » (الحيادة. ٢٠٠٢. ص ٢١. الكتاب الثاني) وهي عدم تحقيق التواصل والفهم الصحيح لدلالته، إذ يبيّن ذلك إدراكا تصوريا قد يقع فيه المتلقي بأن ينسب المعنيين والداليتين إلى معنى واحد، فيظن أن اجتماع المصطلحين في اللفظ يعني بالضرورة اجتماعهما في المعنى والدلالة، إذ قد يوفر الاجتماع في لفظ كلي منفرد (مستوطنة) غير مقرون بمفردة توضيحية، صفات مشتركة للمصطلحين (الفلسطيني والإسرائيلي) متضمنة فيهما وهي هنا قائمة مثل : الإقامة، المكان، السكن، الانتماء، فيتترك ذلك انطبعا أنهما واحد « فإن الشيتين التماثلين يجعل حكمها واحدا» (طايبي. مرجع سابق. ص ١٢). مع أن المعنيين والداليتين متناقضتان، فلسطينيا تعني الاغتصاب والسلب بالقوة، وإسرائيليا تعني التوطن والألفة والسكينة، مصطلح (مستعمرة، الاستعمار)

مصطلح مستعمر يقتصر على خطاب حزبي فلسطيني (يساري) ولا يأتي في الخطاب الرسمي



السياسي أو الإعلامي.

يفيد معنى مستعمرة سياسيا في اللغة « إقليم يحكمه أجنبي يتوطنه أو يكتفي باستغلاله اقتصاديا وعسكرية» (معجم الوسيط)، بتحليل النص، يتضح أنه ينطوي على احتمالات، الأول التوطن، وهو هنا يماثل الاستيطان، أو الاستغلال المحدود والمؤقت فينتهي الاستعمار بمجرد انقضاء الاستفادة من موارد البلد الذي يخضع للاستعمار، وفي كلتا الحالتين فإن دلالة البناء اللغوي لمصطلح (مستعمرة) لا تفيد فعل الاحتلال الإسرائيلي، الذي يستهدف فلسطين إحصائيا أي يحل محل أهلها بطرهم وليس بمشاركتهم المكان والزمان، والإحلال هو الحلول في المكان والزمان، ولكي يكون ذلك فلا بد من إلغاء وجود من كان في المكان.

من الواضح أن كثيرا من الدول كانت تستعمر أقاليم أخرى ليست لها وانتهدت بمقاومتها أو باتفاقات مع الشعب الأصلي. وهذا لا يتفق مع الاحتلال الإسرائيلي الذي جاء ليحلّ وليس ليرحل. وفي معناه اللغوي الآخر تعني مستعمرة « طائفة من الناس تهجر بلادها وتسكن مجتمعة ببلاد أخرى » (معجم الوسيط). تفيد دلالة النص أن إطلاق مستعمرين / مستعمرة على من يحتل فلسطين لا يقود إلى الدلالة الحقيقية، فالمحتلون (المستوطنون) هم لم يأتوا إلى حيث يستوطنون من بلادهم هجرة طبيعية اختيارية، وإنما كان قدومهم لتحقيق هدف احتلالي يستهدف وجود من كانوا قبلهم.

ومستعمرة هي اسم مفعول ومستعمر صيغة مفعول أيضا، من عمّر ثم منه صيغة استعمر، ومعنى استعمر الأرض « عمرها وأمدّها بما تحتاج إليه لتصلح وتعمّر » (لسان العرب)، ودلالة هذا اللفظ تنسجم مع الفكرة الصهيونية بأن اليهود جاؤوا فلسطين الصحراء الخراب فعمروها .
وأيضاً في الاشتقاق اللغوي، فعمرّ المكان أي سكنه (لسان العرب)، أو أحياه بعد أن كان بوراً أو ميتاً أو خاوياً، ووجود البشر في الأرض (طبقاً للمقصد الديني) هو لإعمارها .

وقد تترك دلالة هذه التسمية مستعمرة وما ينتج عنه من فعل (مستعمر، عمرّ) في الذهنية الإدراكية دلالة عكسية أو مغايرة لم يقصدها الخطاب الحزبي الفلسطيني، وهي السكن والإعمار والإصلاح وإشغال الفراغ أو المكان الخاوي. فإذا ما قارنا ذلك بالاحتلال الفرنسي للجزائر وانتهى عام ١٩٦٢ بعد مائة وثلاثين عاماً من الاحتلال، وكان يطلق على نفسه « الاستعمار الفرنسي»، إذا ظل اسمه راسخاً حتى اليوم في الذهنية الجزائرية « بالمعنى الفرنسي» ولا تستخدم مفردة الاحتلال الفرنسي إلا نادراً، مع أن الاحتلال قد انتهى بالثورة الجزائرية. هنا يكون التصور الإدراكي لفعل الاستعمار تصوراً إيجابياً من خلال فعل التعمير وليس كونه احتلالاً فعلياً .

مصطلح (الاستعمار الاستيطاني)

ثمّ خطاب حزبي فلسطيني آخر محدود يستعمل مصطلح (الاستعمار الاستيطاني)، فيجمع معاً لفظتين جمعاً تلفيقياً في مسعى لإنتاج دلالة تقارب وصف الفعل الاحتلالي الإسرائيلي. يفيد التركيب اللغوي للمصطلح، أنه مبني على « التعريف التبيهي » في شقه الثاني (الاستيطاني) أي « ينبه المخاطب [المتلقي] إلى معنى شيء كان معلوماً لديه إلا أنه قد غاب عنه» (الميداني).



مرجع سابق. ص ٢٨٥)، فالخطاب يرمي إلى تذكير للمتلقي أو التأكيد عليه أو له، بأن الاحتلال هو شكل آخر للاستعمار. ولكن يلاحظ أن مفردة الاستيطاني وهي صفة للاستعمار جاءت على وجه التخصيص المعرف (الاستيطاني)، وبذلك يمكن أن يقوم إدراك ذهني تصوري لدى المتلقي بأن هناك استعماراً غير استيطاني (استعمار اقتصادي) أو (استعمار عسكري)، وقد لا تجتمع هذا الأنواع في المصطلح قيد التحليل (الاستعمار الاستيطاني) حسب التصور الإدراكي للمتلقي، مقتصرًا ذلك على ما حدده المصطلح بالتخصيص وهو الاستيطان، مع أن الاحتلال الإسرائيلي هو حلولي في كل ما تظفر به الحياة الفلسطينية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وهو احتلال عسكري وإحلالي أي وجود بديلاً عن وجود آخر أو بدلاً منه.

وينطوي جوهر اللفظ ودلالته على معنى قد يتوافق مع دلالة المصطلح الإسرائيلي (المستوطنة) ويتواطأ معه، أي يوافق معناه، فإذا ما أخذنا الاستعمار وهي مصدر استعمار، والمفعول مستعمر، فتعني التعمير والسكن ومن ثم الاستيطان تعني التوطن ودلالته بالمفهوم الإسرائيلي العودة إلى (أرض إسرائيل) وإعمارها، فإن المصطلح (الاستعمار الاستيطاني) يعني تعمير الأرض بالتوطن فيها سكناً وإقامة دائمة.

كلا الخطابين الحزبيين اللذين يوظفان مصطلحي (مستعمرة / الاستعمار) و (الاستعمار الاستيطاني)، على ما هو قار عرفاً وليس على ما هو قار لغة، أي ما هو شائع ومتداول في السياق التداولي العام، ولكن بما أن المصطلح وضع من أجل ما وضع إليه أو من أجله ولأن الشيء بذاته ويقاس بما هو فيه من معنى ودلالة دون انفصال بين ظاهر الشيء (المصطلح / لغة) وجوهره (الشيء في ذاته / معنى المصطلح ودلالته).

قد يكون أن «اختلاف التعريف بالشيء يختلف باختلاف المقصود منه» (الميداني. مرجع سابق. صحيحاً، ولكن قد يكون هذا دقيقاً إذا لم يكن هناك مصطلح إسرائيلي صراعي يستهدف الشيء ذاته (الأرض الفلسطينية) وهو هنا مصطلح (مستوطنة) بما يقصد من عودة إلى الأرض والتوطن فيها توطناً دائماً غير مؤقت، لذا فإن العرف (الشائع) قد يزيد اللبس الذي قد يقع لدى المتلقي نتيجة التصور الذهني الإدراكي لجوانب إيجابية لما يثيره اللفظ (الاستعمار = التعمير أو الاستيطان = التوطن)، فيتحول الإدراك التصوري إلى إدراك تصديقي.

يرر الخطاب الحزبي أن بناء هذين المصطلحين اشتقاقاً من المصطلح الإنجليزي (Colony)، أنها الأكثر تعبيراً عن الوضع القائم في فلسطين، مع أن معناه هو «جماعة مهاجرة إلى غير وطنها».

وبالرغم من أن اللغويين يؤكدون أن المصطلح هو «عنصر أو تركيب لغوي خاص بمجموعة لغوية معينة، وليس له مقابل شكلي في الترجمة إلى لغات أخرى، وهي إحدى الصعوبات التي تواجه المترجمين فالترجمة الحرفية هنا غير مقبولة» (بلبل. مرجع سابق. ص ١١٥)، فترجمة (Colony) هي «ترجمة تحصيلية أو ترجمة حرفية [لغوية بأن تم] إعطاء الأولوية للاعتبارات اللغوية على الاعتبارات المعرفية» (بن مالك. مرجع سابق. ص ٤٤). ثم محاولة تطويع اللفظ لينتج المعنى



المدرک في الذهن عن الاستيطان. فإذا كان المقصود هو ترجمة السياق العام للمصطلح (Colony)، فإن السياق العام هذا يجب أن يوافق السياق العام (المجال التداولي) ويكافئه الذي سيطبق فيه المصطلح لغة ودلالة، وهو هنا السياق الفلسطيني في إطار صراعه مع الاحتلال، الذي تقتضيه خصوصيات كثيرة. ولذلك تبقى «إشكالية المعنى، وهذه الإشكالية يتعذر حسمها» (علي. مرجع سابق، ص ٧٨). وبالتالي فإن الدلالات والمعاني المقصودة من مصطلح مستعمرة المستوحاة من مصطلح (Colony)، هي دلالات ومعانٍ إشكالية إذا ما أريد الاحتفاظ بها في الخطاب الفلسطيني ونطاقه التداولي في الصراع مع الاحتلال فهو لا يوفر «الدقة في التعبير من غير ملاحظة قدرة المصطلح على الشيوع أو مدى تقبل الجمهور له» (الحيادرة. ٢٠٠٣. ص ٦٨. الكتاب الثالث). وعلى هذا الأساس «لا يجوز الاقتراض [استعارة مصطلح من لغات أخرى]، إلا عند العجز التام عن إيجاد المقابل العربي» (نفسه. ص ٢٤. الكتاب الثالث)، إذ أنه في هذه الحالة يمكن نحت مصطلح عربي من أصل قائم يدل على معنى احتلال الأرض واستيطانها.

مصطلح (مغتصبة)

ينفرد بهذا المصطلح الخطاب الفلسطيني الإسلامي وتحديدًا خطاب (حماس)، وهو مصطلح ظهر بعد أن أخلى الاحتلال الإسرائيلي مستوطنات غزة عام ٢٠٠٥. تتفرد حماس بهذا المصطلح لتمييز خطابها فيما يتعلق بالاستيطان عن الخطابات الأخرى الفلسطينية.

يلاحظ أن هذا المصطلح مكون من لفظة واحدة ويشير إلى المستوطنة كمغتصبة. وهو من «التعبيرات الاصطلاحية الدالة على نشاط الإنسان السلبي (...) بما في ذلك القدرة والاستطاعة التي يترتب عليها الإساءة والضرر» (حسام الدين، ١٩٨٥. ص ١٦٨ ص ١٧٦ ص ١٩٧)، وليس على ما نتج عن هذا النشاط. فمصطلح مغتصبة يدل على الفعل نفسه أي أخذ الأرض بالقوة، وقد يدل على التخريب، لكنه لا يدل على الغاية التي اغتصبت من أجلها الأرض وهو الاستيطان عليها وفيها. وعند التدقيق في معناه اللغوي وتركيبه اللفظي، فسيتبين أنه من «الطبيعة المجازية للتعبير الاصطلاحي» (نفسه. ص ٨٧). فقد شبه الاستيلاء على الأرض بفعل الاغتصاب، ولكن هذه الطبيعة المجازية في التعبير الاصطلاحي قد لا تقود إلى الدلالة الحقيقية لمقصد المصطلح ذاته، الذي يجب أن يدل عليه لفظه صراحة ومباشرة.

فإن مغتصبة مشتقة من الغصب ومعنى ذلك «أخذ الشيء ظلماً» (المعجم الوسيط)، ودلالاتها أن الاحتلال اغتصب الأرض التي تقام عليها المستوطنة (المغتصبة) قهراً ورغمًا عن إرادة أهلها. وعند التدقيق في معنى المصطلح أكثر سنجد فعل الاغتصاب يكون مرتبطاً بالسلطة أي الحكم، وهو دال أيضاً على فعل اغتصاب العرض (المرأة)، وفعل الاغتصاب للأرض لا ينطوي على الديمومة إذا ما وضعنا مغتصبة في وضع تقابلي مع مصطلح مستوطنة، فالاغتصاب قد يكون مؤقتاً وينتهي في مرحلة ما، ولكن وفقاً للمفهوم الإسرائيلي الاستيطان يعني «العودة» للأرض والتوطن فيها.

فالملاح التكوينية لمغتصبة هي (الإجبار، الإكراه، ضد الإرادة، عنوة، دون الرضا وما مائل). في



حين أن الملامح التكوينية لمصطلح المستوطنة هي (التوطن، الوطن، الاستقرار، الديمومة، وما مائل) ، وعند المقارنة في الوضع التقابلي بين الملامح التكوينية لكلا المصطلحين سنجد أن دلالة مصطلح مفتضبة لا تعبر عن فعل الاستيطان وفقا للمنظور الإسرائيلي، وإنما قد تعبر عن المعنى القريب باعتبارها كناية، وفي « التعبير الاصطلاحي لا يجوز إرادة المعنى القريب حتى وإن وجد» (نفسه. ص ٩١)، بل يجب إرادة المعنى العميق.

هذا إضافة إلى أن مصطلح مفتضبة ليس رديفا لا في اللفظ ولا في التركيب ولا في الدلالة للمصطلحات الأخرى في الخطاب الفلسطيني على تنوعه (مستوطنة، مستعمرة) كما في الخطابين الرسمي والحزبي اليساري. ما يعني أن مصطلحا فلسطينيا ثالثا أُضيف إلى حقل دلالي واحد، وهو الاستيطان، فهذا التعدد قد يؤدي إلى تشتت الدلالة الحقيقية لفعل الاستيطان وإلحاق لبس في وعي المتلقي فتختلط عليه المفاهيم ودلالاتها. فيتكون لديه إدراك تصوري أن كل مصطلح من هذه المصطلحات له دلالة مغايرة أو مختلفة.

مصطلح (محتلة)

كما تبين أن الخطاب الفلسطيني على تنوعه يترادف في المصطلحات التي تعبر عن الاستيطان الإسرائيلي ويتكون هذا الترادف من ثلاثة مصطلحات (مستوطنة، مستعمرة، مفتضبة)، ومع أن الترادف لا يشترط التطابق التام في اللفظ بين المصطلحات المترادفة، إلا أنه يشترط أن تكون بينها « علاقة استبدال أي إمكانية استبدال كل منها في أي سياق من سياقاتها دون اختلاف في الدلالة أي تساوي المفردات في دلالتها على المسمى والواحد» (الحديدي. مرجع سابق. ص ٥٢ ص ٥٤). وإذا تمعنا في المصطلحات يرى الباحث أن إمكانية استبدال مصطلح بالآخر، غير ممكن، ولا سيما أن الدلالة تختلف في جوانب عديدة، وبالتالي فإن شرط تساوي الدلالة يشوبه نقص، وتحديدًا في مصطلحي « مستوطنة» و « مستعمرة»، كما أن مصطلحي مفتضبة ومستوطنة أو مستعمرة ومستوطنة أو مستعمرة ومفتضبة، لا يتحقق فيهما البديل أي أن يستبدل أحدهما بالآخر فينشئ الدلالة ذاتها، فهذه المصطلحات من حيث ملامحها التكوينية مختلفة.

فمصطلح (مستوطنة) هو مشترك في الخطابين الفلسطيني والإسرائيلي ، في اللفظ والتركيب في « الشكل الخارجيين والشكل الصوتي أيضا» (نفسه. ص ٥٩. بتصرف)، وانطلاقًا من رفع اللبس الذي قد يقع عند المتلقي الفلسطيني بأنهما متماثلان في اللفظ والدلة والمعنى، إذ يظن أنه لا يمكن الفصل بين ظاهر الشيء (اللفظ) والشيء في ذاته (المعنى والدلالة)، وكذلك اللبس الواقع بسبب تضارب الألفاظ في الخطابات الحزبية الفلسطينية (مستعمرة) أو (مفتضبة)، ولاسيما أن تعدد المصطلح الفلسطيني للتعبير عن ناتج من نتائج الاحتلال وهو (الاستيطان) يخالف مبدأ جوهرية لتداول المصطلح في ميدان واحد، وهو مبدأ « التوحيد أي أن يتميز كل مفهوم اصطلاحى بشكل خاص به لا يشاركه فيه غيره، وإذا صاحبه الترادف أو تعدد الدلالة فيصبح مجرد لفظ» (بن مالك. مرجع سابق. ص ٢٤). فالمشكلة ليست في وضع المصطلح « بل كانت وما تزال تتمثل في وحدته» (الحيادة. ٢٠٠٣. ص٧. الكتاب الأول). إذ أن في مجال المصطلحات في الحقل الواحد « لا



بد من تخصيص لفظة واحدة للدلالة على المفهوم الواحد، بحيث لا يشار إلى المفهوم الواحد بأكثر من لفظة» (نفسه. ص ٩). فقد أدى التعدد إلى فقدان التكافؤ في اللفظ والدلالة، بمعنى أن هذا التعدد في المصطلح للتعبير عن الشيء الواحد أدى به إلى عدم « الحصول على موقف يكافئ الموقف الأصلي » (بن مالك. مرجع سابق. ص ٥٠. بتصريف)، وهو ما ينتج عن الاحتلال من احتلال للأرض وتغيير معالمها وإخفائها وتهجير من يقطنها حيازة ووجودا.

لذلك فإذا وُضعت مصطلحات داخل حقل واحد، فإن التفريق بينها يجب أن يأخذ التقابلية والمقارنة، وبما أن مستوطنة في الخطابين الفلسطيني والإسرائيلي من حيث اللفظ والتركيب واحدة، فإن مبدأ التقابلية غير متحقق.

وإذ إنه من الضرورة « تحري لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي [مستوطنة/ مستعمرة] » الحيادة. مرجع سابق. ص ٨٥. الكتاب الثالث)، لذلك فإن البحث يقترح مصطلحا بديلا لمصطلح مستوطنة وهو مصطلح (محتلة) ليقابله وليس يماثله أو يناظره، وأيضا بديلا لمصطلحي مستعمرة ومغتصبة، إذ سيجنب « تعدد الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد » (نفسه ص ١٩. الكتاب الثالث)، ومحتلة هي لفظ مختص « إذ يفضل اللفظ المختص على اللفظ المشترك لرفع الغموض والالتباس » (نفسه. ص ١٩. الكتاب الثالث)، ويتجلى اختصاصها في أنها مشتقة أو مؤلدة من مفردة احتلال التي يوظفها الخطاب الفلسطيني بكل مصادره الرسمية والحزبية والإعلامية، حين يأتي على وصف واقع الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، فيصفها (بالأراضي المحتلة)، فما يقع عليها من طرف الإحتلال هو احتلال من بناء أو مصادرة أو أي فعل عسكري وغيري عسكري. فمفردة احتلال تعني « حل أي نزل القوم بالمكان وهو عكس الترحال » (معجم الوسيط)، وفي لسان العرب تعني « دخول البلاد والاستيلاء على أراضيها قهرا وغزوا » (معجم لسان العرب. باب الحاء) . فيتبين من المعنى اللغوي لمحتلة، أنها ولدت من مفردة (الاحتلال) وهي الأصل، فالأساس في توحيد المصطلح هو « وحدة المبادئ والأسس والأصول التي يجمل الاتفاق عليها » (حيادة. مرجع سابق. ص ٧٢) وهو قائم بالفعل على أرض الواقع، والمتمثل في مفردة الاحتلال ودلالاتها، إجماع فلسطيني على مصطلح الاحتلال لوصف العدوان الإسرائيلي. فيتحقق بذلك « التناسب بين [الاحتلال ومحتلة] أي بين الأصل والفرع، في اللفظ والمعنى » (بن مالك. مرجع سابق. ص ٦٢. بتصريف)، فتدل المحتلة على فعل الاحتلال نفسه، مادة ومعنى مشتركين بينهما. كما يتبين أن مفرد محتلة شاملة في مراميها ومعانيها، فتعني الإزاحة بالقوة من كان يقطن في المكان وأحلت مكانهم غيرهم، ليقموا في المكان إقامة دائمة وليست مؤقتة، وبذلك فينفي المصطلح سمة التوطن والوطن المضمر في مصطلح (مستوطنة) .

كما أن محتلة، تحقق الاختلاف في اللفظ مع مستوطنة وتتناقض بالضرورة في معناها ودلالاتها. وهي تجمع صميميا بين ظاهرها وجوهرها، كما يجتمع ظاهر الشيء والشيء في ذاته في وحدة صميمية (وفقا لهيجل كما ورد في الجابري. ١٩٩١. ص ٢٢). أي مطابقة بين ما هو ظاهر وبين ما هو كامن فيه، فإدراك ظاهرها التصوري باللفظ وحسب، يقود بالضرورة إلى إدراك معناها



الحقيقي فهما متصلان لفظا ومعنى ويكون إدراكا عقليا تصديقا بأنها واقع مفروض ولن تتحول إلى واقعي (حقيقة معرفية / مقبولة)، بمعنى آخر ليست (المحتلة) حتمية في الوجود أو الديمومة لأن الاحتلال وما يترتب عليه يزول بزوال أسبابه ومقاومته ، فيما أن الاحتلال هم الأعم والمحتلة (المستوطنة/ المستعمرة) هي الأخص، فنفي الأعم « يستلزم بالضرورة نفي الأخص » (الميداني. مرجع سابق، ص ٢٥٦)، فعند زوال الاحتلال سيزول ما ترتب عليه وهي (المحتلة / المحتلات / المستوطنات)، بينما مصطلح (مستوطنة) فيجعل وجودها حتميا ودائما، لأن التوطن لا يحمل في ذاته فعل الاحتلال ودوافعه أو الرحيل.

وبما أن المعنى « ليس شيئا في ذاته وإنما هو مجموعة من العلاقات التقابلية » (الشوملي. مرجع سابق. ص ٢١٨) ، فعلى ذلك تدرك دلالات كلا المصطلحين (مستوطنة) و (محتلة) حين وضعهما في حالة التقابل من خلال « الملامح التكوينية » (نفسه. ١٩٩٣. ص ٢١٨) لهما، ويمكن تبين هذه الملامح وفق التالي، فالملامح التكوينية لمستوطنة هي (وطن، توطن، استوطن، استيطان، استقرار، أقام) يقابلها الملامح التكوينية لمصطلح (محتلة) هي (احتلال، حل، حلول، أزاح)، فالفرق واضح بينهما. مصطلح (يهودا والسامرة)

يوظف الخطاب الإسرائيلي السياسي والإعلامي بكثافة، مصطلح (يهودا والسامرة) كتعبير رسمي حين تتم الإشارة إلى الضفة الغربية، المحتلة عام ١٩٦٧. ويظهر هذا الاسم على جميع أرمات الطرق والشوارع وكذلك المؤسسات العسكرية الإسرائيلية عند مداخل المدن الفلسطينية. ينطوي المصطلح على إحياء ديني مستدعى من التوراة كما فيه إحياء سياسي يستند إلى التاريخي، فيلاحظ أن المصطلح مكون من لفظتين (يهودا) و (السامرة) ويقصد بذلك « وجود مملكتين يهوديتين » (حملتا الاسمين ذاتهما) ما قبل التاريخ، ويأتي استخدامهما كمصطلح واحد ليدلا على جغرافية واحدة (الضفة الغربية)، فهو مصطلح مبني على « توافقية المصاحبة وهو من التعبيرات الاصطلاحية المقترنة » (حسام الدين. مرجع سابق. ص ٢٥٨)، فيلاحظ أن المفردتين معطوفتين على بعضهما البعض. ولكن دلالاته الكلية تبين أن (يهودا والسامرة) أي الضفة الغربية هي جزء من مصطلح أعم وهو (أرض إسرائيل)، وتمكّن هذه الصياغة اللغوية من تحقيق النسبة بين المصطلحين في المعنى، باعتبار أن أحدهما وهو (يهودا والسامرة) هو جزئية من كلية (أرض إسرائيل)، وبالتالي لا يمكن فصلهما لأن الكلية (أرض إسرائيل) لا تكتمل إلا (بالجزئية) يهودا والسامرة، والعكس صحيح؛ لا تكون الجزئية إلا بوجود الكلية، والعلاقة بين الجزئية والكلية هي علاقة احتواء وتضمن، ومن وجهة أخرى هي علاقة ترابط وجوار، ففيهما استدعاء للتاريخ الذي يحقق الترابط (يهودا والسامرة / أرض إسرائيل) وبذلك ارتباطهما هو ارتباط سببي، فإحداهما سبب وجود الأخرى، فإذا انتقت إحداهما تنتفي الأخرى، وفي هذه الحالة فإن التنازل عن (يهودا والسامرة) الضفة الغربية هو تنازل عن (أرض إسرائيل / أو أرض إسرائيلية). ولذلك نلاحظ اصطدام المفاوضات السياسية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، بسبب الإدراك التصوري الذهني للإسرائيلي بأن التفاوض على (يهودا والسامرة) الضفة الغربية هو تنازل عن كيان أكبر.

مصطلح (المناطق)

يظهر هذا المصطلح بكثافة في الخطاب الإعلامي الإسرائيلي الرسمي، ويقصد به الضفة الغربية، وهو ليس رديفاً لمصطلح (يهودا والسامرة) ، وإنما له دلالات إضافية. وهو مصطلح ينطوي على « الغموض والإبهام » (حسام الدين. مرجع سابق. ص ٨٥). إذ أن هذه الصيغة ترمي إلى إيقاع المجهول لدى المتلقي، فيلاحظ أنه غير مقترن بمفردة أخرى توضيحية، والتعريف هنا (آل — مناطق) هو تعريف « اسمي لماهية متخيلة في الذهن ولا يُعرف لها أفراد موجودة في الخارج » (الميداني. مرجع سابق. ص ٢٨٥)، فهذا التعريف لا يقصد منه التخصيص لأنه غير متبوع أو مسبوق بما يخصه ويحدده وإنما عام. ما يعني أن ما يشير إليه وهي هنا (الضفة الغربية) هي مناطق مجهولة جغرافياً وأن أصلها غير معروف أو محدد.

وعند التمعن في التركيب اللغوي المكون من مفردة أحادية وجاءت على صيغة جمع (مناطق وليست منطقة)، سيتبين أن عموميته غير المخصصة تروم التبعيد (الإبعاد) في الذهن أو عزل علاقة الفلسطينيين بالضفة الغربية عزلاً ذهنياً بأن هذه المناطق لا تخصهم أو أنها شيء غير معلوم، ثم عزلهم وجدانياً من خلال تفتيتها إلى وحدات مناطقية (فجاءت بصيغة مناطق)، وبالتالي إنتاج دلالة تستبعد أي صفة تعريفية للضفة الغربية أو ما يشير إلى هويتها الفلسطينية. فتغدو كما وأنها مجهولة جغرافياً وهوية، غير محددة المعالم أو الموقع.

وبما أنه مصطلح إعلامي، فهو من المصطلحات التي تتدرج في إطار « الحرب النفسية أو الضغط النفسي » التي تستهدف الفلسطينيين، بأنهم يقطنون مناطق مجهولة لا تاريخ لها وبالتالي التشكيك في وجودهم أو التشكيك في أحقيتهم بوجودهم عليها. وإذا ما استدعينا شاهداً من الواقع، فإن إقامة حواجز عسكرية على مداخل المدن والبلدات (٦٠٠ حاجز عسكري)، لتقييد حركة التنقل بينها. تؤكد عملياً عزل (المناطق) عن بعضها جغرافياً ثم عزلها ذهنياً في وعي المتلقي. وينطبق هذا أكثر على القدس، فعزلها كمنطقة تم فصلها عن الضفة الغربية، ومن ثم تقييد الوصول إليها كان يستهدف إزاحتها في الوعي الفردي للفلسطيني.

إلى جانب ذلك توفر صيغة (المناطق) هدفاً سياسياً آخر يخدم الرؤية الإسرائيلية، فمصطلح منطقة أو مناطق يوحي للذهن أنها منطقة نفوذ إسرائيلية تخدم أغراضها وتلبي احتياجاتها، وهذا ما يعزز استخدام المصطلح بصيغة أخرى (المناطق المدارة)، أي تديرها وفق قوانينها وإرادتها، ويتم ذلك من خلال ما تسميه سلطات الاحتلال (بالإدارة المدنية في يهودا والسامرة أو المناطق). فيشكل ذلك إضافة في دلالاته لمصطلح (يهودا والسامرة)، وبالتالي لمصطلح (أرض إسرائيل)، فالمناطق هي وحدات جغرافية صغيرة تتبع أراضٍ أكبر وأوسع، ولكن تختلف في تركيبها الديمغرافية، بينما هي جزء منها سياسياً وجغرافياً.

مصطلح (الضفة الغربية)

في المقابل يوظف الخطاب الفلسطيني الرسمي والحزبي مصطلح (الضفة الغربية)، في إشارة للأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧. تشير دلالة هذا المصطلح إلى منطقة جغرافية، هي تلك



المنطقة الواقعة غرب نهر الأردن الذي يفصل طبيعياً بين فلسطين والأردن. وبالأستناد إلى التاريخ فإن إنشاء مصطلح (الضفة الغربية) هو إنشاء أردني جرى عام ١٩٥٠، ليوافق ضم المنطقة المسماة بذلك إلى الأردن بعد اتفاق وحدة ضفتي نهر الأردن. ويتبين من البنية اللغوية للمصطلح أنه يُسقط اسم فلسطين من صياغته، أي الضفة الفلسطينية، ومع الضخ الإعلامي المكثف والمكرور، حل هذا المسمى في الذهنية الفلسطينية السياسية والشعبية، وأزاح معرفياً اسم فلسطين، وقد تبني الخطاب الفلسطيني السياسي والإعلامي الرسمي والحزبي، المصطلح الأردني.

عند تحليل المصطلح وتفكيكه فيتبين أنه مكون من لفظتين (الضفة) و (الغربية) وهي صيغة لها دلالات جغرافية بالضرورة، فمفردة ضفة تشير إلى ضفة نهر والغربية تدل على الموقع، وعند إدراك لفظ المصطلح ومن ثم إدراك دلالاته، فإن التصور الذهني للمتلقى يدرك أن هناك ضفة شرقية بالضرورة، ولا يدركهما على وجه التخالف أو التابن، كما الحال في مصطلح (القدس الشرقية والقدس الغربية)، وإنما يدركه على وجه التواطؤ من دون تفاوت بينهما، متكناً إلى ما هو قار في تصوره الذهني حين كانت الضفة الغربية والضفة الشرقية كيانا سياسياً واحداً، ولكنهما انفقتا بسبب الاحتلال عام ١٩٦٧.

مصطلح (الوسط الشرقي من فلسطين)

يتبين مما تقدم أن مصطلحات عديدة تستهدف منطقة جغرافية واحدة وهي الضفة الغربية، تختلف باختلاف الخطاب ومقاصده، فلسطينياً كان أم إسرائيلياً، وفي الخطاب الفلسطيني يتبين أنه يوظف مصطلحاً ليس فلسطينياً بل منتجاً أردنياً وهو مصطلح الضفة الغربية، ملتزماً بما درج عليه العرف في تداول هذا المصطلح.

وفي ضوء ذلك فإن البحث يقترح مصطلحاً بديلاً لمصطلح (الضفة الغربية)، وهو مصطلح (الوسط الشرقي من فلسطين)، هو مصطلح صناعي وليس مُولداً من أي من المصطلحات الواردة أعلاه. فهو مركب في شطره الأول من جزأين (الوسط الشرقي) وهما مفردتان إحداهما تدل على الجهة والثانية تدل على الموقع في الجهة، ثم الشطر الثاني يدل على الكلي (فلسطين) فيدرك الشطر الأول أنه جزء منه.

ففي دلالة هذا المصطلح اللغوية يبرز المحدد الجغرافي، وهو محدد فلسطيني، فلا تُغيب فلسطينية المكان، وفي دلالاته الوطنية تظهر هوية المكان الفلسطينية، بخلاف المصطلح الأردني الذي يستلبيها. فالوسط الشرقي عند النظر في خريطة فلسطين الكلية، يحدد الموقع وهو جزئي من كلي أو بعض (من)، فحرف (من) في المصطلح يدل على التبعيض، فالوسط الشرقي هو بعض من فلسطين، فيتحقق من خلال هذا البناء اللغوي الإضافة أي إضافة معناه إلى المعنى الكلي، عند ذلك سيكون إدراكه مرتبطاً بإدراك الكل الذي هو منه وهي فلسطين، وليس الأردن وليس يهودا والسامرة.

مصطلح (عرب إسرائيل)

مصطلح خاص بالخطاب الإسرائيلي، وتأثر به الخطاب الشعبي الفلسطيني التداولي بحكم

تأثير الإعلام، وتطلقه (إسرائيل) على المواطنين الفلسطينيين القاطنين في أراضيهم المحتلة عام ١٩٤٨. وصاغه حزب العمل عام ١٩٥١ حين أطلقه على القائمة العربية الملحقه به لانتخابات الكنيست» (عتيق. مرجع سابق. ٢٠١٤)، وقد أنتج هذا المصطلح بصيغته اللغوية المحددة ليحقق أمرين : الأول إسقاط الهوية الفلسطينية عن مواطني الداخل، والثاني « اعتبار هؤلاء الفلسطينيين مجرد جماعة تقيم في دولة إسرائيل لا حقوق قومية لها» (يقين. ٢٠٠٨).

يبين مكونا المصطلح (عرب) و (إسرائيل) ظاهريا عند اتحادهما بصيغة (عرب إسرائيل) أنهما متحدان في موضوعهما، ولكن الصيغة اللغوية توضح أن « عرب مضافة إلى إسرائيل» (عتيق مرجع سابق. ٢٠١٤)، والإضافة لا تعني النسبة بين الاسمين، أي أن (عرب) هم جزء من (إسرائيل) فهي ليست إضافة يقصد منها بإدراك أحدهما أو معناه يدرك الآخر. وبالتالي فإن الاقتران بين (عرب) و (إسرائيل) = (عرب إسرائيل) هو اقتران تلفيقي على وجه التناقض فوجود أحدهما ينعدم الآخر، والانعدام هنا تذويبي قوميًا وهوية. فتبين صيغة المصطلح أن مفردة (عرب) هي الملفقة لمفردة (إسرائيل) إذ جاءت بصيغة نكرة بقصد التبعية، وليس بصيغة المعرف (العرب الإسرائيليون)، والنكرة « ما وضع لشيء لا بعينه وليس فيها التخصيص، ومعناها المباشر» « الإنكار، أو غير المعروف أو غير المهم » (معجم المعاني)، ويبين معجم الوسيط الشخص النكرة هو الذي « نكرة في قومه » (معجم الوسيط)، ومن أغراض النكرة « التقليل والتحقير » (هندراوي. ٢٠٠١).

وعند التعمق في بناء المصطلح، سيبتين أنه ينطوي على معنيين « معنى مركزي ومعنى هامشي» (الشوملي ١٩٩٣. ص ٢٢١)، فيما أن (عرب) منسوب إلى (إسرائيل)، وإذ إن المنسوب يكون أصغر من المنسوب إليه، فكما باب الغرفة، الباب أصغر من الغرفة وينسب إليها، فهو هامشي، وبما أن (إسرائيل) هي المركز، فهي التي يُنسب إليها ما غيرها وليس العكس، فيحقق هذا البناء اللغوي للمصطلح دلالة وظيفية بحكم الواقع، إذا عرب ولكن لا يعني لوجودهم أي دلالة وطنية أو سياسية. وهذا ما يمكن استيضاحه أكثر من حيث تبين أنهما متناقضتان في الدلالة ، ويقصد بالدلالة هنا، الدلالة القومية ، فإسرائيل ليست عربية أما فلسطينيو الداخل فهم عرب القومية. وإذ إنهما مختلفان في الدلالة فلا ينطبق أحدهما على الآخر، وما فيهما لا ينطبق بالضرورة، وفي هذه الحالة لا يمكن أن يكون إدراك أحدهما هو إدراك للآخر، أي أن العلاقة بينهما هي علاقة (حضور وغياب) ، فلفظة عرب حاضرة على المستوى الظاهري في المصطلح لكنها من حيث الدلالة على المستوى الجوهرية غائبة في المضمون والفعل والتأثير. فإلحاق عرب بإسرائيل، هو ليس مضافا أو تضمينا أو جزءا من كل، أي أن العرب ليسوا جزءا من (إسرائيل)، وبما أنهما متناقضتان بالضرورة، فيمكن ارتفاع (عرب) أي انعدام الوجود لأن القصد من صياغة المصطلح بتركيبته اللغوية القائمة على النكرة هو إنكار الوجود (العربي) أي عدمه في التاريخ. ولا يغير شيئا كونهما مجتمعان شكلا في صيغة واحدة (عرب إسرائيل)، ولا سيما حين ينفي الأقوى الأضعف.

ويلاحظ أن حرص الخطاب الإسرائيلي على استعمال كلمة (عرب) في المصطلح، بدلا من (فلسطيني) هو تأكيد على القصد الإنكاري لهوية المواطنين الفلسطينيين في فلسطين المحتلة عام

١٩٤٨. فمفردة عرب نفت بديلها مفردة (فلسطينيو) = (فلسطينيو إسرائيل) وأعدمت وجودها، وبذلك يكون الخطاب الإسرائيلي أنكر الوجود العربي وأعدم شخصيته سواء بصيغة (عرب) أو بصيغته (فلسطيني).

وملاحظة أخرى يمكن تبيينها من تناقض مصطلح (عرب إسرائيل)، فهو يجمع بين متغيرين، بين ما هو إنساني (عرب) فهم البشر ما هو مكان (إسرائيل)، وحين يُنسب البشر إلى المكان، فيصبح المكان صفة لهم، فمثلا فلسطيني هي بفعل النسبة إلى فلسطين أي جمع الإنسان الفلسطيني الذي ينتمي للمكان فلسطين فاكسب صفتها وهويتها. في حين أن مصطلح (عرب إسرائيل) يجانب ذلك، فهو لم يأت بصيغة (الإسرائيلي العربي). فلو كان الخطاب الإسرائيلي يبتغي عدم إنكار العرب (الفلسطينيين) لكان بنى المصطلح بتلك الصيغة، وهي صيغة معرفّة فالمعرف « ما وضع ليبدل على شيء معين وفيها التخصيص »، أي عرّفه وحدد صفاته، فيتحقق حضوره بالوجوب، فتكون مفردة (الإسرائيليون) هي الموصوف ومفردة (العرب) صفة، ويكون إدراك دلالة المصطلح ومعناه إدراكا عقليا، فكما أن هناك إسرائيليين سواء كانوا يهودا، أو أمريكيين وغيرهم فإن هناك إسرائيليين عربا، وفي هذه الحالة ينتفي (العدم) عن الوجود الفلسطيني في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨. وهذا ما لا يرمي إليه الخطاب الإسرائيلي.

يتوافق هذا المصطلح مع الرؤية الإسرائيلية القديمة حين وضعت خريطة عبرنة فلسطين ١٩٤٩، وكان هدفها هو « توظيف اللغة في بناء المصطلح كتكتيك للالتفاف على المعرفة » (بيتريرغ. ٢٠٠٩. ص ٢٣٦).

مصطلح (الوسط العربي في إسرائيل)

ولتعميق الهدف الإسرائيلي من مصطلح (عرب إسرائيل)، يمعن الخطاب الإسرائيلي في استبعاد الهوية الفلسطينية لمواطني فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، وأكثر من ذلك يقلل من دورهم وفعلهم في المكان والزمان، فأنتح مصطلحا آخر وهو مصطلح (الوسط العربي في إسرائيل) ليس رديفا لمصطلح (عرب إسرائيل) وإنما مستكملا له في الدلالة وليعبر عن مقاصد إضافية، وهو مستولد على أساس قومي (الوسط العربي)، ويلاحظ أن مصطلح (الوسط العربي في إسرائيل) يتكون لفظيا من قسمين (الوسط العربي) و (في إسرائيل) وهما قسمان مركبان وليسوا بالضرورة أن يفهم معناهما باجتماعهما معا، وصياغة كلا القسمين صياغة ظرفية مكانية، فمفردة وسط هي ظرف مكانية ومن معانيها « بين » (معجم المعاني)، ومن معاني (بين) في معجم لسان العرب « الفرقة، وبان يبين وبينونة، وهو من الأضداد » (لسان العرب. حرف الباء)، ذلك يعني أن العرب ليسوا وسط الإسرائيليين أو من هم يتوسطونهم، وإنما هم بائونون عن غيرهم ممن يعيشون بينهم وليسوا تماثلين في الوجود والحقوق، وإنما مختلفين مع أنهم مجتمعون في اتحاد المكان، ولا يعني اجتماعهم في المكان والزمان، نفي إمكانية ارتفاع أحدهم فيصير وجوده عدما.

وأكثر جملة توضح ذلك في (الوسط العربي) إذ جاءت متبوعة بجملة ظرفية أخرى (في إسرائيل

(، فحرف (في) الوارد في الشق الثاني من المصطلح (في إسرائيل) يفيد الترتيب، والترتيب يعني أن مجموعات سكانية أخرى، فإن إدراك المتلقي عقليا لدلالة هذا المصطلح سيكون إدراكا قائما على المقارنة مع أوساط أخرى قائمة في (إسرائيل)، أي أن الوسط العربي هو منزلة من بين منازل أخرى تتواجد في (إسرائيل)، وهذا ما فعله الخطاب الإسرائيلي فعلا، بأن أنتج مصطلحات مماثلة ليست رديفة وإنما مصطلحات تمييزية، مثل مصطلح إما على أساس ديني (الوسط المسيحي) أو على أساس مذهبي (الوسط الدرزي) أو على أساس اجتماعي (الوسط البدوي). ومع أن هذه الأوساط المولدة من قومية واحدة وهم العرب الفلسطينيين، إلا أن هذا التشبث يروم تشبث الفلسطينيين إلى مجموعات صغيرة متناثرة على أوساط عدة مميزة بمسميات ليست قومية وإنما مسميات مستوحاة من دياناتهم ومذاهبهم ، فيصبح الديني والمذهبي والاجتماعي عوامل أساسية وليست الفلسطينية كقومية واحدة وموحدة، إضافة إلى أن هذه الأوساط ستصبح بعد نفي المشترك بينها مجرد دوائر صغيرة هامشية تدور في مدارات منفصلة وليست متصلة بقومية واحدة، تدور حول «نواة مركزية» (الشوملي . ١٩٩٣ . ص ٢٢٢) هي هنا (إسرائيل)، وهذا ما يؤكد البناء التركيبي اللفظي للمصطلح (الوسط العربي أو الدرزي أو المسيحي أو البدوي في إسرائيل)، فكل هذه الأوساط أطراف أو هوامش، أو هي محتواة (في إسرائيل)، والمحتوى مخفي غير مرئي أو ظاهر، هذا ما يدل عليه حرف « في » المسبوق في المصطلح .

كما أن مفردة وسط ستدرك بالضرورة بمقابلها ضمينا وهو الرأس / الأعلى، فيما أن العرب هم وسط والمسيحيين وسط والدروز وسط والبدو وسط، فيعني أن (إسرائيل) هي الرأس، والرأس هو الأهم فلا وجود من دون رأس ولكن يمكن أن يكون وجودا من دون هامش أو طرف. ومفردة وسط هنا ليست بالضرورة ذات «صفة معيارية قابلة للتغيير من زمن إلى زمن» (نفسه . ٢٢٤)، أي لا يمكن أن تصبح رأسا وفقا للمصطلح الإسرائيلي.

يحقق ذلك هدفا إسرائيليا بأن يتولد تصور إدراكي بأن غير اليهود في (إسرائيل) هم أقلية أو أقليات دينية ومذهبية واجتماعية. فالأقلية تعني إما دينية أو قومية (عرقية) أو غير ذلك، ومفهوم أقلية إسرائيليا هو «الأقليات المتواجدة داخل حدودها» (يونا . مكانة الأقلية العربية في إسرائيل . موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية)، يؤكد هذا التعريف الذي أتى أقليات بصيغة الجمع، الإصرار الإسرائيلي على أن الفلسطينيين هم أقلية / أقليات داخل حدود (إسرائيل) وليس بالضرورة هم جزء منها، فهم كما أي أقلية أخرى تعيش في بلد آخر غير موطنها . كالأقلية العربية في فرنسا على سبيل التوضيح. وهذا ما تجلّيه مفردة « المتواجدة » فالتواجد غير الوجود ، فالتواجد قد يكون مؤقتا، أما الوجود فله بعد تاريخي قديم. يعزز ذلك، صيغة التضاد في مصطلح (عرب إسرائيل) فالعرب هنا هم أقلية (متواجدة)، أي تواجدوا في فترة معينة من الزمن وقد لا يكونون بعد ذلك، وليسوا موجودين بحكم التاريخ والفعل في الزمان والمكان، فالوجود يعني « الديمومة والبقاء » (معجم الوسيط)، وهذا يؤكد إصرار الخطاب الإسرائيلي على (انعدام) الوجود العربي الفاعل فهم مجرد أقلية بشرية طارئة.



في المقابل لا نجد في قاموس مصطلحات الخطاب الإسرائيلي مصطلحات إسرائيلية مناظرة للمصطلحات التي أنتجها لوصف الفلسطينيين، فلا يوجد على سبيل التمثيل مصطلح (الوسط اليهودي العربي) ممن جاءوا من دول عربية أو (الوسط اليهودي الأثيوبي) أو الوسط اليهودي الروسي) أو (الوسط اليهود الأمريكي / الأمريكيين) ، فمثل هذه المصطلحات ستبين تعدد الأصول للإسرائيليين، مما يتيح للإدراك العقلي تصور هذا الحجم من الأقليات من اليهود التي تتكون منها (إسرائيل)، وهذا الامتناع عن إنتاج مصطلحات من هذا القبيل ينسجم مع القاعد الاستراتيجية الإسرائيلية التي صنعت لبناء خريطة مفاهيمية بشرية ومكانية (لإسرائيل) عام ١٩٤٩ ، « إعداد خريطة عبرية بلا أخطاء » (بيتريرغ . مرجع سابق . ص ٢٤١) . فبلا أخطاء هنا تعني فيما تعني عدم تقسيم اليهود أو تشتيتهم إلى أصولهم، فالهدف هو بناء تصور تصديقي بأن الإسرائيليين هم واحد « عادوا » من مفاهم ومن تشتتهم فتوحدوا، أما الفلسطينيين فكان مطلوباً أن ينفوا من وحدتهم إلى تشتت بتقسيمهم إلى أقليات. وذلك سيمكن الإسرائيليين من « رسم خريطة عبرية للأرض كتجديد لصك الملكية » (نفسه . ص ٢٢٨) .

مصطلح (فلسطينيو عام ١٩٤٨)

لواجهة المصطلح الإسرائيلي (عرب إسرائيل) وللتصدي لدلالاته السياسية والتاريخية والمعرفية، أنتج الخطاب الفلسطيني غير الرسمي وتحديدًا الحزبي، مصطلحاً نقيضاً وهو مصطلح (فلسطينيو عام ١٩٤٨)، تُستعاد فيه الهوية الفلسطينية كخصوصية لوصف مواطني الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ . ولكن هذا المصطلح لم يمهّد كما يرى عتيق « أزمة الخطاب الثقافي الفلسطيني في تحديد المصطلح السياسي الوطني الخاص بفلسطين المحتلة ١٩٤٨ ، فتعدد مسميات منها عرب ٤٨ ، الداخل الفلسطيني، الوسط العربي، المواطنون داخل الخط الأخضر » (عتيق . مرجع سابق . ٢٠١٤) . ومن خلال متابعة الخطاب الفلسطيني الرسمي السياسي والإعلامي (لغايات هذا البحث)، يتبين أن هذا المصطلح هو مصطلح إشكالي، ولا يقر مصطلحاً واحداً، فيستعمل مرة فلسطينيو الداخل، وتارة المواطنون داخل الخط الأخضر وأخرى، الداخل الفلسطيني، ولم يستخدم مصطلح (فلسطينيو الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨) التزاماً باتفاقيات سياسية مع الإسرائيليين .

ما يعني أن المصطلح أسقط مفردة احتلال، ليؤكد اعترافه (بإسرائيل) . وأن توظيف (عام ٤٨) جاء لتميز الفلسطينيين القاطنين في تلك الأراضي من غيرهم من باقي الفلسطينيين . ولا يقصد هنا بالتمييز أنه يتعلق بالإنسان، وإنما تمييز لتحديد المنطقة الجغرافية، التي يُستبعد صفة احتلالها . فحين يتم إسقاط مفردة (الأراضي المحتلة عام ٤٨) من عبارة مصطلح (فلسطينيو ٤٨) واستبعاد « الاحتلال » من المصطلح يؤدي إلى تشويش دلالاته، « لأن دلالة اللفظ على المعنى ، محصورة في عبارة النص، وإشارة النص ودلالة النص واقتضاء النص » (الكراعين . ١٩٩٣ . ص ٨٢) .

— مصطلح الجدار الأمني

هو مصطلح يختص به الخطاب الإسرائيلي الذي يطلقه على الجدار الاسمنتي المقام داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، وقد أقامته بارتفاع ثمانية أمتار على امتداد شريط طولي



يبدأ من شمال الضفة الغربية (الوسط الشرقي من فلسطين) وحتى أقصى جنوبها مجتزءاً مساحات واسعة من أراضي المواطنين.

والجدار هو « الحائط، الذي يحجز أو يفصل بين شيئين » (معجم الوسيط)، وبالتمعن في اللفظ المصاحب وهي (الأمني) فإن دلالاته الكلية تشير إلى أنه قائم للفصل بين الفلسطينيين والإسرائيليين لأسباب تتعلق بأمن الإسرائيليين.

فمفردة أمني هي صفة للجدار، وتصف وظيفته الأمنية، فالمصطلح هنا يتضمن أكثر من دلالة هي « دلالة العبارة » و « دلالة الإشارة » و « دلالة الاقتضاء » (نفسه. ص ٨٢)، فأما دلالة العبارة فالمفردات واضحة صريحة (جدار وأمني) ولفظهما يدل على معناها مباشرة، وأما دلالة الإشارة فهي تشير إلى الحماية من خطر داهم يترتب من أقيم الجدار لحفظ أمنهم (وهم هنا الإسرائيليون)، ومصدر هذا الخطر هم الفلسطينيون، وأما دلالة الاقتضاء فهي تشير إلى وظيفته وهي توفير الأمن.

عند التعمق في الدلالات المشار إليها أعلاه، سيبتين أن المصطلح صيغ بدقة لغوية ظاهرية لتحمل عليه دلالات مبهمّة تضليلية وهي الأمن. وهذا ما ينطبق عليه مفهوم المخالفة « وهو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفاً لمحل مدلوله في محل النطق » (نفسه. ص ٨٢)، فمدلوله في محل اللفظ هو « الأمن » أما مدلوله في حال السكوت فهو « الضم » أي ضم أراض فلسطينية جديدة إلى الكيان الإسرائيلي. بكلام آخر أن الجدار أقيم لغايات أخرى غير أمنية متوارية خلف ظاهر لفظه ومخالفة له وهو الضم.

جدار الفصل العنصري

هذا المصطلح يختص به الخطاب الفلسطيني الحزبي، وصيغة بنيته اللغوية مستوحاة من جدار الفصل العنصري في دولة جنوب أفريقيا العنصرية قبل أن تتحرر من سيطرة حكم البيض في مطلع تسعينيات القرن العشرين، إذ كان ذلك الجدار يفصل بين مواطني جنوب أفريقيا البيض عن مواطنيهم السود.

من الواضح أن دلالة المصطلح سواء الإشارية أو الاقتضائية، تتوافق مع حالة جنوب أفريقيا لكنها لا تتوافق مع الحالة في فلسطين. فالموافقة في الدلالة تعني « ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت موافقاً لمدلوله في محل النطق ويسمى فحوى الخطاب » (نفسه. ص ٨٣)، فمدلول النطق هنا الذي تشير إليه مفردتي الفصل والعنصري، لا تتوافق مع مدلول الواقع. فالفلسطينيون هم ليسوا مواطني الإسرائيليين على غرار (البيض والسود في جنوب أفريقيا)، لياتي الجدار ليفصل بينهم لأسباب عرقية أو دينية وغير ذلك، فهما الفلسطينيون والإسرائيليون مختلفان، فيهم من صيغة اللفظ الساكنة أن الفلسطينيين والإسرائيليين هما شعب واحد مختلفان في شيء ما (العرق على سبيل التمثيل) وجاء الجدار ليفصل بينهما للتمييز بدوافع عنصرية. بينما الدلالة الحقيقية للجدار هي تحقيق أغراض سياسية إسرائيلية.

ويرى الباحث أن الصيغة اللغوية للمصطلح كما وردت، تضعف دلالاته، ولاسيما أن المتلقي



سيبني تصورا إدراكيا مغايرا للواقع، بأن في حالة إزالة الجدار سينتهي الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين كما انتهى في جنوب أفريقيا. إذ إنه يحقق قصد منتج المصطلح وحده فقط، ولا يتضمن الدلالة الإضافية التي تحقق فهم المستمع وإدراكه.

فبالضرورة أن يكون فحوى خطاب المصطلح موافقا « في سياقه ومعناه » (نفسه. ص ٨٦)، الواقع الذي بُني في سياقه المصطلح للتعبير عنه تعبيرا دقيقا لغويا ودلالة. وقد يرى البعض أن ليس بالضرورة أن يدل التركيب اللغوي هنا على المعنى الكامل وإنما يكفي ما يُقصد بالمصطلح، وفهمه من خلال سياقه، قد يكون هذا مقبولا لو أن ليس ثمة مصطلح إسرائيلي صيغ ليبدل على معنى دقيق ومطلق ويتجاوز القصد منه أو الفهم من السياق. لذلك فلا بد أن يقابله مصطلح فلسطيني يدل على معناه المطلق وليس الاكتفاء بالقصد منه.

مصطلح (جدار الضم والتوسع)

يختص هذا بالمصطلح الخطاب الرسمي الفلسطيني وعلى نحو أوسع الخطاب الإعلامي. بُنيت صيغة المصطلح لاستظهار الدلالة الساكنة أو المتوارية في المصطلح الإسرائيلي (الجدار الأمني). وعند تحليل الظاهر اللغوي للمصطلح سيبتين أنه يتكون من مفردتين صفة للجدار وهما « الضم » و « التوسع»، وهذا يتوافق في سياقه ومعناه مع الواقع الحقيقي المحسوس. فالجدار أقيم داخل الأراض الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ وليس على حدودها مع الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، والتي أقيم عليها الكيان الإسرائيلي. وعند التمعن في الصيغة اللغوية، سيكون واضحا أنه ضم أراض جديدة إلى الكيان الإسرائيلي، وفي الوقت ذاته توسعت « حدود » هذا الكيان إلى الشرق على حساب أراضي جديدة تمت مصادرتها من أصحابها الفلسطينيين. فيكون سياق مصطلح (جدار الضم والتوسع) موافقا للواقع والحقيقة، وينفي دلالة المصطلح الإسرائيلي (الجدار الأمني).

إن مصطلح (جدار الضم والتوسع)، تؤكد دلالاته معناه الحقيقي المطلق ويتجاوز دلالاته القصدية، وهذا سيحقق بالضرورة دلالاتي النص الخاصتين بالمتكلم والسامع (المتلقي) معا وهما دلالاتا « الحقيقية والإضافية، فالحقيقة تابعة لقصد المتكلم وإرادته والإضافية تابعة لفهم السامع وإدراكه » (نفسه. ص ٨٧).

مصطلح (الخط الأخضر)

مصطلح يختص به الخطاب الفلسطيني بكل عناوينه الرسمي والحزبي والإعلامي، ولا يوظفه الخطاب الإسرائيلي.

يبين التركيب اللغوي للمصطلح أنه يتكون من مفردتين هما « الخط » معرفا و « الأخضر » معرفا. الخط لغويا هو « السطر وما له طول... وهو أيضا رسم علامة على الخريطة » (معجم المعاني). والأخضر لغويا « ما لونه الخضرة » (معجم المعاني).

يبين المعنى اللغوي المجرد للظاهر للمصطلح، أن هذا الخط الأخضر يفصل بين منطقتين إحداهما خضراء معمورة والأخرى جرداء خاوية.

بالرجوع إلى أصل المصطلح، فهو مصطلح صاغته الأمم المتحدة عام ١٩٤٩ ليفصل وهما فلسطين



إلى شطرين، الأول الذي احتلته (إسرائيل) عام ١٩٤٨، والشرط الآخر ما صار يعرف لاحقا بالضفة الغربية (الوسط الشرقي من فلسطين). وبعد احتلال فلسطين كامل عام ١٩٦٧. وانطلاقا من ذلك فيمكننا تبين أن هذا المصطلح بني على « خصائص انتقائية » (الفهري. ١٩٩٨. ص ٢٤)، فانتقاء صفة الأخضر كخاصية وصفة في الوقت ذاته مقصود بدقة، وهذا ما يساعد على فهم لماذا وُصف هذا الخط « بالأخضر» إذ جاء للتخفيف من طبيعة الصراع وحدته بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي، فالمنطقة التي تفصل بينهما هي منطقة خضراء، ودلالاتها المجازية هنا هي منطقة مفعمة بالحياة، بينما هي في الواقع منطقة ملتهبة، فسيكون الحال موافقا للواقع لو سمي الخط « بخط النار»، كما يقع في كثير من وصف مناطق الصراع. لكن جاءت التسمية بالأخضر لتتوافق واعتراف الأمم المتحدة بالكيان الإسرائيلي عام ١٩٤٩، في حين لم تعترف بالأراضي الواقعة شرقيه بأنها دولة فلسطين. فيرى عبد القاهر الجرجاني أنه « ينبغي النظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم أخبارا أو أمرا أو نهيًا أو استخبارا أو تعجبا وتؤدي في الجملة معنى من المعاني لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة » (كما ورد في كراعين. مرجع سابق. ص ٨٧). وعلى ذلك فقد جاءت كلمة « الأخضر» مرتبطة بكلمة خط لتعطي معناه المجازي على غير حقيقته تحقيقا لمقتضى مُطلق هذا المصطلح. فهو جاء بهذه الصيغة المقصودة مسبقا لأنهم « يحتاجون إليه في محاوراتهم» (فهمي. ٢٠٠٥. ص ٦٤. بتصرف)، بصرف النظر عن وصفه للحقيقة والواقع أم لا.

وأیضا تأتي صيغة « الخط الأخضر » على بناء المقيد والمطلق، فالمقيد هنا هو الخط والمطلق هو الأخضر مع اختلاف في الفهم والتفسير بين طرفي الصراع عند اتحاد المطلق والمقيد معا . والاتحاد والمطلق في بناء المصطلح يترتب عليه ثلاث حالات هي كما أوردها بالتفصيل (قطب سانو) « اتحاد المطلق والمقيد في الحكم وفي السبب، واتحاد المطلق والمقيد في الحكم مع اختلاف السبب، واتحاد المطلق والمقيد في السبب دون الحكم» (كما ورد في كراعين. مرجع سابق. ص ١٥٢).

فالفلسطينيون يعتبرون الاتحاد بين الخط والأخضر قائما على الحكم والسبب ، أي يترتب على هذه صيغة حكما يقيد الطرفين بالالتزام به كحد فاصل ناتج عن حرب، ولذلك اعتبر الفلسطينيون هذا الخط (المقيد) « حدودا» غربية للدولة الفلسطينية القادمة، يُقيد (إسرائيل) بوجود الانسحاب إلى ما خلفه وهو ما يجد له صيغة فلسطينية أخرى (حدود الرابع من حزيران عام ٦٧) أي عشية الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة، في حين لا يعتبر الإسرائيليون ذلك.

وإذا كانت الأمم المتحدة تقصد ظاهريا تلوين خط الهدنة لتمييزه عن خطوط أخرى في المنطقة قائمة بفعل الصراع مع الاحتلال مثل « الخط الأزرق»، فإن الإسرائيليين طوروا له دلالة سياسية وأيديولوجية تخدمهم من دون الاعتراف به كخط فاصل بين منطقتين ولاسيما كضم أراض فعلا لكيانها بما في ذلك مدينة القدس المحتلة وقرى في المثلث الفلسطيني، وباستثناء حالة وحيدة التزم بها الاحتلال باعتبار الخط الأخضر حدا فاصلا هي حدود قطاع غزة بعد أن أعادت انتشار قواتها



من داخل القطاع إلى حوله من الخارج عام ٢٠٠٥. ولذلك جاء التزامهم المؤقت به مبنياً على المطلق والمقيد باتحاد السبب دون الحكم، فسبب رسم هذا الخط هو مرحلة من الصراع، ولكن لا يلزم (إسرائيل) بالحكم المترتب عليه باعتباره حداً فاصلاً بين منطقتي صراع.

يوظف الخطاب الفلسطيني مصطلح الخط الأخضر للدلالة على حدود دولية تفصل بين شطري فلسطين، وهو يقر بذلك (بإسرائيل) ككيان سياسي قائم، له حدود رسمتها الأمم المتحدة، في المقابل لا تعترف (إسرائيل) بهذه الحدود، وأنتج الخطاب الإسرائيلي مصطلحات عدة ليست مقابلة لمصطلح الخط الأخضر بل تنفيه بالمطلق مثل مصطلح «المناطق» ومصطلح «يهودا والسامرة» (تم تحليلها في متن البحث)، للدلالة على الأراضي الفلسطينية التي يحددها الخط الأخضر شرقه، وحين يأتي الخطاب الفلسطيني على حدث فلسطيني في مدن فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، يأتي بصيغة «داخل الخط الأخضر»، هذه الصيغة جاءت لتساوق مع اتفاقيات سياسية «أوسلو» تقر بأن تلك المدن إسرائيلية وليست فلسطينية، فلتنجذب تسميتها أو وصفها بالإسرائيلية يوظف المصطلح بدلالة إجمالية وليست محددة «المواطنون داخل الخط الأخضر». وليس المواطنون في حيفا أو الناصرة على سبيل التمثيل.

بالرجوع إلى قاعدة «الحقيقية والإضافية» أو الضابط المعرفي «التخالف» التي ورد عرضها في متن البحث، سنجد أن مصطلح «الخط الأخضر» يقوم على قصد المتكلم وفهم دلالاته من السياق، وليس على المعنى الدقيق المطلق، فيهم السامع في غياب أخذ إرادته عند استعمال المصطلح، أن هناك كيانات أخرى قائماً داخل الخط الأخضر ليس متنازعا عليه، بل أن الجانب الفلسطيني يقر به اعترافاً وممارسة. ولوجود مصطلحات إسرائيلية مقابلة وليست نظيرة لتصف الأراضي الواقعة شرق الخط الأخضر (المناطق ويهودا والسامرة) وهي مبنية لفظاً وتركيباً لتنتج معنى دقيقاً وليس قصدياً، فإن تلك الأراضي (ما تعرف بالضفة الغربية/ الوسط الشرقي من فلسطين) هي أراض متنازع عليها، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار أن (إسرائيل) ألغت هذا الخط رسمياً وفعالياً حين ضمت مدينة القدس المحتلة لطيانها منذ عام ١٩٨١.

النتائج

توصل البحث إلى نتائج يمكن إجمالها بأن الخطاب الإسرائيلي بشقيه السياسي والإعلامي يوظف مصطلحا واحدا للقضية المرتبطة به، فهو على سبيل التمثيل، يوظف مصطلح مستوطنة كمصطلح وحيد لوصف الاستيطان في الأراضي الفلسطينية. ويوظف مصطلح شرقي القدس وغربي القدس، بقصد التأكيد على أن القدس واحدة غير مقسمة. في المقابل نجد أن الخطاب الفلسطيني بشقيه السياسي والإعلامي غير متفق على مفهوم ودلالات مصطلح واحد، ثم مصطلحات عديدة متباينة في الدلالة حول فعل الاستيطان الإسرائيلي، إذ تمّ مصطلح مستوطنة وهو مكرس في الخطاب الرسمي ووافق الخطاب الإسرائيلي، وثمة مثلح مستعمرة في الخطاب اليساري، ومصطلح مغتصبة في الخطاب الحزبي الديني. أما بالنسبة للقدس فينتج الخطاب الفلسطيني وتحديدا الرسمي مصطلحات تؤكد تقسيم القدس، واحدة فلسطينية والخرى إسرائيلية، بل يطابق مصطلحا إسرائيليا في وصف الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ وهو (القدس والضفة الغربية). ومن خلال تحليل هذه المصطلحات وتفكيكها كما ورد في متن البحث، تبين ومن خلال إجراء مقارنة بين تقابلية للمصطلحات في الخطابين الفلسطيني والإسرائيلي بشقيه، نجد أن بعض المصطلحات الإسرائيلية قد هيمنت على الخطاب الفلسطيني في جوانب عديدة، فأخذ هذا الخطاب العديد من المصطلحات الإسرائيلية وأعاد إنتاجها كما وأنه أنتجها في الأصل.

ما يعني إعادة إنتاج الرواية الإسرائيلية فلسطينية في حالات معينة، وبصرف النظر عن وعي الخطاب الفلسطيني بشقيه الإعلامي والسياسي بذلك أم لا، فإن تكريس تلك المصطلحات في الخطاب الفلسطيني يؤدي إلى تضارب معرفي وتاريخي لدى المتلقين الفلسطينيين وهم الجمهور المستهدف من الخطاب الفلسطيني، وهو الذي ينشأ عادة بين ما اكتسبه المتلقي من دلالات لتلك المصطلحات من مصادر متعددة وتحديدا المنهاج المدرسي وبين ما يبثه الخطاب الفلسطيني الذي قد يتعارض مع تلك المكتسبات. ويرى الباحث أن سبب ذلك هو عدم إدراك منتج الخطاب الفلسطيني للدلالات المترتبة على توظيف تلك المصطلحات في مضمون الخطاب سواء السياسي أو الإعلامي.

عندما وُضعت المصطلحات الفلسطينية والإسرائيلية في وضع تقابلي، تبين أن الخطاب الإسرائيلي بشقيه الإعلامي والسياسي، وبعد مراجعة مصطلحاته أنه يبنها ليس قصديا وفقا لقصده المتكلم منتج الخطاب، وإنما بناها وفقا لمعناه الدقيق المطلق لتفهم دلالة المصطلح مباشرة وليس من السياق فحسب، لتنتج دلالة معرفية أو سلوكية أو نفسية تخدم غرضا سياسيا أو دينيا أو تاريخيا. ويستند في ذلك إلى مراجعه الخاصة وأهمها « التوراة » ولاسيما حين يتصل الأمر بمصطلحات دينية أو تاريخية، لإطلاقها على مواقع تاريخية أو جغرافية فلسطينية بقصد تغيير مسمياتها وبالتالي إنتاج معرفة جديدة تزيج المعرفة الأصيلة وتطمسها.

بينما تبين أن كثيرا من المصطلحات الفلسطينية (مستعمرة، جدار الفصل العنصري)، على سبيل التمثيل أنتجت وفقا لقصده المتكلم مكثفيا بفهم الدلالة من السياق، ولم يأخذ بعين الاعتبار

فهم المستمع المتلقي) لهذه المصطلحات، وهذا ما أضعف دلالة العديد من المصطلحات التي لها نظير إسرائيلي تناقضي ذات معنى مطلق.

التوصيات

استخلاصا من النتائج التي توصل إليها البحث، فإن الباحث يوصي بأهمية فكك الخطاب الفلسطيني من تبني مصطلحات إسرائيلية حتى لو كان التواطؤ بينها تواطؤوا لغويا وإن اختلفت الدلالة، ولذلك يقترح البحث مصطلحات بديلة إما اشتقتها من قاعدة اصطلاحية قائمة مثل الاحتلال اشتق منها مصطلح محتلة للدلالة على فعل الاستيطان، أو مصطلحات مهملة تجاوزها الخطاب الفلسطيني مثل مصطلح « فلسطينيو ٤٨ » « بديلا عن مصطلح « عرب إسرائيل»، أو نحتها مستندا على واقع جغرافي وتاريخي مثل مصطلح « الوسط الشرقي من فلسطين» بديلا عن مصطلح الضفة الغربية.

ويوصي الباحث الجهات الفلسطينية ذات العلاقة (وزارة الإعلام، وزارة التربية، وزارة الثقافة، نقابة الصحفيين...)، العمل على إعادة صياغة مصطلحات متداولة في الخطابين السياسي والإعلامي الفلسطيني، صياغة تنتج دلالة ذات معنى دقيق ومطلق وعدم الاكتفاء بالدلالة القصصية التي تُفهم من سياق النص الذي يرد فيه المصطلح، إذا يثير ذلك إركات متباينة لدى المتلقين. وقد أتى البحث في منته على تحليل لهذه المصطلحات مبينا أنواع دلالاتها، وبذلك يمكن الاستفادة مما بينه التحليل.

قائمة المراجع

- بلبل، نور الدين. الارتقاء باللغة العربية في وسائل الإعلام. الدوحة. ٢٠٠١.
- الجابري، محمد. تكوين العقل العربي. بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية. ١٩٩١.
- دعمس/ أحمد. الجملة معناها وأقسامها عند النحويين والبلاغيين. القدس : دار الجندي. ٢٠١٢.
- هندواي، عبد الحميد. الجرجاني عبد القاهر دلائل الأعجاز تحقيق . / ط١/ دار الكتب العلمية/ لبيروت/ ١٤٢٤هـ-٢٠٠١م.
- الحديدي، إيناس كمال. المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث. الاسكندرية : دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر. ٢٠٦.
- حسام الدين، كريم زكي. التعبير الاصطلاحي: دراسة في تأصيل المصطلح. القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية. ١٨٥.
- الحيادة، مصطفى طاهر. من قضايا المصطلح العربي اللغوي. الكتاب الثاني. عالم الكتب الحديثة. إربد : الأردن. ٢٠٠٣.
- الحيادة، مصطفى طاهر. من قضايا المصطلح العربي اللغوي. الكتاب الأول. عالم الكتب

- الحديثة. إزبد : الأردن. ٢٠٠٣.
- يونس ، إيلان. مكانة الوسط العربي في إسرائيل. موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية.
- يقين، تحسين. خطورة المصطلحات الإسرائيلية في الإعلام وسبل مواجهتها. الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب. ٢٠٠٨.
- الكراعين، أحمد نعيم. علم الدلالة بين النظرية والتطبيق. بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. ١٩٩٣.
- بن مالك، أسماء. إشكالية المصطلح اللساني والسيماثي من الفرنسية إلى العربية : معجم « المجيب » لأحمد العايد أنموذجا. رسالة ماجستير منشورة (على الإنترنت). جامعة أبي بكر بلقايد. تلمسان : الجزائر. ٢٠١٤.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حنيكة. ضوابط المعرفة. دمشق : دار القلم. ٢٠١١.
- المسيري، عبد الوهاب. الموسوعة الصهيونية. ٢٠٠٣.
- عبد العزيز، زينب. حائط اليراق. القاهرة : منشورات دار الحرمين. ٢٠٠١.
- علي/ نبيل. العقل العربي والمعرفة. الكويت : عالم المعرفة. ٢٠٠٩.
- عتيق، عمر. تأثير المصطلح الصهيوني على الهوية الثقافية. ٢٠١٤.
- فهمي، خالد. المعاجم الأصولية في العربية. القاهرة : إيتراك للنشر والتوزيع. ٢٠٠٥.
- الفهري، عبد القادر الفاسي. المعجم العربي : نماذج تحليلية جديدة. الدار البيضاء : دار توبقال للنشر. ١٩٨٩.
- فراغنة، حماد. ثورة الأقصى في جناحي الوطن. عمان : جريدة الدستور. الخميس / ١٥ / ١٠ / ٢٠١٥.
- صوي، يوسف. تأثير الإعلام الإسرائيلي على القضية الفلسطينية وحقيقته. رسالة عملية. جامعة البتراء. الأردن. ٢٠٠٧.
- الشوملي، قسطندي. مدخل إلى علم اللغة الحديث. القدس : جمعية الدراسات العربية.
- الخطيب، علاء. تأثير المصطلحات الإعلامية الغربية على الخطاب الإعلامي العربي. مركز النور للدراسات www.alnoor.ser./article. ٢٠٠٧.
- خريشة، نيهان. المصطلح الإعلامي الإسرائيلي : دلالات وتفكيك. مجلة شؤون فلسطينية. عدد ٥٨. رام الله. فلسطين.
- غابرييل، بيتريرغ. المفاهيم الصهيونية للعودة. رام الله : مدار. ٢٠٠٩.
- غاليم/ محمد. التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم. المغرب : دار توبقال للنشر. ١٩٨٧.

” الْقُدْسُ مِنْ حَيْثُ الْأَفْظَاظِ الدَّالَّةِ عَلَيْهَا فِي شِعْرِ سَمِيحِ الْقَاسِمِ

»

(دِرَاسَةٌ دِلَالِيَّةٌ)

د . جلال فيصل إبراهيم عيد
أستاذ علم اللغة المساعد - جامعة القدس المفتوحة .

مُلخَّص:

لقد جاءت هذه الدراسة لتتناول حضور القدس في شعر سميح القاسم؛ حيث تتناول الألفاظ الخاصة بالقدس، ودلالاتها التي استلهمها من التراث الديني على تنوعه بما يشي بقداستها، ومكانتها التي رسخت في القلوب وفي العقول، وتعمقت في الوجدان؛ حيث نجد القاسم قد وظف كثيراً من معاني الإنجيل والتوراة والقرآن الكريم وألفاظها في شعره، وبخاصة في ديوانه «أخذة ييوس» .

Abstract:

“Jerusalem and its Lexical Indicators in Samih Al-Qasim’s Poetry”

Jerusalem has been in the heart of his Al-Qasim’s poetry to the extent that he named one of his poetry collection (The amulet of The Princess Yabus) after the ancient name of Jerusalem Yabus. Describing Jerusalem, Al-Qasim was inspired by what has been written in the Holy Quran, the Bible , the Gospel about Jerusalem in addition to the stories of prophets as a means to explore the connotational meanings of the lexical components related to Jerusalem. The objective was then to show the historical and religious position of Jerusalem throughout history. The use of Jerusalem and its synonymous names reflect the richness of Al-Qasim’s cultural and historical knowledge which enabled him to describe the social and political situation of Jerusalem over time especial under the Canaanite era.

المقدمة

لقد احتلت مدينة القدس مكانةً مُميّزةً في قلوب الملايين من العرب والمسلمين وأحرار العالم لا تكاد تخفى على أحد من الدارسين والمهتمين بعدالة القضية الفلسطينية بعامّة، والقدس بخاصّة. وكانت قد نالت هذه المدينة العتيقة العريقة بعد تأسيسها قبل خمسة آلاف عام أو يزيد على أيدي البيوسيين العرب مكانةً عظيمة، ومنزلةً رفيعة، وحظيت من التشريف والتكريم مما لا يتاح لغيرها من المدن، وقد نالت من المحن والأهوال بعد أن عبثت بها أيدي الخراب والدمار، ما حفر في تضاريسها عميقاً، وبقيت آثارها شاهداً عليه إلى يومنا هذا؛ لكنّها استعادت هدوئها وأمنها في عصر النبوة وبعده بمئات السنين؛ بحيث أصبحت مشهداً لا يكاد يغيب عن أنظار الأدباء والكتاب والمتقّفين من مختلف المشارب والأجناس، فقد ارتبطت بالأديان السماوية، وأصبحت مهوى أفئدة المؤمنين كافة، ولكنّها ارتبطت بصورة خاصة بالإسلام والمسلمين من خلال المكانة التي احتلتها في العقيدة الإسلامية وفي التاريخ الإسلامي وفي تراث المسلمين منذ أن خف إليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ليتسلمها من أهلها، قاطعاً عهداً لله أن يصون أموالهم وكنائسهم وأن يرضى حقوقهم، ويحقق لهم الأمن والسلامة؛ فمُنذ ذلك اليوم إلى الغزو الصهيوني للقدس والمسلمون يحتضنون المدينة المقدّسة احتضان الأم لوليدها، ويحنون إليها حنو المرضعة إلى رضيعها. وإن تدمير القدس من قبل الاحتلال الصهيوني، ومحاولة تهويدها، وتزييف تاريخها، جعلها هاجساً في المخيلة الشعرية الفلسطينية، وقد شكّل الشعراء الفلسطينيون المعاصرون - ومنهم سميح القاسم، ومحمود درويش وراشد حسين ومعين بسيسو،... وغيرهم - من خلالها جمالياتهم الشعرية؛ فصورة القدس المقاومة هي بمثابة البيت الذي يشكّل الجسد والروح، وقد تنتهي نهاية فاجعة عندما يُفقد هذا البيت، فيعمد إلى استرجاعه والانتساب إليه. فمن القدس تبدأ الحرب ومنها يبدأ السلام. وشاعرنا الكبير: سميح القاسم، وهو ابن فلسطين الذي عايش القضية الفلسطينية واكتوى بعذاباتها له حضورٌ في هذا المشهد الذي نحاول تسليط الضوء عليه في ثانيا هذا البحث الذي اعتمد الباحث فيه على المنهجين: الوصفي والتحليلي.

ويعدّ الشاعر سميح القاسم (١٩٣٩م - ٢٠١٤م) من رموز الشعر الفلسطيني الحديث، ومن أبرز شعراء فلسطين المناضلين الذين دفعوا ثمن نضالهم ووطنيتهم خلف القضبان؛ حيث سُجن غير مرة بسبب أشعاره النارية ومواقفه السياسيّة، وهو من الذين أولوا القدس اهتماماً في قصائدهم؛ حيث خصّها في أغلب دواوينه الشعرية، بل أطلق على أحد الدواوين اسم «أخذة الأميرة ييوس»، مؤمناً بأن القدس ليست مجرد جغرافيا، واحتلالها ليس مجرد عدوان عابر عليها؛ بل هي بالنسبة له ولغيره من الشعراء المخلصين عدوان على حرّيته وكيانه وتماسكه وكيونته وبهجته الإنسانيّة.

• المبحث الأول: الدلالات المستوحاة من الديانات الثلاث:

لقد استحضّر القاسم مدينة القدس في غير قصيدة للتعبير عن علاقته الحضارية بها، فاستطّقها ونقل تاريخها وصمودها، وإشراقها النوراني، وإظلامها بالاحتلال الصهيوني الغاشم،



مُسْتَوْحِيًا عِبَارَاتٍ وَمَعَانِي مِّنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ خَاصَّةً بِمَدِينَةِ الْقُدْسِ، إِضَافَةً إِلَى قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِيُكْشِفَ اللَّفْظَ وَيُحَصِّنَ الْمَعْنَى الدَّالَّ عَلَى مَكَانَةِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَقُدْسِيَّتِهَا، وَلِتَكُونَ ظِلَالُ الْمَعَانِي أَكْثَرَ إِضَاءَةً وَأَشَدَّ عُمْقًا عَلَى الْمَدْلُولِ؛ فَتُعْطِيَ الْمُتَلَقِّيَ دِلَالَاتٍ مُّشْعَةً وَمُتَشَعِّبَةً لِلصُّورَةِ، وَهَذَا - مِمَّا لَا شَكَّ - يُثْرِيهَا.

أَوَّلًا: الْمَعَانِي الْمُسْتَوْحَاةُ مِنَ التَّوْرَةِ:

يقول الشاعر، سَمَحَ الْقَاسِمُ:

الْأَرْضُ خَرِيَةٌ وَخَالِيَةٌ وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ
ظَلْمَةٌ وَرُوحُ اللَّهِ يَرْفُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ ...
قُولِي: « لِيَكُنْ نُورٌ » فَيَكُونُ نُورٌ (٢).

فِي النَّصِّ التَّوْرَاتِيِّ (الْمَزْمُورُ ١٢٧، وَالْمَزْمُورُ عِبَارَةٌ عَنِ نُصُوصِ تَوْرَاتِيَّةٍ يَوْمِنُ بِهَا الْيَهُودُ، وَقَدْ تَمَّ تَحْرِيفُهَا لِثَلَاثِمِ طَبِيعَتِهِمْ): عِنْدَمَا خَلَقَ اللَّهُ بَدَايَةَ الْكَوْنِ، قَالَ: « لِيَكُنْ نُورٌ » فَيَكُونُ نُورٌ. أَمَّا سَمِيحُ الْقَاسِمِ - هُنَا - فَيَجْعَلُ مِنَ الْمُخَاطَبَةِ (أَنْتِ) ذَاتَ مَكَانَةٍ مُّقَدَّسَةٍ، بَلْ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا، فَقَدْ مَنَحَهَا صِفَةَ الْخَلْقِ بِقَوْلِهِ: « قُولِي { لِيَكُنْ نُورٌ } فَيَكُونُ نُورٌ ».

وعندما يقول القاسم:

بِاسْمِكَ أَنْتِ كَأَنَّكَ كُنْتِ دَائِمًا (٣).

نَسْتَحْضِرُ فِي أَذْهَانِنَا أَنَّ الْقُدْسَ ظَلَّتْ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ إِحْدَى الْبُؤْرِ الْمَرْكَزِيَّةِ لِلْوَعْيِ الدِّيْنِيِّ الْيَهُودِيِّ، حَيْثُ تَظْهَرُ الْإِشَارَةُ إِلَى اسْتِعَادَةِ الْقُدْسِ فِي الصَّلَاةِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ (شَمُونَا أُسْرَاي) الَّتِي تُتْلَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَوْمِيًّا. كَذَلِكَ، فَإِنَّ عِبَارَةَ شَهِيرَةَ تَقُولُ: « إِنْ نَسَيْتِكَ يَا أُورُشَلِيمَ تُنْسِي يَمِينِي » لَهَا جُزْءٌ مِنْ تِلَاوَةِ الشُّكْرِ الَّتِي يُرَدِّدُهَا الْيَهُودُ بَعْدَ تَسَاوُلِ الْوَجِّبَاتِ خِلَالَ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ؛ حَيْثُ جَاءَ سَمِيحُ الْقَاسِمِ لِيُؤَكِّدَ هَذِهِ الدَّلَالَاتِ فِي قَصِيدَتِهِ « إِذَا نَسَيْتِ يَا قُدْسُ »، فَيَقُولُ:

لِتَنْسِنِي يَمِينِي

إِذَا نَسَيْتِ الْقُدْسَ

وَلْتَخَلِّدْ عَلَيَّ جِبِينِي

وَصَمَّةَ عَصْرِ الْمَوْتِ وَالْجُنُونِ

وَلِتَنْسَ وَجْهِي الشَّمْسُ

وَلِيَنْعَبِ الْبُومُ عَلَيَّ صَوْتِي وَأَطْفَالِي وَزَيْزِفُونِي

إِذَا نَسَيْتِ الْقُدْسَ ! (٤).

وَإِنْ كَانَ الْيَهُودُ يَسْتَمِدُّونَ شَرْعِيَّةَ مَطَالِبِهِمْ بِالْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ مِنْ تَعَالِيمِهِمُ الدِّيْنِيَّةِ الْمُسْتَوْحَاةِ مِنَ التَّوْرَةِ، فَإِنَّ هَذِهِ التَّوْرَةَ ذَاتَهَا تَقُولُ: « مِنْ أَجْلِ أَنْ مَلَكَ يَهُودًا أَسَاءَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ عَمِلَهُ الْأُمُورِيُّونَ الَّذِينَ قَبْلَهُ، هَا أَنْذَا أَجْلِبُ شَرًّا عَلَى أُورُشَلِيمَ وَيَهُودَا، وَأَمْسَحُ أُورُشَلِيمَ كَمَا يَمْسَحُ وَاحِدُ الصَّحْنِ » هَؤُلَاءِ قَدَاسَةٌ وَأَيُّ وَعْدٍ إِلَهِيٍّ هَذَا الَّذِي يَبْقَى بَعْدَ أَنْ يَمْسَحَ « الرَّبُّ » « أُورُشَلِيمَ » وَيَرْفُضُهَا.



ولو كان الهيكل والقدس مقدسين لدى اليهود - كما يدعون - لما عبد الشعب الإسرائيلي آلهة أخرى. ناسين الرب وهيكله وناعتين بيت المقدس والهيكل بأبشع الأوصاف، وهو ما يتضح من توراتهم وأسفارهم (٥).

ثانياً: المعاني المستوحاة من الإنجيل:

تعدُّ (أورشليم) القدس المكان الذي كان يسوع (السيد المسيح) يُقيم فيه ويبشّر فيه وحيث توفي وبعث بعد الموت، وفي حين أن العامل السماوي بدلاً من الأرضي هو الذي يؤدي الدور الأكبر في المسيحية، غير أن بعض الأماكن الواردة في (العهد الجديد) مثل موقع رسالة المسيح وآلام المسيح استقطبت الحجاج والمصلين خلال قرون عدة، من ضمن تلك المواقع: كنيسة القيامة وحديقة الكنيسة الجثمانية وموقع العشاء الأخير، وطريق آلام المسيح مع محطاتها الأربع عشرة. ينتمي المسيحيون في (أورشليم) القدس إلى الكنائس والطوائف المختلفة في المسيحية، وينتمي بعضهم إلى الكنائس الشرقية، في حين ينتمي البعض الآخر إلى الروم الكاثوليك والكنائس الشرقية المتحدة بروما والبروتستانتية (٦).

ولقد وظف القاسم كثيراً من معاني الإنجيل وألفاظه في شعره. ومرد ذلك إلى الانفتاح الثقافي الذي يعيشه الفرد داخل حدود عام (١٩٤٨م)، فنجدّه يستخدم ألفاظاً مثل (القديس بطرس) (٧)،

ويضمّن المعاني المسيحية، فيقول:

يلهون بصلبك في الميدان

يلهون بصلبي في الميدان

وأفبق على ضربة الإيمان (٨).

ثالثاً: المعاني المستوحاة من القرآن:

أما في الديانة الإسلامية فللقُدس مكانة خاصة لدى المسلمين، لا تقل عن مكانتها لدى أصحاب الديانات السماوية الأخرى؛ فهي أولى القبلتين، وثالث المسجدين الشريفين اللذين تُشدُّ إليهما الرحال، وإليها أُسري بالرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - ومنها عرج إلى السماء، وفيها صلى بالملائكة. وقد نص القرآن الكريم على أنها مباركة، باركها رب العالمين هي وما حولها وذلك في الآية الأولى من سورة الإسراء: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير» (٩).

هذا، بالإضافة إلى ما ذكره المفسرون في تفسير بعض آيات القرآن الكريم وما حوته من إشارات إلى مكانة القدس في الإسلام. كما أشار إليها الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - حينما حض على زيارتها في الحديث الصحيح: «لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» (١٠). يقتبس القاسم ألفاظاً من القرآن الكريم، لتجسيد صورته الشعرية، لإضافتها على الصيغة مزيداً من الواقعية، وجعلها أشد أثراً وأعمق نفوذاً، وتصيغ المعنى



بدلالة تتسم بالوضوح والدقة، وعند استقراءنا للمجموعة الكاملة يتبين لنا أن سميحاً يقتبس من القرآن الكريم ألفاظاً ومعاني آيات كاملة؛ فهو يصبغ شعره بالألوان والأصباغ القرآنية عمداً وتلقائية لإثراء الصور الشعرية التي تُعطي دلالات وإحياءات مغايرة لمعناها الأصلي (١١).

ما «سقر» لا بُدَّ أن أمضي

عذابي وردةً وفمي حجرٌ (١٢).

القدس هي القلب النابض للأمة، ولا بُدَّ من الحفاظ عليها؛ لأنها الامتداد للإنسان العربي

والمسلم، يقول القاسم:

مباركة أنت

يا أول الحب

صحراء

من قابض الماء بالنار ١٩

من جرد السر من قدسه ١٩

ومن جرد القدس من سرها ١٩ (١٣).

لعل استخدام الشاعر أسلوب الاستفهام، وتكراره الجمل الاستفهامية المصدرية (من) ما هو إلا نوع من التحفيز للخروج من دائرة الاستسلام إلى دائرة الفعل؛ حيث استخدم اللغة بما يتلاءم مع مشاعره؛ فجاءت لغته طائفة شكلها بطريقته الخاصة.

والقدس بين النكبة والنكسة قد تغير وجهها، وتغيرت معالمها باحتلال العدو الصهيوني لها، فلم تعد تلك المدينة تفتخر بأنها عروس العروبة، ولم يعد لها ذاك الحضور، ولهذا يتساءل الشاعر:

ما اسمك يا عروس ١٩

نسيبت ٩ ... بيوس.

ليل على القباب

مئذنة سادرة في الدهر

وامرأة بالباب

مرتابة بسائح يمر

وعسكر أغراب (١٤).

يتضح من هذا المقطع شووق الذات الشاعرة إلى القدس، ليس باعتبارها مساحة جغرافية فحسب، بل لأنها تشكيل روحي وديني مشبع بالحضور التاريخي العربي الإسلامي، ولا يمكن اقتلاعها من النفوس (١٥). وقد جاء المكان صورة للوضع الاجتماعي والسياسي في هذه المدينة، حيث وفق القاسم في إعطاء هذه الصورة، وهذا يدل على عمق شعوره بهذه المدينة، ومدى اندماجه معها؛ فالعلاقة بين الإنسان والمكان تترك أثرها على شعر الشاعر، فالبعد بين القاسم والقدس بعد مكاني وليس بعداً روحياً (١٦).



• المبحث الثاني: الألفاظ الدالة على القدس في بقية شعر القاسم:

لقد جاء اهتمام القاسم في شعره بمدينة القدس ضمن مساحة واسعة؛ إذ أفرّد لها ثلاث قصائد (١٧): جاءت الأولى بعنوان: « زنابق لمزهرية فيروز »، والثانية فهي بعنوان: « فسيفساء على قبة الصخرة »، وأما الثالثة فهي موسومة بعنوان: « أخذة الأميرة بيوس ». وعندما نتصفح المجموعة الكاملة تطالعنا مجموعة متنوعة من الألفاظ الدالة على القدس تنبئ عن مدى ارتباط الشاعر بهذه المدينة المقدسة، كما تتم عن سعة ثقافته الدينية والتاريخية التي حاول توظيفها في قصائد مختلفة، جاء منها:

١ . بيوس: إذا كان (موتيف) القدس قد تردّد في رموز الديانتين الإسلامية والمسيحية بشكل خاص، فإن كثيراً من الأدباء والشعراء (ومنهم سميح القاسم) من قد عاد إلى التاريخ القديم للقدس مستخدماً كلمة (بيوس)، وهو الاسم الأول لمدينة القدس (منسوب إلى البيوسيين، بناءً على القديس الأوائل، وهم بطن من بطون العرب القدماء) مؤكداً الامتداد التاريخي للمدينة، ممّا يجعل المتلقي يشعر بمكانتها وبأهميتها الروحية والقومية والوطنية. وما هو شاعرنا يصدر ديواناً مستقلاً بعنوان « أخذة الأميرة بيوس » يضم سبع قصائد تبدأ بقصيدة « البيان قبل الأخير: عن واقع الحال مع الغزاة الذين لا يقرأون »، وتنتهي الديوان بالقصيدة السابعة « أخذة الأميرة بيوس » التي اتخذ منها الديوان عنواناً له. وتشمل القصيدة سبع أخذات، والأخذة لغة: هو ما يحتال به في السحر، والأخذ: هو الأسير، ويقال: هو أسير فتنة وأخذ مخنة. والأخذة: المرأة تُسبى في الحرب، وما اغتصب من شيء فأخذ عنوة (١٨) .. وقد لاحظنا أن

الشاعر ضمن القصيدة سبعة (تخطيطات) هي رقي، فيها رسوم وحروف في أشكال متباينة، والقصيدة تقع في سبع مقطوعات، وفيها رد غير مباشر على أولئك الذين يدعون بداية تاريخ القدس بأنها كانت في زمن الملك داود.

والشاعر - هنا - يلجأ إلى لغة السحر تارة، وإلى اللغة الصوفية تارة أخرى، وكأنه كاهن جديد يتلاعب بالحروف القدسية. ومن هنا نجد القاسم يبدأ قصيدته بلوحة طلسمية يعبر عنها بالأشكال والرموز، مترجماً ذلك بقوله:

جَزَعاً مَسْكُوناً بِالْحَمَى.

يَرْقُمُ حَيَوَاتِ الْأَعْمَى.

فِي لَوْحِ الْأَجْرِ الْمَدْهُونِ بَزِيَّتِ الْمَعْبُدِ.

أُخِذَةُ حَيَوَاتِ الرَّائِي.

لأميرة مدن الدنيا ونساء الأرض « بيوس » (١٩).

ممّا يوحي به هذا المقطع الشعري الذي استهل به القاسم الأخذة الأولى ما يفعله (حيوت الأعمى) وهو يرقم في لوح الأجر المدهون بزيت المعبد ما يعتقد به من وشم وعلامات سحرية



تحرسُ أميرةُ مُدِنِ الدُّنْيَا ونساءِ الأَرْضِ (بيوس) مَنْ غَدَرَ الغَادِرِ وطَمَعِ المُحْتَلِّينَ، لتَنْظِلَ صَامِدَةً فِي
وَجْهِ الغَزَاةِ ، رَابِطاً حَاضِرَهَا بِمَاضِيهَا؛ إِذْ إِنَّهَا مَحْرُوسَةٌ مَهْمَا اسْتَطَالَ الشَّرُّ، وَعَظُمَ أَمْرُ الغَزَاةِ،
حَيْثُ يُخَاطَبُ الإِلَهَ (أَيْل) المُقْتَدِرِ عَلَى الرِّغْبَاتِ بِقَوْلِهِ:
يا « إيل » المُقْتَدِرُ عَلَى الرِّغْبَاتِ

.....

يا « إيل » القُدَّوسُ
صَرَّفَ قَلْبَ بِيوسَ
مِنْ سَيْنِ السَّاحِرِ

حتى سَيْنِ المُسْحُورَةِ والمُسْحُورِ ..المَمْسُوسِ (٢٠).
ثُمَّ يَنْطَلِقُ إِلَى طَلَسَمِ الأُخْذَةِ الثَّانِيَةِ بِقَوْلِهِ:
مَنْ كُلِّ جِهَاتِ الأَرْضِ تَهَبُّ رِيَّاحُ الشَّهْوَةِ
لِتَسُوقَ لُقَاحَ الوَلَدِ المُسْكُونِ المَمْسُوسِ
إِلَى أَشْجَارِ البِنْتِ بِيوسَ
تَعْرِى مِنْ كُلِّ الأَنْوَابِ
تَطْرُدُهَا كُلُّ الأَبْوَابِ
يَأْتِيهَا الغَيْبُ بَأَنَّ يَدِيهِ الكَسُوتَةَ

وَالْيَهِ الخَطْوَةُ
وَلدِيهِ الحُظْوَةُ

وَيَكُونُ الوَلَدُ عَرِيساً
وَتَكُونُ البِنْتُ عَرُوسَ
هَذَا حُكْمُ إلهِ الحُبِّ

وهذا نَجْمُ البِنْتِ بِيوسَ (٢١).

وَيَصِلُ إِلَى الأُخْذَةِ الثَّالِثَةِ مُنَاشِداً الرِّبِّيَّةَ « عَشْتَار » قَائِلاً:
يا أَيُّهَا الرِّبِّيَّةُ عَشْتَارُ:
عَاشِقُهَا المَاءُ الأَوْحَدُ

فاصْطَلِبِ قَلْبَ بِيوسَ النَّارُ! (٢٢).

وَفِي الأُخْذَةِ الرَّابِعَةِ يَكْتَبُ كَاهِنُ العِشْقِ والشَّوْقِ أُخْذَةً بِنْتِ تُسَمَّى بِيوسَ إِلَى وِلْدِ رَأْسِهِ طَافِحٍ
فَوْقَ كُلِّ الرُّؤُوسِ، وَفِي قَلْبِهِ نَجْمَةٌ لَا تَنَامُ ... إِلَى قَوْلِهِ:

أَلَا وَارْفَعِي وَجْهَهَا نَحْوَهُ

أَلَا وَلْيَكُنْ قَلْبُ هَذَا الفَتَى البَدَوِيِّ الأَمِيرِ

مَلَاذَ بِيوسَ الأَخِيرِ .. (٢٣).



وفي الأخذة الخامسة يتضرعُ كاهنُ (إيل) أن تذهبَ في التَّيهَ ييوس؛ لأنَّ العاشقَ وحده هو المنحى والمنجى والدليل، والفرسُ وحده يقطفُ هذي الوردة .. ليصلَ بعدَ ذلك إلى الأخذة السادسة، وفيها تجوعُ ييوسُ كثيراً، وتضيقُ كثيراً، ولكنها تهتدي بصدى صوتِ العاشقِ.
وفي الأخذة السادسة نجدُ ييوسَ ضائعةً، ولكنها سرعانَ ما تهتدي بصوتِ العاشقِ، وينتهي القصيدة بتلاحمِ عشقِيَّيَ بينَ العاشقِ والمعشوقِ (إلى أبدٍ تتبعه)، يقول:

وليكنَّ أنْ تضيقَ ييوسُ
كثيراً تضيقُ ييوسُ
وليكنَّ أنها تجدُ القوتَ في بيته

وليكنَّ تجوعُ ييوسُ
كثيراً تجوعُ ييوسُ
وليكنَّ أنها تهتدي
بصدي صوتِه .. (٢٤).

من هنا، فإنَّ ييوسَ من حقِّ الفارسِ الكنعانيِّ، إنَّها الوردة التي يجبُ أن تظلَّ له بمباركةِ (إيل) القدوسِ (٢٥).

أمَّا في الأخذة السابعة (الأخيرة) فيعلنُ كاهنُ (إيل) أنَّه كاهنُ الرُّوحِ والقلبِ، جاءَ ليغرسَ في ليَّها نجمه، حيثُ يقولُ:
أغرسُ في ليَّها نجمه
وأزقُمُ بالنَّارِ والعِطرِ
في الماءِ والصَّخرِ
أزقُمُ أخذتها واسمها واسمُه (٢٦).

إلى أن ينتهي بقوله :
إلى أبدٍ أبدٍ تتبعه .. (٢٧).

* إيلياء

يا إيل المقتدرُ على الرِّغباتِ
مرٌّ ولبانٌ ويخورُ
وحداتُ نورُ
يا إيلُ القدوسُ
صرِّفَ قلبَ ييوسُ
من سِينِ السَّاحِرِ
حتَّى سِينِ المسحورةِ والمسحورِ (٢٨).

لقد تواصلَ القاسمُ مع الموروثِ الشعبيِّ فوظفَ أسطورةَ «إيل» (وهو الإله الذي احترمتَه الشعوبُ



السامية الغريبة جميعها منذ أبعد العصور؛ حيث كان (إيل) على بلاد كنعان جميعها) رمز القوة والقدرة، ليكون لديه القدرة على التحكم في مصير ييوس، فيردها إلى أهلها الشرعيين - الشعب الفلسطيني - .

ولعلّ الواقع المرير الذي تعيشه الأمة العربية، واقع الضعف والهزيمة والعجز عن استرداد الوطن المسلوب من أيدي المحتلّ الغاشم هو الذي جعل القاسم يلجأ إلى قوة أسطورية لكي تردّ إليه مدينته. فهو يستلهم التاريخ، كما يستذكر عبادات الأقدمين وواقع حياتهم ومعيشتهم واهتماماتهم.

٢ . حارة اليهود: في مدينة ييوس، هذه المدينة العريقة في تاريخها الكنعاني، الممتدة بجُذورها في أعماق الحضارة البشرية، يُصير العدو الصهيوني على ادّعاءاته بأحقّيته فيها، ويرجع هذا الحق إلى وجوده في هذه المدينة في مرحلة من تاريخه، لقد استطاع العدو أن يغرس في جسد ييوس ذلك المسمار الذي ثبت فيه وجوده تاريخياً في هذه المدينة، فمسماره هو حارة اليهود (أو حارة الشرف كما يُسميها المقدسيون)، وحائط المبكى.

رأيت مسمار جحا

مفقودٌ موجودٌ

رأيت مسمار جحا

موجودٌ مفقودٌ

رأيت مسمار جحا

في حارة اليهود (٢٩).

جاءت القدس في هذا المقطع من خلال حارة اليهود، ومن خلال هذا المكان أظهر القاسم الوجود اليهودي في هذه المدينة العربية، وهذا الوجود الذي بدأ يتغلغل في جسد هذه المدينة ساعياً إلى إلغاء هويتها العربية. وقد وظّف القاسم العبارة الشعبية (مسمار جحا) معتمداً على الخلفية التراثية لإحدى حكايات جحا، ليؤكد بطلان وجود الكيان الصهيوني في هذه البقعة المقدسة، ولعلّ تكراره عبارة (رأيت مسمار جحا) ثلاث مرّات لتبنيه الأمة العربية إلى الخطر الحقيقي الذي يهدد المدن الفلسطينية.

٣ . الزنبقة: يرمز سميح القاسم إلى القدس العتيقة بالزنبقة (زنبقة حزينة ، زنبقة بريئة ، زنبقة ريانة) ممّا يبرز أنّ لدى القاسم تعدداً وتنوعاً في الدلالات (٣٠)، على نحو ما يتضح في الأسطر الآتية من قصيدة « زنباق في مزهرية فيروز » :

زنبقة حزينة

من دم بنت عم

وجدتها مذبوحه

زنباق حمراء

ألوانها دماء



زنبقة بريئة

من مُقلة مَفْقوءة (٣١).

يصفُ القاسمُ مدينةَ القدسِ بِأَنَّها زنبقةٌ، لكنَّ هذه الزنبقةُ حزينةٌ بسببِ مُعاناةِ القدسِ وما حلَّ بها من قتلٍ ودمارٍ وتشريدٍ وحصارٍ وغير ذلك، ووصفَ الزنابقَ الحمراءً بألوانها الجميلةِ بالقدسِ الفارقةِ في بحرٍ من الدماءِ الحمراءِ من كثرةِ شهدائها الذين سقطوا دفاعاً عنها.

٤ . الأرض: الأرضُ في شعرِ القاسمِ محلٌّ يَقَعُ أحياناً مَوْقعَ الجُزءِ، المقصود: القدس، أو جنين أو غزّة؛ ففي قصيدة «مزموّر الفلسطيني» يقول:

في الأرض الكليمة.

أُيها العالم

تدعوك العصافيرُ اليتيمة

من غزّة الثكلي

ومن جنين والقدس القديمة (٣٢).

٥ . الشمس: والشمسُ في شعرِ القاسمِ تتصرّفُ لدلالاتٍ تقعُ على معنى البعثِ والتجدد، يقول:

أشرقَت الشمسُ ثانيةً واستعاد الطُريقُ

القديمَ حُطى العابرينَ القدامى (٣٣).

والشمسُ أيضاً دلالةٌ على ييوس، يقول:

ما من ييوس وداعاً

وداعاً ترابُ الترابِ

وشمسُ الشمسِ (٣٤).



الخاتمة

إنَّ شاعرنا الكبير: سميح القاسم، وهو ابنُ فلسطين الذي عايشَ القضيةَ الفلسطينيةَ واكتوى بعداباتها، له حضورٌ في هذا المشهد، مشهدِ القدس وأهميتها التاريخية والدينية، وقد جاءت هذه الدراسةُ لتتناولَ حضورَ القدس في شعره؛ حيثُ تناولت الألفاظَ الخاصةَ بالقدس، ودلالاتها التي استلهمها من التراثِ الدينيِّ على تنوعه، بما يثري بقداساتها، ومكانتها التي رسخت في القلوب وفي العقول، وتعمقت في الوجدان.

لقد أشعرنا القاسمُ بأنَّ المكانَ (مدينة القدس) قد ذابَ في دمِ النَّصِّ، وأنه تحوَّلَ إلى مخلوقٍ جديدٍ يجمُلُ صفاتٍ جديدة. ونخلُصُ إلى القول: إنَّ القدسَ ستبقى أميرةَ مدُنِ الدنيا، وستظلُّ موضوعاً شعرياً ورمزاً فلسطينياً قومياً يستخدمُ الأماكنَ المقدَّسةَ، ويستلهمُ التاريخَ للتأكيدِ على حقِّ الفلسطينيِّ في مدينته، مؤكداً وجوده في هذه المدينة العريقة، من خلال تعبيره الدائم عن مدى حبه لها. وقد يصلُّ هذا الحبُّ إلى درجة العشقِ من خلال استلهامِ التاريخِ الكنعانيِّ ومزجه بأصداءِ كهنته، وذلك للتدليلِ على أحقيةِ العربِ في هذه المدينة، وللردِّ على المدَّعينَ بها. هذا، وقد خلصنا إلى النتائج الآتية:

- قُدرةُ القاسمِ على توظيفِ الكثيرِ منَ معاني التَّوراةِ والإنجيلِ والفاظهِما في شعره. ومردُّ ذلك إلى الانفتاحِ الثقافيِّ الذي يعمِّشُه الفرْدُ داخلَ حدودِ عام (١٩٤٨م).
- إنَّ سَميحاً يقتبسُ منَ القرآنِ الكريمِ ألفاظاً ومعاني آياتٍ كاملة؛ فهو يصبِّغُ شعره بالألوانِ والأصباغِ القرآنيةَ عمداً وتلقائيةً لإثراءِ الصُّورِ الشعريَّةِ التي تُعطي دلالاةً وإيحاءاتٍ مُغايرةً لمعناها الأصليِّ.
- إنَّ لدى القاسمِ تعدداً وتنوعاً في الدلالاتِ الخاصةَ بالقدس، ليسَ باعتبارها مساحةً جغرافيَّةً فحسب، بل لأنها تشكيلٌ روحيٌّ ودينيٌّ مُشبعٌ بالحضورِ التاريخيِّ العربيِّ الإسلاميِّ، ولا يُمكنُ اقتلاعه منَ النفوسِ.
- قُدرةُ سميحِ القاسمِ على التَّواصلِ معَ الموروثِ الشَّعبيِّ منَ خلالِ توظيفِ الأسطورةِ.

- انتهى -



هوامش البحث

- ١ . جواد بحر الننتشة، مكانة بيت المقدس بين نصوص الوحي وحركة الإنسان، ص ٢٣ .
- ٢ . سميح القاسم، الأعمال الشعرية الكاملة (مجموعة شعرية)، مج٤، ص٣٢ .
- ٣ . المصدر نفسه، مج٤، ص٣٥ .
- ٤ . إبراهيم نمر موسى، ذاكرة المكان وتجلياتها في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة عالم الفكر، ص ٧١ .
- ٥ . عبد الوهاب المسيري، اليهود واليهودية والصهيونية، ص ١٥ .
- ٦ . يوسف يوسف، القدس المرجعية الدينية شكل آخر للصراع، مجلة صامد الاقتصاد، ص١٠٧ .
- ٧ . سميح القاسم، الأعمال الشعرية الكاملة، مج٤، ص٢٥ .
- ٨ . المصدر نفسه، مج٤، ص٣٢ .
- ٩ . القرآن الكريم، سورة الإسراء، آية (١) .
- ١٠ . يوسف يوسف، القدس المرجعية الدينية شكل آخر للصراع، ص ١٠٨ .
- ١١ . رقية زيدان، التغير الدلالي في شعر سميح القاسم، رسالة ماجستير غير منشورة، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠١م، ص ١٠ .
- ١٢ . سميح القاسم، الأعمال الشعرية الكاملة، مج٣، ص١٤٨ .
- ١٣ . المصدر نفسه، مج٣، ص١٤٢ .
- ١٤ . المصدر السابق، مج٣، ص١٤٢ .
- ١٥ . إبراهيم نمر موسى، توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة عالم الفكر، ص ٣٧ .
- ١٦ . عادل الأسطة، القدس في الشعر العربي المعاصر، مجلة الشعراء، ص ٤٨ .
- ١٧ . سميح القاسم، الأعمال الشعرية الكاملة، مج١، ص١٤٤ .
- ١٨ . إبراهيم أنيس وزملاؤه، المعجم الوسيط، مادة : أخذ .
- ١٩ . سميح القاسم، أخذة الأميرة يبوس، ص ٦٥ .
- ٢٠ . المصدر نفسه، ص ٦٥ .
- ٢١ . المصدر نفسه، ص ٦٧ .
- ٢٢ . المصدر نفسه، ص ٦٧ .
- ٢٣ . المصدر نفسه، ص ٦٨ .
- ٢٤ . المصدر نفسه، ص ٦٩ .
- ٢٥ . المصدر نفسه، ص ٦٩ .
- ٢٦ . المصدر نفسه، ص ٧٠ .
- ٢٧ . المصدر نفسه، ص ٧٠ .



٢٨. سميح القاسم، الأعمال الشعرية الكاملة، مج ٣، ص ٣٨٥.
٢٩. المصدر نفسه، مج ٣، ص ١٤٥.
٣٠. رقية زيدان، التغيّر الدلالي في شعر سميح القاسم، ص ١٢٣.
٣١. سميح القاسم، الأعمال الشعرية الكاملة، مج ١، ص ٢٨٦.
٣٢. المصدر نفسه، مج ١، ص ٢٧٢.
٣٣. المصدر نفسه، مج ١، ص ٢٧٣.
٣٤. المصدر نفسه، مج ١، ص ٢٧٤.

قائمة المصادر والمراجع والدوريات

١. الأسطة، عادل، القدس في الشعر العربي المعاصر، (مجلة الشعراء، العدد ٢٢، ٢٠٠٢م).
٢. أنيس، إبراهيم وزملاؤه، المعجم الوسيط، (مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٦٤م).
٣. زيدان، رقية، التغيّر الدلالي في شعر سميح القاسم، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠١م).
٤. القاسم، سميح، أخذة الأميرة بيّوس، (دار النورس الفلسطينية للصحافة والنشر، القدس، ١٩٩٠م).
٥. القاسم، سميح، الأعمال الشعرية الكاملة، (دار الهدى، ١٩٩١م)، مج ٤.
٦. المسيري، عبد الوهاب، اليهود واليهودية والصهيونية، (دار الشروق، بيروت، ١٩٩٩م).
٧. موسى، إبراهيم نمر، توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني المعاصر، (مجلة عالم الفكر، الكويت، مج ٣٣، العدد الثاني، ٢٠٠٤م).
٨. موسى، إبراهيم نمر، ذاكرة المكان وتجلياتها في الشعر الفلسطيني المعاصر، (مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الرابع، مج ٣٥، أبريل - يونيو ٢٠٠٧م).
٩. الننتشة، جواد بحر، مكانة بيت المقدس بين نصوص الوحي وحركة الإنسان، (مركز دراسات المستقبل، الخليل، ٢٠٠٦م).
١٠. يوسف، يوسف، القدس المرجعية الدينية شكل آخر للصراع، (مجلة صامد الاقتصاد، العدد ١٢٧، آذار، ٢٠٠٢م).

القدس في شعر الحركة الأسيرة الفلسطينية

د. فادي صقر عصيد

وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية

الملخص

يعرض هذا البحث لجزئية من جزئيات الشعر الفلسطيني المعاصر، ومرافقته لقضيته الأم، وهي قضية التحرر والخلاص من الاحتلال، ولأن القدس هي لب هذه القضية فقد كانت ملهمة للشعراء الفلسطينيين والعرب، وذلك لما لها من منزلة عظيمة، ومكانة جليلة في نفوسهم، وعلى الأخص منهم من عاش تجربة السجن، واكتوى بنار القيد، فكان شعرهم الأصدق عاطفة، والأرق إحساسا، فحضرت القدس في شعرهم حضورا لافتا، وتقنوا بها غناء الحب المشتاق، ورسموا لها صورة الفنان المبدع، وقد هدف هذا البحث إلى إظهار ملامح الصورة التي رسمها هؤلاء الشعراء للمدينة المقدسة، وبيان القيمة الدينية والوطنية لهذه المدينة، والوقوف على نظرة هؤلاء الشعراء للوسيلة التي تعود فيها القدس تتسم عبير الحرية وتستنشق أريجها، وبيان الجانب الفني والأسلوبي لهذه الأشعار، وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يسير وفق المنهج الاستقصائي الذي يستقصي هذه الأشعار ويؤوبها، والمنهج التحليلي الذي يحلل هذه الأشعار مبرزا ملامح الصورة، وقد خلص البحث إلى عدد من النتائج أبرزها: شكلت القدس إلهاما كبيرا لشعراء الحركة الأسيرة فهي حاضرة في وجدانهم رغم قسوة حياتهم داخل السجون، وكذلك فقد رسم هؤلاء الشعراء صورة متعددة الجوانب، واضحة المعالم لهذه المدينة المقدسة دينيا ووطنيا، كما ظهر عندنا الطريقة المثلى التي يراها هؤلاء الشعراء لعودة القدس وهي طريق المقاومة المسلحة والرفض لكل أشكال التفریط بهذه المدينة، وقد جاءت أشعارهم ذات لغة خاصة ومميزة، وحافلة بالاقتراسات الدينية، والتناص بأنواعه .

المقدمة:

حظيت القدس منذ ان تأسست بمكانة عظيمة عند الأمم والشعوب، التي تعاقبت على بلاد الشام، حيث حظيت بمنزلة لم تحظ بها مدينة، أخرى، وقد تعاقب عليها الغزاة من كل حذب وصوب، وكلهم يبغى منها وصالا، وفي عصرنا الحالي ترزخ المدينة المقدسة تحت نير الاحتلال الصهيوني الذي مارس كل أنواع النذل والقهر ضد المدينة وأهلها، وقد قاوم الشعب الفلسطيني هذا الاحتلال بكل ما يملك من وسائل المقاومة التي أتاحت له، فدفعت لذلك ثمنا باهضا من دمار وخراب وتهجير واعتقال، فزجَّ خيرة أبناء هذا الوطن في سجون العدو المنتشرة فوق تراب فلسطين، وكان من هؤلاء الأسرى العلماء والمفكرون والشعراء، وقد أسهم هؤلاء كل بطريقته في زرع الوعي بقضيتهم وقضية مدينتهم المقدسة حتى وهم خلف القضبان.

لقد لعب الشعراء والأدباء دورا هاما في توعية الناس بقضية القدس، وخاصة الأسرى الذين يعيشون مع هؤلاء الشعراء في غرف لا تصلح إلا للأموات، وقد سجل هؤلاء الشعراء ما حدث للقدس في تاريخها وحاضرها، وقد عبروا عن تلك العلاقة التي تربطهم بهذه المدينة المقدسة، ولأن الشعراء الأسرى هم الأرهف شعورا، والأرق إحساسا، فقد تحدثوا عن وجع القدس وألمها، ووصفوا جمالها وروعها، وتحدثوا عن تحريرها والطريق الموصول إليها.

وقد كان لي شرف الالتقاء بعدد من هؤلاء الأسرى الشعراء، والاستماع لقصائدهم، وهنا ظهرت فكرة هذا البحث، وللأسف فإن كثير من هؤلاء الشعراء لم تصل أشعارهم إلى القراء وبقيت حبيسة الأدراج، وقد تواصلت مع عدد من هؤلاء الشعراء الذي أرسلوا لي ما كتبه من أشعار حول القدس، إضافة إلى دراسة عدد من الدواوين الشعرية التي كُتِب لها النشر والانتشار. لقد اقتضت طبيعة هذا البحث ان يسير وفق المنهج الاستقصائي الذي يستقصى هذه الأشعار ويبيها، والمنهج التحليلي الذي يحلل هذه الأشعار مبرزاً ملامح الصورة التي رسمها هؤلاء الشعراء للمدينة المقدسة، وقد جاء البحث في أقسام أربعة القسم الأول كان حول جمال القدس وقداستها عند هؤلاء الشعراء، والقسم الثاني أبرز معاناة القدس وأوجاعها من خلال أشعار هؤلاء الشعراء، أما القسم الثالث فكان لبيان وجهة نظر هؤلاء الشعراء في تحرير المدينة المقدسة والطريقة التي يجب أن تطرد بها المحتل، والقسم الأخير كان لدراسة بعض الظواهر اللغوية في شعر الأسرى حول المدينة المقدسة، وختم البحث بخاتمة أبرزت أهم النتائج التي توصل لها البحث.

القسم الأول: جمال القدس وقداستها

رسم شعراء الحركة الأسيرة صورة مميزة ورائعة لمدينة القدس وجمالها، وقد جاءت هذه الصورة متناثرة في ثنايا قصائدهم وبين أبياتها، فجاءت هذه الصورة كأنها قمر منير في ليل الظلم الحالك الذي تعيشه القدس بسكانها وجدرانها ومآذنها، صورة لعت ملامحها في دجى الظلم الذي صورته قصائدهم، فهذا الشاعر الأسير عمر عطاطرة يبدع في رسم صورة الطهر والعفة والجمال للقدس فجمالها يشابه نكهة الليمون والنسرین ووجها في الصبح مزيج من هذا الجمال، ورائحة عطرها وواديها تشابه العنبر فهي من تراب طاهر حيث يقول:

تلق نكهة الليمون نسرينا

كوجه القدس في صبح

وحلق أيها الطائر

تنشق عنبر النسيمات في الوادي

وترب بلادنا الطاهر. (١)

أما الشاعر وائل محيي الدين فقد رسم في سجنه صورة رائعة جميلة لمدينة القدس التي تسكن في قلوب الشعراء وجوارهم، حيث جعل القدس في إحدى قصائده فتاة جميلة تستحق الغزل، فهي تشعل الشوق في قلب المحب العاشق، فقال:

إني لأقرأ سورة الإسراء تبض في عيونك

والزخرفات تصيح من على جدر المدينة في جفونك

هلاً رحمت مصلياً شد الرحال إلى رحابك

ضاققت به الدنيا فأرخی قلبه المضمن جوارك

فضمى لصدرك متعباً ذرف الدموع على قبابك (٢)

في الأبيات نرى الشاعر يطلب الرحمة من هذه المعشوقة، فهو قد شد الرحال إلى رحابها، ويطلب منها أن تضمه إلى صدرها، فهو متعب من البعد عنها، ويسبب ما تلاقيه هذه المدينة على أيدي اليهود الغاصبين، وهو يريد أن ينزف دموعه على قبابها وفي ساحاتها.

وفي بيت آخر يجتمع الشاعر مع محبوبته المقدسة على بلاط الشوق وهما يفرقان بالدعاء فقال:

وأنا وأنت على بلاط الشوق نغرق في الدعاء. (٣)

وبعدها يطلب منها أن تحمل عنه همومه، وهذه الهموم هي هموم مصدرها القدس، وما تعانيه من ظلم وسجن على أيدي بني اليهود، فقال:

فاحملي عني همومي واتركيني للسماء

علني ألقاك نجما ساطعاً

١ - عطاطرة، عمر، قصيدة مخطوطة

٢ - محيي الدين، وائل: قصيدة بعنوان يا قدس، مخطوط.

٣ - محيي الدين، وائل: قصيدة بعنوان يا قدس، مخطوط.

**تزهو به محاريب السماء.(٤)**

فهو يريد أن يرى كل الجمال في هذه المدينة الحزينة ويريد لها أن تتخلص من حزنها وتعود نجماً
ساطعاً في السماء، هذا النجم ليس كغيره من النجوم بل هو فتزهو به كل النجوم، وكذلك القدس
تزهو بها كل المدن وتفتخر بها كل القرى والأماكن.

وهذا المعنى أعاده الشاعر في قصيدة أخرى حين خاطب الأوغاد الذين يظنون أن القدس عندنا مثل
آية مدينة أو آية قرية فحسم شاعرنا الأمر مخاطباً إياهم بسخرية واستهزاء قائلاً:

فهل يعلم الأوغاد في هذه الدنيا

أن جنان الأرض قاطبة

لا تضاهي في القدس أدنى زقاق.(٥)

وهذا الجمال المتفرد لمدينة القدس ذكره الشاعر وليد خالد، حيث عاب على كل من يظن القدس
كغيرها، فالقدس من وجهة نظره هي كل الناس، وهي تحمل الهوية الإسلامية التي تستمد قوتها
وطهرها من الوحي الذي ينزل على الأنبياء والمرسلين، وهي طاهرة تأبى أن تفتح صدرها لكل
المعريدين والسكرارى، فقال:

يا من يظن القدس أي مدينة القدس كل الناس لكن خيرون

هذي هويتها الأصيلة آية يتلوه الهداة المرسلون

هل يحسب الشذاذ تفتح صدرها للمهر يسكر أهله ويعريدون(٦)

ومرة أخرى لا يتخلى الشاعر وائل محيي الدين عن الحب حتى في زمن الحرب وحين تشتعل النار
في قلب المدينة الرائعة الجميلة فهو يرسم لها صورة الصباح الجميل، صورة جمعت الحب بالحرب
والكره بالعشق جمعت الورد ورائحة المسك الذي تضح منه إنه صباح مقدسي مزين بالحب والعشق
والورد والمسك فقال في مقطوعة بعنوان صباحك مقدسي:

صباحُ الحبِّ حين الحربُ تشتعلُ

وهذي القدس من عينيك تكتحلُ

صباح الخيري يا قمرًا بنور العشق يكتملُ

صباح الخيري يا ورداً تَضَوَّعَ مسكُهُ الخَضِلُ(٧)

والشاعر الصحفي الأسير نواف العامر يرى أن القدس مقدسة من الآلهة وزينتها المسجد الأقصى،
وسر هذا التقديس هو الآيات الكريمة التي قدستها وخلدت ذكرها، فقال:

القدس صرح قدسه إله بأية ومسجدي الأقصى تاج حضارتي(٨)

٤ - محيي الدين، وائل: قصيدة بعنوان يا قدس، مخطوط.

٥ - محيي الدين، وائل: قصيدة بعنوان على نجوم القدس، مخطوط.

٦ - خالد، وليد: قصيدة القدس تعرف من تكون، مخطوط.

٧ - محيي الدين، وائل: قصيدة صباحك مقدسي، مخطوط.

٨ - العامر، نواف: قصيدة القدس صرح قدسه الآله، مخطوط.



وفي قصيدة أخرى يرى الشاعر في القدس فضاءه ويومه وأمسه وغيرها من آيات الجمال، فقال:

القدس قدسي والفضاء يومي وأمسي والعطاء
هي نبض روعي قومي يا سروري والفداء^(٩)

وفي أخرى أسبغ الشاعر على مدينته مظاهر جمال عديدة، رسم لها صورة تزخر بالصورة الرائعة والمتناقضة في آن فقال:

القدس حبي والغضب

يا نار قلبي واللهب

يا قبلتي الأولى

يا لوحة الشمس

يا ضوء القمر

أنت اللهب

أنت الخيول الباسلة

يا قدسنا...يا قدسنا

حان اللقاء

لقاء الحبيب بالحبيب. (١٠)

فالقدس عنده الحب والغضب في آن واحد... هي حبه وهي غضبه، بسبب ممارسات الاحتلال، القدس القبلة الأولى التي صلى لها المسلمون، ثم يُفدق الشاعر على محبوبته صوراً جميلة؛ فهي الشمس وضوء القمر، وهي الخيول القوية الباسلة، وهو ينتظر أن يلتقي بها ليس لقاءً عابراً بل لقاءً محب مع حبيبته بعد طول غياب وانتظار.

وفي برقيات الشاعر نواف نرى الصورة الجميلة للقدس مرة أخرى؛ فهي قبلة العشاق وهي حلوة الدار، وهي المرأة الجميلة الرائعة هي الحلوة التي تزين الدير، هي شجرة السرو القديمة منذ الأزل، وهذا تأكيد بطلان ادعاء اليهود بها، فهي صاحبة العيون السحرية الجميلة فقال:

يا قبلة العشاق

قلبي و روعي نائرة

....

قومي يا حلوة الدار

تزيني

للرعد القادم نشأتق

عفواً يا حلوة ديرتنا

....

٩ - العامر، نواف: قصيدة القدس ناري والضرام، مخطوط.

١٠ - العامر، نواف: قصيدة القدس حبي والغضب، مخطوط..



يا شجرة سرو أزلية
عناك قباب سحرية.^(١١)

وفي مقطع آخر يعيد الشاعر نواف في قصيدة بعنوان «بلاد القدس أوطاني» الصورة الشرفة الزاهية للمدينة المقدسة، فهي أحلامه وآماله فقال:

بلاد القدس أوطاني

واحلامي

وآمالي

وايامي وانسامي

وعطر الورد والزهرة

وشوق الشمس يا قمري

وشوك الصبر للغازي

سأطلق كل اطياري

إلى العلياء احضنها

بلاد القدس انشودة

لكل الكون معهودة^(١٢)

أما القدس عند الشيخ رائد صلاح فهي مدينة الجمال الذي ما بعده جمال، فهي مدينة الأنس والحاضر والأمس بل المستقبل كذلك؛ فالبهاء يزينها، ومباركة الله لها تحرسها، ويكفيها فخراً وثناء أن الأقصى تاجها، وهذا ما سطره الشيخ رائد في قصيدة له بعنوان «أي جمال أنت يا قدس» فقال:

أي جمال أنت يا قدس أي جلال فيك وأنس

أنت الحاضر أنت الأمس والمستقبل يا قدس

يكفيك ثناء لا يحصى أن التاج عليك الأقصى.^(١٣)

والأمر لا يختلف كثيراً عند الشاعر وليد خالد فقد وصف مدينة القدس بأوصاف غاية في الجمال والدقة فهي شاعرة، وجوهرة، وعروس، فقال في قصيدة طويلة له:

القدس شاعرة وصعب بحرهما يا مبحراً حائر عميق مكرها

القدس أغنية القصيدة حزينة يبكي السحاب إذا تغنى طيرها

القدس خطاب العروسة فتية ثارت وذن القدس يرهن كسرهما.^(١٤)

أوصاف متنوعة خلعتها الشاعر على مدينته المفضلة، فهي شاعرة يصعب على أي إنسان أن يبحر فيها، بل هي البحر العميق الذي يحتاج إلى الحذر حين الاقتراب منه، والقدس كذلك أغنية حزينة،

١١ - العامر، نواف: قصيدة برقيات، مخطوط.

١٢ - العامر، نواف: قصيدة بلاد القدس أوطاني، مخطوط.

١٣ - صلاح، رائد: زغاريد السجون، ط. ١، عكا: مؤسسة الأسوار، ٢٠٠٦، ص ٢٧٥.

١٤ - خالد، وليد: قصيدة القدس شاعرة، مخطوط.



وما هذا الحزن إلا بسبب الاحتلال وجرائمه، وكذلك هي العروس الجميلة غالية المهر وهناك خيرة الشباب الذي هم خُطابها، ومستعدون لتقديم الغالي والنفيس من أجلها وتقديم المهر المناسب لها. وهذه الصورة -صورة القدس العروس- أعادها الشاعر وليد في قصيدة أخرى بعنوان «القدس بين الصغار والكبار» فقال:

هي حرة مهر الحرائر من دم فليدفع الخطاب والأحرار.^(١٥)

إنها القدس الحرة العفيفة في نظر الشاعر وهذه الحرة العفيفة مهرها غال، وهو الدم والشهادة، والشاعر يتحدث الخطاب والأحرار على تقديم هذا المهر من أجل الحصول على هذه العروس الجميلة.

والأمر نفسه نراه عند الشاعر محمود الغريايوي فالقدس في نظره لا تقل أهمية عن عروسه التي فارقتها يوم دخل السجن وحالت بينهم القضبان، فهو في سجنه ورغم مساواة قيده إلا أن عروسه والقدس لا يمكن نسيانها فقال في قصيدته التي عنوانها بـ «سيرة الليل والبارود» وجمع بين عروسه والقدس.

وجدي توعدني باكراً

بشابوقة

إن نسيت عروسي

وقدسي^(١٦)

أما الشاعر هشام خطاطبة فقد عبر عن حبه للقدس وجمالها بطريقة مختلفة عن غيره من الشعراء، وذلك عن طريق مقارنتها مع مدينة أخرى يحبها الشاعر لجمالها وهي مدينة بغداد، فبغداد هي المدينة الأجمل عند الشاعر خطاطبة، ومثلها القدس وعبيرها ونسماتها، فعبيرها يمنح المجد والفخار، فقال في قصيدة بعنوان ابنة الهكسوس:

موتوا في نظري بغداد هي الأجمل

من كل مدائن هذي الدنيا

كالقدس عبير تنسنا

مجدا وفخارا تمنحنا^(١٧)

القسم الثاني: معاناة القدس وأوجاعها

قد تكون هذه المعاناة التي تعيشها المدينة المقدسة الأوفر حظا عند الشعراء الأسرى، وهذا يدل على حجم المعاناة التي تتعرض لها المدينة المقدسة تحت نير الاحتلال، وقد تنوعت مظاهر هذه المعاناة وهذا الاضطهاد، وقد أسهب الشعراء في وصف هذا الألم الذي تعيشه، وهذا الجرح الذي

١٥ - خالد، وليد: قصيدة القدس بين الصغار والكبار، مخطوط

١٦ - الغريايوي، محمود: إبداع نفحة، مجلة أدبية غير دورية إصدار اللجنة الثقافية الوطنية سجن نفحة، القدس: دار القسطل، ط١، العدد الأول، تشرين الأول ١٩٩٠، ص٢٢.

١٧ - حني، زاهر: من ادب الأسر، شعر المعتقلات في فلسطين، ط. ١، الأردن: دار دجلة، ٢٠١٦م، ص ٢٩٢، نقلًا عن مخطوط للشاعر.



يدمي جسدها، ويمزق وحدتها، فالشاعر الأسير عمر عطاطرة يطلق رسالة مناشدة لحماية القدس والحفاظ عليها ممن سرقوها واحتلوا أرضها، ودنسوا مشاعرها المقدسة ولكن للأسف لا أحد يجيب، فيقول شاعرنا في مقطوعة له:

تتأشد فيكم بقايا الضمير ونار الحمية يا مسلمون
وتستصرخ القدس أبطالها وتهتف فيكم ألا نسمعون
حرامي يُدنس من طغمة وأهل المروعة لا يهمسون
أبجثم علج على أضلعي ويبصر قومي ولا ينهضون
يعيث اليهود بأرضي فساداً وأنتم شهود بما يفعلون^(١٨)

في الأبيات السابقة لاحظ الشكوى والأسى والحسرة على لسان القدس، لما تتعرض له من انتهاكات وتدنيس حرمت، ولكن هذه الصرخة ترد للقدس مجروحة مكلومة فالعرب، لا يحركون شيئاً بل على العكس هم شهود على جرائم اليهود إن لم يساندوهم.

وفي مقطوعة صغيرة بعنوان (أم المدائن) صور لنا الشاعر الأسير عمر عطاطرة ما تعانيه القدس من الظلم والقهر على يد المحتلين الغاصبين، وعدّد لنا بعض هذه الاعتداءات التي يتخذها الصهاينة في حريهم ضد المدينة المقدسة، فقال في أبياتها الأولى:

أموصدة الأبواب أم المدائن تئن وتبكي تحت نهش البرائن
أتمنع في القدس الصلاة نكاية وتخرس كف البيغي صوت المآذن
يُدنس سكير المواخير مسجداً ويعيث أرياب الخنا بمواطني
أُبعد عن باحات طهرك عابد وتوضع أبواب لكشف المعادن^(١٩)

أبيات أربعة ضمت صنوف الألم والمعاناة التي تعانيها هذه المدينة المقدسة تحت الاحتلال، فالأبواب مغلقة أمام المصلين، مفتوحة لأعدائها؛ فهي تبكي على الحال الذي وصلت له المدينة نتيجة هذا الإغلاق لأبوابها، ومنع أهلها من الصلاة بها، وما هذا المنع إلا نكاية وعدواناً وفساداً، ولم يقف الأمر عند هذا بل عمل المحتلون على إسكات صوت الأذان، وأصبحت المآذن خرساء بفعل هذا الظلم المنتشر في المدينة.

ونرى في البيت الثالث من المقطوعة السابقة صورة ذلك الجندي الذي قام بالأفعال الدنيئة في المدينة المقدسة فهو سكير في المواخير والحانات، كل همه أن يُدنس البيت المقدس والمسجد الأقصى، وكذلك هؤلاء الزناة -كما صورهم- يعيثون فساداً في هذه المدينة وفي ساحات المسجد الأقصى. ثم نرى الشاعر يصف لنا أسلوباً آخر من أساليب الطغاة اليهود بحق المدينة المقدسة وأبنائها، وهو إبعاد أهل المدينة عنها وعن ساحاتها ومساجدها، ولمن لم يبعدهم عنها نراه يضع لهم الأبواب الحديدية الإلكترونية للكشف عن المعادن التي يستعملها الفدائيون الفلسطينيون للدفاع عن مدينتهم. ومن وجهة نظر الشاعر وائل محيي الدين نرى القدس تعاني الموت وتغرق في الدماء والقدس

١٨ - عطاطرة، عمر: مخطوط.

١٩ - عطاطرة، عمر: قصيدة أم المدائن، مخطوط.

خرجت من الحسابات بعد أن كانت كل النصوص تدور حولها، هذه المعاناة أبرزها الشاعر في قصيدة بعنوان «دموع على وجنة القدس» فقال:

القدس تغرق في الدما
تكلى تئن من العذاب

والقدس صارت خارج النص المقدس. (٢٠)

أما الشاعر نواف العامر فقد اشترك مع غيره في بثِّ لواعج الحزن ووصف حالة الحزن التي تعيشها المدينة المقدسة، فقال في مقطوعة صغيرة:

القدس الحزينة تنادي اليوم من وجع
والمسجد القبلي يئن تدينس المجرم

والساح تبكي حجارته من قهر فوالهفي. (٢١)

فالقدس حزينة لما يحدث بها من الاحتلال وهي تنادي على من يفك أغلالها لكن لا يجيب، وهي تناديه من وجع وألم، ويواصل الشاعر ذكر بعض معالم هذه المدينة المقدسة، فالمسجد القبلي يعاني ويقاسي تدينس اليهود الذين وصفهم بالمجرمين، أما الساحات فلا يختلف وضعها السيء عن بقية معالم المدينة فحجارة الساحات تبكي ألماً وحزناً.

أما الشيخ رائد صلاح فقد رسم صورة معاناة جديدة للقدس تحت الاحتلال أبرز مظاهرها بتشخيص وتجسيم واضحين، فالقدس تشكو الظلم، والأقصى يعاني سكرات الموت، والعدل في الصخرة الشريفة يقف باكياً حزيناً، ويكاد أن يُصاب بالجنون ويقرب من الانتحار، كل ذلك لما يعانيه من الاحتلال فهو سبب ضياع هذا العدل؛ فالاحتلال كله جور في جور، وظهرت هذه الصراحة في قصيدة حملت عنوان «رسالة إلى أولادي وأولاد كل سجين» فقال:

والقدس لبابة تشكونا
والمسرى فيها يحتضر

والعدل على الصخرة يبكي
ويكاد يجن وينتحر. (٢٢)

لا تختلف مظاهر معاناة الأقصى عند الشاعر خالد سعيد عن غيره من الشعراء فهو يراه يئن ألماً من ظلم الاحتلال، وما يفعله من نبش تحت أساساته وبنائه، فهو حلال لليهود الذي وصفهم بالقرود محرم على أبنائه وأحبابه الذين وصفهم بالبلابل؛ فالأقصى عنده -كعند غيره من الشعراء- أسير تحت حكم الاحتلال فقال في قصيدة قالها في سجن مجدو عام ١٩٩١ م .

والمسجد الأقصى يئن
وتحته نبش اليهود

في قدسنا تنزو القرود
وبلبل الأقصى طريد

يا أيها الأقصى الأسير
ألم تحن إلى السجود. (٢٣)

٢٠ - محيي الدين، وائل: قصيدة دموع على وجنة القدس، مخطوط.

٢١ - العامر، نواف، قصيدة بعنوان القدس الحزينة، مخطوط.

٢٢ - صلاح، رائد: زغاريد السجون، ص ٦٧

٢٣ - سعيد، خالد: ديوان الأسرى أولاً: ص ٣١



أما الشاعر المتوكل طه فقد صور لنا هروب العرب أمام الاحتلال الصهيوني لمدينة القدس، وتركوها وحيدة تجابه الغزاة القادمين والذين يسعون لتحويلها الى مدينة لهم، وحتى اسمها سوف يتم تغييره ليصبح أورشليم، والمسجد الأقصى سوف يزول ويحل مكانه الهيكل المزعوم وظهر ذلك في قوله:

وكيف نقول: إنا عند باب القدس

والعربان قد هربت

دخلتها لتصبح أورشليم الهيكل المزعوم؟ (٢٤)

والشاعر محمود الغريباوي رصد لنا معاناة القدس بطريقة مختلفة بعض الشيء عن غيره من الشعراء؛ فهي إنسان يستمع ويقرأ لما يحدث لأبنائها داخل السجون وما يجتاح صدورهم من الذكري والذكريات للذين رحلوا عن السجن وللذين أتوا بعدهم فقال:

ويكتب إسحاق للقدس، عمأ

يُهَيِّج في السجن - ذكرى الذين مضوا والذين أتوا. (٢٥)

وبعدها يراها ترصد وتراقب كل الأعداء المحيطين بها والمتريصين بأبنائها ويريدون القضاء عليها بعد أن وضعوا السكاكين حول عنقها، فهم ينتظرون الفرصة السانحة للإجهاز عليها، ومع كل هذا الجو المخيف والمرعب الذي تعيشه القدس نرى أنها لم تتسحب والحب والعشق؛ فهي مازالت تحفظ الحب وتسمع وشوشة العشاق الذي باحوا بحبهم وعشقهم في رباعها وفوق أسوارها، فقال:

والقدس ترصد كل السكاكين في عنقها وتحفظ وشوشة العاشقين. (٢٦)

والشاعر الغريباوي سوف يبقى صامداً واقفاً في وجه الاحتلال الذي أبعد القدس عن أبنائها وحال بينها وبين بقية المدن، فقال الشاعر:

لكننا سوف نبقي

وقوفاً سنبقى

إلى أن يمد على السور جسر إلى القدس أو يُسجى إلى القبر. (٢٧)

أما الشاعر خضر محجز فيستعرض مصيبة حزيران وما فعلته من دمار وخراب في المدينة المقدسة حتى ميراث الأنبياء لم يسلم من دنسهم وجرائهم .

من جديد حزيران يأتي إلى أورشليم ليحيي ذكرى اتحاد العصافير بالسيف في أورشليم

حزيران صاغ معاهدة الصلح من التراب وسيل الدماء

وفي اورشليم

يغنون للموت

٢٤ - طه، للمتوكل: فضاء الأعيان، قصيدة من أنصار ٣، ط ١، القدس دار الكاتب ١٩٨٩، ص ٣١.

٢٥ - الغريباوي، محمود: رفيق السالمي يسقي غابة البرتقال، ط ١، وزارة الثقافة، ص ١٥١.

٢٦ - الغريباوي، محمود: رفيق السالمي يسقي غابة البرتقال، ص ١٥١.

٢٧ - الغريباوي، محمود: رفيق السالمي يسقي غابة البرتقال، ص ١٥٢.

فوق رفات الشرائع والأثبياء.^(٢٨)

والشاعر نبيل الجولاني يسير على الطريق ذاتها في قصيدة (شظايا ولهب)؛ حيث صور جرائم الاحتلال يوم دخلوا المسجد الأقصى والمدينة المقدسة فقال:

في السابع من حزيران
غاب الظهر وانكسرت الشمس
يوم دخلتم القدس
انفرط حب الرمان
ومات في سمائها القمر^(٢٩).

صورة مأساوية رسمها الشاعر لدخول القدس في حزيران فقد دنسوا المسجد والمسرى وكسروا الشمس، ومات القمر بل قد فعلوا كل الجرائم وانتهكوا كل الحرمات. وكان لحريق الأقصى ردة فعل صاخبة عند الشعراء فنرى الشعراء يصورون الحريق وما حصل للأقصى حينها، فقال الشاعر برهان السعدي في قصيدة بعنوان «السجدة»:

رحلونا هجرونا واهدموا
كل بيت وأمضوا في أحقادكم
جامعات العلم والمهد أحرقوا
مسجد الأقصى وصبوا عاركم^(٣٠).

القسم الثالث: طريق النصر وتحرير الأقصى:

كانت - ما زالت - قضية تحرير الأقصى وفك القيد عن المدينة المقدسة الشغل الشاغل للشعراء الأسرى، فهم في أسرهم يخلعون عليها البؤس الذي يعانونه في أسرهم، فالتقيد الذي يطوق معاصمهم هو نفسه القيد الذي قيّد المدينة المقدسة وكبّل أبناءها، فنرى لكل واحد من هؤلاء الشعراء وجهة نظره في الطريقة التي يجب فيها تحرير الأقصى وتخليص المدينة من قيودها، فهذا الشاعر المتوكل طه يرى أن الفرحة ناقصة وأن نشيد الحرية والعزة لم يبتدئ، وعلينا أن نشعل الأرض بالثورة والنار وذلك لهدف واحد فقط هو اكتمال فرحة القدس وارتفاع الغناء في سمائها وظهر ذلك في قوله:

لم يبتدئ بعدُ النشيد

ولم يكن

إن لم يشعل كل هذه الأرض

مجد النار

٢٨ - محجز، خضر: اشتعلات على حافة الأرض، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، غزة، بالتعاون مع شركة فنون للطباعة والنشر، د.ت.ط، ص ٩٠.

٢٩ - الجولاني، نبيل: شظايا ولهب، منشورات وكالة أبو عرفة للصحافة والنشر مطبعة الشرق التعاونية، القدس، ١٩٧٦، ص ٩٧.

٣٠ - السعدي، برهان: الشعر على الدرب، مخطوط قيل في سجن جنيد المركزي، ص ٢٢.

إن لم تكتمل في القدس أغنيتي (٣١)

ومن الأبيات السابقة نرى الشاعر يحدد الطريقة التي سوف ترتفع بها الأغنيات في سماء القدس وهي طريق النار وهذا دلالة على الثورة التي هي سبيل التحرير.

وهذه الطريق هي ذاتها التي تحدث عنها الشاعر كمال عبد النبي؛ حيث يرى أن حماية القدس والأقصى لا يكون إلا بالنار والحرب ومواجهة القوة بقوة أكبر، فهو يقول:

إن حرقوا الأقصى يا ولدي

فقولوا بحق الأجناس

وتدمير الهيكل

هذا عشق في الروح.

في نفس الثائر يعظم (٣٢).

فالشاعر كما نرى يريد الرد بقوة على أي اعتداء على الأقصى، فإن تعرض الأقصى للحرق فالرد على هذه الجريمة يجب أن يكون أقوى بحق كل أجناس المحتل، وتدمير الهيكل الذي هو سبب الهجوم على الأقصى، والدفاع عن الأقصى في نظر الشاعر هو عشق في نفس الفلسطينيين وروحهم، وهذا الثأر من المحتل يعظم يوماً بعد يوم.

أما الشاعر وليد خريوش فيرى أن أعظم ما يمكن أن يحصل عليه الشعب الفلسطيني هو النصر على الأعداء المحتلين، وتوحيد أبناء الشعب الفلسطيني، وعلامة هذا النصر هو ارتفاع الأعلام فوق القدس فرحاً بالانتصار والتحرير، وهذا يدل على مركزية القدس في قلوب الفلسطينيين، فذكر القدس هنا يُقصد به فلسطين كلها، وإنما ذكرها دون غيرها لما لها من أهمية ومكانة فقال:

سننال ما نصبو إليه وننصّر _____ فكفى بكساءً

أيها الأقرام

فعدا نوحد شعبنا في أرض _____ والقدس تعلو فوقها

الأعلام

هذا نتاج من تواصل _____ لثورة _____ إن الطلائع

قادها القسام. (٣٣)

في البيت الأخير نرى وجهة نظر الشاعر في التحرير وأن هذا التحرير كان بسبب الثورة المتواصلة ضد الاحتلال الصهيوني، وهذه الثورة متواصلة منذ سنوات طويلة، قاد أوائل طلائعها الشهيد عز الدين القسام الذي جاهد ضد الاحتلال الإنجليزي لفلسطين واستشهد في منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي، وهذه الانتفاضة ما هي إلا مواصلة لدرج القسام في الجهاد والمقاومة ضد الاحتلال. والشاعر عمر عطاطرة يعتقد أن طريق التحرير واضح، والدفاع عن القدس لا يكون إلا بطريق

٣١ - طه، المتوكل: فضاء الأغنيات، ص ٣٨.

٣٢ - عبد النبي، كمال: مجلة إبداع نفحة، ص ٤١.

٣٣ - خريوش، وليد: مجلة إبداع نفحة، ص ٤١.



واحد واضح هو طريق النار والمواجهة فقط لهذا العدو الغاصب، فقال:

أيا قدس أذكى النار في وجه غاصب

وصبي جحيم الردى على كل خائن

بعضة أسناني بخمش أظفري

أقاوم أحمي العرض من كل شائن (٣٤).

فالشاعر سيقاوم المحتل بكل ما عنده من قوة، حتى أظفاره سيستعملها، وأسنانه سيجعل له دوراً في مهمة الجهاد والمقاومة ضد هذا العدو الفاشم.

والشاعر وائل محيي الدين يرى أن الطريق إلى القدس طريق صعب وشاق وفيه من التضحيات ما فيه، ومع ذلك فهو يستسيخ هذا الطريق ويتحمل كل شيء لأجل القدس ولأجل مدينته الحبيبة فهذه المدينة وقبابها ما غابت عنه لحظة حتى في أحلك أيامه داخل السجن فقال:

وعيني لا تزيغ عن القباب هنيهة

وأعلم أن الدرب مفروشٌ بآلاف الضحايا

لكنها القدس

والقدس وشمٌ ليس تلتفيه الخرافاتُ الشقية

كلا... ولا دُوَيْلاتُ النفاق

والقدس فجرنا الآتي وبلسمٌ روحنا

والقدس جرحٌ موغلٌ فينا

والقدس نزف العمرِ والترياق (٣٥)

وفي موضع أخرى يلتقي الشاعر وائل محيي الدين مع غيره من الشعراء في وسيلة التحرير لهذه المدينة المقدسة؛ فالتحرير لونه أحمر ولا يصنعه سوى صليل السيوف والخيول التي تعرف البيدر، فهو شاعر لا يخاف الموت من أجل القدس فقال:

صليل السيوف ينبؤنا

بأن القدس موعدا

وحقُّ البيت أن يُعمر

فمن صلّى لبيبتنا

نريقُ الدّم في خيبر

ومن ساح إلى ساح

تطوف خيولنا البيدر

ونُعلي راية القرآن نحميها

٣٤ - عطاطرة، عمر: قصيدة ام المدائن، مخطوط

٣٥ - محيي الدين، وائل: قصيدة على نُجوم القدس، مخطوط

نخوض الموت لا نقهر (٣٦)

نلاحظ استعمال الشاعر لألفاظ وعبارات ذات دلالات واضحة، فالدم سوف يُراق في خيبر وهي رمز لحصون اليهود في عهد النبي -عليه السلام-، وراية القرآن الكريم رمز للدين الإسلامي الذي سيعلو ويعود إلى القدس بعد طول الغياب بسبب الاحتلال الصهيوني. والشيخ رائد صلاح يلتقي مع غيره من شعراء الحركة الأسيرة في تقديم الغالي والنفيس من أجل القدس والأقصى، وأعلى ما يملكه الإنسان هو روحه ونفسه، فقال في قصيدة له بعنوان صرخة سجين:

ونحن الدرع للقدس الجزع الشامخ الهامه

ونحن الحصن للأقصى ونحن الجند مقدماه (٣٧)

فالشيخ صلاح يجعل من نفسه درعاً وحصناً للقدس ومعالمها المقدسة وأبرزها المسجد الأقصى، وهذه التضحية لأجل القدس والمسرى هي التي أدخلت الشيخ رائد إلى سجون الاحتلال مرات عدة، وقد عبر عن ذلك بصراحة تامة في قصيدة بعنوان « لماذا أنا في قفص الاتهام » فقال:

لأني الدرع للأقصى ودمع القدس بيكيني (٣٨).

وقد أسهب الشيخ رائد صلاح في بيان الطريق لتحرير القدس والأقصى؛ فهذه الطريق واضحة، والسبيل لتحرير الأقصى بين واضح في نظر الشيخ رائد صلاح، فهو لا يرى غير القتال والجهاد سبيلاً لتحرير الأقصى، والزحف إلى القدس واجب مقدس فقال:

وتقدم زحفاً للقدس القدس لنا خير معاقل

وتقدم ارفع في الأقصى للغة بيرقنا العادل

القدس لنا والأقصى لنا والخزي له فاصم قاتل (٣٩).

الشاعر في الأبيات السابقة يحسم الخلاف على القدس والأقصى فهي لنا نحن المسلمين، وما للاحتلال سوى الخزي والعار، ولكن هذا الحق لا بد له من صمود وتضحية وقاتل حتى ترفع بيارق المسلمين فوق الأقصى، وهذه البيارق لا ترتفع إلا بالزحف نحو القدس وطرد المحتلين منها.

وفي قصيدة أخرى نرى الشيخ رائد يستهجن غياب العرب عما يجري في الأقصى، فنراه يسأل عن الرجال الأقوياء الذين سيحررون الأقصى، وعن العرب ودورهم المقيت في الدفاع عن الأقصى فقال:

أخي إنه المسجد المغتصب ينوح حزينا يا للعجب

فأين الرجال وأين العرب فلم أسرج الفرس الأبلقا (٤٠).

فالأقصى حزين مغتصب هذا الأمر يدعو للعجب والاستغراب فكيف يكون ذلك، وأين رجال الأقصى

٣٦ - محيي الدين، وائل: قصيدة في القدس موعداً، مخطوط

٣٧ - صلاح، رائد: زغاريد السجون، ص ٤٨.

٣٨ - صلاح، رائد: زغاريد السجون، ص ١١٧.

٣٩ - صلاح، رائد: زغاريد السجون، ص ١٢٩.

٤٠ - صلاح، رائد: زغاريد السجون، ص ٢١٨-٢١٩.

وأين العرب مما يجري له؟ ولكن رؤية الشيخ رائد لتحريره واضحة وهو الحرب والقوة والتي استخدم لها رمزاً عليها وهو الفرس الأبلق الذي يشارك في المعارك بقوة. أما الشاعر وليد خالد فقد عرض في شعره وجهة نظره في تحرير الأقصى والمدينة المقدسة، وهذه الوجهة لا تختلف عن غيره من شعراء الحركة الأسيرة؛ فهو يرى أنها لن تعود إلا بالجهاد والتضحية وبإشغال الحرب مع الاحتلال فقال:

القدس شاعرة يحارب شعرها فاركب إليها الحرب هذا بحرها
أو كان عَرَضُ للنقاش عفافها عار أيعرَضُ للتفاوض طهرها^(٤١)

فالتريق واضح لا مرأى فيه من أجل القدس، إنه طريق الحرب والدماء، أما طريق المفاوضات فهو عار على من يقبل أن يُفاوض على طهر المدينة المقدسة؛ فالقدس أظهر - من وجهة نظر الشاعر - من هؤلاء المفاوضات ومن مفاوضاتهم.

وهذا المعنى أعاده الشاعر في قصيدة أخرى «القدس بين الصغار والكبار» فقال:

والقدس تأبى أن تعود بسلمهم أو أن يحررها أخي صغار
والقدس تأبى أن تعود بسلمهم أيعيد قدس الفاتحين صغار^(٤٢).

فالقدس وبكل وضوح وصراحة تأبى العودة بطريق التفاوض أو بطريق السلام، والذي سيحررها فقط هو الحرب والجهاد.

القسم الرابع: ظواهر لغوية

أولاً: اللغة الشعرية:

اللغة هي العنصر الفعال والمميز في العمل الأدبي شعره نثره، والشاعر هو ذلك الإنسان الذي لا يملك وسيلة أخرى غير اللغة لإيصال أفكاره ومشاعره وأحاسيسه^(٤٣). والشعر له لفته الخاصة التي تميزه عن لغة الكلام العادي، وهذه اللغة هي التي تعكس توجهات الشاعر الفكرية والأدبية، وقد استخدم الشعراء الأسرى حين تحدثوا عن القدس اللغة ذاتها التي يستخدمها غيرهم، لكنها تميزت عن غيرها بتلك المفردات المميزة والتي تختلف عن اللغة المستخدمة خارج السجن، فالسجن له حياته وعالمه الذي انعكس على طبيعة اللغة المستخدمة فهذا الشاعر وليد خالد يستعمل في سجنه وحين يحدثنا عن الأقصى ألفاظاً ذات دلالات توحى بنفسيته وطبيعة القضية التي يتحدث عنها؛ فنرى عنده القدس الحزينة والغازي والمعامع، والغزاة، والذئاب والمصونة والجهاد وغيرها من العبارات والكلمات التي تشي بنظرتة تجاه المدينة المقدسة ومحتلها ونأخذ مثلاً قوله:

قَبْلَ انتصاري أو أموت معززاً في القدس لا لن يهدأ المشوار

٤١ - خالد، وليد: قصيدة القدس شاعرة، مخطوط

٤٢ - خالد، وليد: قصيدة القدس بين الصغار والكبار، مخطوط

٤٣ - ينظر زياد، محمود موسى: الأدب الفلسطيني في سجون الاحتلال الإسرائيلي (١٩٨٧-٢٠٠٠) رسائل ماجستير غير منشورة جامعة بيرزيت ٢٠٠٦، ص ٦٨.



فَلَقَدْ وُلِدَتْ عَلَى جِوَادٍ رَاكِضٍ وَمَعِيَ حَسَامٌ صَارِمٌ بِنَارٍ
مَاضٍ لِمَعْرَكَةٍ يَخْطُ حِكَايَتِي فِيهَا دَمِي وَيَصُوغُهَا الْإِصْرَارُ
فَإِذَا سَقَطَتْ فَتْلُكَ أَمْنِيَّةُ الْمَنَى وَعَلَى دَمِي سَيُوَاوِلُ الثُّورَارُ^(٤٤) .

نلاحظ استعمال الشاعر لألفاظ الحرب والقوة والدمار والانتصار فالانتصار على العدو وطرده من القدس هو غايته، ولذلك استعمل عبارات وألفاظاً ذات دلالة خاصة بالنصر كالجواد والحسام الصارم البتار، وهي عدة المعركة، واستعماله لدمي توحى بطريقة تحرير القدس وقد كررها عدة مرات في قصائده حول القدس، وكذلك كلمة الثوار وما تحمله من دلالات معنوية ومادية في مواجهة الاحتلال بكل الوسائل.

وكذلك نرى لغة نواف العامر تعج بالألفاظ القدسية، وما فيها من ألم وذكريات؛ فالغازي هو نفسه والحبس الذي به المدينة المقدسة الكل يعرفه فقال في مقطوعة صغيرة:

متى تطلق يديها
من الحبس^(٤٥)

فكلمة الحبس توحى بكل القيود المفروضة على المدينة المقدسة فهي تشارك أبناءها حبسهم عند العدو الصهيوني.

وكذلك هو الموت عند الشعراء لأجل القدس يحلو ويطيب فهذا نواف العامر يستعمل لفظة الموت والدم وذلك لأجل القدس فقال:

دعني أموت عاشقاً
لعيون القدس^(٤٦).

أما الشاعر وليد خالد فقد وظف تركيباً استعمله الشاعر أبو فراس الحمداني في شعره، وذهب مثلاً عند الناس وأصبح يتردد على ألسنتهم في كثير من المواقف فقال:

والقدس بدر الحالكات جميعها في الليلة الظلماء يُفقد بدها^(٤٧).

أما الشيخ رائد صلاح فقد استعمل لغة سهلة غير متكلفة، حوت الفاظاً موحية بالمعنى الذي يريده الشاعر، فكلمة (دمار والمحاصر، والخوارج)، جاءت في حديثه عن محاولات اليهود تحويل الأقصى لغير أصحابه، فقال:

تبغي دمار المسجد الأقصى المحاصر بالكرب

تبغي إحالة قدسنا قدس (الخوارج) لا العرب^(٤٨)

إن استعمال الشاعر لكلمات مثل (دمار، والمحاصر، والكرب)، توحى بمدى المعاناة التي تعاني منها

٤٤ - خالد، وليد: قصيدة القدس بين الصغار والكبار، مخطوط

٤٥ - العامر، نواف: قصيدة عروس، مخطوط.

٤٦ - العامر، نواف: قصيدة شفتي تعض أختها، مخطوط

٤٧ - خالد، وليد: قصيدة القدس شاعرة، مخطوط

٤٨ - صلاح، رائد: زغاريد السجون: ص ٣٠١



المدينة المقدسة، وتطلعنا على عظم الخطر الذي يهدد المسجد الأقصى، فالدمار سيكون مصيره إن بقينا صامتين، أو على الأقل سيتحول لمعيد لغير أصحابه وهم اليهود، الذين أطلق عليهم لقب (الخوارج)، وهذا اللقب استعمله أهل فلسطين للمحتل الإنجليزي ومن بعده الاحتلال الصهيوني. وفي موضع آخر يستلهم الشيخ رائد صلاح لفظ (الغريان) الذي هو رمز للخراب والدمار في الموروث الشعبي الفلسطيني، ليدل على أفعال المحتل في المدينة المقدسة، المتمثلة التخريب والتدمير لمعالم المدينة المقدسة، فقال:

ولا ردت عن الأقصى أذى الغريان والسلب (٤٩)

ومن الظواهر اللغوية في شعر الأسر حول القدس، ميل بعض الشعراء إلى استعمال الشعر الشعبي (الزجل) في بعض مقطوعاتهم وقصائدهم، مثال ذلك ما نجده عند الشاعر نواف العامر إذ يقول في إحدى مقطوعاته:

يا قدسنا الله القوي من فوق
يحمي حماكي يخزي العدو الغدار
الله كتب ما ننتغلب ولا ننهزم
نمشي الدرب ما ننثني يا دار
قدسي ألي للمرجلي ناسي وهلي
نقسم قسم نوفي الوعد أحرار (٥٠)

ومن الظواهر اللغوية التي يمكن أن نسهم بها شعر الأسرى حول القدس، ظاهرة الحوار وإن كانت قليلة عندهم، إلا أنها تستحق أن نظهرها، فمثلاً الشهيد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي يستعمل الحوار بينه وبين نفسه التي تحاول أن تتمسك بالدنيا، فيصدها عن الراحة ويذكرها بالقدس التي تصرخ وتستغيث، فقال:

ماذا دهاك يطيب عيشك في الحزن؟ نشري النعيم وتمنطي صهو الصعاب
ماذا عليك إذا غدوت بـــــــلا وطن ونعمت رغد العيش
في ظل الشباب !

يا هذه يهديك ربك فارجعي
القدس تصرخ تستغيثك فاسمعي
والجنب مني بات يجفو مضجعي
فالموت خير من حياة الخنع
ولذا فشدي همتي وتشجعي (٥١)

ومما ميز لغة شعراء الحركة الأسيرة حول قضية القدس، كثرة الألفاظ الإسلامية والدينية التي

٤٩ - صلاح، رائد: زغاريد السجون: ص ٢٣١

٥٠ - العامر، نواف: قصيدة يا قدسنا، مخطوط.

٥١ - الرنتيسي، عبد العزيز: ديوان حديث النفس، منتدى أجماع الفقائي، مكتبة آفاق، ٢٠٠٥، ص ٨٧.

ترجع في أصلها إلى القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، فمثلاً الشاعر وأثل محيي يستحضر عدة ألفاظ دينية منها سورة الإسراء، ومحارِب، وراية القرآن، فمثلاً يقول في قصيدة بعنوان «في القدس موعداً»:

جنود الحق في الميدان مسرعة
يقود جموعها أنور
يرتل سورة الإسراء في شوق
ليوم الوعد كي يثأر^(٥٢).

والشاعر نواف العامر يستعمل ألفاظ قرآنية ويستحضر شخصيات تاريخية مثل صلاح الدين فقال:

قم يا صلاح الدين هيا
وأسرج العاديات ضبحاً^(٥٣).

فالشاعر يستلهم الآية القرآنية «والعاديات ضبحاً»^(٥٤)، والعاديات هي الخيول القوية السريعة وهي سلاح الشاعر لتحرير الأقصى من المحتلين.

وفي قصيدة أخرى يستذكر الشاعر القدس من زاوية دينية أخرى، وهي منزلة القدس الدينية؛ حيث كانت قبلة المسلمين الأولى لقراية العام والنصف فقال:

وتبقى القدس قبلي الأولى
وقبلي^(٥٥).

والألفاظ الدينية الإسلامية نراها أيضاً عند الشاعر وليد خالد في أكثر من موضع منها مثلاً:

قل للعواصم إن تراقب قدسنا أخت العقيدة هان فيكم أمرها
حملتك وهنا أرضعتك لبانها حرسك لمسك من عدوك خمرها^(٥٦).

لفظة أخت العقيدة هي لفظ إسلامية ويقصد بها العقيدة الإسلامية، وعبارة حملتك وهنا تقودنا إلى قوله تعالى: {رَوَّضَيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ}^(٥٧).

ثانياً: استحضار الشخصيات التاريخية:

استلهم الشعراء المعتقلون التراث الإسلامي والتاريخي ووظفوه في أشعارهم حول مدينة القدس حيث استحضر العديد منهم الشخصيات التاريخية التي ارتبطت بالقدس وبالأقصى، ومثال ذلك الشاعر وليد خريوش التي استحضر الشيخ عز الدين القسام الذي قاد الثورة ضد الاحتلال الإنجليزي وذلك في إحدى قصائده التي عدَّ الثورة التي تحصل في فلسطين امتداداً لثورة القسام فقال:

٥٢ - محي الدين: وأثل: قصيدة في القدس موعداً، مخطوط.

٥٣ - العامر، نواف: قصيدة قبلة العشاق قنسي، مخطوط.

٥٤ - القرآن: العاديات، آية ١.

٥٥ - العامر، نواف: قصيدة قبلة وراحة، مخطوط.

٥٦ - خالد، وليد: قصيدة القدس شاعرة، مخطوط.

٥٧ - القرآن: لقمان، ١٤.



هذا نتاج من تواصل ثورة إن الطلائع قادها القسام^(٥٨).

والشاعر وليد خالد يستحضر الفاروق وصلاح الدين، فالفاروق هو الذي فتح القدس من الروم وصلاح الدين حررها من الصليبيين، فقال:

يدعوك شعبك يا صلاح الدين ثم حفت القلوب وناقت الأتظار
يا سيدي الفاروق في القدس التي حررتها يتجبر الفجار^(٥٩).

وفي قصيدة أخرى يجمع الشاعر الفاروق وصلاح الدين في بيت واحد حيث سيقودان جيوش الفتح لتحرير الأقصى فقال:

الفتاح الفاروق ثم صلاحنا بالأي والتتبير إنا قادمون^(٦٠).

وأعاد الشاعر استحضار صلاح الدين من خلال أحفاده الفاتحين الذين سوف يعبرون للنصر فوق الجسر المصنوع من رفات أبناء القدس وعظامهم، فهم قدموا كل شيء لأجل هذه المدينة المقدسة، فقال:

لنمد جسرا من عظام رفاتنا فيمراً أحفاد الصلاح الفاتحون^(٦١)

أما الشاعر خالد سعيد فيستحث صلاح الدين من أجل تحرير المسرى الذي هو أسير تحت وطأة الاحتلال وهو يضع لنا وجه نظره في تحرير المسرى فقال:

قم يا صلاح الدين من جدت لا يبتسم فالكفر في المسرى
واهتف بأهل القدس منتفضاً بعزيمة ستفتت الصخرا
والقدس مهما نابها غير ستضج يوماً ضجة كبرى
وتززل الطغيان نقذفه من أرضنا وتسوقه برأ
فلنا بها « طابو » يتنبه قرآنا في سورة الإسراء^(٦٢)

والشاعر نواف العامر يعتقد مثل غالبية الناس أن تحرير القدس لا بد له من صلاح الدين جديد يقود الجيوش لتحريرها، فقال مستفهماً ومتمنياً:

هل من صلاح يقود جيش الفتح عرمرم
لبيك جننا من فيافي الأرض جيشاً
يروم فتح باب المجد وسيفي بلسم^(٦٣).

فالشاعر سيلبي نداء القدس بطريق واحد وهو طريق الحرب الذي يقوده صلاح الدين وهو سيكون جندياً في هذا الجيش فالسيوف هي الشفاء لكل أوجاع القدس وآلامها.

وفي مقطوعة أخرى يستحضر الشاعر بعض القادة الذي ساهموا في دحر الأعداء على أرض

٥٨ - خيوش، وليد، مجلة إبداع نقعة، ص ٤١.

٥٩ - خالد، وليد: قصيدة القدس بين الصغار والكبار، مخطوط.

٦٠ - خالد، وليد: قصيدة القدس تعرف من تكون، مخطوط.

٦١ - خالد، وليد: قصيدة القدس تعرف من تكون، مخطوط.

٦٢ - سعيد، خالد: ديوان الأسرى أولاً، ص ٥٨.

٦٣ - العامر، نواف: قصيدة القدس الحزينة، مخطوط.

الشام في تاريخ الإسلام الطويل، فهذا صلاح الدين يعود من جديد في ذهن الشاعر ويصاحبه نور الدين زنكي فقال: بعد أن عرض للمذلة التي تعاني منها المدينة المقدسة حيث دنس طهرها أوغاد الخنازير وراح العدو يستبيح حماها وأرضها:

وانا العفيفة التي دنس طهرها، وغد الخنا خبيث القلب والمظهر

وانا في المذلة أرتمي يا لحسرتي، راح العدو بساحتي يغدو ويسهر

أوما فيكم رجولة الكردي يوسف أو الزنكي نور الدين بساحي يظهر

الله اكبر يا لعاركم الذي نخجل منه الديار البيد والحضر^(١٤)

والأمر نفسه عند الشيخ رائد صلاح الذي استحضّر صلاح الدين في ذهنه حين ذكر معاناة الأقصى والقدس، فهو يرى - كغيره - فيه مخلصاً لما يعانیه الأقصى والقدس فقال:

صلاح الدين يا بشرى هلا أهللت كالبدر

وهذي القدس تدعوكم لحطين على الكفر

وهذا المسجد الأقصى يناديكم من الأسر^(١٥).

فالشاعر يرى صلاح الدين البشري المنتظرة التي سوف تحطم أغلال القدس والأقصى، فقدومه سوف يزيل ظلام الاحتلال كما يجلو البدر ظلام الليل، والقدس تتادي عليه وتدعوه ليعيد مجد معركة حطين التي كانت سبباً مباشراً في تحرير القدس من الصليبيين عام ٥٨٣هـ والمسجد الأقصى أيضاً ينتظر قدومه ليخلصه من الأسر، فصلاح الدين في نظر الشيخ رائد هو الأمل وهو كتيبة النصر.

وفي قصيدة أخرى (من يجيب القدس؟)، يعرض الشيخ رائد عدداً من الشخصيات التاريخية كالصحابية والقادة المسلمين الذين كان لهم الدور في جهاد الغزاة وطردهم من هذه البلاد على مر العصور، وأولهم الفاروق عمر -رضي الله عنه-، الذي فتحها وخلصها من ظلم الروم في صدر الإسلام، وبعض قادة جيوشه كالمثني، وخالد بن الوليد، وخبيب بن عدي وكذلك صلاح الدين صاحب الفضل في تحريرها من الصليبيين، كما استذكر المعركة الفاصلة التي كانت سبباً في فتح القدس وهي معركة اليرموك، فقال:

القدس تسألنا عن الفاروق هل يوماً يعود

ومتى يصول مبارزا سيف المثني والوليد

ومتى صلاح الدين يرجع كي يفك لنا القيود

هل من خبيب يجيبي لبيك يا أم الصمود

القدس تسأل راية اليرموك عن أسرارها^(١٦)

ثالثاً: الإكثار من أساليب الاستفهام والنداء

٦٤ - العامر، نواف: قصيدة القدس العفيفة، مخطوط

٦٥ - صلاح، رائد: زغاريد السجون، ص ١١٤.

٦٦ - صلاح، رائد: زغاريد السجون، ص ١١٤.

لعل نظرة فاحصة في شعر الأسرى داخل سجون الاحتلال تطلعتنا على كثرة استعمال هؤلاء الشعراء لأسلوب الاستفهام والنداء، فهذان الأسلوبان يوحيان بالحالة النفسية الصعبة وحالة القلق والحزن التي يعيشها الأسرى داخل السجون. (١٧)، وخير مثال على ذلك قصائد الشاعر وليد خالد الثالث التي كتبها للقدس حيث جاءت هذه القصائد مليئة بمخزون الأسلوبين اللغويين، ومثال ذلك قوله في إنكاره على المفاوضين الذي عرضوا طهر المدينة وقداستها لمفاوضاتهم العبيثة:

يا راكباً للقدس متن تفاوض واهماً أيرخص في ضميرك أمرها؟
أو كان عرّض للنقاش عفافها عار أيعرض للتفاوض طهرها؟
أترى تصافح من تلطّخ كفه بدمائها و نحر فيما نكرها؟ (١٨)

إن الشاعر يرفض رفضاً قاطعاً طريق المفاوضات لإعادة المدينة المقدسة إلى أهلها، فنراه يعيب هذا الطريق على أصحابه؛ لأنهم لن يعيدوا حقاً، ولن يحرروا المدينة، فنراه يمتطهم باستفهامات كثيرة لتظهر عجزهم وضعفهم عن إعادة المدينة أو تحريرها. وفي المقابل نراه يستعمل الاستفهام لإثبات وجهة نظره فيما تحرير القدس وهي الحرب والمقاومة، وهذا ظهر في قوله:

وشراعنا (القسام) يكسر ريجهم لولا (الكتائب) كيف يمكن كسرها؟ (١٩)

فالطريق واضح هو السير على طريق القسام لتحرير القدس، واستعمال أسلوب الاستفهام في عجز البيت يثبت أن أي طريق غير طريق القسام لا يمكن أن يكون موصلاً إلى تحرير الأقصى. وتكرار الاستفهام جاء عند الشاعر نواف العامر حيث بحث عن يخلص القدس من براثن الاحتلال ويعيد لها مجدها، لكن لا أحد يفعل ذلك في هذا العصر، فاستجد بالاستفهام وبالسؤال عن صلاح الدين لعله يحررها، ثم أتبعه باستفهام يعيب على قيادة الشعب سكوتها وعدم قدرتها على إعادة الأقصى فقال:

والقدس من للقدس يهتك سترها؟ والغاصب الغدار يغصب حارتي
والقدس من للقدس يسرق كنزها؟ كره الوجه يغوي جارتي
والقدس من للقدس بات حداؤها؟ أين صلاح الدين أين قيادتي؟
والقدس من للقدس غار حراؤها؟ مهدد البنيان بالثكنات
والقدس من للقدس أين قبابها؟ يعلو أذاتها بالحسرات
يا قدس إنا بنوك فأبشري، الله أكبر غايتي والحياة حياتي (٢٠)

من الأبيات نلاحظ الاستفهام المتكرر والذي يعرض من خلاله لما تعانيه المدينة المقدسة من ظلم واغتصاب، فمن للقدس حين يهتك سترها؟ ومن للقدس حين يسرق كنزها؟ ومن للقدس حين يعلو الأذان فيها مكللاً بالحسرات؟ وأين القيادة؟ وأين صلاح الدين؟

٦٧ - ينظر زياد، محمود موسى: الأدب الفلسطيني في سجون الاحتلال الإسرائيلي

(١٩٩٧ - ٢٠٠٠)، ص ٧٤.

٦٨ - خالد، وليد: قصيدة القدس شاعرة، مخطوط

٦٩ - خالد، وليد: قصيدة القدس شاعرة، مخطوط

٧٠ - العامر، نواف: قصيدة القدس صرح قدسه الإله، مخطوط

إن عرض المصائب التي تحيط بالمدينة المقدسة بأسلوب الاستفهام نراه عند غير شاعر، مثلاً الشاعر عمر عطاطره يعرض بعض جرائم الاحتلال باستعمال أسلوب الاستفهام فقال:

أيجثم علج على أضلعي ويبصر قومي ولا ينهضون^(٧١)

ومثل هذا الاستفهام الذي هدفه بيان مأساة القدس والأقصى تحديداً نراه عند الشيخ رائد صلاح، في قصيدة كثرت فيها الاستفهامات، حتى عنوانها جاء بصيغة الاستفهام، (من يجيب القدس؟) وهذه القصيدة في جل أبياتها قائمة على الاستفهام، نأخذ منها بعض الأبيات توضيحاً لا حصراً.

القدس تسألنا أليس لعفتي حق عليكم؟

أنا في المذلة أرتمي يا حسرتي ماذا لديكم؟

أنا في المهانة غارق حتى متى أسفي عليكم!

ومتى تثور زحوفكم وتجيبيني: جئنا إليكم!

يا عاركم من ذي التي عن نصرتي شلت يديكم؟^(٧٢)

من خلال الاستفهام عرض الشيخ رائد ما تعانيه القدس والأقصى، فطهرهما دنسه الاحتلال، وهي تعيش ذليلة مهانة، تنتظر الثورة، متعجبة ومستغربة من عدم نصرتها بعد كل هذه السنوات.

أما الشاعر المتوكل طه فقد استخدم الاستفهام حين تحدث عن العرب الهاريين أمام المحتل، تاركين وراءهم مدينة القدس وحيدة تنتظر مصيرها، ومع ذلك يتبجحون أنهم مرابطون على بوابات القدس وهم الذين يسعون لتحريرها، وهو يخشى أن تتحول إلى أورشليم والأقصى يصبح الهيكل المزعوم، فقال:

وكيف نقول: إنا عند باب القدس

والعريان قد هريت

وخلتها لتصبح أورشليم الهيكل المزعوم؟^(٧٣)

أما أسلوب النداء فقد أكثر منه الشعراء؛ حيث عدوه وسيلة للتواصل مع القدس ومسجدها الأقصى، وبث الهموم لهما، وأحياناً لشحن الهمم والحث على تحريرهما وتخليصهما من الاحتلال، ومثال ذلك ما جاء عند الشاعر عمر عطاطره في نداءه للقدس، وحثه لها على مقاومة الاحتلال، وإشعال النار تحت أقدام الغزاة والخائنين:

أيا قدس أذكي النار في وجه غاصب

وصبي جحيم الردى على كل خائن^(٧٤)

والشاعر خالد سعيد ينادي الأقصى الأسير، ويتبع نداءه باستفهام حول حينه للسجود، وهذا السجود كناية عن عودة الأقصى حراً طليقاً، بعد طرد المحتل منه ومن ساحاته، حتى يعود أهله

٧١ - عطاطره، عمر: قصيدة مخطوطة.

٧٢ - صلاح، رائد: زغاريد السجون، ص ٢٨٥.

٧٣ - طه، المتوكل: فضاء الأغنيات، ص ٣١.

٧٤ - عطاطره، عمر: قصيدة أم المدائن، مخطوط.

للصلاة فيه، والسجود في محرابه، فقال:

يا أيها الأقصى الأسير ألم تحنّ إلى السجود؟^(٧٥)

أما الشاعر وليد خالد فقد أكثر من استعمال أسلوب النداء، في قصائده الثلاث التي تتحدث عن القدس والأقصى، فنراه يخاطب المفاوض عليها وينكر عليه هذا الفعل، وتارة نراه يخاطب المجاهدين الذين يرى فيهم الشهامة والقوة لتحرير المدينة المقدسة، وفي أخرى ينادي صلاح الدين والفاروق حاثاً إياهما على تحرير القدس وتخليصها من قيودها كما فعلاً سابقاً، ونراه في أبيات أخرى ينادي القدس ويبث لها همومه وحنقه على المفاوض الذي قبل أن يجعل هذه القضية المقدسة محل تفاوض مع المحتل، أما الشعب فلم يكن بعيداً عن الشاعر فقد ناداه في أكثر من موضع وحرصه على الجهاد والعمل على طرد المحتل، وعدم تسليم مصيره وقراره للمفاوض، فمثلاً يقول في قصيدة (القدس بين الصغار والكبار)

يا شعبنا المنكوب فيمن سلّموا أمر القرار فضيعوك وجاروا

يا شعب شادوا من دماك عروشهم وعلى دماك تقوّت الأشرار^(٧٦)

فالشاعر يستعمل أسلوب النداء لشعبه لتحذيره من أصحاب العروش الذين ضيّعوا القدس، وظلموا الشعب، وبنوا عروشهم ومجدهم من تجارتهم بدماء الشهداء وتضحياتهم. والأمر ذاته نراه عند الشاعر نواف العامر الذي أكثر من استخدام أسلوب النداء في أشعاره حول القدس، سواء أكان موضوع القصيدة بيان جمال الاقدس ومنزلتها في نفسه، أو لبيان ما تتعرض له المدينة المقدسة، ومنه مثلاً ما جاء عنده بالشعر الشعبي حيث يقول في قصيدة بعنوان «لعيون القدس»:

يا حلوة يا مزيوني مثل القمر وأحلى

بتنامي جوا عيوني أو قلبي إيه والله

.....

أنت القدس يا روحي أنت الأصل وأعلى

يا بلسماً لجروحي في القلب يا أهلاً^(٧٧)

وفي قصيدة أخرى للشاعر العامر بعنوان «حبيبتي يا قدس» ينادي الشاعر القدس معزياً لها نوم امتها وغفوتها الطويلة، وغفلتها عما يحدث للأقصى والقدس، فطال ليل الاحتلال، وعمتة السجان، فقال في أبيات جمعت بين النداء والاستفهام:

يا قدس أمتنا العتيدة غفوتها طالت وطال الليل يا عجبني^(٧٨)

أما الشيخ رائد صلاح فقد استعمل أسلوب النداء في عدد من قصائده حول القدس والأقصى،

٧٥ - سعيد، خالد: ديوان الأسرى أولاً، ص ٣١.

٧٦ - خالد، وليد: قصيدة القدس بين الصغار والكبار، مخطوط.

٧٧ - العامر، نواف: قصيدة لعيون القدس، مخطوط.

٧٨ - العامر، نواف: قصيدة حبيبتي يا قدس، مخطوط.

فتارة يخاطب المحتل الذي دنس طهر المدينة، على سبيل التحدي والوعيد له؛ ففي قصيدة (لا تلعبوا بالنار) يتحدى الشيخ رائد المحتل رغم قسوته وظلمة أسواره المحيطة بالأقصى قائلاً له:

يا أيها المغرقونا الأقصى بالأخطار
يا أيها الخانقونا القدس بالأسوار
يا أيها المفسدون لا تلعبوا بالنار
المسجد الأقصى أعلى وكيدكم إلى دمار^(٧٩)

لعل البيت الأخير يختصر الحكاية كلها، ويعطينا هدف الشيخ رائد من نداءاته المتكررة لليهود والذين وصفهم بأوصاف عدة، وهو تحدي هذا المحتل وإخباره أن كيده حول القدس والأقصى سيكون مصيره الدمار والبوار، وسيبقى الأقصى هو الأعلى والأعلى رغم كل المؤامرات والمصائب التي تحيط به.

الخاتمة

ويعد أن وصلنا إلى نهاية هذا البحث، نرى أن نسجل أبرز النتائج التي توصل لها البحث، بعد أن حلّق في عالم الأسر، وتسم رائحة العزة من هؤلاء العظماء الذين سجدوا للقدس ملاحم من دمائهم وزهرات شبابهم، ومن أشعارهم التي ستكون مدادا للجيل القادم، وسجلا للتاريخ عما عاناه هؤلاء الأبطال حزنا على مدينتهم المقدسة.

١. القدس لم تغب عن شعراء الحركة الأسيرة حتى في أصعب مراحل حياتهم، فهي قضيتهم الأم التي أرخصوا لأجلها الدماء، وقضوا سنوات طوال خلف القضبان ثمنا لحبهم وعشقهم لها.
٢. كان حضور القدس في شعر الحركة الأسيرة أكثر زخما وقوة بعد فترة التسعينيات من القرن الماضي، حيث زادت أطماع الاحتلال بها، وخاصة بعد توقيع اتفاق أوسلو الذي فتح شهية الاحتلال لزياد هجومه على المدينة، ولذلك كثرت الأخطار المحيطة بالقدس، فهيجت هذه الأخطار قرائح الشعراء للدفاع عن مدينتهم المقدسة.
٣. تنوعت مضامين شعر الحركة الأسيرة حول القدس؛ فجاءت تارة تغنيا بالقدس وجمالها وروعة شوارعها وسحر أزقتها، وقدسية ساحاتها ومساجدها، وتارة ثانية كانت لفضح الاحتلال وبيان جرائمه بحق هذه المدينة المقدسة، وفي ثالثة كانت بث الأمل بتحريها، وبيان السبيل لهذا التحرير، حيث كانوا يرون للمقاومة والنضال وإشعال الانتفاضة هي السبيل الوحيد لهذا التحرير، وقد عاب كثير منهم على المفاوض الفلسطيني الذي جعل من القدس مدينة للتفاوض.
٤. استعمل شعراء الحركة الأسيرة اللغة السهلة البسيطة البعيدة عن التكلف والغربة، ذات الألفاظ والدلالات الموحية والخاصة بهم كأسرى داخل السجون، والتي تصف جمال القدس ومعاناتها والحلم بتحريها.
٥. ظهر عند كثير من الشعراء النزعة الدينية الإسلامية في ألفاظه وعباراته، كونهم يتحدون عن قضية مقدسة دينيا قبل أن تكون مقدسة مكانيا أو جماليا.

٦. استلهم عدد من الشعراء شخصيات تاريخية كان الدور في تحرير القدس وتخليصها من الاحتلال والظلم الذي تعرضت له خلال تاريخها الطويل، الفاروق عمر والقائد صلاح الدين.

٧. أكثر شعراء الحركة الأسيرة من استعمال بعض الأساليب التي توصل رسالتهم، وبخاصة أسلوب الاستفهام وأسلوب النداء.



«صورة القدس في شعر أيمن العتوم - ديوانه طيور القدس نموذجاً»

أ.د. فيصل غوادرة

جامعة القدس المفتوحة / فرع جنين

المقدمة:

القدس وأقصاها، أرض الله المباركة والمقدسة، تغنى بها الشعراء ويكوها عبر الزمن، أيام الغزو الصليبي، وأيامنا هذه في ظل الاحتلال والغزو اليهودي، وما أشبه اليوم بالبارحة، ففي البارحة نذر طائفة من الشعراء أنفسهم للقدس، ليسمعوا صوت أنينها لكل مسلم، إلى أن جاء صلاح الدين الأيوبي راعي الجهاد وصاحبه في زمانه وحرر القدس، واليوم هبت مجموعة من الشعراء نذروا أنفسهم -أيضاً- ليسمعوا صوت صرخات (وأقصاه، وامسلمات، و...) للعرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وكان من بينهم شاعر الأقصى الثاني الذي صدحَ عالياً، بشعره المقدسي للقدس وأقصاها، وبصوت مدوٍ مجلجلٍ معلننا حاجة القدس الشديدة لرجال الجهاد والمقاومة من أجل الإسراع في إنقاذ القدس الجريح، جاء شاعر الأقصى الثاني الذي لا يكاد يوجد من يشبهه بجرصه الشديد على تحرير الأقصى، وبإبداعه الشعري المميز في خدمة القدس وأقصاها، ولذلك جاء هذا البحث ليظهر صورة القدس في شعر «أيمن العتوم»^{٨٠} من خلال ديوانه: طيور القدس نموذجاً بين دراسة موضوعية شملت جوانب مختلفة من ديوانه حول القدس وأقصاها، ودراسة فنية شملت موضوعات مختلفة غطت ما جاءت به الدراسة الموضوعية.

أولاً: الدراسة الموضوعية:

القدس هي أرض الله المباركة، نزلت بركتها من فوق سبع سماوات في قرآنه العظيم، وأصبحت آيات تتلى إلى يوم القيامة، من ذلك مطلع سورة الإسراء حيث قال الله -عز وجل - في قرآنه العظيم: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الإسراء: ١) .

وكثيراً ما تحدث الشعراء عنها، ووصفوها بأجمل الأشعار، ووصفوها بعد الفتح، وبعد الاحتلال الصليبي لها وخلالها، وبعد التحرير على يد قائد الجهاد وأميره صلاح الدين الأيوبي، ثم وصفوها الآن على يد الاحتلال اليهودي الصليبي الظالم، وفي كل مرة تحتل فيها القدس وأقصاها يبكيها الشعراء بدموع غزيرة، حزنًا وتألماً عليها، طالبين النجدة والتحرير لها، ويبقى الأمل كبيراً بأن يسخر الله لها من جنده من يأتي ليطهرها من دنس الاحتلال الصهيوني البغيض، وها نحن اليوم أمام شاعر كبير، نذر حياته للحق حيث كان، وللإسلام حيث دار، وللقدس حيث كانت، وسنتعرف

٨٠ الشاعر الدكتور «أيمن العتوم»، ولد في ١٩٧٢/٣/٢ في سوف، جرش، حصل على الماجستير من الجامعة الأردنية بمعدل (٣,٧٥ من ٤) وعلى الدكتوراة من الجامعة نفسها بمعدل (٤) من (٤)، له مجموعة من النواوين الشعرية والروايات والمسرحيات والمقالات، وشارك في مئات الأمسيات والمهرجانات الشعرية في داخل الأردن وخارجه.



اليوم إلى شيء من قدسياته، فشاعرنا صاحب شعر يقرأ، بل ويتذوق، فهو يلج في القلب مباشرة ليستقر في أعماقها؛ لأنه نابع من قلب صادق طاهر غير على دينه ووطنه ومقدساته. وسيشمل حديثي عدة لوحات حول القدس وأقصاها، مأخوذة من قصائده قيد الدراسة، وهذه اللوحات هي:

١. اللوحة الأولى : مكانة القدس من خلال قصيدته : هي القدس... نور الله، وسراج الأقصى .
أ. قصيدته (هي القدس ... نور الله):

يتضمن الشاعر في هذه القصيدة في وصفه للقدس، ويتغزل فيها من خلال ذكره لمفاتها التي تفتن كل من ينظر إليها أو يعيش فيها، فيقول مثلاً :

- رباها لجمالها الأخاذ فاتتات:

صفت في رباها الفاتنات موارد
وغيبها في لجة السُحر شاهد^(١)

- وهي طاهرة مباركة:
وطهرها هذا النبي وسرهُ

وباركها أي الكتاب الخوَالد^(٢)

وقوله :

هي القدس للطهر المصْفى، فدلني
على أهله، فالآخرون زوائد^(٣)

-أزهارها ساحرة، وساحاتها دفاتر حب، وقبابها قصائد :

وأزهارها السحر الحلال، وساحاتها
دفاتر حب، والقباب قصائد^(٤)

- وهي نور الله :

ألم تر أن الله أنزل نوره؟!

فجنت بنور الله تلك المساجد

هي القدس نور الله... أتى لنوره

بأن ينظفي، والنور بالله خالد^(٥)

- ترابها مقدس :



إذا سجد العشاق فوق ترابها

تخيلت أن الكون حولك ساجد^(١)

- الشجر والصخر بعشقانها:

ترى الشجر المحزون أورق غصنه

وغنت غناء المستهام الأوابد

وتحسب أن الصخر أطربه الهوى

فمالت من الشوق الصخور الجلامد^(٢)

- الكل يحبها:

وكل يراها في الحياة عروسه

وكل لواء الحب للقدس عاقد^(٣)

- وهي أرض الإيمان:

لقد عضد الإيمان قلب حبيبتي

كما عضد الكف المؤزر ساعد^(٤)

- ظلُّ الله في القدس:

غداً تحت فيء الله في القدس نلتقي

وتصفو لنا تلك الرُّبِّي والمعاهد^(٥)

- طيور القدس تعود لها:

وتشدو طيور القدس حين تزورها

فكل غريب الدار لا بد عائد^(٦)

هذه هي اللوحة الأولى التي أظهر فيها الشاعر مقدرة فنية وتصويرية رائعة، جمع فيها بين المعنى والروح، وبين المادة والمعنى، أي جمع فيها بين الصفات المعنوية والمادية؛ ليظهر من هذا التمازج- إضافة إلى المقدرة الفنية والتصويرية- حبه العميق للقدس، وبأن هذا الحب تغلغل في نفسه إلى أعماقها، حتى ظهر على قسماط وجهه، وملامح صورته، التي نذرنا للقدس في كثير من أشعاره. فالقدس عنده نور الله في أرضه، وأرض الله المباركة، وترابها المقدس، وهي أرض الإيمان، والظهر والجمال والجلال، فهي تستحق من الجميع أن يحبها، ولكن هذا الحب يختلف من إنسان إلى آخر، بحسب دينه وفكره وثقافته، ومبادئه وأخلاقه ... ولم تخل قصيدته -كمعظم قصائده القدسية- من وخزات للضمير العربي المسلم، بأن يستيقظ،



ويشور، لعله ينجد القدس الجريح، التي تئن وتشكو منذ سنوات، وليس من مجيب!! .

ب. - قصيدته سراج الأقصى : وهي مهداة ومرسلة لشيخ الأقصى «رائد صلاح» حيث قال بعد عنوان القصيدة: «مهداة إلى شيخ المسجد الأقصى وسراجه الذي لم ينطفئ الشيخ رائد صلاح». ودارت أحداث هذه اللوحة (القصيدة) وصورها حول الآتي :

- يشبه الشاعر الشيخ كالليث والعاصفة والفجر والأذان، فيقول:

كالليث زمجر ... كالعواصف أرحدا
كالفجر أسفر... كالأذان تشهدا (١٢)

- هو الفداء للقدس :

وقفتُ بساحته المنونُ، فقال من
عشقٍ لمسجده الحبيب أنا الضدى (١٣)

- يقارن الشاعر بينه وبين العروبة:

صمتت زعاماتُ العروبة خسةً
ووقفت في ليل الشدائد مفردا

أسداً تهيبه الضباع مخوفةً
وتدل عن إقدامه طغمُ العدا

لسنا ندين لعصبة سكتت على
نهش البلاد وآثرت أن تقعدا

وتظل تحلف بالعروبة... وهي من
طعن العروبة جهرة وتهودا (١٤)

ثم يشبهه بالطود والنجم والحق والفرقد:



يا شامخاً كالطود... يا مترفعاً

كالنجم في الأفلاك... يا متوقداً

قف في ضياع الحق حقاً ثابتاً

وأضئ بليل التائهين الفرقداً (١٥)

ثم طلب منه أن يوقظ (الأخر العربي) النائم:

وأعد على أسماعنا: يا قدسناً

واصرخ بنا متقاعسين ورُقداً

وابعث عبارتك التي لم تنطفئ:

بالروح... بالدم سوف نضدي المسجدا

وارفع سيوف الصحو فينا... وانتفض

واغضب كما شاء الإله مؤيداً (١٦)

- طريق الخلاص أنت صاحبه:

زلت بنا قدم الطريق... ووضّل من

عبد القروود... وقلّ فيك من اهتدى

فكن الطريق إلى الخلاص... وكن لنا

للزائغين عن الصراط المرشداً (١٧)

وقوله:

أشعل نداء، (القدس في خطر) وخذ

من لحمنا وعظامنا أن يوقدا

وانثر دمانا فوق أقصانا هوى

وحذار من نار الإبا أن تحمداً (٨١)

- ينبه إلى مكانة القدس فيقول:



إن تُسَلِّبِ القدس الأمانَ فلن تری

لعواصم العربِ الأمان على المدى

القدس صورتنا... إذا رفلتُ على

ثوب النعيم هَمَّتْ علينا عسجدا

القدس خيمتنا... فمن سيظلنا

ج

إن هبَّ ريحُ العاتيات وعريدا

القدس نخلتنا... إذا تهوي... هوى

ج

شملُ العروبة بعدها وتبیدا

نحن الذين مع الفناء سننتهي

ج

ولسوف تبقى والأذان مخلدا

الخالدان: المسجد الأقصى وقد

سجدت لهيبته العواصم والردى^(١١)

• ثم يصف سجن الشيخ رائد صلاح وجهاده (*):
ابتداء من :

قل يا ظلام السجن اقبل إننا

نهوي الظلام، فما الظلام مخلدا

إلى قوله:

الرائد المقدم ليس بكاذب

في قومه... ولسوف تبقى (رائدا)^(١٢)

وإني لأجد الشاعر (د. أيمن العتوم) يخلع على ممدوحه شيخ الأقصى الكثير من الصفات التي



يستحقها، فهو بحق جدير بهذا اللقب (شيخ الأقصى، وسراج الأقصى) وهو جدير بتلك المسّميات والصفات، التي منها: فهو كالليث وكالعاصفة وكالفجر وكالأذان، وهو الفداء للقدس، وهو النقيض لكل عربي لا يقف مع نصرة القدس، وهو كالطود والنجم والفرقد، وصوته بمثابة المنبه للعرب والمسلمين حتى ينتبهوا لما يجري في القدس، وللقدس من تهويد وهدم وتهجير... والشيخ بسلوكه يمثل طريق الخلاص والتحرير للقدس وأقصاها، ثم ينبه أيضاً مكانة القدس وأقصاها عند العرب والمسلمين بل عند الله - تعالى-، بعد ذلك يتحدث الشاعر عن معاناة شيخ الأقصى في سجنه وأسرته، حتى إن (د. أيمن العتوم) يغبط شيخ الأقصى الأسير؛ لأنه سجن من أجل القدس والأقصى، وأرض المسرى والمعراج، وهو شرف كبير وتاج لكل مسلم أن يضحي من أجل القدس وأقصاها.

والشاعر في لوحته هذه، وفي قصيدته هذه، يعرج بشعره نحو الجهاد والمقاومة في مجموعة من الأبيات، أرى الشاعر في كل قصيدة له من شعر القدس والأقصى يضع مجموعة من الأبيات يزيّن بها جيد قصائده الشعرية.

ولعل الشاعر بحديثه عن ممدوحه شيخ الأقصى يريد أن يوصل مجموعة رسائل منها: أن شيخ الأقصى (رائد صلاح) يستحق كل احترام وتقدير، بناء على تضحياته المشرفة نحو أرض الأقصى والمسرى، وأن الشاعر أراد أن يظهر مكانة القدس الدينية والإيمانية في نفوس المسلمين، خاصة من الذين أكرمهم الله بالإيمان وحب القدس والأقصى، وكذلك أن تحرير القدس وإزالة الاحتلال لا يكون إلا بأيدي رجال أمثال رائد صلاح، وإلا بالجهاد والمقاومة وليس غير.

٢. اللوحة الثانية: الشوق والحب للقدس:

* من خلال قصيدته « وعد اللطى » :

يبدو أن الشاعر (أيمن العتوم) ينهج في قصيدته هذه نهج المذهب الصوفي في حبه للقدس والمسجد الأقصى، حتى إنني أرى أن الشاعر قد سار مسار عمر بن الفارض (سلطان العاشقين) في فائتته والتي بدأها بقوله:

قلبي يحدثني بأنك متلضي

روحي فذلك عرفت أم لم تعرف (٢١)

لكن شاعرنا (د. أيمن العتوم) في قصيدته هذه يذوب عشقاً ومحبة وشوقاً في المسجد الأقصى المبارك، حتى يصل به الأمر لأن يتغزل به تغزلاً صوفياً عميقاً لدرجة الذوبان والتماهي معه، فيقول في مطلع قصيدته الفائية :

عيني لحبك بالمدامع تحتضي

والروح من حر الصبابة تختضي



والنار لولا برد أيقاني لما

شك الفؤاد بأنها لن تنطفي (٢٢)

• ويغالبه الضدان، الشوق والأسى:

فتعاضم الضدان في قلب الويفي (٢٣)

غالبت أشواقني، وغالبني الأسى

بدأت القصة

* بأسلوب قصصي صوفي جعل جوارحه ترتجف لظهره: (ظل واقفاً أمام الأقصى يرتجف)

ولغير طهرك مرة لم ترجف (٢٤)

إني وقفت وفي الجوارح رجفة

• وظل مذبوح الفؤاد: (ظل واقفاً مذبوح الفؤاد):

يحنو علي وقد أطلت توقفي (٢٥)

وظللت مذبوح الفؤاد، وليس من

• حوار مع ملك الحنين: (هو كاليتيم)

فازداد بي وله اليتيم المذنب (٦٢)

حتى أتى ملك الحنين فضمني

• طلب منه وعد اللقاء فرده:

أملأ بقلبي في الخيال المسرف

وسألته عن وعد اللقاء فردني

إن أنت ترشف منه أو لم ترشف (٧٢)

بحر المحبة ليس يروي عاشقاً

• ويستمر الحوار:



يا سيدي... يا من وهبتَ قصائدي

لحن الخلود... ومن سموت بأحري في

خذني أقل عثرات قلبي، إنما

وَعَدَ الحبيبُ حبيبَهُ بتعطفٍ

إني ركعت من الجلال، وغام بي

عشقي، وذبت من الهيام المتلف^(٨٢)

• إلى أن يصحو من غفوته: (ولكنه لم يعرف ذاته وحقيقة موقفه)

وصحوت حين صحوت، لا ذاتي بدت

ذاتي ولم أعرف حقيقة موقفي

رغم صحوته بقي في غيبة حتى تجاذبه الشهود:

حتى تجاذبني الشهود لغيبة

فتشهدتها وعرفت ما لم أعرف^(٨٣)

لقد استخدم الشاعر هنا مصطلح (الشهود) وهو مصطلح صوفي، يعني أن الإنسان إذا كشف عنه حجاب الحس، وفني في علائق النفس، وأصبح في حالة من الروحانية لم تكن من قبل، استطاع أن يشهد شهوداً ذوقياً الذات الإلهية المطلقة عن كل قيد، المنزهة عن كل تعيين^(٨١).

- قلبه سكر وعيناه تذرغان :

رفت رموش القلب حين ترنحتُ

من سكرها، رفَّ الحمام الطوفِ

واغرورقت عيناها حين زجرتها

فتناهبتني بالدموع الذرف^(٨٣)

٨١ ينظر، حلمي، محمد مصطفى، ابن الفارض والحب الإلهي، دار المعارف بمصر، ١٩٧١،



• لجوء الشاعر العاشق للأقصى إلى أقصاه لقراءة القرآن:

وقرأت في الأقصى القريب صحائفي

وتلوت في الجدران أروع مصحف^(١٣)

• حتى يكشف هوى قلبه له:

فإلام أكتملك الهوى فيزيديني

ألما، وفي كشف الهوى قلبي شفي؟!^(٢٣)

والنار إن غطيتها ظلت على

وعد اللظى، ولسوف عن قرب تفي^(٣٣)

• إلى أن يفخر الشاعر بقصائده:

إني اصطفيت على القصائد أحر في

فمتى قصائدي الخوالد تصطفي^(٤٣)

وإني أجد الشاعر في هذه القصيدة يسطر غاية شوقه وحبه لأقصاه، ذلك الشوق والحب الذي يصل بالشاعر إلى أن يتوحد مع محبوبه على طريقة الصوفية، وينظم قصيدته هذه على النهج الصوفي، مقلداً الشاعر عمر بن الفارض في فائيته، حتى إنه يتناص معه في جل قوافيه الشعرية، وألفاظه، وفي معانٍ كثيرة من معانيه وأفكاره. ويتفنن الشاعر في تصوير حبه وشوقه للأقصى، فهو أحياناً يجعل شوقه يصارع أساه، ثم يأتي الشاعر بتقنية القص مستخدماً السرد والحوار في قصيدته بينه وبين الشوق والحنين، إلى أن جعل للحنين ملكاً يسيره، وبين الفينة والأخرى يتطرق الشاعر إلى مضردات الصوفية كما حدث في حديثه عن الشهود والغيبة، وكشف الهوى والعشق... ثم يلجأ الشاعر للأقصى لقراءة القرآن كلجوء العاشق الصوفي إلى الله، بحيث يتماهى كل منهما في الآخر، وما العشق المسكر، والدمع المذرف، وكشف الهوى ووعد اللظى إلا مراحل عشق صوفية يعيشها الشاعر في أثناء حبه للأقصى.

٣. اللوحة الثالثة: قصيدته السنديانة، ويقول عنها قبل البدء بقصيدته -: « أم كامل(هوزية الكرد) عنوان للتحدي والسمود والثبات المقدسي، فهي في حيّ الشيخ جراح بالقدس، لم تتنازل عن بيتها رغم محاولات شرائه منها بوسائل الإغراء المادي كافة، ثم هدمه، واقتحامه مرّات عديدة، وظلت تقاوم محاولات التهجير وطمس الهوية منذ ما يزيد عن عشر سنوات إلى اليوم...»^(٨٧)

وتدور مشاهد هذه اللوحة في الآتي:



• يشبه الشاعر أم كامل بأنها كالسنديانة وكالنخيل:

كالسنديانة... نحو الشمس ترتفع

وكالنخيل؛ به في أرضه ولع^(٥٣)

• أم كامل لم تخف ولم تجزع ولم تيأس:

ما مسها رُغم نزع الجرح من كلِّ

ولا قنوط ولا خوف ولا فزع^(٦٣)

• تسهر رغم هجع الآخرين المقصرين:

تنام كل المآقي وهي ساهرة

ترثي لمن هم عن حقهم هجعوا^(٧٣)

• تظل ترفع رايات الصمود:

تظل ترفع رايات الصمود

على ترابها، وهي ترعاها فلا تقع^(٨٣)

• لا تركع إلا لخالقها:

وليس تركع إلا للذي رفعت

له السماء، إذا ما غيرُها ركعوا^(٩٣)

• أم كامل تنزع في قدسها:

يا(أم كامل) قد علمت أمتنا

كيف النساء بترب القدس تنزع^(١٠٤)

• ثم بضمير الغائب يثني الشاعر على مكانة القدس وعلى حي الشيخ جراح فيقول :

فالقدس بحر الهدى، في لُجّه غرقتُ

كلُّ العُداة ومن أهواله جرعوا



(الشيخ جراح) حي القابضين على

جمر الهويّة ماهانوا وما جزعوا

كأنهم أنجم ما فارقوا فلكاً

إلا وهم بضياء العزم قد سطعوا^(١٤)

- ثم بضمير الجمع المتكلم يتحدث عن الصمود:
فلن نفارق شبراً من منازلنا

وفوق أنقاضها كالطير نجتمع

إنا لنشهد غرباناً تحط على

طهر المقام وفيه تكثر السلع

والله لو بدّلونا بالثرى ذهباً

أو الملايين من أموالهم دفعوا

ما زحزحونا عن الأرض التي احتفلت

بالمصطفى، فانمحي عن روحها الوجع^(٤)

- ثم يوجه الخطاب إلى سندیانة القدس (أم كامل) ويلوم المتخاذلين عن نصرتها:

إذا المرابون في أهوائهم رتعوا

يا حُرّة النفس، إن الله ناصرنا

مثل الثكالي على أعجازهم صُفِعُوا^(٣٤)

لو كان في القلب إيمان لما وقفوا

- الحق لا يضيع:

إن الحقوق إذا ضاعت فعن وهن

وما تضيع إذا قوم بها صدعوا^(٤٤)

- الصوم والصبر، والفجر قادم :
فابقي على الحق نبراساً ودرجاً فدا

فالفجر فوق قباب القدس يرتفع^(٤٥)

وهكذا يمضي الشاعر في سندیانة قصائده، يوجهها إلى سندیانة القدس (أم كامل) يصف صبرها وصمودها، ويدعوها إلى الاستمرار في الثبات على موقفها الرافض للتنازل، رغم كثرة العروض، والمساومات والإغراءات وقلّة المناصرين، وكثرة المتخاذلين والمتأمّرين... رغم كل ذلك، فهو يرى فيها المرأة المقدسية الحرة الشريفة الصامدة صمود السنديان والنخيل، والشاعر يرى فيها كذلك، المرأة الصامدة التي ترفع رايات الصمود، ولا ترعك لغير الله، وهي من أهل الشيخ جراح في القدس، الصامدين المرابطین، لا يبذلون ثرى الأوطان، ولا يتزحزحون عن أرض الإسراء والمعراج، والحقوق لا تضيع مادام وراءها من يطالب بها مهما طال الزمن، ولا بد للحق أن يعود لأصحابه، ولليل أن ينجلي، وسيبقى صوت هذه السندیانة التي صرخت بأعلى صوتها تعلن بيع دمهأ أهون عليها من التنازل أو بيع منزلها، مهما تنوعت الإغراءات وتعددت وسائل التهديد والوعيد... وسيبقى صوت إعلان الاستشهاد وفي سبيل الله أعلى من كل شيء. لقد مثلت هذه القصيدة أعلى درجات الصمود والثبات على أرض فلسطين الطهور المباركة، وخاصة القدس الطاهرة وأقصاها المبارك، وليكن هذا الصمود رسالة صاخبة ومدوية تقرع مسامع الاحتلال البغيض، بألا تنازل عن ذرة تراب من فلسطين، والفلسطيني الشريف لا يبيع ولا يتنازل عن القدس الشريف، وعن تراب فلسطين الطهور مهما طال الزمن.

اللوحه الرابعه: لوحه الجهاد والمقاومه:

أ. قصيدة «طيور القدس».

- بدأ الشاعر رائعته المقدسية بالحديث عن عرض بيع القدس والمساومة عليها للأعداء:

أرى وطناً إلى سوق يقاد

ومن يشري إذا كسد المزداد؟

وهل بيعت...!؟ إذا عرضت بأيدي

تخرمها التغول والفساد^(٤٦)



• يدعو الشاعر على كل المتآمرين على القدس أن يتعرضوا لجهنم أو بركان يأخذهم:

أناذي: يا بلاد الله كوني
إذا كثر الأفاعي والجرادُ

جهنم، أو لهيباً مستطيراً
وبركاناً... فما أنتِ البلاد^(٧٤)

• ثم يدعو الشاعر ربه عليهم بالطوفان:

ويا ربّ البلاد إذا تمادت
على أبنائها السّود الشداد

فليس لها سوى طوفان نوح
وبالطوفان تغتسل العباد^(٨٤)

• يشبه المتآمرين والمتعاونين والعملاء بأنهم كالأصنام يقدهم ضعاف الناس جهلاًؤهم، فهم

كالأدعياء الذين لا وزن لهم ولا قيمة:

أرى الأصنام تعبد في بلادي
وما تدري... متى نطق الجمادُ

يقدها البغات فهل رأيتم

بغاثاً في العباد له اعتقادُ

قلوب دعيّ أشجعها هواء

يطير، فلا يعود ولا يعاد^(٩٤)

• من العادة أن تقود الفرسان الخيل وليس العكس كما يحدث في بلادي:

وما نفع الجياد مطهّمت
إذا ما قلت الأذنَى الجيادُ؟!



يقود الخيلَ فرساناً أباةً

إذا... فعلام في بلدي تقادُ؟! (١٥)

- واهم من يظن أن اليهود يريدون السلام:
يقولون: السلام... فقل: رماذُ

وهل يجدي إذا
نُفخَ الرماذُ؟!

يقولون: اصطبر لمفاوضات

ستثمر حين يقترب الحصاد

فقل: ثمر السلام أراه مرأً

ودون مذاقه السُّمرُ الصُّعاد (١٥)

- يدعو إلى الاستيقاظ من النوم ومواجهة المحتل بالسلاح:
فقل: للنائمين على بحار

من الأوهام قد طال الرُّقاد

يُرْدُ الحق بالرشاش، فاصرخ

به نغماً تميد له الوهاد

له يصغي الأصم، وكل أعمى

يراه، ويستبين به الرشاد (٢٥)

- الدعوة إلى الجهاد والمقاومة والمواجهة:
وحشد في هوى الأقصى جيوشاً

يهاب لئلا سطوتها احتشاد



إذا نطقت حروف رصاص شعري

رأيت الخيل هيجهها الطراد

وماجت في الرّبي لهباً وعزماً

وطار بها إلى القدس المراد

أنا شوق الصحابة حين شدّوا

إلى الأقصى، وثورها الجهاد^(٣٥)

• المواساة والمناصرة والمشاركة في الجهاد:

فلسطين الحبيبة... كل جرح

يسيل، فإنما دمنا المداد

معاً كنا، وما زلنا... فؤاداً

عصياً حين ينفطر الفؤاد

كأنا في الهوى رثتان ذابا

على جسدي، وشكله الوداد

إذا امتلأت عروق (القدس) نزفاً

يكون بقلب (عمّان) الضماد^(٤٥)

وإن (نابلس) صاحت و استغاثت

يكون لها من (السلط) النجاد



وإن صوتُ (الخليل) ذوى لقهر

ففي
(الكرك)
الأيية
يستعاد

وإن (بيسان) أرقها هموم

(فأريدُ) يستبد بها السهاد

كذا الأحرار في وطني ليوث

ولكن غلّت الأيدي الصفاد^(٥٥)

• لا بديل عن فلسطين ووطناً:
فقل فيمن يرى ووطناً بديلاً

بديك أن يداس لك الوساد^(٦٥)

• بيت القصيد: لا بد أن تعود طيور القدس إلى القدس: (كل غريب لابد أن يعود لوطنه)
طيور القدس ما سكنت سواها

وسوف تعود لو طال البعاد

إذا مر الشتاء بها مريراً

ففي دفء الربيع لها معادُ

وما ألفت نوارس بحر(يافا)

سواه... وإن يكن طاب المهاد^(٧٥)

• الصبر فالفرج قادم:

فصبراً... فالأمانى قادمات

تكاد تكون عن قرب... تكاد

أليس الفجر يطلعه ظلام

أليس الصبحُ يسبقه السواد؟! (٨٥)

* هذه القصيدة التي دعا بها الشاعر أهل القدس إلى الجهاد، بل إلى العمل على تحريرها هي وأقصاها، نظراً للمكانة المرموقة والعميقة في نفوس العرب والمسلمين وفي قلوبهم، يتعرض الشاعر في مطلعها إلى الهم الذي يلاحقه في كل مكان، والضيق الذي يكابده أينما حل، ذلك الهم وهذا الضيق اللذان نتجا عن تخاذل كثير من العرب والمسلمين عن نصرته القدس وأقصاها. وعلى العمل على تحريرها من يد الغاصب اللئيم، ولم تكتف (بلاد العرب) بالتخاذل، بل وبالعمل على بيعها، ويدعو هنا عليهم بنار جهنم تحرقهم، أو بالبركان يجرفهم بناره، أو بالطوفان يغسل الأرض منهم؛ لأنهم كالأصنام التي يتبعها ضعاف الناس، ولا قيمة لهم في ميدان المعركة، فالخيول تقودهم ولا يقودونها، إضافة إلى انشغال البعض بالسلام والمفاوضات التي لا تجدي نفعاً؛ لأن اليهود لا ينفخ معهم السلام، وهم لا يريدون السلام أصلاً، فهم كالوحوش التي تتربص بفريستها، ويقرر الشاعر (أيمن العتوم) - وكعادته - بأن هؤلاء لا ينفخ معهم إلا الرشاش ولا يعيد الحق غيره، ثم يتحدث الشاعر عن المشاركة الوجدانية والجهادية بين فلسطين والأردن منذ قديم الزمان، ويرى أنه إذا اشتكت القدس ونابلس والخليل وبيسان تجيها وتجندها عمان والسلط والكرك وإربد- على الترتيب-؛ لأن الأردن أرض الأحرار وليوث الجهاد. وقبل أن يودع الشاعر قصيدته يأتي بيت القصيد (طيور القدس... لو طال البعاد) ليقرر الحقيقة المتجذرة في نفسه وفي نفوس العرب والمسلمين الصادقين، بأنه مهما ابتعد الفلسطيني عن وطنه، فلا بد إلا أن يعود إليها، فكيف إذا كانت البلد التي سيعود إليها هي القدس وأقصاها؟. ثم يقرر حقيقة أخرى يجب أن تستقر في عقولنا وقلوبنا! بأنه ما بعد الضيق إلا الفرج، وما بعد الظلام إلا الفجر، ولا بد أن يأتي الله بفرجه ويسحق المعتدين مهما طال ظلام ليلهم، فالنصر آت بإذن الله - تعالى-.

ب. لن تسقط الرايات: يذكر الشاعر أن القدس حررت من الكرك مرتين، الأولى بقيادة صلاح الدين، والثانية بقيادة الناصر بن قلاوون، وأن عبد القادر الحسيني استعان بأهل الكرك ليمدوه في ثورته في الثلاثينيات من القرن الماضي.

* يذكر الشاعر هواه نحو الكرك، ويذكر أمجادها وأخلاق أهلها وشجاعتهم وبأنها قلعة الأمجاد...:

هذي القصائد في هواك رسائلُ
ألقت أواخرها إلى أوائلُ



فإذا أصختِ إلى البيان وسحره

فثقي بأني من نميرك ناهل

مالت بلاد بالنفوس وهومت

وأنا إلى الكرك الحبيبة مائل

من لؤلؤ الأخلاق عقدك، والوفا

قرطاك، والطبع الأصيل خلاخل

أهلوك أمثال النجوم على الثرى

وثرأك أفق للسماء يطاول

الخانزين الشمس في جباههم

لتضيء منها في الظلام مشاعل^(٦٥)

• بعدها يتحدث الشاعر عن المراحل الجهادية من أجل القدس التي انطلقت من الكرك:
من هذه الأرض الطهور تفسجرت

عين الحضارة، واستفاقت بابل

ومشت إلى القدس الجيوش وحممحت

في الطور خيل الصبح وهي صواهل

ومضى صلاح الدين يقدم جنده

والبيض تبرق، والرماح ذوابل



وسقى بها (أرناط) كأس منية

رفعت بمترعها إليه مناصل^(١٦)

- لن تعود القدس بغير جهاد:
فاقرأ سطور المجد من تاريخنا

واهتف لمن هو في الحقيقة جاهلٌ

لن يرجع القدس التفاوض مرةً

القدس يرجعها قناً وقنابل

من هذه الصُّعدَات يصعد فجرنا

فابزُغ فإن الليل بعدك آفلٌ

يا راية رفعت لترفع أمةً

الحق أبجُ، والعميُّ الباطلُ^(١٦)

- ثم يتذكر الشاعر "مؤتة" و"زيد بن رواحة" و"جعفر بن أبي طالب" و"عبد الله بن رواحة":

بك مؤتة العزمات صارت رمزنا

فضوارسٌ وفواتك، وبواسلٌ

يا زيد والروح التي أهديتها

والموت يرقص-خادعاً- ويشاغل

رايات جعفر لم تنزل خفاقة

في المشرقين عن الإباء تقاتل

فاشدد عنان الحرب لابن رواحة

كي لا يشد بنا الأعنة خاذل

فأجل عينك أنت يا عيني أنا

سأظل أكتب في الهوى وأحاول^(٢٦)

• من ماضيه وماضي أمته التليد، يستذكر الشاعر أيام البطولة والجهاد، أيام العز والإباء، فرايات الجهاد والرياط لن تسقط، فهي راية زيد وجعفر وعبد الله بن رواحة يوم مؤتة، هي راية الكرك الأبية التي ما فتئت تقدم العون والنجدة لمن يطلبها، فكيف إن كان طالبها أهل القدس ومجاهديها؟! أيام الجهاد تتكرر، ورايات المقاومة واليسالة تتقدم نحو القدس، كلما جاءها محتل غاصب، فأهل الكرك الكرام بأخلاقهم وأصالتهم ونخوتهم ما زالوا على العهد يقدمون للقدس وأقصاها كلما احتاجت إليهم، فقلعة الأمجاد لن تبخل ولن تتأخر عن تقديم ما يلزم، فكم سارت من الكرك جيوش لنصرة القدس وأقصاها، فصلاح الدين (قاتل أرناط) كان على رأس جيش التحرير لها من الصليبيين، فالقدس أرض مباركة لن يعيدها ومسجدها إلى حاضنتها العربية والإسلامية غير الجهاد المقدس، الذي يزحف للتحرير صوب القدس وأقصاها الحزين.

ت: قصائد أخرى:

* في قصيدة الشاعر: "هي القدس... نور الله"، يدعو الشاعر إلى ترك أوهام السلام والبدء بإعداد الخيول وفرسانها المجاهدة؛ لأنه لا شيء يعيد القدس وأقصاها سوى الجهاد والمقاومة المسلحة كما قال الشاعر:

فدع عنك أوهام السلام فإنما

سلامك تحميه القنا والشدائد

وأسرج لها خيلاً وزيتاً ورايةً

وهبَّ، فإن العجز بالمرء قاعدُ

إذا رمّت صيد النجم فاذا خر عزيمة

فما نال صعب الأمر إلا المعاند



غداً تحت فيء الله نلتقي

وتصفو لنا تلك الرّبي والمعاهد

وتشدو طيور القدس حين تزورها

فكل غريب الدار لا بد عائد^(٣٦)

* وفي قصيدته «سراج الأقصى» التي يخاطب فيها شيخ الأقصى «رائد صلاح» يقول الشاعر مظهراً مكانة القدس عند المسلمين والمجاهدين، ومدى أهميتها إذا ما تعرضت إلى خطر، وماذا علينا عند ذلك؛ لأن القدس هي صورتنا، وهي خيمتنا، وهي نخلتنا، وهي الباقية، ولا بد للمدافعين عنها والمجاهدين دونها أن ينتبهوا إلى غدر اليهود:
أشعل نداءً: (القدس في خطر) وخذ

من لحمنا وعظامنا أن يوقدا

وانثر دمانا فوق أقصانا هوى

وحذار من نار الإبا أن تخمدا

إن تسلب القدس الأمان فلن ترى

لعواصم العرب الأمان على المدى

القدس صورتنا... إذا رفلت على

ثوب النعيم همت علينا مسجدا

القدس خيمتنا... فمن سيظننا

إن هبّ ريح العاتيات وعريدا

القدس نخلتنا... إذا تهوى... هوى

شمل العروبة بعدها وتبددا

نحن الذين مع الفناء سننتهي

ولسوف تبقى والأذان مخلداً

الخالدان: المسجد الأقصى وقد

سجدت لهيبة القواصم والردي

والذائدون عن الحمى ما استعطفوا

غدر اليهود ولا استلذوا المرقد^(٤٦)

وهكذا بدا لنا من خلال الدراسة الموضوعية لهذه القصائد في لوحاتها المختلفة، إصرار الشاعر على الآتي:

- ◆ للقدس وأقصاها مكانة عظيمة عند العرب والمسلمين في كل زمان ومكان، وفي كل العصور والدهور، وإلى قيام الساعة.
- ◆ شدة الشوق والحنين للقدس الشريف وأقصاها المبارك.
- ◆ أهل القدس المرابطون فيها، والذين رفضوا الاستسلام أو بيع ممتلكاتهم للعدو، رغم كل محاولات الترغيب والترهيب لهم، فهم من الشرفاء ولهم كل احترام وتقدير، والله يجزيهم الجزاء الأوفى.
- ◆ لا تحرر القدس وأقصاها إلا بقوة السلاح والإيمان والجهاد، وليس بالتخاذل والتآمر والمفاوضات، فمفاوضات الضعيف لا تعيد حقاً مسلوباً.
- ◆ يذكر الشاعر المسلمين بأهمية القدس وأقصاها عند العرب والمسلمين، وبأنه إذا عزت القدس وتحررت عز العرب والمسلمون، وعاشوا أعزاء كرماء، وهذا التذكير ضروري للعرب والمسلمين حتى يهبوا لإنقاذ مسراهم ويحرروه من أسرهم .

ثانياً: الدراسة الفنية

• الصورة الفنية:

تتميز الصور عند «د. أيمن العتوم» بالتجديد والتنويع والتلوين، بحسب ووفق الشاعر عند الشاعر ومتطلبات الموقف، وكذلك تتمايز صورته من غيره بقدرته الشاعر على الصياغة التعبيرية، والتشكيلات البيانية التي تدفع المتلقي أحياناً إلى مزيد من التأويل لأبياته الشعرية. والصورة الفنية عنده هي «الطريقة التي تفرض بها علينا نوعاً من الانتباه للمعنى الذي تعرضه،



وفي الطريقة التي جعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى ونتأثر به^(٨٣)، ولهذا تعد الصورة الفنية أداة القرآن الكريم المتميزة في التعبير والإبلاغ بما تتمتع به من حركة وحياء، وبما تمتاز به من قوة التأثير في المتلقي^(٨٤).

وأجد الشاعر يبدأ قصيدته (السنديانة) بتصوير (أم كامل) التي تحدث العدو المحتل ولم تبع أرضها ومنزلها. حيث شبهها بالسنديانة التي تطاول الشمس، وكانخيل المتجذر في الأرض والمتشبث فيها وبها، فالسنديانة رمز للعزة والكرامة والإباء في رفض الذل والمساومة، والنخيل رمز التمسك والإصرار والصمود والثبات، والصورتان «تكمل وتوازرن إحداهما الأخرى»، وقد قال الشاعر في ذلك:

كالسنديانة... نحو الشمس ترتفع
وكانخيل؛ به في أرضه ولع^(٥٦)

وفي صورة أخرى يشبه الشاعر المتخاذلين عن نصره هذه المرأة بشكل خاص، وعن نصره القدس وأقصاها بشكل عام، بقطيع الغنم الذي يهجع (ينام) دون أن يفكر بشيء، في حين أن «أم كامل» (السنديانة) تبقى ساهرة ترقب الموقف، وفي ذلك يقول الشاعر:

تنام كل المأقي وهي ساهرة
ترثي لمن هم عن حقهم هجعو^(٦١)

ولعل معظم صور الشاعر تمتزج بالمشاعر الوجدانية، لكونها تصور موقفاً نفسياً أو شيئاً مهماً له قيمته على الصعيد الإسلامي الذي يخص كل مسلم ومسلمة على هذه الأرض المقدسة؛ ولذا تبدو الصورة الوجدانية موسومة بميسم شخصية الشاعر المبدع، «حيث تتضافر العلاقات الفنية بين عناصرها المختلفة على تأسيس عدد من الدلالات الإيحائية التي تجعل من هذه الصورة لبنة في إنتاج الدلالات الكلية للقصيدة»^(٨٥). وغالباً ما تكون الصورة الشعرية التي عمل الشاعر على تركيبها وإبرازها، ما هي إلا إعادة إنتاج عقلية لتجربة عاطفية^(٨٦)، فمثلاً في البيت التالي:

ترى البيوت جسوم الناس إن هُدِمَتْ
وقطعت فكأن الروح قد قطعوا^(٧٦)

يشبه الشاعر البيوت المهدمة وجسوم الناس المقطعة كالروح المقطعة، وذلك في مشهد مأساوي حزين، وفي قوله:

٨٣ عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، مطبعة القاهرة الجديدة، (د،ت)، (د،ط)، ص: ٣٦٣.

٨٤ المحمد، ألما سليمان، الصورة الفنية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية آداب، جامعة دمشق، ١٩٩٥، ص ١١.

٨٥ عبد القادر، بسيم عبد العظيم، شعر الأسرى والسجن في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩، ص ٢٥٧-٢٥٨.

٨٦ ينظر: ويليك، رينيه، نظرية الأدب، ترجمة يحيى الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧، ص: ١٩٤.



يا (أم كامل) قد علمت أمتنا

كيف النساء بترب القدس تنزرع(٨٦)

فعلى سبيل الاستعارة يشبه الشاعر النساء الصامدة في بيوتها في القدس كالنباتات والأشجار المنزرعة في التراب والتي يصعب اقتلاعها. وتتزاحم الصور والتشبيهات عند الشاعر في هذه القصيدة بين البيتين (٨ - ١٣) وتتنوع، وهذه الأبيات يقول فيها:

فالقُدس بحر الهدى، في لجه غرقتُ	كل العداة ومن أهواله جرعو
(والشيخ جراح) حيّ القابضين على	جمر الهوية ما هانوا وما جزعوا
كانهم أنجم ما فارقوا فلكا	إلا وهم بضياء العزم قد سطعوا
فلن نفارق شبراً من منازلنا	وفوق أنقاضها كالطير نجتمع
إننا لنشهد غرباناً تحط على	طهر المقام، وفيه تكثر السِّلَع(٦٩)

يستخدم الشاعر في البيت الأول والثاني من هذه المجموعة التشبيه البليغ (القدس بحر الهوى)، (والشيخ جراح حيّ القابضين على جمر الهوية)، ويبدو أن التشبيه البليغ هو مرحلة من الناحية الشعورية يقع بين التشبيه والاستعارة وقد استخدم الشاعر التشبيه البليغ من نوع المبتدأ والخبر، ثم أتى الشاعر بالتشبيه العادي كقوله (كانهم أنجم) وقوله (كالطير نجتمع) باستخدام أداة التشبيه، وقوله (غرباناً) كناية عن الأعداء الغريباء الذين أينما حلوا يحل الخراب والدمار والسواد. وفي قصيدة الشاعر «طيور القدس» يبدأ الشاعر قصيدته بتشبيه الوطن يقاد إلى السوق لبيعه على سبيل التجسيد الذي يعني إضفاء صفات مادية على المعنويات، وذلك في قوله:

أرى وطناً إلى سوق يقاد
ومن يشري إذا كسد المزاد؟(٧٠)

ثم أجدّه يشبه الاحتلال الصهيوني بالأفاعي والجراد في قوله:

أنادي: يا بلاد الله كوني
إذا كثر الأفاعي والجراد(٧١)

بعد ذلك يأتي الشاعر بتصوير لضعاف النفوس بالبعثات، وهم ضعاف الطير، فهؤلاء البعاث من الناس هم الذين يقصدون الأصنام والمعتقدات المنحرفة، شأنهم في ذلك شأن من ضل من الناس؛ لأنهم لا يوجد لهم رأي مستقل يعتمدون عليه. كقول الشاعر:

أرى الأصنام تعبد في بلادي
بقدسها البعاث فهل رأيتم
وما تكدي...مَنى نطق الجماد؟!
بغائناً في العباد له اعتقاد(٧٢)

أما في قوله:

فلسطين الحبيبة... كل جرح
كأنما في الهوى رثان ذابا

يسيل، فإنما دمنا المداد
على جسد وشكله الوداد^(٣٧)

فإن الشاعر وفي صورة جميلة يشبهه (فلسطين مع نفسه) متماهياً معها، وبأنهما كالرثتين في جسد واحد، وهذا دليل أهمية كل منهما عند الآخر وللآخر، وفي قول الشاعر:

كذا الأحرار في وطني ليوث
ولكن غلّت الأبدى الصفاد^(٧٤)

فالشاعر هنا يشبه الأحرار الراضين للذل والاستسلام في وطنه بأنهم كالليوث الأبطال، لولا تكبير أيديهم من قبل الاحتلال، أو من قبل من يؤيدون الاحتلال. ولعل الشاعر في قوله:

فصبراً... فالأمانى قادمات
تكاد تكون عن قرب... تكاد^(٧٥)

حيث يلجأ إلى التجسيد في قوله «فالأمانى قادمات» بخلعه صفات محسوسة على المعنويات، حيث جعل من الأمانى كائنات محسوسة بقدمها وسيرها.

وفي قصيدة الشاعر (لن تسقط الرايات) يصور الشاعر الكرك بأنها كالطود، وأهلها كالنجوم، وثرها كالأفق يطاول السماء، فيقول:

هل أنت باقية على كز المدى
كالطود يدهمه النسيم، فينثني
أهلوك أمثال النجوم على الثرى
أو يهلك الباقين من هو زائل^{١٥}
والطود من ضاحك أو هازل
وثراك أفق للسماء يطاول^(٧٦)

وفي صورة أخرى يقول الشاعر:

يحكي رحيلك عنهم صحو الندى
الخازنين الشمس في جبهاتهم
والمطلعين النجم من بسمااتهم
فالروح تبقى، والجسوم رواحل
لتضيء منها في الظلام مشاعل
لتضيض منها في الفضاء فضائل^(٧٧)

يشبه الشاعر في البيت الأول من هذه المجموعة الراحل عن أهل الكرك، بانقطاع الندى عن النباتات والأشجار؛ لأن الراحل يرحل بجسده، لكن روحه تبقى حيث كانت في الكرك، وهذا دليل تمسك أهل الكرك بزوارها وضيوفها وأن من يأتيها يحبها ولا يرغب بمفارقتها.

وأجد الشاعر في البيتين (الثاني والثالث) من المجموعة أعلاه، يلجأ إلى ما يسمى بالغلو - وهو فوق المبالغة والإغراق - ويعني «امتناع الوصف المدعى عقلاً وعادة»^(٨٧)؛ لأنه شبه رجال الكرك بأنهم

٨٧ عتيق، عبد العزيز، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤، (د، ط)، ص ٨١.



يخزنون الشمس في جيهااتهم، حتى يجعلون منها مشاعل تضيء لهم ظلام الليل، ويأنهم عندما بيتسمون تخرج من أفواههم النجوم - حديثهم - التي تتحول إلى فضائل ومكارم تملأ الفضاء والكون، ولعل البيت الأخير يجمع غلواً مركباً، فالنجوم تخرج من أفواههم عند ابتسامتهم، ثم تتحول إلى فضائل، أي غلو يضاف إلى غلو، وهو ممن يصعب وصفه عقلاً وعادة، ولكن الشاعر جاء بها على سبيل المدح والثناء فهو مقبول.

أما في قصيدة الشاعر «سراج الأقصى» والتي أهداها لشيخ الأقصى «رائد صلاح» فإن الشاعر يقدم على أبواب قصيدته هذه سيلاً من التشبيهات حيث يقول:

كالليث زمجر... كالعواصف أرعدا
كالفجر أسفر... كالآذان تشهدا^(٨٧)

فالشاعر شبه الشيخ «رائد صلاح» بالليث، والعواصف، والفجر، والآذان، ثم شبهه بالطود والنجم فيقول:

يا شامخاً كالطود... يا مترفعاً
كالنجم في الأفلاك... يا متوقفا^(٨٧)

ويأتي الشاعر بالتشبيه البليغ على طريقة المبتدأ والخبر فيقول مشبهاً القدس بالصورة، وبالخيمة، وبالنخلة:

القدس صورتنا... إذا رفلت على
القدس خيمتنا... فمن سيظلنا
القدس نخلتنا... إذا تهوى... هوى
ثوب النعيم همت علينا عسجدا
إن هب ريح العاتيات وعريدا
وإن شمل العروبة بعدها وتبددا^(٨٨)

بعدها يشبه الشاعر (أيمن العتوم) شيخ الأقصى بأنه عندما يمضي إلى السجن يكون كالليث يذهب إلى ساحة المعركة، وزرد الحديد المقيد به هو كوسام العز والثبات. وفي ذلك يقول الشاعر:

تمضي لسجنك كالليوث إلى الشرى
زرد الحديد على يديك وسامة
ألف النوازل واستطاب المورد
ووسام عز من ثباتك قلدا^(٨٨)

بعد ذلك يشبه الشاعر ثورة من سيأتي منجداً للشيخ «رائد صلاح» بأنها كالطوفان والبركان فيقول:

ونثور كالطوفان ماج هديره
ونفور كالبركان... لن نترددا^(٨٨)

ويتعامل الشاعر «أيمن العتوم» في قصائده قيد الدراسة في صورته مع مدركات تتبادل فيما بينها على مستوى التقسيم الصوري، فبيأتي بالتجسيد الذي هو إضفاء صفات محسوسة على المعنويات، أو هو إطلاق الماديات على المعنويات، كقول الشاعر:



الصفحة	التجسيد	الصفحة	التجسيد
٨٤	سطور المجد	٣٦	بحر الهوى
٨٤	يصعد فجرنا	٣٦	جمر الهوية
٨٤	الموت يرقص	٤٧	برد إيقاني
٨٥	الحنين عائد	٤٧	مَلِك الحنين
٨٦	أزهارها السحر	٤٨	بحر المحبة
٨٦	دفاتر حب	٥٥	رصاص شعري
٨٦	القباب قصائد	٨١	قلعة الأمجاد
١٠٢	ليل التائهين	٨١	كرك الرؤى
١٠٢	سيوف الصحو	٨٢	مطر الحياة
١٠٣	نار الإبا	٨٣	عين الحضارة
١٠٥	رُتَب الخنوع	٨٣	خيل الصبح
١٠٦	يشتعل الصدى	٨٣	جسد البكور
١٠٦	تضيء دمانا	٨٣	كأس أمنية

ويأتي بالتشخيص (الأنسنة) وهو إضفاء صفات إنسانية على المحسوسات أو الماديات كقوله:

الصفحة	التشخيص
٤٧	عين تختفي
٥٥	نطقت حروف
٨٠	سامرت النجم
٨١	الطود ضاحك
٨٣	تفيض النجم فضائل
٨٧	جنت المساجد
٨٧	الكون ساجد
٨٧	الصخر أطربه الهوى
١٠١	وقفت المنون
١٠٥	قصور الحكم تنجب سادة
١٠٥	المسجد الأقصى ينجب السيدا

ثم يأتي بالتجريد، وهو إضفاء صفات معنوية على المحسوسات، لتزيل الفوارق بين المادي والمحسوس، وتقييم بدلاً منها علاقات ذاتية، ومن ذلك قول الشاعر:

الصفحة	التجريد
٨٢	جبهاتهم تضيء
٨٦	تحبو الفراقد
٨٦	آيات الكتاب قلائد

ويتفاعل الشاعر مع قصائده المقدسية، فيلجأ إلى ما يسمى بتبادل الحواس، أو تراسلها، وهو إطلاق صفة حاسة ما على حاسة أخرى، أو أن تتبادل الحاسة الواحدة صفاتها، كأن ترى العين الأبيض أسود، أو ترى الظلام نوراً، ومثل قول أحدهم: الصوت أسود، فالصوت مدرك سمعي، وصفه بالسواد الذي هو مدرك بصري، فتبادلت حاستا السمع والبصر الصفات، فأصبح كل منهما يعبر عن الآخر، والشاعر «أيمن العتوم» في مثل ذلك يقول:

ودون مذاقه السمر الصعاد
يراه، ويستبين به الرشاد
رأيت الخيل هيجهها الطراد^(٣٨)

فقل: ثمر السلام أراه مرأ
له يصغي الأصم وكل أعمى
إذا نطقت حروف رصاص شعري

ولربما جاء الشاعر «أيمن العتوم» بهذا الكم من التجريد والتجسيد والتشخيص (الأنسنة) وتبادل الحواس أو تراسلها، إلا من أجل أن يميل بأسلوبه الشعري نحو الانحراف أو الانزياح، والشاعر في هذا يجعل النص مفتوحاً على بعض التأويلات التي هيأها النظام السيميائي للغة الشعرية، أو بسبب الفجوة بين النظام المعياري المألوف والنظام الشعري الذي جاء عليه النص الشعري^(٣٩)؛ لأن «الإثارة الذهنية التي تتحرف عن المعتاد القياسي في حياتنا الذهنية لأبد أن يكون لها انحراف لغوي مرافق من الاستعمال العادي»^(٤٠)، وهنا لابد أن يستخدم الناقد في مثل هذه الظروف نظرية التلقي والتأويل، وهنا يبرز دور المتلقي ونظرية التلقي التي أرسى دعائمها «ياوس» و «إيزر» والتي أعطت المتلقي دوراً في تأويل العمل الفني وتحليل أبعاده^(٤١)، ولكن لا يمكن «للمتلقي أن يستنفد خصوصية الإبداع، كما أن عمل المتلقي هو فاعلية شكلية تهدف إلى تحديد المعنى المحتمل»^(٤٢)، فقول الشاعر في باب التجسيد « جمر الهوية (ص ٣٦)، و رصاص شعري (ص ٥٥)، وعين الحضارة (ص ٨٣)، وقوله في باب التشخيص (الأنسنة): «الطود ضاحك (ص ٨١)، الصخر أطربه الهوى (ص ٨٧)»، وفي باب تراسل الحواس أو تبادلها: «أراه مرأ، يصغي الأصم، كل أعمى يراه، نطقت حروف (ص ٥٥)». كل هذه الشبكة من الصور المنوعة والملونة تصلح لها تحليلات وتفسيرات متعددة، بحسب النص الشعري، وبحسب المناسبة، وبحسب المتلقي وثقافته وفكره، مما يجعل النصوص الشعرية التي حملت هذه الأبواب أو النوافذ التصويرية تحمل دلالات ورؤى متنوعة، تزيد من انفتاح النص الشعري على تأويلات متعددة، تؤدي في النهاية إلى خلود النص الشعري، وجعله محط أنظار المتلقين وتأويلاتهم إذ «لعل اختلاف تأويلات النقاد عن مقاصد المؤلفين، قد يحقق للعمل فائدة جلية تعين على توسيع آفاقه وفضاءاته»^(٤٣).

- ٨٨ الرواشدة، سامح، إشكالية التلقي والتأويل، منشورات أمانة عمان الكبرى، ط١، ٢٠٠١، ص ٥٤.
- ٨٩ ويليك، رينيه، نظرية الأدب، ص ١٨٩.
- ٩٠ الرواشدة، سامح، إشكالية التلقي والتأويل، ص ١٤١.
- ٩١ عغن، أمينة، قراءات غير بريئة في التأويل والتلقي، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٩٩، ص ٦٠.
- ٩٢ الرواشدة، سامح، إشكالية التلقي والتأويل، ص ١٦.



• مناطق العمى:

يلجأ بعض الشعراء أحياناً إلى خلق مناطق عمى في قصائدهم الشعرية، كعلامات الفراغ، أو ترك فراغ بين الكلمات دون وضع شيء، أو وضع علامات أو رموز معينة، يقصد منها الشاعر أموراً خاصة، أو يتركها لتأويل المتلقي، وهنا يبدو أن الشاعر قد جاء في معظم قصائده بعلامة الفراغ (...). في أبياته الشعرية، وقد كثرت حتى أصبحت مجالاً للفت نظر المتلقي الناقد، أو المؤول أو القارئ أو غير ذلك، حتى لا تكاد تخلو قصيدة من هذه العلامة، التي يجوز لنا أن نطلق عليها مناطق عمى من وجهة نظر المتلقي لأول وهله، ولكن إذا ما أحسن الناقد التعامل معها فقد تصبح مناطق إضاءة؛ لأن «مناطق العمى تسمح للنص بأن يعتمد اعتماداً واسعاً على التأويل، والتأويل من جانب آخر يعتمد اعتماداً رئيساً على النص؛ لأنه يجد فيه فرصة حرّة لممارسة فاعليته»^(٨٣) فمن ذلك قول الشاعر:

وكالخيال؛ به في أرضه ولع ^(٨٤)	كالسنديانة... نحو الشمس ترتفع
ما فزعوا... ما تناهى المشهد البشع ^(٨٥)	ما هدموا... ما أقاموا فوق جثتنا
لحن الخلود... ومن سموت بأحرف ^(٨٦)	يا سيدي... يا من وهبت قصائدي
تكاد تكون عن قرب... تكاد ^(٨٧)	فصبراً... فالأمانى قادمات
بأن ينظفي، والنور بالله خالد ^(٨٨)	هي القدس نور الله... أتى لنوره

ولعل الشاعر في نشره لمنطقة العمى هذه في جل قصائده، يجعل منها ظاهرة تستحق الدرس والتحليل والتأويل، «فمناطق العمى تصبح مناطق إضاءة لدى المؤول، فتكشف جانباً مهماً من نفسية الشاعر ومن رسالة النص»^(٨٤)، فماذا أراد الشاعر أن يقول بعد كلمة (كالسنديانة)؟، أو بعد (ما هدموا)؟ أو بعد (ما فزعوا)؟، أو بعد (يا سيدي)؟ وهكذا في بقية الأبيات المذكورة هناك، أو المتروكة في الأبيات داخل الديوان، والتي يضيق المجال بها هنا لذكرها، وهذا الأمر يفتح المجال واسعاً إلى التأويلات المنوعة والمحتلمة لذكرها، والتي قد تناسب البيت الشعري عند (س) من الناس، ولا تناسب (ص) منهم، وهكذا. ولاحظت كذلك أن الشاعر استخدم نقاط الفراغ هذه (...) في العناوين^(٨٥)، فربما أن الشاعر قصد منهما مثل ما كان يقصده خلال الأبيات، بأن يترك للمتلقي توقع ما يشاء من الكلمات، ولكنها ربما تكون في العنوان أكثر تعمية، وفي نفس الوقت أعمق دلالة؛ لأنها ستحير المتلقي وتزيد من توقعاته.

• أفعال الأمر:

تعامل الشاعر بإسراف مع الأسلوبين الخبري والإنشائي، وسأركز هنا على نوع واحد وهو الأسلوب

٩٣ شولز، روبرت، السيمياء والتأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٩٤، ص: ٣٧.

٩٤ الرواشدة، سامح، إشكالية التلقي والتأويل، ص ٣٠ - ٣١.

٩٥ كقوله في الديوان: «لئن تسقط الرايات...» (ص ٨٠) وقوله: «هي القدس... نور الله» (ص ٨٦).



الإنشائي؛ لأن الإنشاء «يجسد نمطاً إيقاعياً جمالياً يرتفع في النفس بترداد حدة النغم فيه»^(٩٦)، ومضمون الإنشاء «يتوقف على النطق به، وطريقته تحدد نوع الطلب واستدعاء ما هو غير حاصل، ومن ثم ينفذه المخاطب»^(٩٧) كما سأركز على نوع من الأسلوب الإنشائي الطلبي وهو الأمر، وهو باعتبار الصفة «طلب فعل غير كف، وصيغته أفعَل، ولتفعل وهي حقيقة في الإيجاب»^(٩٨).

أما باعتبار الدلالة والمعنى فهو «طلب الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء والإلتزام»^(٩٩) وباعتبار الوجود والتحقق فهو الذي «يدل على طلب الحدوث لشيء لم يقع وليس واقعاً»^(١٠٠) وإذا ما استعرضنا قصائد الشاعر قيد الدراسة، نجد قلة الصيغ الأمرية في قصيدة «السنديانة» وقصيدة «وعد اللطي»، فقد ورد لكل منهما صيغتان أمريتان فقط، بينما أجد في قصيدة «طيور القدس» تتكرر الصيغ الأمرية سبع مرات، وفي قصيدة «لن تسقط الرايات...» ست مرات، وفي قصيدة «هي القدس... نور الله» ست مرات، وفي قصيدة «سراج الأقصى» ست عشرة مرة، وطبعاً هذا التكرار في قصائده المختلفة وخاصة في القصيدة الأخيرة، يكاد يشكل ظاهرة أسلوبية تستحق الدراسة، فلو أخذنا مثلاً القصيدة الأخيرة «سراج الأقصى» وهي مكونة من ستة وثلاثين بيتاً، ومن ثلاثة مقاطع، جاء المقطع الثاني فيها مكوناً من ستة عشر بيتاً وهو أكبرها، وقد تميز هذا المقطع بتكثيف الصيغ الأمرية، بالتعامل مع فعل الأمر ثلاث عشرة مرة، واسم فعل الأمر مرة واحدة، فقد جاءت على الترتيب «قف، أضئ، أعد، اصرخ، ابعث، ارفع، انتفض، اغضب، فكن، وكن، أشعل، وخذ، انثر، حذار»^(١٠١) وهذا التكثيف يتناسب مع المقطع الثاني من القصيدة التي ركز فيه الشاعر على وصايا ونصائح يقدمها لسراج الأقصى وشيخه «رائد صلاح»، وكلها صيغ تقييد التحرك والاستعداد والانطلاق للمواجهة مع المحتل، مع الحذر في كل خطوة، وذلك ليشد من أزره، ويقوي من عزيمته؛ لأن الشاعر يعلم الوظيفة النفسية والأخلاقية التي ينطوي عليها أسلوب الأمر، وهو هنا يصور الحالة النفسية للأمر والمخاطب على اختلاف مكانة كل منهما؛ ولذا يعد فعل صيغة الأمر من التراكيب النحوية التي يتعلق معاني النحو فيها بالفكر، وهي تمثل العلاقات بين معاني الكلمات في النفس، وترتب الكلمة على نسق معانيها، مع ضرورة النظر في علاقتها الداخلية بالإمكانات النحوية^(١٠٢).

- ٩٦ جمعة، حسين، جماليات الخبر والإنشاء، دراسة بلاغية جمالية نقدية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥، ص ٤٧.
- ٩٧ نفسه، ص ١٠١.
- ٩٨ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ج ٢، (د، ط)، ١٩٧٣، ص ٨١.
- ٩٩ غوادرة، فيصل حسين، الوافي في علم البلاغة، السواقي العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ١، ٢٠١٥، ص ٤٢.
- ١٠٠ الريحاني، محمد عبد الرحمن، اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، دار فباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د، ط)، ص ١٣١.
- ١٠١ العتوم، أيمن، ديوانه، ص: ١٠٢-١٠٣.
- ١٠٢ ينظر، عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص:

صورة القدس في الأغنية الشعبية الفلسطينية - أغاني (أبو عرب) نموذجاً

احسين عمر دراوشة

باحث في علوم العربية وآدابها، ومحاضر في قسم اللغة العربية، بجامعة غزة

ملخص البحث: أنتج الإبداع الفلسطيني موروثاً قنياً وغنائياً معبراً عن وجدان الشعب ومواقفه الإنسانية الخالدة، وبرزت مكانة هذا الفن والإبداع في ظل وجود ساحة صراع وتحدي ثقافي على مختلف الأوجه وعلى الأطر كافة، ونبع في هذا المضمار المبدع الكبير (أبو عرب)، فأنتج إبداعاً يستحق الدراسة والبحث والتحليل، ولما كانت القدس جوهر القضية، جاء هذا البحث ليبين صورتها في الأغنية الشعبية الفلسطينية، من خلال اتخاذ نماذج من أغاني (أبو عرب)، والحديث عن المضامين المتعلقة بقضية القدس وموضوعاتها، ومن ثم الكشف عن معالم لغة الخطاب الغنائي في قضية القدس ومدلولاتها في أغاني (أبو عرب) من خلال إجراء مقاربات تحليلية، وبيان كل ما سبق بالمنهج الوصفي التحليلي، ومن ثم الخاتمة وفيها نتائج البحث وتوصياته وفهرس للمصادر والمراجع. الكلمات المفتاحية: (صورة القدس، الأغاني الشعبية، فلسطين والأغنية، أغاني «أبو عرب»).

The image of Jerusalem in the popular Palestinian song – songs (Abu Arab) model

Abstract: The Palestinian creativity produced artistic and musical heritage, expressing the people's timidity and timeless human attitudes, and the status of this art and creativity emerged in the presence of a cultural arena of struggle and challenge in all aspects and on all frameworks. It came out in this great creative field (Abu Arab) Research and analysis, and since Jerusalem is the jewel of the case, this research came to build its image in the popular Palestinian song, by taking samples from the songs of (Abu Arab), and talk about the contents related to the issue of Jerusalem and its subjects, and then reveal the features of the language of the speech in the Jerusalem issue and its implications In songs (Bo Arabs) by conducting analytical approaches, and the statement of all the above descriptive and analytical approach, and then the conclusion and the search results and recommendations and index of sources and references.

Keywords: (Jerusalem Photo, Folk Songs, Palestine and Song, Songs by "Abu Arab").



المقدمة:

تمثل الأغنية الشعبية الفلسطينية وسيلة تعبيرية، تنقل المشاعر والأحاسيس التي يمتلكها الفنان البارح الذي يجسد الحالة الشعبية العامة لأبناء الشعب الفلسطيني، وتعد الأغنية الشعبية رافداً من روافد الأدب الشعبي فهي فطرية المنشأ لا أثر فيها لصنعة معتمدة (إسماعيل، ٢٠٠٨: ١٦١)، وتعد القدس في الحس الجمعي الفلسطيني العام وقواعده الجماهيرية من الثوابت الوطنية، وتتمتع بمكانة دينية وروحانية في ثقافة المجتمع وأيدلوجياته؛ لذا يسعى هذا البحث إلى بيان صورة القدس في الأغنية الشعبية الفلسطينية من خلال اتخاذ نماذج من أغاني إبراهيم محمد صالح المعروف بـ(أبو عرب)، ولد سنة ١٩٢١م في قرية الشجرة بين مدينتي الناصرة وطبريا، هو شاعر ومنشد الثورة الفلسطينية الكبرى، عانى من ويلات التهجير القسري عام ١٩٤٨م، فُلجأ إلى قرية كفر كنا، ومن ثم نزح إلى قرية عرابة البطوف، وبعد ذلك للبنان ومن ثم إلى سوريا وتونس ومخيمات الشتات في العالم، أسس فرقته الأولى عام ١٩٨٠ في الأردن، سماها بـ«فرقة فلسطين للتراث الشعبي»، ثم غيرها باسم «فرقة ناجي العلي»، ألّف ولحّن حوالي ٣٠٠ أغنية وقصيدة عبر مسيرته الفنية، توفي في مدينة حمص السورية بتاريخ ٢ مارس عام ٢٠١٤م بعد صراع مع المرض (أبو عرب، ويكيبيديا، نت)، فيعد (أبو عرب) شاعر الثورة الفلسطينية وأحد رموزها.

منهج البحث: المنهج الوصفي التحليلي، القائم على اتخاذ نماذج من الأغاني المقدسية عند أبي عرب، والعمل على وصفها وتحليلها ومعالجتها بمنهجية علمية.

أهداف البحث: استجلاء معالم صورة القدس في الأغنية الشعبية الفلسطينية، وإثراء التجربة الفغائية الوطنية الفلسطينية، والكشف عن معالمها، وإضافة دراسة جادة وجديدة لمكتبة الفن والتراث الفلسطيني.

أهمية البحث: الكشف عن صورة القدس في الأغنية الشعبية الفلسطينية ونبراتها خطابها التفاعلي، بيان الرؤية الفنية والإبداعية في الأغنية الفلسطينية، ومكانة القدس في الوجدان الشعبي والشعور الجمعي، طرح إشارات وتحليلات تتصل بصورة أو بأخرى بالأغنية الشعبية الفلسطينية من خلال أغاني (أبو عرب) للقدس؛ ليستفيد منها أهل الاختصاص والجهات ذات العلاقة.

الدراسات السابقة للبحث: إن المطلع إلى الكتب والدراسات والأبحاث يجد أن أبناء فلسطين، أولوا جانباً من الرعاية لتراثهم الشعبي، وبذلوا جهوداً من أفراد ومؤسسات - تذكر فثشكر-، فمنهم على -سبيل المثال لا الحصر-: (عبد اللطيف البرغوثي، عبد العزيز أبو هدبا، يحيى جبر، إدريس جرادات، شريف كناعنة، سليم المبيض، حسين لوياني... وغيرهم)، ولكن جهودهم بحاجة إلى مزيد من التعمق والتحليل والبحث والدراسة، ولم أقف على دراسة بينت صورة القدس في الأغنية الشعبية الفلسطينية عند الفنان والأديب (أبو عرب).

محاوور البحث: يسعى البحث إلى تسليط الضوء على المحاوور الآتية:

المحوور الأول: المضامين المتعلقة بالقدس في أغاني (أبو عرب) - دراسة موضوعية.

المحوور الآخر: لغة الخطاب الفغائي في قضية القدس ودلالاتها في أغاني (أبو عرب) - مقاربات تحليلية.

هذا ما أراد البحث أن يوضحه ويتحدث عنه، وحسي أنه استوفى موضوعه، وأود الإشارة إلى أن البحث احتكم لنصوص الأغاني المقدسية عند أبي عرب؛ لأنها تتميز بالعموية واللغة القصديّة المفهومة، فكانت الكتابة تفسيراً وتوضيحاً لصورة القدس من ناحية المضمون والشكل، ومحاولة علمنتها من وجهة نظر أهل اللغة وأرباب النقد، ولسنا في مجال الإطراء والتمجيد، وأشكر القائمين على المؤتمر وموجهي الدعوات للمشاركة لحضور هذه التظاهرة العلمية الجادة، وأسأل الله السداد في القول والتوفيق في العمل.

المبحث الأول: المضامين المتعلقة بالقدس في أغاني (أبو عرب)- دراسة موضوعية.
يجسد الأدب الشعبي خلجات الشعوب النفيسة واهتماماتهم الروحية (إبراهيم، د.ت: ٣)، ويمثل اتجاهاته ومستوياته الحضارية (نصار، ١٩٨٠: ١٦)، واللغة الشاعرة تحمل في ثنايا طياتها مضامين شعورية وموضوعات شعرية (دراوشة، ٢٠١٧: ٩٧)، ونجد أن أبا عرب أبدع في حياكة النص الغنائي المتعلق بالقدس من خلال بناء تراكيبه وانتقاء عباراته وسبك معانيه بروح ثورية، فهو يكتب الموت بروح الحياة الوثابة التي تكتنز كل الحب والوفاء لمدينة القدس وما تتمتع به من مكانة دينية في الضمير الشعبي لأبناء فلسطين، لقد استطاعت الأغنية الشعبية بما تحمل من مضامين التعبير الصادق والدقيق عن المشاعر الشعبية آمالاً وآلاماً، وعن الماضي العريق الضائع (برزاوي، د.ت: ١٠١)، فنجد أن المضامين المتعلقة بالقدس في غنائه تدور حول موضوعات تتمثل في المطالب الآتية:
المطلب الأول: حب القدس وتغلغلها في الوجدان الجماهيري.

جعل الشاعر يتمنى أن تكون نهايته في القدس وأن يدفن فيها، حتى الموت لا يُنسي أبا عرب المكانة السامقة التي تتمتع بها القدس في نفسه، فيقول وهو يشدو على أنعام الحياة وعلى وتر الموت في ثنائية ثورية متمردة (يعاقبه، ٢٠١٣: ١٢):

لا تدفنوني لا تدفنوني	إلا بُرّبي فلسطين لا تدفنوني
بُ فيّة زيتوني بُ فيّة زيتوني	بُ مسرى النبي الأمين، بُ فيّة زيتوني

الغربة والحنين ممزوج بنكهة القدس، عزف أبو عرب على قيثارة ألم الغربة من شدة المحن وشوقه وحنينه الذي ألهب أضلعه، ونلمس ذلك من خلال انتقاء للتراكيب المكررة (لا تدفنوني) و(فيّة زيتوني)، ولعلنا نشتم من ذلك روح الرفض والتمرد على المحتل والتمسك بشرى فلسطين. الامتزاج بالأرض حياً وتعلقاً بها، والهيام بها، يجسد مكانة القدس في نفوس أبناء الشعب الفلسطيني، وهذا الحب منبثق عن قناعة تامة بأن القدس إسلامية الهوية وعربية الأصل، وقال في أغنية له «ما بنام الليل كله» (يعاقبه، ٢٠١٣: ٧٦):

صوت الأقصى يا بلادي	من صوتي الجريج
---------------------	----------------



على مهد المسيح		دمعة مريم على قدسي
بدي أنادي وصيح		بدي ردد في سلاحي
ل ترابك مرهون		روحي ودمي يا بلادي

لعل صوت الصراخ في جوف الليل، يبين حالة الهم الذي ينتاب الشاعر وأبناء شعبه، في حمل هموم قضيتهم، والتضحية والفداء بالروح والدم من أجل حرية المسرى من أيدي الطغاة الغاصبين.

المطلب الثاني: مكانة القدس بين المدن.

ارتبطت القدس بذكر المدن التاريخية في فلسطين، وكأنها القلب النابض لها، فهي شريان حياة، يضخ أغلى ما يملك إلى أرجاء فلسطين كافة، فقال في موال عتابا له بعنوان: «ع الفدائيه ع الفدائيه» (يعاقبه، ٢٠١٣: ٤٢):

سلم ع (حيفا) وعلى (الجليل)	سلم ع (دورا) و(قدس الخليل)
----------------------------	----------------------------

المطلب الثالث: الحنين والشوق لأرض القدس.

حنين الوطن في الغربية لا يقاوم، فكيف بالشعب الذي شرد عن أرضه قسراً أمام مرأى ملايين من بني البشر، وتحت وطأة القتل والتدمير وسفك الدماء، فانبرى شاعرنا عازفاً في غناؤه على ذكر القدس، وقال في موال عتاب بعنوان: «ليا وليا» (يعاقبه، ٢٠١٣: ٥٧):

الليالي تعيد ماضيها (ونا بعيد)	م بنسى القدس عن داري (ونا بعيد)
الناس بعيد ويفرحا (ونا بعيد)	البطولة وعهد ل قدس العرب

المطلب الرابع: الثورة من أجل تحرير القدس من الطغاة الظالمين.

امتشاق السلاح والإيمان بالعميقة الثورية المبنية على قيم نضالية وكفاحية، غرسها جيل الثورة الأول، فيقول أبو عرب في أغنيته «بسم الأقصى والمرتين» (يعاقبه، ٢٠١٣: ٦٢):

بسم الأقصى والمرتين	ل حلف ل بلادي يمين
ل عمل عظامي جسرنا يعبروا الثوار	ويحرروا قدسنا وترجع أهاليها

يا هلا بك يا هلا

لا بالرجا ولا ب وعود	ل بتبويس الأيادي
يرجع لي حقي المشهود	ويرجع حقي ب بلادي
عمرو حقي ما بيعود	إلا وإيدي ع زنادي
وتخطي سلاك ل حدود	بعزم وقوة وإرادي

شعبي بالداخل موجود		بشعل نار الوقادي
رد الدبابة بزئود		ب روح ودم وب فادي
صمودك شعبي أحلى صمود		وسند ظهري ب زيادي
أرضي انفجرت كالبارود		وتحت الغاصب براكين

إن (المرتتين) نوع من البنادق، نلاحظ من النص مدى عمق الحس الثوري عند أبي عرب، فهو يجسد حيوية القدس في الشعور والوجدان، ومدى ارتباط أبناء الشعب الفلسطيني بها، وتمسكهم بقضيتها واعتبارها على سلم أولوياتهم ومن أولى الثوابت الوطنية التي يتمسكون بها رغم توالي المحن، فلا تفريط ولا تنازل، فيجعل الشاعر جسده معبراً ليتنقل الشوار من خلاله للقدس لتحريرها من الطغاة الغاصبين، وكنس المحتل وطرده عن سائر ثرى فلسطين الحبيبة.

وحت المقاتلين الأبطال والشوار الأحرار على التمسك بنهج الثورة والسير على طريق السلام، فلا يفل الحديد إلا الحديد، فأبواق الإعلام وتصريحاته ووعوده لن تجدي نفعاً فالأقصى يأن ويستصرخ الأحرار، فقال في أغنية «طير الحر» (يعاقبه، ٢٠١٣: ٩٨):

ي مقاتل بدي وصيك		وخلي إيدك عالباروده
غير القوة ما فيه ليك		تترجع أرض جدودي
إياك الغاصب يغريك		وعود الغاصب مردوده
صوت الأقصى بيناديك		ورجعلي حقي لبي

التضحية والفداء من أجل القدس، بأعلى ما يملكون، فالاضمحلال والذوبان والفناء من أجل القدس، هو طبيعة العطاء الأزلي الذي يقدمه الشعب الفلسطيني وأبناؤه، فكم قدم الشعب الفلسطيني من الشهداء والجرحى والأسرى لقضية القدس وترابها الطاهر، وقال في أغنية «ي ما سرينا ب صبح» موجهاً لأبطال عملية الزوارق (يعاقبه، ٢٠١٣: ١٠٣):

يما سرينا بصبح ونهار كله غروب		نسبح ببحر الدما نتحقق المطلوب
نحمل حنين الأهل للتين للخروب		نحمل رفات الطفل في خيمتو مضروب



كرمال عز الوطن وكرمال ديرتنا	نحمل جراحات عيسى وشعبنا المصلوب
كرمال عز القدس منا ل قلوب تذيب	

إن تمجيد العمل الفدائي ينبع من مكانة الفدائيين والثوار الحقيقيين عند الشعب الفلسطيني، وأبنائه الأحرار، فهو لا ينتظرون شكراً من أحد يقومون بواجبهم في الذود عن حياض قدسهم رمز كياناتهم، ويفدونها بالروح والنفس والمال، فأبطال عملية الزورق المشتركة جسدت نمو الحس القومي لأبناء فلسطين والعروبة .

وتمجيد البطولة وفعالها، وذكر الثوار والأحرار، وربط ذكرهم بقضية القدس المركزية التي تجسد نبزاً يهتدي به أبناء الأمة وفلسطين، فقال مخاطباً أبطال عملية (نهاريا) (يعاقبه، ٢٠١٣: ١٠٤):

يا قاصدين الوطن صوتي يناديكم	روحي معاكم سرت قصدي أباريكم
نلتو الشهادة بشرف الله يهنيكم	والقدس فيكو ازدهت باهت أمم فيكم
ون كان شعري م بيوي رثا الأحرار	بالنار بالدم بالبارود لثريكم

المطلب الخامس: نصرة القدس واستنهاض الهمم.

الاستجابة للقدس ومتطلباتها والتعاطف معاً بالروح والنفس والجسد، وهذا يكشف لنا مدى العمق القداسي والمكانة السامقة التي تتمتع بها القدس في الوجدان الشعبي والعقلية الجمعية لأبناء الشعب الفلسطيني، الذين ما فتئوا يبرهنون للعالم أجمع أنهم أصحاب حق، وهم على أهبة الاستعداد والتضحية والفداء من أجل ثرى القدس والأرض المباركة، فقال في حداء له بعنوان: «حيا يا أرض الوطن» (يعاقبه، ٢٠١٣: ٦٦):

حياك يا أرض الوطن	حياي ربك فلسطين
يا حلاي ويا مالي	
لبيك يا أرض القدس	ل موت إحنا جاهزين
يا حلاي ويا مالي	

وقال في نفس الحداء:



مشي ع درب الثائرين	قدس العرب عند الطلب
يا حلالي ويا مالي	

استنهاض الهمم وإثارة القواعد الجماهيرية والشرفاء والأحرار، للذود عن حياض القدس، ومساندتها في ظل التغول الصهيوني والعدوان الغاشم، وقال في أغنيته « النار هبت ب الوطن» (يعاقبه، ٢٠١٣: ٧٥):

النار هبت بالوطن	والقدس تسأل حالها
وين النشامى يا هلي	عز الأرض برجالها
هيه هيه أرض الجدود	هيه هيه هيه بُكرى نعود

المطلب السادس: المكانة الدينية والتاريخية والقومية والسياسية للقدس.

القدس مهبط الأنبياء، ومهد الديانات السماوية، تمتاز بالتسامح الديني رغم تعدد الثقافات، وتنتشر في أرجائها المحبة وفي آفاقها السلام، إلا أن الطغاة المستعمرين دنسوها بخبث نواياهم وشنيع أفعالهم، فلم يראفوا في إنسان إلا ولا رحمة، فديدن اليهود السحق والنفي وطمس هوية المدينة لا احترام الآخرين وتقديرهم، فيقول الشاعر (أبو عرب) في موشح له بعنوان «كل ما تتادي يا بلادي» (يعاقبه، ٢٠١٣: ٧٩):

كرمال الأرض الخضرة	كرمال الغور
مهد عيسى والصخرة	وجبل طابور
سيرى بدرك يا ثوره	شعبك منصور
ت تعود بلادي حره	ومجمع أديان

يوحد الألم البشري أمم الإنسانية ودياناتها العادلة، التي تنظر للأخر نظرة تقدير واحترام، لا سحق ونفي وطرد وإقصاء كما الصهيونية العالمية ولوبها المتفد، وقال في أغنية له بعنوان: «نم يا حبيبي» (يعاقبه، ٢٠١٣: ٨٩):

مهما ذبحتو بشعبنا يا مجرمين	دمه ان جرى ع الأرض برسم فلسطين
-----------------------------	--------------------------------



ل زرع شلاني في ضم أرضي حنين	زهرات ثوريه ويكره بيطلعو
وسمعت (مريم) صوتها هدو النحيب	نادت ي (عيسى) يا شعب قدسي الحبيب
م الفايده من بذل دمك ع الصليب	ما دام عنا وحوش هيك بيصنعو
بصبر على الأيام مع جور الزمان	وبراهن الأيام بخاف الرهان
لو بقى منا طفل وحدوب المدان	لا بد حقي المغتصب يسترجعو

انتقاد السياسة العربية تجاه القدس، ولوم القواد والولاة والحكام العرب الذين خذلوا القدس وعدم مناصرتهم لها بصورة حقيقية، ويذكرهم بمعارك العرب والمسلمين، فالنصر لا يكون إلا تحت ظلال السيوف، لا العبارات الجوفاء والكلمات الرنانة التي لا يتعدى صداها المجلس المعقود، وقال (يعاقبه، ٢٠١٣: ٩٤):

ولما بنطلب دعم فالدعم بالأقوال	واحدهم يظن بالتصريح بيواسينا
يا ناس حاجي دجل ما عاد يمشي الحال	تصريح أو مؤتمر ما عاد يكفيننا
بدنا فعال ودعم والقول فعل رجال	تحمي بطولاتنا وتحمي بوادينا
نعطي ال عهد ل(كرامه) بقولنا وفعال	ول لقادسية عهد مع أرض (حطينا)
ما يهدي بال الخصم ما يهدي إلنا بال	ت نعيد أرض القدس مهد النبيينا

وقال متمسكاً بالقدس ومحافظاً على مكانتها في ظل موجات التفريط والمساومة (يعاقبه، ٢٠١٣: ١٠٣):

الغير باع الوطن بالمال والدولار	ونحننا ل أجل القدس ل الروح بياعين
---------------------------------	-----------------------------------

عمق الإحساس الوجداني بقضية القدس، فهي تعادل الروح، إنه التضحية والفضاء من أجل القدس الشريف، تلك المعاني النبيلة التي نلمسها في خطاب الغناء الفلسطيني الثوري، فقال أبو عرب في أغنية له «فدائي يودع أخته قبل العملية» (يعاقبه، ٢٠١٣: ١٠٥):

نداء الوطن حلفني يميني	ب روحي أرض قدسي بفتديها
قسم ما عاد يغمض جفن عيني	وشوف اعداءنا بتجول فيها

ذكر المناسبات الدينية وربطها بقضية القدس في الغناء الثوري، فقال في أغنية له بعنوان: «لوعة» (يعاقبه، ٢٠١٣: ١٠٧):

امي حزينه دموعها أرقام	أرقام تحكي بعد نكبتنا
تحكي عن المعراج يا إسلام	عن مهد عيسى وعن كنيستنا

الصمود والتحدي الأسطوري والثبات على هذه الأرض؛ لأن عليها ما يستحق الحياة، فالعابرون لا بد أن ينجلوا طال الزمان أم قصر، فبشرى النصر لأبناء الشعب الفلسطيني وسيكون حليفهم، هذا ما تجسده العقيدة الشعبية الثورية المؤمنة بنهج الأحرار الأبطال، فقال في أغنية له بعنوان: «يا بلادي أبشري» (يعاقبه، ٢٠١٣: ١١٢):

بلغوا المعراج مع مهد المسيح	مستحيل نذل ونركع مستحيل
-----------------------------	-------------------------

وصف حال الأمة العربية والإسلامية، ورضوخ القدس تحت وطأة الاحتلال، فقال أبو عرب (يعاقبه، ٢٠١٣: ٢٥٩):

لفت طيارك أسود (عملها)	ولفلسطين ما أعطت (عملها)
القدس مجروحته بتنادي (على امها)	العروبة وما حدا لبي الجواب

يستعرض الشاعر بفنائه الواقع المرير الذي تمر به الأمة، وعجزها عن حماية مقدساتها، تلك حالات حرجة وأوقات عصيبة تمر على القدس وسكانها الذين يعانون الأُميين، والأعراب ساهون لاهون لا يحركون ساكنًا.

بذل الدماء في سبيل رفعة الوطن وتحرير القدس، فكنس المحتل وطريق الانتصار عليه ليس مفروشة بالورود، إنما الأمر يحتاج لعزيمة وقوة رادعة بإمكانها دحر المحتل وكسر جيروته ومواجهة صلفه، فقال في أغنية «وصية لفتاوي» (يعاقبه، ٢٠١٣: ١١٤):

دعنا نضجرها دما نبيل الأديم	تا أرض قدسي ترتوي بأشرف ورود
-----------------------------	------------------------------

تتبوأ القدس مكانة عظيمة في الوجدان الشعبي، لذا نجد أن الأحرار هبوا لنصرتها وذاذوا عن حياتها بكل ما يملكون من وسائل وأدوات، فقال في موال عتابا «يا هلا ب النشامى (لحن بردي)»



(يعاقبه، ٢٠١٣: ١١٨):

ع قبري أرسماو قدس العرب		إذا بساح القتال قضيت(نحبي)
وينطر ل عشبات الندى(طلوا)		صبرت على الوطن والصبر (طلوا)
نشامى وللفدا لبوا الطلب		ابشري يا قدس هالثوار (طلوا)

يبشر الشاعر بفنائه القدس بأن الظلام سينجلي، بقدوم الثوار الأبطال الذين لبوا النداء، وجادوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل تحرير القدس وكنس المحتل الفاصب.

السير على نهج الأحرار لتحرير القدس والعودة لروايبها، وفض البعد عنها تحت أي ذريعة من الذرائع، وهذا يدل على مدى التمسك بالقدس والحفاظ عليها أمام التغيرات التاريخية في العصر الحديث، فيقول أبو عرب في أغنيته «درب الثوار» (يعاقبه، ٢٠١٣: ١٧٦-١٧٧):

م يهاب المنيه		شعبي جبار
ل الثوار حياني		صوته من بعيد
يا (عكا) لاقيني		(غزة) بتصيح
بتحيي (جنين)		(رام الله) (البيره)
ل(قدسي) حنيني		(يافا) بتقول
ساعا عن إخواني		ما طيق البعد

مجابهة الطغاة الظالمين ومن حطه رحله في ركابهم، فيصبر الأحرار والثوار ويقدمون التضحيات العظام، حتى يكتب لهم النصر والتمكين، ولن تذهب جهودهم سدى في مقارعتهم للمحتل وسيصنفهم التاريخ في أزمانه المتعاقبة، وهذا ديدين الثوار والمناضلين الأحرار، فقال مخاطباً القدس (يعاقبه، ٢٠١٣: ٢٥٠):

تلقى ارجالك بحر هدارع المينا		يا قدس لا تحزني ويا أقصى نادينا
لو عا بعض الخون ولتاجروا بيا		خمسين عام انقضت ما كلت إيدينا



م نهاب غدر الخون لو كشر نيابو		يشهد علينا الوطن والقدس وترابو
نتخطا كل المحن ع دروب الحريه		مهما يدور الزمان لو كشر نيابو

تمثل القدس عقدة الصراع وجذوته، فلا تفريط ولا تنازل عنها فهي جزء لا يتجزأ من أرض فلسطين، فهي عنوان العزة والكرامة ورمز الفخار، وهي أيقونة الثورة ومبتغى الثوار، ذلك المعلم النفيس الذي نزل في قرار مكين من نفوس الثوار الأحرار والمكافحين الشرفاء الذين نافحوا عن ثرى أوطانهم بدمائهم الطاهرة، فقال في أغنيته «يا قدس إنت الأمل» على لحن أبو الزلف (يعاقبه، ٢٠١٣ : ٢٢٢):

صوت ل قلبي وصل حرك كرامتنا		يا قدس إنت الأمل عنوان عزتنا
بتظل طول الأزل حرا عربيا		بصوت شعبي البطل بصوت أمتنا
زوزي ديار الحمى حيي روايبها		ي نجوم يل بالسما ل بلاد حيبها
حبا ب قلبي نما آيات سحريا		ب قلوبنا والدماء ول القدس نضديها
كل ما يموج البحر كنوب ينادينا		يا ناس قلبي انضجر والشوق غازينا
تعرفنا كل البشر عشاق حريا		كلما يهل القمر نور بوادينا

يلاحظ أن الصرخات الشعرية والدفقات الشعورية التي أطلقها (أبو عرب)، هي من المحركات الرئيسية التي مثلتها القدس في الأغنية الشعبية الفلسطينية؛ لأن الأغنية نابعة من إيمان الشعب وتصور حياته، فهو يتفاعل معها بصورة عفوية (كناعنة، ٢٠١١ : ١١٦)، فشكلت-هذه الدفقات- معادلاً موضوعياً استطاع الشاعر من خلاله أن يشحن الصور والأساليب والألفاظ والتراكيب؛ ليبيث فيها الدوال والدلالات والمعاني التي يسعى إلى إيصالها من خلال سبك الخطاب الغنائي في أبنية النصوص وتراكيبها ولحن ألفاظها وإقائها وإنشادها أمام الجمهور؛ كل ذلك وفر بيئة حميدة متفاعلة استطاع المتلقي أن يتشرب معاني الجنس الغنائي خصوصاً في ظل تنوع القوالب اللحنية، وهذا أسدل على النص الغنائي حيوية حقيقية جعلت المتلقي يدخل النص من أوسع أبوابه ويفهم معاني موضوعاته ويعيد خلقه من جديد، مشكلاً رؤية فنية حول المنجز النصي في الخطاب الغنائي



المتفاعل، كيف لا؟، والأغنية الفلسطينية ألهمت المشاعر والأحاسيس في ساحات الانتفاضات وميادين الاشتباك والتصادم مع العدو الغاشم في محاور التماس وتأجيج الجماهير الحرة وإيقاظ شعورها وإثارة نخوتها، وكل ما سبق يمثل محوراً موضوعياً مهماً يجسد بأدواته وألوانه وأساليبه تيار الرفض والتمرد الذي تعبر عن الفلسفة الثورية لدى أبناء الشعب الفلسطيني الذي تجرع الويلات والآهات والأنات.

المبحث الآخر: لغة الخطاب الغنائي في قضية القدس ودلالاتها في أغاني (أبو عرب) - مقاربات تحليلية. إن كل شاعر في الأرض وصاحب كلام موزون؛ فلا بد من أن يكون قد لهج وألف ألفاظاً بأعيانها؛ ليديرها في كلامه (الجاحظ، ١٤٢٤: ١٧٤/٣)، ويمثل النص في الموروث الشعبي قيماً دلالية مركوزة في ثنايا أبنية الخطاب الغنائي المتموج، ويبرز ذلك جلياً في الغناء الثوري الهادر، المشحون نفسياً ووجدانياً واجتماعياً، فهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بطموحات الشعب وآماله في تحقيق ما يصبو إليه، ومن اللافت للنظر نجد أن الشعر الشعبي ونصوصه جاءت لفته شعرية منسجمة ومتوافقة مع الحالة الشعورية التي يترجمها الشاعر بفنائه لشعره، وهذا يجسد الصدق الفني الذي عبر عنه ابن طبابا العلوي؛ بقوله: «إذا أيدت بما يجلب القلوب من الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها» (العلوي، د.ت: ٢٤)، ونستطيع لمس ذلك بشكل واضح في الأغنية الشعبية وتعايرها المتنوعة في ثنايا سياقاتها، وذلك الكشف عن جماليات لغة الخطاب الغنائي في قضية القدس ودلالاتها في أغاني (أبو عرب)، التي يمكن بيانها من خلال الحديث عن القضايا والموضوعات التشكيلية العامة التي تتمثل في المطالب الآتية:

المطلب الأول: المعنى الإيحائي للأصوات في السياق الغنائي.

إنّ الاستخدام الأمثل للقيمة التعبيرية للأصوات وانسجامها مع الدفقات الغنائية التي تجسد عمق الحس الثوري تجاه قضية القدس، وقوة فاعليته في ظل الخذلان والهزيمة والعار، يأبى الشاعر الاستسلام ويؤمن بمواصلة طريق الثورة والثوار، فقال أغنيته موال عتابا (يعاقبه، ٢٠١٣: ٢٥٧):

ألا يا قدس والدمعات (هامو)	وأهلي في فيا في الأرض (هامو)
فدائي وع تحرير القدس (أقسم)	رهن دمو ل تحرير ل تراب
عطشان قلبي وع الوطن قاصد (ورود)	اسقيت من دمي أنا أشرف (ورود)
يا فدائي صول ع أرض ك (ورود)	والموت عزى والمذلة تعيينا

نلاحظ أن معظم الأصوات المستخدمة في ثنايا النص هي أصوات انفجارية رنانة اتسمت بالوضوح الصوتي؛ مثل: (أ- ق- د- ع- ت- هـ)، تدل على تجسيد المقاومة وعمق الإيمان بالثورة التي تحرر البلاد من دنس الطغاة الحاقدين، ووظف الشاعر في غنائه الأصوات التكرارية؛ مثل: (ر- ل- ن)، التي تدل على عظم المأسى وتكرارها في حياة الشعب الفلسطيني، وضرورة الثورة من أجل الحرية والاستقلال، ووظف الأصوات الصفيرية؛ مثل: (ص-س-ز)، ليعبر عمّا تجيش به نفسه من معانٍ ودلالات ترتبط بصورة أو بأخرى بالرفض والثورة والتمرد ضد من يحتل القدس، ويلحق الأذى بفلسطين.

المطلب الثاني: شعرية اللغة في الخطاب الغنائي.

شعرية اللغة وإيحائية الألفاظ، فاللغة حقيقة اجتماعية تعبر عن حاجات الناس ومشاعرهم وأحاسيسهم، فلا غرابة أن نجد انسجاماً بين المكنون والمفوض، الذي يجسد الصدق الفني في إنجاز الفعل الكلامي والكشف عن مدلولاته الخارجية التي تلامس أثر الواقع، فقال في موال يرثي فيه الشيخ أحمد ياسين (يعاقبه، ٢٠١٣: ٢٥٤):

والقدس تبكي من ألم أجزائها	على السفينه اللي انفقد ربانها
عبد العزيز البطل من وجدانها	والشيخ أحمد يا رمز القيادة
والخيل تصهب والبيارق سود	تسهل وتنحب ع موت الأسود
جودي يا قدس بالضحايا جودي	ب أبطال أمنيته الاستشهاد

إن خسارة القادة من أبناء الشعب بغض النظر عن توجهاتهم، هي خسارة قومية للشعب نفسه، ولعل شاعرنا في غناؤه عبر عن الحس الثوري في رثائه للقادة بلغة شعرية معبرة وألفاظ ذات دلالات موحية، فنجد أن الألفاظ تنسجم مع الموقف وتتناسب معه وهذا يعبر عن صدق المشاعر والأحاسيس، فلفظة: (تبكي- ألم- أجزائها- انفقد- وجدانها- تصهب- تسهل- تنحب)، كلها ألفاظ شعرية شعورية تنم عن عمق الألم والإحساس بقيمة الثورة وقوادها.

المطلب الثالث: تقنية التكرار.

استخدم الشاعر التكرار، الذي يحمل دلالات متنوعة أودعها في أبنية النصوص وكلماتها، فوظفه الشاعر في كلامه «تأكيداً له، وتشبيهاً من أمره» (ابن الأثير، ١٤٢٠: ١٤٧/٢)، فقال في موال عتاباً ضمن أغنيته «ل جلك يا أرض بلادي» (يعاقبه، ٢٠١٣: ١٦٤):

ركبو خيولهم بالليل (عدو)	نشامى وعلى جسر الردى (عدو)
واللي ما يضحى اليوم (عدو)	بري منو قدسنا والعرب

ويدلل التكرار على تأكيد أمر الانتصار وقوة الفعل الثوري ضد المحتل الغازي، رسم الثوار طريق الحرية بفعلهم وصدق أقوالهم، وقال أيضاً (يعاقبه، ٢٠١٣: ٢٢٢):

في مسرى طه في مسرى طه	مهد عيسى المسيح في مسرى طه
روحي مناها روعي مناها	فيها يكون الضريح روعي مناها



في ساعة موتي في ساعة موتي	وانا بأرض باريس في ساعة موتي
شيلوا تابوتي شيلوا تابوتي	إلى القدس العزيزة شلوا تابوتي

إنها نبرات الحزن في الدرج الموسيقي التي حملها التكرار؛ ليؤكد المكانة الوجدانية في الحس الشعوري عند أبناء الشعب الفلسطيني، يلاحظ صوت الألم في الدفقات الشعورية المتدفقة من ثنايا هذا الغناء الإنساني الذي يعبر عن مأساة شعب، يرتبط وجدانه بقضيته ومقدسات أرضه. المطلب الرابع: التناص.

يعد التناص من الروايد التاريخية التي تبين المرجعية الأصيلة التي تتبع منها القيم الشعبية والمعلوماتية في العالم العربي، وقال في أغنيته: «يا عاشق النوح» (يعاقبه، ٢٠١٣: ١٤٠):

يا عاشق النوح إسمع لوعة الوجدان	شاعر اهيب ودمي والنوح ألعانو
شاعر كضر بالغزل والقد والأجضان	قدس ترابو مثل تقديس قرآنو
ون ردت عن شاعرك إسمو أبو العريان	إسمو عروبه وأخذ الثار عنوانو
شعرو حنين النبي وع صخرتو حزنان	عا مهد عيسى وعلى إجرام عدوانو

لقد حوت هذه الأغنية على «تناصات أدبية متنوعة في أجزائها المختلفة حتمية اندماج المقروء الثقافي في ذاكرة الشاعر تم تسريه إلى عالم القصيدة من خلال اللغة أو الصور أو الأسلوب أو الرؤية» (الزعيبي، ٢٠٠٠: ١٥٣)، التي تمثلت في ذكره لأغراض الشعر ومصطلحاته، ورؤيته لواقع مدينة القدس وتصويره لها، كل هذا أسهم في بلورة مرجعية تراثية وثقافية، كل ذلك أضفى على النص الغنائي هالات مرجعية يمكن من خلالها استقرار الحاضر من خبرات الماضي، وهذا ركن يرتبط بجماليات النص الغنائي وأصالة هويته في ظل التقلبات الحضارية التي دبت أرجاء المجتمعات والشعوب.

واستدعاء الشخصيات التراثية في قضية القدس؛ لأنها شخصيات معبرة عن ضمير عصرها وصوته، الأمر الذي أكسبها التأثير على الشعراء في كل عصر، وكونها أيضاً أكثر طواعية للشاعر المعاصر، والأقدر على استيعاب تجربته المختلفة (زايد، ١٩٩٧: ١٢٨)، فقال في أغنيته: «يا قدس قومي زغردي» (يعاقبه، ٢٠١٣: ١٥٦):

يا قدس قومي زغردي راجع صلاح الدين



رجال من يعبد أجواي رفاق عز الدين
عدوا على مسرى الشرف مرقوا على حطين
كل ما نادى فلسطين رجال المخلصين
من عياش ومحبي الدين والشقاقي وأمثالو
حي الله رجال والطن كل واحد ب إسمو

نلاحظ توظيف الشخصيات التاريخية التي لها مكانتها ودلالاتها في شايا النص الغنائي، فهذه الشخصيات لها رمزيتها في الخطاب الموجهة للجماهير الشعبية، فنجد شخصية (صلاح الدين، عز الدين، عياش، محيي الدين، الشقاقي)، كلها شخصيات جهادية مقاومة، قارعت المحتل وألحقت الهزائم به، ونستشف من إجراء التناص واستدعاء الشخصيات التراثية، بأن ذلك خير برهان على صدق النوايا الشعبية وإيفائها لقضية القدس، وتصديق ما يذهب إليه الشاعر حيث «يرغب الشاعر المسلم بكل ما هو مقدس، وهذا يجعل المبدع يحرص على الهيمنة، فحضوره ليس لمجرد إغناء النص بطاقاته فحسب بل لكونه عالقاً في ذهن المتلقي، مما ينتج عن استثماره من وظيفة مزدوجة: روحية، وفنية» (أبو علي، ٢٠٠١: ١١٦).

المطلب الخامس: توظيف الترادف.

توظيف الترادف في بيان صورة القدس، أسهم في إثراء دلالة النص الغنائي، واستهواء المتلقي، فقال في حذاء حروبي بعنوان «وتزنرو ب سلاحكم» (يعاقبه، ٢٠١٣: ٢١١):

يا مهد عيسى والنبي	معراج طه اليعربي
--------------------	------------------

حدث الترادف بين مهد عيسى ومعراج طه هي القدس، وهذا يدل على امتزاج الأديان وعلى العادات الإنسانية الراقية المبنية على التسامح والتعايش السلمي في ظل التوترات، فالعقلية الشعبية الفلسطينية ووجدانها تمتاز بقيم إنسانية خالدة، ولكن قساوة المحتل وجبروته انعكس على سلوكيات الكل الفلسطيني، فجابته تصرفات العدو المحتل بكل أدوات المقاومة التي تمتلكها المجتمعات البشرية، مع الحفاظ على القدس باعتبارها رمز كيانه وعنوان حضارته العامرة.

المطلب السادس: استخدام الحوار الدرامي وإضفاء روح الحياة على الماديات.

إجراء حوار مع القدس ومتعلقاتها، وإضفاء روح الحياة عليها من الميزات الأساسية في الفن والأدب الفلسطيني، ويجسد ذلك مدى حب القدس وعظم مكانتها في نفوس أبنائها في المجتمع الفلسطيني، فقال في أغنيته «تعي في العيد» (يعاقبه، ٢٠١٣: ١٥٩):



وعن المله المضرح إسألينا	تعي في العيد (عذرا) وعائدينا
ومن ححك ي (عذرا) تعاتبينا	اسألينا المهدي كيف ايروح منأ
مع المعراج مع صخرة نبينا	اسألينا ع القديس زهرة وطنا
ت يسير عا كضوف المجرميننا	ي(عذرا) دم إبنك صار حنا
مثل ما صار ب ابنك صار بينا	ي (عذرا) اللي صلب عيسى ظلمنا
ب خيام ويرد وحنا صابريننا	شوي في اطفالنا وشوي في

وقال أيضاً:

نحننا اولاً قديسك باركيننا	حملنا جروح عيسى مع المننا
----------------------------	---------------------------

نلاحظ مدى تفاعل الشاعر بغنائه مع القديس ومخاطبته لرموزها، فالحوار أسدل على النص بنية تفاعليه استطاع الشاعر أن يقربها لنا من خلال فتح قنوات حوارية بينه وبين متعلقات القديس، وفي ذلك إيحاء على حب القديس ودلالة على التضحية والفضاء من أجلها، في ظل موجات الاحتلال وجبروته وعدوانه الغاشم.

وإضفاء الحياة على القديس واستنطاق جوامدها، في رسم الصورة الغنائية للقديس، وتوظيف اللغة المجازية التي تحمل في طياتها روح التمرد والرفض، لاستنهاض الهمم وإيقاظ شعور الأمة لنصرة القديس ومؤازرة أهلها في ظل شراسة العدوان، فقال في أغنيته (ي مفاريقين الحمى) (يعاقبه، ٢٠١٣: ٢٦):

والقديس نادى على الثوار تحميها	اسمعوا صوت القديس ستنجد الأحرار
والعذرا تبكي المهدي والمهدي بيكيها	الصخرة تشكي الظلم من سطوة الفجار
بالروح بالدم ل فلسطين نضديها	صاح الضدائي بصوتو زلزل الأشرار

وقال في أغنيته «تهى ي أرض» (يعاقبه، ٢٠١٣: ١٢٨):

رشاشنا يحكي شرف غايتنا	غير المدافع ما بيظربنا حدا
------------------------	----------------------------



كبر الأقصى وهللنا محمداً	عيسى ومريم باركوا خطوتنا
--------------------------	--------------------------

نلاحظ أن القدس تجسد بصور بيانية توحى بحال القدس وأوضاعها التي تمر بها، وأراد الشاعر بذلك أن يشحن أغانيه بتجسيديات تعبر عمّا يجيش بنفسه، وهذا ينعكس على نفسية المتلقي، ويبين مدى صدق العاطفة الوطنية والقومية التي يكتنزها الشاعر في ألفاظه وقوالبه اللغنية وعباراته وصوره التجسيدية، فأبرز (أبو عرب) التفكير الحسي داخل الصورة الشعرية من خلال أحاسيسه ومشاعره، وهذا التفكير كما هو معروف ينبئ وراء الصورة الكثير من الدلالات، ويكشف عن الأحاسيس والمشاعر من خلال التفاعل لإبراز الفكرة التي انصهر فيها وغلفها بالواقع المر والأليم، إن المشهد الخارجي الذي اتضح من صور التحدي والرفض ومن خلال الأرض لم يكن يظهر على أرض الواقع إلا لكونه موجوداً في نفس الشاعر نتيجة انعكاس الواقع، وهذا بطبيعة الحال يبرز التفاعل القائم بين ما هو خارج النفس وبين ما هو موجود في النفس (الأغص، ١٩٩٨: ٢٠٣/٢).

المطلب السابع: الأساليب الإنشائية.

استخدام أسلوب التوكيد، يبرز في مدلولاته مكانة القدس في قلب الشعور الجمعي لأبناء

المجتمع الفلسطيني، فقال الشاعر (يعاقبه، ٢٠١٣: ٢٦):

إني قدسي هنا ثابت ع خط النار	ودموع (مريم) أنا وجروح فاديها
------------------------------	-------------------------------

يؤكد الشاعر من خلال استخدامه لحرف التوكيد على ثباته وصموده على ثرى القدس الحبيبة، ويبرز جهوزيته للقاء في سبيل تخليصها من الظلم وتحريرها من الطغيان الصهيوني. واستخدم الشاعر في لغته الغنائية أسلوب القسم؛ يشعرنا بمكانة المقسم به وعظمه في نفس الشاعر الذي يعبر عن القواعد الشعبية التي تمثل إحدى أطراف العملية الفنية والإبداعية في الأدب الشعبي، فقال (يعاقبه، ٢٠١٣: ٢٦):

أقسم بأرض القدس مع تربة الأغوار	م ترك بلادي وما بنسى روابيها
أقسمت بالمقسمين يكملوا المشوار	ويحرروا بلادنا وتضحك لياليها
ل عمل عظامي جسرنا يعبروا الثوار	ويحرروا قدسنا وترجع أهاليها
عادتنا تأنف العيشه ب مذلة وعار	وأطفالنا من نجيع الدم نسقيها
حي العروبة وحيي معشر الثوار	في شرق موطن عرب قاصي ودانيها

إن القسم بمتابفة جملة يؤكد بها جملة أخرى(أبو حيان، ١٩٩٨: ٤/١٤٦٣)، توحى بالإيمان الصادق الذي تكتنزه النفس الجماهيرية في الأغنية الشعبية، وكيف إذا كان ذلك متعلق بالقضية المركزية لأبناء فلسطين.

المطلب الثامن: الجنس.

توظيف الجنس في تعبيره عن القدس، ولّد جرساً موسيقياً على مستوى اللفظ، وزاد المعنى دقة ووضوحاً، فقال(يعاقبه، ٢٠١٣: ٥٧):

الناس بعيد وبضرحا (ونا بعيد)	البطولة وعهد ل قدس العرب
------------------------------	--------------------------

وقع الجنس بين لفظتي(بعيد، بعيد)، فمعنى اللفظة الأولى العيد الحقيقي الذي يفرح به الناس، أم لفظة(بعيد) الثانية فهي عيد من نوعه الخاص فيه تمجيد للبطولة والتضحية والفداء، عيد الشهداء والجرحى والأسرى، تلك هي خصوصية الغناء الشعبي الفلسطيني الذي يجسد آهات الشعب ومعاناه من جراء العدوان الغاشم وما تسبب به من تهتكات في النسيج الاجتماعي الفلسطيني، ولعل هذا الجنس على مستوى الألفاظ مرتبط بالمعاني التي أودعها الشاعر في خطابه الغنائي.

المطلب التاسع: المعجم الشعري حول القدس.

استخدام معجم متعلق بالقدس وقضاياها، تعج ذاكرة شاعرنا في أغانيه الشعبي بمعجم زاخر بمعانٍ ودلالات تبرز قضية القدس وتوضح معالمها، فهو يمثل «مجموعة ألفاظ متكررة أو مرادفات لها تؤدي إلى نفس المعنى أو حتى تراكيب معينة تؤدي إلى مصب واحد في المعنى أو تجانبه وتقاربه»(مفتاح، ١٩٨٦: ٥٨)، فنستطيع بيان الألفاظ التي وردت بكثرة عنده حديثه عن قضية القدس، وتم ورود هذه الألفاظ في ثنايا النماذج الشعرية التي سقناها، وهي:(القدس، مسرى النبي، قدس الخليل، قدس العرب، الأقصى، قدسنا، قدسي، أرض القدس، صوت الأقصى، مهد المسيح، مهد عيسى، الصخرة، قدس الحبيب، مهد النبيينا، عز القدس، لأجل القدس، أرض قدسي، المعراج، يا قدس، تحرير القدس، مسرى طه، مسرى الشرف، معراج طه، صخرة نبيينا، قدسك، صوت القدس، صرخة أقصى)، ومثل هذا المعجم ارتباطات دلالية متنوعة، تجسد مدى حب المبدع للقدس وإيمانه العميق بضرورة تحريرها وكس المحتل الغاصب عنها.

لقد شكلت القدس بؤرة دلالية ذات معانٍ منفتحة في ثنايا نصوص الخطاب، مما أسهم في تشكيل رؤية واضحة للبنية النصية المطروحة التي تحوي في طياتها قضايا تتعلق بالقدس وحال الأمة العربية والإسلامية(دراوشة، ٢٠١٦: ٥٨٨)، وهذا يدل على عمق الانتماء الحقيقي لقضية القدس.

المطلب العاشر: التنوع الموسيقي في استحضار قضية القدس.

التنوع الموسيقي في الأدراج الغنائية في سياق التعبير عن القدس ومتعلقاتها، فيمتاز الشعر عند العامة بالغناء، فتطرب إليه آذانهم وتستهو به قلوبهم، ولعل أهل الشام -خاصة- أولعوا بغناء الشعر(الرافعي، د.ت: ١١٢/٢)، والناظر لتاريخ الشعر العربي يجد أن الغناء هو المضمير الرصين؛ لتوصيل رسالة الشعر وإبلاغها والتأثير في المتلقين، فشعراء العربية الأوائل أطلقوا عنان أنفسهم في



التعبير بالبوح بأسرار قلوبهم من خلال التغني بالشعر وأداء موسيقاه بما يتوافق مع الذوق السليم، فهو يُلقى على سجيته، دون تكلف وصنعة، فقال شاعر الرسول (ابن رشيق، ١٩٨١: ٢/٣١٣):

تَغْنُ بالشعر إِمَّا كُنْتَ قَائِلَهُ	إِن الغناء لهذا الشعر مضمراً
---------------------------------------	------------------------------

فالغناء كان أساس تعلم الشعر عندهم (ضيف، دت: ١٨٩)، وعرف الأدب العربُ ضرباً متنوعاً من الغناء، والأغنية الشعبية الفلسطينية لا يتجزأ من تاريخ الأدب العربي، لما تمثله من معانٍ ودلالات قومية وتاريخية في ظل وجود ساحة صراع وتحدي، يسعى الصهاينة إلى طمس الآخر ونفيه وسحقه بكل ما يمتلكون من أدوات السحق والنفي، ولعل ما يهمنا في هذا المضممار التعرف إلى القوالب اللحنية التي استطاع أن يوظفها الشاعر في غنائه حول قضية القدس، فهو شكل قوالبه اللحنية وتقنياتها، ونجد أنه نوع في استخدامه لها وتوظيفها في بنية الخطاب الغنائي المتعلق بقضية القدس ومن أمثلة ذلك قوله في لحن قرادي له في أغنيته «ي هل الضفة الغربية» (يعاقبه، ٢٠١٣: ١٣٦):

م حلّى قدسي وم جملها	أ الله بلطفه كملها
----------------------	--------------------

وقال في أزوجة مسير فدائي له ضمن أغنيته «ي لله يمي ع الزيتونه» (يعاقبه، ٢٠١٣: ١٣٧):

يمه قدسي بتناديني	(برقه) ومعها (دير ياسين)
هاتي المدفع والمرتيني	يمه اخواني بستنوني

وقال في موال عتابا ضمن أغنية له بعنوان: «غليلي يا حادي» (يعاقبه، ٢٠١٣: ١٤٢):

لو طالت غربتنا	راجع يا ديرتنا
أحلى فرحه وأجمل عرس	لما بدنا نعيد القدس
بزنوك ثورتنا	بزنودك ثورتنا

وقال في مواله «هدو الخيام-شدو الشراع» (يعاقبه، ٢٠١٣: ١٨١-١٨٢):

حيك ي شعبي البطل إبدل دماك وجود	والصخر غنى وصار الحجر موالو
أعطي ل كل البشر عزه وإبا وزنود	خلي القدس يفتخر ب عزة رجالو

وقال فيه أيضاً:

يا قاصدين الوطن ع الغيم مسراكم	بيكون ع أرض القدس يا طيب ملقاكم
--------------------------------	---------------------------------

قال في لازمة له من موال «ب اسم المولى هللنا» (يعاقبه، ٢٠١٣: ١٨٧):

ل جل القدس وحرمنا	بالعبوات تحزمتنا
صرخة أقصى لبيها	ولعيونك يا موطننا

وقال في أغنيته «دلعونا» (يعاقبه، ٢٠١٣: ١٨٨):

والظلم سايد والعدل غايب	وين العروبة يارب العونا
من(بيت ساحو) ومن(بيت نابالا)	(بلاطة) و(عسكر) حيلي رجالا
(شجاعية) و(غزة) (القدس) وقبالا	ل دهيشه بتنخي ل جلزوانا

كل ما سبق من قوالب لحنية مثل أدراج موسيقية أغنت التجربة الفنية للشاعر في أغانيه، وأمدتها بهمسات شاعرة تتأسبت مع المقام الذي طُرحت فيه، فتجد الشدة والرخاوة والتكرار، كل ذلك أسهمت في ضبط ذبذبات النفس الغنائي وزيادة تأثيراته في نفس المتلقي، فلا غرابة أن نجد أن الأغنية الشعبية لها تأثيرها النفسي العميق في الوجدان الجمعي لأبناء الشعوب، هذا ما وددت الإشارة إليه من خلال هذا البحث العلمي الجاد، وحسي أنني استجليت معالم القدس في الأغنية الشعبية من خلال أغاني (أبو عرب) الشاعر الثوري المرموق، الذي سطر بكلماته العنقودية البسيطة في مقامها العظيمة في مدلولها، مرتكزات القضية وثوابتها الرئيسية.

النتائج والتوصيات

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، وهي:
أولاً: النتائج.

١. شكلت القدس معادلاً موضوعياً بارزاً في الأغنية الشعبية الفلسطينية، مما يوحي بالمكانة التي احتلتها القدس في الوجدان الجماهيري والضمير الجمعي عند أبناء المجتمع الفلسطيني.
٢. برزت صورة القدس في الأغنية الشعبية الفلسطينية على أنها أحد الثوابت الوطنية التي لا يمكن التفريط بها تحت أي ظرف من الظروف.
٣. تميزت بنية الخطاب الغنائي في قضية القدس بالمقصدية الواضحة في نقل المشاعر والأحاسيس الثورية النابعة من تيار التمرد والرفض ضد ما يفتعله الطغاة المحتلين وأعوانهم.
٤. ارتباط القدس في الأغنية الشعبية بالثوابت الوطنية عند أبناء الشعب الفلسطيني، والحث على استردادها واستنهاض الهمم من أجلها، ورفض الذل والخنا، والتمسك بنهج الثورة من أجل حرية القدس.



٥. تنوعت نسقيات الأدرج الموسيقية ومقامات ألقانها في مضامين قضية القدس عند أبي عرب، مما أنتج بنية موسيقية متفاعلة، أثرت على جمهور المتلقين.
٦. مركزية الدلالة في الغناء الشعبي الفلسطيني، خصوصاً في قضية القدس، مما جعل النصوص تحوي في طياتها معاني ودلالات متنوعة؛ تشي بعمق التمسك بالقدس وعدم التنازل عنها.

ثانياً: التوصيات.

١. نشر التراث الشعبي والاهتمام به، وطباعته بحلة قشبية تتماشى مع طبيعة المستحدثات.
 ٢. تبني الإبداع الشعبي الفلسطيني، وتشجيع البحث والدراسات المختصة في مجالاته.
- فهرس المصادر والمراجع
١. إبراهيم، نبيلة (د.ت): أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر، القاهرة.
 ٢. ابن الأثير، نصر الله (د.ت): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.
 ٣. إسماعيل، محمود (٢٠٠٨): المرجع في أدب الأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة.
 ٤. الأغا، يحيى (١٩٩٨): إضاءات في الشعر الفلسطيني المعاصر، دار الحكمة، ط١، خانيونس.
 ٥. برزواي، باسل (د.ت): الشعر الشعبي والواقع الموضوعي، مجلة التراث والمجتمع، ع٣٧.
 ٦. الجاحظ، عمرو (١٤٢٤): الحيوان، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت.
 ٧. أبو حيان، محمد (١٩٩٨): ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة.
 ٨. دراوشة، حسين (٢٠١٦): ثقافة تحرير القدس وإنتاجية دلالاتها في بنية الخطاب الشعري المقاوم - ديوان العصف المأكول أنموذجاً، مؤسسة القدس الدولية، فلسطين.
 ٩. دراوشة، حسين (٢٠١٧): اللغة الشاعرة وجماليات دلالاتها في ديوان غزة ريحانة القلب للشاعر محمود مفلح، الرابطة الأدبية ومؤسسة إحياء التراث وتنمية الإبداع، غزة.
 ١٠. الرافي، مصطفى (د.ت): تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، القاهرة.
 ١١. ابن رشيق، الحسن (١٩٨١): العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، بيروت.
 ١٢. زايد، علي عشري (١٩٩٧): استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي القديم، دار الفكر العربي، القاهرة.
 ١٣. الزعبي، أحمد (٢٠٠٠): التناص نظرياً وتطبيقياً، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، ط١، عمان.
 ١٤. ضيف، شوقي (د.ت): تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة.
 ١٥. أبو عرب، موسوعة ويكيبيديا <https://ar.wikipedia.org/wiki>
 ١٦. العلوي، ابن طبابا (د.ت): عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المناع، مكتبة الخانجي،



القاهرة.

١٧. أبو علي، نبيل(٢٠٠١): في نقد الأدب الفلسطيني، دار المقداد، ط١، غزة.
١٨. كتاعنة، شريف(٢٠١١): دراسات في الثقافة والتراث والهوية، منشورات المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله.
١٩. مفتاح، محمد(١٩٨٦م): تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي ، ط٢، المغرب.
٢٠. نصار، حسين(١٩٨٠): الشعر الشعبي العربي، منشورات اقرأ، ط٢، بيروت.
٢١. يعاقبه، نجيب(٢٠١٣): حذاء وأغاني الثوار شاعر الثورة الفلسطينية إبراهيم صالح «أبو عرب»، بيت الشعر وزارة الثقافة ، فلسطين.



«فرض المنهاج التعليمي الإسرائيلي على مدارس شرقي القدس يعزز المواطنة والسيادة الإسرائيلية على المدينة»

الدكتور ابراهيم حسن ابو جابر

كلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية - قسم العلوم السياسية

مقدمة

تمكّنت الحركة الصهيونية ثم الكيان الإسرائيلي لاحقا من تسويق الرواية الصهيونية على المستوى العالمي بخاصة في الأوساط الأوروبية والغربية بشكل عام، والمتعلقة بحق اليهود الديني والتاريخي المزعومين في أرض فلسطين، اعتمادا على رواية «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» الباطلة. دفع نجاح الاسرائيليين في تسويق روايتهم هذه على المستوى العالمي بناء على المتغيرات الدولية حينها، وأهمها خروج العالم للتوّ من الحرب العالمية الثانية المدمرة إلى التماذي في هيمنتهم وفرض روايتهم على الشعب الفلسطيني واحتلالهم لكامل التراب الفلسطيني في حرب عام ٦٧. اعتمد تماذيتهم المذكور وتعديهم على حقوق الشعب الفلسطيني الشرعية وأهمها احتلال الارض الفلسطينية والتهمير والتهويد على مقولة ترّدّت على ألسن العديد من الزعماء الصهاينة «كبارهم سيموتون وصغارهم سينسون»؛ ولتعزيز روايتهم هذه والتأكيد على مضامينها وفرضا لسياسة الأمر الواقع على الفلسطينيين شرعوا في وضع منهاج تعليم إسرائيلي الروح والمفردات والمضامين على السكان العرب (عرب ٤٨) وشرقي مدينة القدس بعد احتلالها عام ٦٧، في محاولة من السلطات الإسرائيلية وعلى رأسها وزارة المعارف وبلدية الاحتلال في القدس للتصدي للرواية الفلسطينية وفرض الرواية الإسرائيلية مكانها، بأساليب مختلفة ووفق سياسة الترغيب والترهيب التي تتبناها في حق المدارس المقدسية والكادر التدريسي فيها من ناحية، ومن ناحية أخرى عبر عرضها لإغراءات مغرضة على الطلاب وأولياء أمورهم الفلسطينيين من سكان مدينة القدس. حاولت وزارة المعارف الاسرائيلية وبلدية الاحتلال أيضا اللعب بالمنهاج الفلسطيني الذي أقرته وزارة التربية في السلطة الوطنية الفلسطينية وتشويهه، عملا على تطبيقه على المدارس الخاصة والأهلية في القدس، حيث تم شطب وحذف المواد المتعلقة بكل ما له علاقه بالرموز والسيادة الفلسطينية على المدينة، وحتى الوجود والتاريخ والجغرافيا والثقافة الفلسطينية، وكذلك شطب كل ما له علاقة بالاستعمار الغربي والمشروع الصهيوني في فلسطين من كتاب التاريخ .

إن أهداف فرض الرواية الاسرائيلية من خلال فرض المنهاج التعليمي والتربوي الإسرائيلي هي: تزوير التاريخ وتغيير المفاهيم وتهويد الجغرافيا والحيّز الفلسطيني إضافة للمسميات والمصطلحات العربية والفلسطينية الخاصة بهذه المدينة، وطمس الهوية العربية لها بغرض خلق أجيال يدينون

لكيان الاسرائيلي بالولاء، ويتكبرون لشعبهم وأمتهم بل يعد في المحصلة فرضا للسيادة الاسرائيلية على مدينة القدس.

٢. واقع التعليم العام في شرقي القدس في ظل الاحتلال الاسرائيلي

حاول الاحتلال الإسرائيلي النيل من المنهاج التعليمي في الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ احتلال مدينة القدس عام ١٩٦٧م، ولا يزال يسعى الى يومنا هذا لفرض المنهاج الاسرائيلي التعليمي على مدارس المدينة المحتلة؛ حيث تبذل السلطات الاسرائيلية كل ما تملك من وسائل ضغط وإغراء، او ترغيب وترهيب للعبث بذهنية الطلبة الفلسطينيين لتزوير التاريخ الفلسطيني وتغيير المعالم والآثار الاسلامية والعربية، وطمس الحقيقة واستبدال أسماء المدن والقرى والأنهار بأسماء عبرية، أي تسويق الرواية الإسرائيلية في صفوف الطلبة الفلسطينيين في القدس المحتلة.

لقد باشرت السلطات الإسرائيلية بعد احتلال مدينة القدس عام ١٩٦٧ في استهداف قطاع التعليم بخاصة الحكومي منه الأكبر والأوسع، فاستبدلت المنهاج التعليمي الأردني المنهاج الاسرائيلي على مستوى مدارس الضفة الغربية الحكومية بما فيها مدينة القدس المحتلة التي تضم «الآن» ٥٢ مدرسة حكومية يتعلم فيها ٤٢٠٠٠ ألف طالب مقدسي، ما نسبته ٤٨,٥٪ من مجموع طلبة القدس،...، ولكن حدة المعارضة والمقاومة من الحركة الوطنية الفلسطينية في مدينة القدس ومؤسساتها الأهلية والاجتماعية والتعليمية وشخصياتها الاعتبارية، أفضلت هذا المخطط؛ وتحت ضغط المقاومة والاحتجاجات الشعبية اضطرت حكومة الاحتلال للتراجع عن هذا القرار وليغى بشكل نهائي في العام الدراسي ١٩٧٥/١٩٧٦». (عبيدات ر، ٢٠١٢)

إن مشاريع السلطات الاسرائيلية الرامية لفرض المنهاج التعليمي الإسرائيلي على طلبة مدينة القدس المحتلة ومدارسها من خلال سياسة الترغيب والترهيب مرفوضة في كل الشرائع الدولية، فقد كفلت العديد من المواثيق الدولية لحقوق الإنسان الحق في التعليم كحق أساسي من حقوق الإنسان (أنظر: المادة ٥٠، اتفاقية جنيف الرابعة/١٩٤٩)، ووضعت ضمانات لحمايته، حيث يقع على دولة الاحتلال وفقاً للقانون الدولي التزامات قانونية تضمن التمتع بالحق في التعليم في الأراضي التي تحتلها، وفي هذا الإطار يقع عليها مسؤولية حسن تشغيل المنشآت المخصصة لرعاية الأطفال وتعليمهم، ولهذا على دولة الاحتلال ليس فقط تجنب القيام بأي من أعمال الاعتداء أو التعرض السلبي لهذه المؤسسات، وإنما من واجب دولة الاحتلال أن تعمل على تغطية وتأمين متطلبات حسن تشغيل وعمل هذه المؤسسات، سواء كان ذلك على صعيد تغطية متطلبات واحتياجات هذه المؤسسات من الكادر البشري، أم كان ذلك على صعيد تأمين تزويد هذه المؤسسات بما قد تحتاجه من الوسائل والمعدات والأدوات وغيرها من الجوانب المادية التي يقتضيه حسن قيام هذه المؤسسات بتنفيذ أعمالها. (مطر، ٢٠١٦)

هذا ويلزم القانون الدولي دولة الاحتلال بوضع واتخاذ الإجراءات الضرورية لتأمين إعالة الأطفال وتعليمهم الذين تيموا أو افترقوا عن والديهم بسبب الحرب (أنظر: المادة ٩٤، اتفاقية جنيف



الرابعة/١٩٤٩)، حيث تقتضي مسؤوليات دولة الاحتلال بمقتضى القانون الدولي الإنساني تحمل المحتل لعبء ومسؤولية كفالة تعليم الأيتام وغيرهم من الأطفال الذين اضطرتهم ظروف الحرب والاحتلال الحربي إلى العيش بعيدا عن أسرهم ووالديهم. كما أن هناك مسؤولية تقع على دولة الاحتلال بكفالة حق المعتقلين من الأطفال في مواصلة مسيرتهم التعليمية. (المصدر السابق)

واصلت وزارة المعارف وبلدية الاحتلال في وضع الخطط والمشاريع التهودية للمناهج التعليمية التي تدرّس للطلاب العرب في مدينة القدس المحتلة رغم معارضة ذلك للقوانين والأعراف الدولية، وبخاصة في ظل سياسات حكومة نتياهو اليمينية المتطرّفة التي تتكررت لعديد الاتفاقيات الموقع عليها مع السلطة الوطنية الفلسطينية بإشراف دولي.

إنّ الصلف الاسرائيلي وتمنّتها ورفضها الانصياع للقوانين والمواثيق الدولية أمر ليس جديدا على الفلسطينيين بل معروفا على مستوى تعاملها مع القضية الفلسطينية والقدس منذ نكبة عام ٤٨، لهذا فالكيان الاسرائيلي يسير وفق ايقاع فرض حقائق على الارض أولا ثم الحديث والحوار، وهذا ما تطبّقه عمليا على مستوى مدينة القدس وعملها الدؤوب نحو فرض المنهج التعليمي الإسرائيلي على الطلبة الفلسطينيين في مسعى منها الى خلق أجيال من الشباب الفلسطيني يدينون للكيان الإسرائيلي بالولاء الفكري والثقافي ويتكبرون لهويّتهم الوطنيّة.

٢.١ المدارس والمؤسسات التعليمية في مدينة القدس

استولت العصابات الصهيونية عام ٤٨ على القسم الغربي من مدينة القدس العربية فانقسمت المدينة الى قسمين هما الغربي الذي أصبح تحت السيادة الإسرائيلية، والشرقي غدا تحت السيادة الأردنية، حيث تشير آخر الإحصائيات إلى عدد سكان شرقي القدس من العرب يقدر بـ ٢٥٠ الف فلسطيني تقريبا.

هذه المدينة (شرقي القدس) فيها خمسة أنواع من المدارس، الأولى تابعة لمديرية التربية الفلسطينية، الخاضعة لمسؤولية إدارة الأوقاف الإسلامية في القدس، وثانيا المدارس الخاصة، المملوكة لمؤسسات خيرية وكنائس وأفراد، وثالثا المدارس التابعة للمعارف الإسرائيلية، ورابعا، المدارس التابعة لوكالة الفتوح (الأونروا)، وخامسا، مدارس المقاولات، التي تعود لأفراد يعملون بالتعاقد مع إدارة المعارف الإسرائيلية (مدارس سخنين). (وكالة وطن للانباء/ نقلا عن الاناضول، ٢٠١٦)

وطبقا لإحصائية أعدتها مديرية التربية والتعليم الفلسطينية في القدس، فإن هناك ٤٦ مدرسة تابعة لمديرية التربية والتعليم الفلسطينية، وعدد طلابها ١٢٤٢٠ ألفا و٤٢٠ طالبا. كما تشير الإحصائية، إلى وجود ٧٩ مدرسة خاصة، عدد طلابها ٢٨ ألفا و٤٢ طالبا، في حين أن هناك ٧ مدارس تابعة لـ «الأونروا»، ويبلغ عدد طلابها ألفا و٥٤١ طالبا. بالمقابل تشير إلى وجود ٥٢ مدرسة تابعة لبلدية الاحتلال في القدس، عدد طلابها يزيد عن ٤١ ألفا، فضلا عن وجود ١٩ مدرسة مقاولات (مدارس سخنين). (موقع عرب٤٨، ٢٠١٦)

الجدول رقم: ١

توزيع المدارس والطلبة والشعب حسب الجهة المشرفة للعام ٢٠١٥/٢٠١٦ . (السمان، ٢٠١٦)

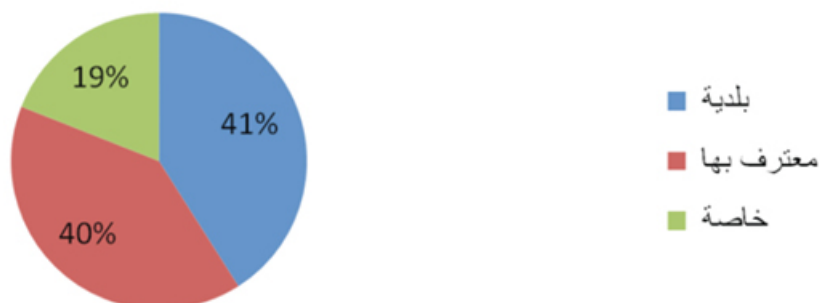
الجهة المشرفة	عدد المدارس	عدد الطلبة	نسبة الطلبة	عدد الشعب
الأوقاف (حكومية)	٤٦	١٢٤٢٠	٪١٣,٨	٥٣٨
المدارس الخاصة	٧٩	٢٨٠٧٦	٪٣١,٤	١١٤٧
وكالة الاونروا	٧	١٥٤١	٪٢	٧٢
المعارف والبلدية	٦٥	٣٨٢٢٠	٪٤٢,٨	١٣٧٦
مدارس سخنين	١٩	٩١٣٧	٪١٠	٢٧٢
المجموع	٢١٦	٨٩٣٩٤	١٠٠	٣٤٠٥

ومن خلال تحليل بيانات الجدول أعلاه يتضح أن العدد الأكبر من مجموع المدارس (٢١٦) في القدس المحتلة، هي التي تشرف عليها المعارف الاسرائيلية وبلدية القدس وعددها (٦٥) مدرسة، بنسبة (٪٤٢,٨) فيها (٣٨٢٢٠) طالب وطالبة موزعين على (١٣٧٦) شعبة دراسية. يليها المدارس الخاصة والأهلية بواقع (٧٩) مدرسة، بنسبة (٪٣١,٤) وفيها (٢٨٠٧٦) طالب وطالبة موزعين على (١١٤٧) شعبة دراسية. وتأتي في المرتبة الثالثة المدارس الحكومية التي تشرف عليها وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية تحت مظلة الأوقاف وعددها (٤٦) مدرسة بنسبة (٪١٣,٨)، وفيها (١٢٤٢٠) طالب وطالبة، موزعين على (٥٣٨) شعبة دراسية. أما وكالة الغوث الدولية فهي تشرف فقط على (٧) مدارس بنسبة (٪٢)، وفيها (١٥٤١) طالب وطالبة، موزعين على (٧٢) شعبة دراسية. (السمان، مصدر سابق)

الشكل رقم: ١

توزيع طلاب القدس على المدارس. (السمان، المصدر نفسه)

توزيع طلاب القدس على المدارس



استمرت سلطات الاحتلال الاسرائيلي في وضع الخطط والبرامج لأسرلة التعليم في مدارس شرقي القدس مستخدمة مختلف الوسائل المتاحة كان اخرها ما يعرف بسياسة العصى والجزرة أي ربط صرف الميزانيات المخصصة للمدارس الفلسطينية بموافقتها تدريس المنهاج الاسرائيلي فيها . هذه السياسة بالطبع مناقضة لما جاء في القوانين الدولية وتهدف كما اشير سابقا الى فرض المنهاج الإسرائيلي على مدارس مدينة القدس من خلال أسلوب الترغيب والترهيب التي تتبعها وسياسة الأمر الواقع التي تعود الكيان الإسرائيلي عليها ، لإدراك قادة الكيان أهمية التعليم في تنشئة الأجيال فكيف لو تربى الشباب الفلسطيني في المدارس على المنهاج الفلسطيني الذي ينمى في أذهانهم حب الوطن والانتماء إضافة إلى تأكيد هويتهم الوطنية والدينية . رفضت القيادات المقدسية بدورها هذه الخطة وأيضاً غالبية مدارس شرقي القدس، إلا أنه تعاطت معها بعض المدارس العربية في المدينة وعددها ١٤ مدرسة شرعت في تعليم المنهاج الاسرائيلي في السنة الدراسية ٢٠١٦/٢٠١٧ .

الجدول رقم: ٢

المدارس التي تطبق المنهاج الإسرائيلي في شرقي القدس للسنة الدراسية ٢٠١٦ \ ٢٠١٧ . (جمعية حقوق المواطن في إسرائيل)

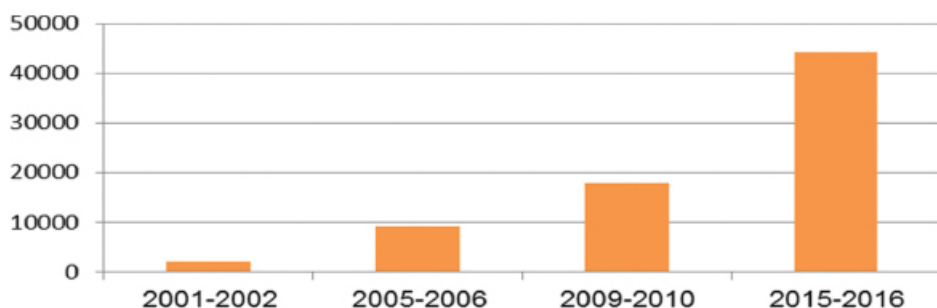
المدارس	المراحل التعليمية	عدد الصفوف	عدد الطلاب
١ بيت حنينا الابتدائية-مختلطة	الأول-السادس	٧	١٧٠
٢ بيت حنينا الابتدائية للبنين	السابع - العاشر	١٢	٣١٥
٣ راس العامود الشاملة للبنات	العاشر - حادي	٢	٥٠
٤ ابن رشد الشاملة للبنين	السابع-ثاني عشر	١٣	٣٢٣
٥ صور باهر الابتدائية للبنين	الرابع - خامس	٢	٤٠
٦ بيت صفافا ابتدائية - أ	الأول-السادس	١٥	٣٩٥
٧ بيت صفافا ابتدائية - ب	الأول - السادس	١٢	٣٥٠
٨ بيت صفافا شاملة مختلط	السابع - الثاني عشر	٢٢	٧٣٧
٩ عبد الله بن الحسين شامل للبنات	السابع - الحادي عشر	٥	١٠٥



١٠	شعفاط الابتدائية مختلطة	تاسع - الحادي عشر	٦	١٥٠
١١	ابن خلدون الشاملة للبنين	الأول - السادس	٦	١٥٠
١٢	راس العامود الشاملة للبنين	العاشر	١	٢٥
١٣	راس العامود الشاملة للبنين	العاشر	١	٢٥
١٤	آفاق	العاشر	٢	٤٠

الشكل رقم: ٢

أعداد الطلاب المقدسيين الذين يدرسون في مدارس معترف بها (١٠٠٢ - ٦١٠٢) . (السمان، مصدر سابق)



إن عدد المدارس الضئيل المبيّن اعلاه والطلاب أيضا ليدل بوضوح على أن السياسة الإسرائيلية الرامية الى أسرلة التعليم وتهويده في مدارس شرقي مدينة القدس فاشلة، رغم ما تستعمل من وسائل إغراء وتهريب مُديري المدارس العربية هناك، وتهديد بالفصل أو الحرمان من صرف الميزانيات والمستحقات المالية لهذه المدارس.

الرفض المقدسي للسياسات التعليمية الاسرائيلية نابع أصلا من وعيهم لمآلات هذه الخطط والمشاريع الرامية كما أشير سابقا إلى فرض الرواية الإسرائيلية، وطمس الهوية الفلسطينية وخلق جيل من الشباب العربي يدين بالولاء للكيان الإسرائيلي المحتل وتزوير للتاريخ والجغرافيا.



١٣.التحديات التي تواجه التعليم في القدس من جراء الخطط التعليمية الاسرائيلية

١٣,٣ أسرلة المنهاج التعليمي في شرقي القدس

تعاملت السلطات الاسرائيلية بخاصة وزارة المعارف وبلدية الاحتلال منذ فترة الاحتلال الاولى لمدينة القدس على أنها مدينة اسرائيلية كباقي المدن الاخرى داخل الكيان الاسرائيلي، ولهذا شرعت في سن القوانين والبدء في تهويدها وتغيير معالمها العربية الفلسطينية؛ وقد نجحت الى درجة معينة في ذلك من خلال فرص سياسة الأمر الواقع على أهالي مدينة القدس. لم تكتف السلطات الاسرائيلية بتهويد المكان فقط إذ إن ذلك -من وجهة نظر القيادات الاسرائيلية- لا يكفي، فالأهم من ذلك كما يدعون تهويد الانسان من خلال غرس ثقافة المحتل في ذهنية المقدسيين عندها إن نجحوا في ذلك سيصبحون أسياد المدينة، وهذا ما يسعون إليه الآن من خلال أسرلة المنهاج التعليمي في المدارس العربية في شرقي مدينة القدس، وقد تعاطت مع ما سلف وفق الوسائل التالية:

أ: تحريف وتزوير المنهاج الفلسطيني (١١٠٢)

اهتمت الحكومات الإسرائيلية المتتالية كثيرا بمدينة القدس ولهذا سنت العديد من القوانين التي تؤكد يهوديتها وابدية بقائها عاصمة للكيان الإسرائيلي واستحالة تقسيمها مرة اخرى. وتأكيدا منها على التمسك بالمدينة لم توقف ولو لحظة واحدة مخططاتها لأسرلة وتهويد المدينة وقطاع التعليم في القدس، فعملت ليل نهار على تنفيذ مثل هذه المخططات .

ازدادت وتيرة الهجمة الاسرائيلية على مدينة القدس بعد توقيع اتفاقية أوسلو) والتي قرّمت فيها وشوهت المناهج الفلسطينية تحت يافطة وذريعة ما يسمى بالسلام) وما أعقب ذلك من الانتفاضة الثانية في أيلول عام ٢٠٠٠، وما تلى ذلك من تطورات مثل إعادة الاحتلال المباشر لكل مناطق الضفة الغربية بما فيها المناطق المسماة (أ) في نيسان ٢٠٠٢ وبعدها ، وقد طالت المقدسيين في كل مناحي وجوانب حياتهم ووجودهم، ومع قيام حكومة المتطرف نتياهو وليبرمان، كان واضحا للجميع ما ينتظر الشعب الفلسطيني عامة والقدس خاصة، حيث سنت وشرّعت عشرات القرارات والقوانين، بهدف الأسرلة والتهويد في إطار سياسة التطهير العرقي ومنع تبلور الهوية الثقافية والوطنية



الفلسطينية المستقلة، فلم يسلم قطاع التعليم في القدس من تلك القوانين والتشريعات والقرارات، فبتاريخ ٧ آذار ٢٠١١ أصدرت بلدية الاحتلال ودائرة المعارف الإسرائيلية تعليماتها إلى المدارس الأهلية بالقدس وعددها ٦٩ مدرسة يتعلم فيها ٢٤٠٠٠ طالب، أي ما نسبته ٢٨٪ من طلبة القدس، تحظر عليها التزود بالمواد التعليمية ومنها الكتب المدرسية من أي جهة فلسطينية، وأن الجهة الوحيدة المخولة بتزويد الكتب هي بلدية «القدس». هذا بدوره يعطي بلدية الاحتلال الحق في إقرار المناهج التعليمية وغيرها، وشطب ما تشاء وفرضه. (عبيدات، مصدر سابق)



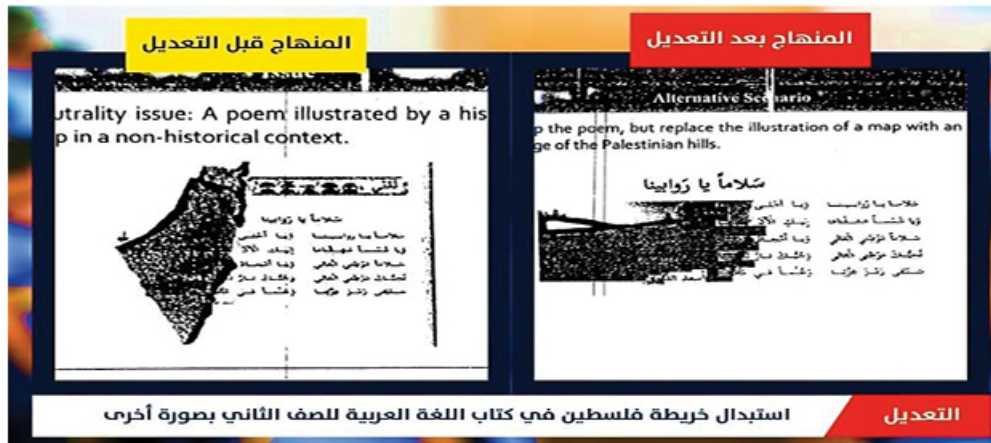
وعلى ضوء ما سلف، أقدمت وزارة المعارف الاسرائيلية سعياً منها لتطبيق سياستها التعليمية على تأليف منهاج خاص زجّت فيه سلطات الاحتلال بكل المعلومات التي تساعدها على فرض الرواية الاسرائيلية، وقلب حقيقة أن فلسطين بلاد عربية منذ الأزل، ومن الامثلة على ما دسّته الجهات الاسرائيلية المعنيّة النماذج التالية:

«مدينة القدس هي أكبر مدينة في (إسرائيل) من حيث عدد السكان، إذ يعيش فيها حوالي ٧٠٠ ألف نسمة من اليهود والعرب، وهي تقع في جبل يهودا.»

«القدس هي عاصمة دولة (اسرائيل)، وفيها المؤسسات الهامة التي تدير شؤون الدولة: الكنيسة، الوزارات والمحكمة العليا وغيرها..»

«اتّسعت القدس وتطوّرت كثيراً، منذ قيام دولة (اسرائيل)، فقد بنيت فيها أحياء جديدة ومراكز

الأعمال والتجارة والصناعة والترفيه.



إن القطعة السالفة مقتبسة حرفياً من درس "القدس عاصمة (إسرائيل) التي تدرّس للصف الرابع الابتدائي في كتاب "الحياة معاً في (إسرائيل)"، وهو كتاب يقع ضمن كتب المنهاج ويتحدث في معظمه عن أحقية اليهود في امتلاك أرض فلسطين لأن التوراة منحتهم إياها، بحسب زعمهم، ويستدلون على ذلك بروايات تدعي أنهم سكنوها منذ آلاف السنين، في حين يصف الكتاب الفلسطينيين بأنهم أقليات احتوتهم دولة الاحتلال في ديموقراطيتها . (أسرلة التعليم المقدسي . سلاح الاحتلال لاعداء الهوية الفلسطينية، ٢٠١٥)

ولا يقتصر الكتاب المذكور "الحياة معاً في (إسرائيل)" على دس تاريخ محرّف للطلبة الفلسطينيين، بل يتعدى ذلك لمواضيع يشرح فيها الوصايا العشر المذكورة في التوراة، بالإضافة الى حديثه عن الديانة والتقاليد اليهودية، الأمر الذي يؤدي إلى فصل الطالب عن دينه وتقاليدته كما ذكر المختص بشؤون التعليم حاتم خويص . فبرأيه يتوجب على المدرسة أن تعلم الطالب أصول دينه وتقاليد شعبه لينشأ متلاحماً مع مجتمعه وعارفاً لتقاليدته، وذلك ما لا يمكن تحصيله إذا ما استمر تعليم الطلبة بمنهاج (اسرائيلي) . (المصدر السابق)

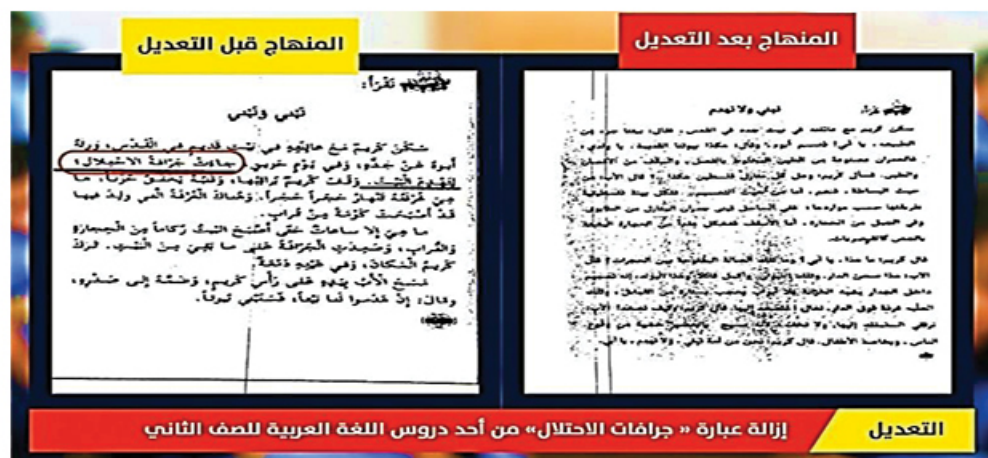
وجددت الجهات الاسرائيلية المعنية نفس الطلب في العام الدراسي ٢٠١٢، حيث وجهت مديرة المعارف العربية في بلدية الاحتلال « لارا امباركي » رسالة أخرى بتاريخ ٢٨ أبريل ٢٠١٢ الى إدارات المدارس الحكومية والخاصة والأهلية تطالبهم فيها بتحديد كميات الكتب المطلوبة حتى ٨ ايار ٢٠١٢ من المنهاج التعليمي الفلسطيني المشوّه والمحرّف، وإلا فإنها ستضطر الى تزويدهم بنفس كمية الكتب للعام الدراسي الماضي .

لقد تجرّأت وزارة المعارف في بلدية الاحتلال على تحريف المنهاج الفلسطيني الصادر عن وزارة التربية والتعليم الفلسطينية، وأقدمت على سحبه من مدارسها (مدارس البلدية)، كما ألغت جميع المواد التي تحتويها الكتب بخاصة اللغة العربية والتربية الإسلامية، تلك التي تعارض محتواها مع



رواية الاحتلال؛ فقد «حذف الاحتلال من كتاب اللغة العربية للصف الأول علم فلسطين، وحذف أبيات شعر تتحدث عن الشهداء من قصيدة "فجر الحرية". أما في كتاب الصف السادس فقام الاحتلال بحذف قصيدة الانتفاضة، بالإضافة لحذفه الأبيات التي تتحدث عن حق العودة في قصيدة "سنعود" التي تدرّس للصف السابع. كما يلاحظ حذفه لكل ما يدل على الهوية الفلسطينية في كافة الصفوف؛ فالذي يقارن بين الكتاب الفلسطيني الأصلي والكتاب المحرّف، يلاحظ طمس الهوية الفلسطينية وما يدل عليها من كتاب اللغة العربية وكذلك الاسلامية وغيرها من الكتب، كما حذف من كتاب الدين أحكام الإسلام الشرعيّة حول قتل المفسدين وحقوق الأسرى وحبّ الوطن».

(عييدات، مصدر سابق)



ب:تزويد المدارس العربية في القدس برموز سياسية ويهودية
تدرك السلطات الاسرائيلية تماما أن المعركة اساسا بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي على الوعي الثقافي وفرض كل لروايته على مستوى سكان مدينة القدس العرب بخاصة القطاع الطلابي، ولهذا فالكيان الاسرائيلي يحتاج الكثير من الجهد لتحقيق هذا الهدف في أوساط المجتمع المقدسي، ولن يفلح في ذلك إلا من خلال نشر الثقافة والرواية الاسرائيلية .
وسيرا نحو تحقيق المخططات الاسرائيلية هذه، قامت وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية بتاريخ ٨ مارس ٢٠١١ بتزويد المدارس العربية في القدس «بوثيقة استقلال دولة «إسرائيل» وطلبت من إدارة المدارس تعليق الوثيقة في المدارس، على أن يتم عرضها في مكان متاح فيه الفرصة لكافة الطلاب والمعلمين كافة الاطلاع عليها(انظر: عييدات) ، وكذلك القيام بشرح معانيها مثل قيم التسامح والمحبة والعدل والمساواة المزعومة التي تتضمنها، إضافة لرموز يهودية اخرى .
إن هذه الاجراءات التعسفية تعد إعلان حرب على ثقافة المقدسيين وهويتهم الوطنية وانتمائهم العربي الفلسطيني، وتأكيدا وثقافة الاحتلال وفرض هيمنته على المدارس العربية في شرقي القدس، ولا غرو أن قال قائل أن هذه الخطوة ما هي إلا مقدمة لما هو أكبر :فمسألة رفع العلم الإسرائيلي

على المؤسسات التعليمية وغير التعليمية في شرقي القدس في ظل هذه الممارسات مسألة وقت فقط.

ج: فرض المنهاج الإسرائيلي (مرحليا)

استمرت الجهات الرسمية الاسرائيلية بالتعاون مع بلدية الاحتلال في رسم الخطط والمشاريع الرامية وأسرة التعليم المنهاج وتهويده في شرقي القدس، ولهذا «قامت إدارة معارف الاحتلال في العام الدراسي ٢٠١٣-٢٠١٤ م باتباع نظام المجموعات، حيث فتحت شعباً دراسية لتعليم المنهاج الإسرائيلي في خمس مدارس في القدس المحتلة، اعتبرتها الحلقة الأضعف، حيث إن أداءها التعليمي التربوي ليس بالمستوى المطلوب وتحصيل طلبتها التعليمي يعتبر ضعيفاً. وقد حاولت التفرير ببعض أولياء أمور الطلبة، وإقناعهم بأن المنهاج الإسرائيلي هو الأفضل لأبنائهم، من حيث السهولة وتلبية متطلبات سوق العمل. وقد أخذت عليهم فحوى المنهاج الذي يقدم لهم الرواية الإسرائيلية الصهيونية بكل ما تحوي من تزوير للتاريخ وسرقة التراث وقلب الحقائق وسلب الفلسطينيين حقهم في أرضهم. وقد جاء في مناهجهم على سبيل المثال: (القدس هي عاصمة إسرائيل، وأن عمر بن الخطاب احتل القدس وتم تحريرها عام ١٩٦٧ على يد إسرائيل)». (مطر، ٢٠١٦)

وواصلت الجهات الرسمية الاسرائيلية وضع الخطط غير يائسة من تدني نسبة الطلبة الفلسطينيين المنتمين إليها، فمع بداية العام الدراسي ٢٠١٦/٢٠١٧، استمرت سلطات الاحتلال في «فرض إجراءاتها التمسفية المخالفة للقانون الدولي الذي يكفل الحفاظ على هوية الشعوب المحتلة وحريتها في اختيار ثقافتها ومناهجها، حيث يصر الاحتلال على مقايضة السماح بترميم المدارس العربية وتأهيلها في القدس باستخدام المنهاج الإسرائيلي ووقف العمل بالمنهاج الفلسطيني». (المصدر السابق)

وتبنت حكومة نتياهو ووزير التربية والتعليم فيها، في ظل الصراع على فرض السيادة على مدينة القدس، خطة جديدة تقضي بفرض المنهاج الإسرائيلي على المدارس العربية في المدينة من خلال مقايضة ذلك بمنح الميزانيات المطلوبة والمستحقة لها؛ فالخطة التي صادقت عليها الحكومة تشمل بناء صفوف دراسية جديدة وزيادة عدد مستحقي شهادة البجروت (التوجيهي الاسرائيلية) وخفض نسبة التسرب وزيادة نسبة مستحقي الشهادات المهنية لطلبة شرقي القدس، وزيادة الميزانيات وساعات التعليم الإضافية، ناهيك عن برامج استكمال للمدرسين وامتيازات اخرى ومحفزات مختلفة. حيث تشمل الخطة الجديدة في مرحلتها الاولى المدارس الرسمية على ان تسدرج لاحقا على المدارس غير الرسمية التي اعترفت بها من قبل وزارة المعارف الاسرائيلية والتي تستوعب ما نسبته حوالي ٤٢٪ من عدد الطلاب العرب في شرقي القدس. (كوهين، ٢٠١٧)

وتقضي الخطة أيضا بحرمان المدارس المقدسية الراضية لها والمصرّة على تدريس المنهاج التعليمي الفلسطيني من الميزانيات المستحقة من وزارة التربية والتعليم الاسرائيلية (مصادر في وزارة التربية والتعليم صرحت ان عدم تطبيق الخطة التعليمية الجديدة لن يؤثر على ميزانيات المدارس العربية في شرقي المدينة)، إلا أن هناك من رجال التربية والتعليم الاسرائيليين والعرب من انتقدوا ذلك واعتبروه تدخلا في العملية التعليمية بعد سنين من التمييز الإسرائيلي ضد سكان مدينة القدس



العرب، وهذا مرفوض من وجهة نظرهم وليس أخلاقيا ولا مهنياً.

وفي تعليق على الخطة التعليمية هذه بعد اقرارها صرح وزير التربية والتعليم الإسرائيلي نفتالي بينت قائلاً: «لقد حان الوقت الذي يدرّس فيه المنهاج التعليمي الإسرائيلي في شرقي القدس ومن الصفوف الاولى؛ فالقدس يجب أن تكون موحدة عملياً وليس بالكلام؛ فكلما يتم التركيز على التعليم وفق المنهاج التعليمي الإسرائيلي نقوي جهاز التربية والتعليم في شرقي القدس، وهكذا نبني مستقبلاً». (المصدر السابق)

ويتضح من خلال معطيات بلدية الاحتلال معدّل المتقدمين للحصول على شهادة البجروت الاسرائيلية الذي وصل العام (٢٠١٥) الى ١٩٠٠ طالب من طلبة شرقي القدس في حين يتوقع وصوله الى ٢٢٠٠ العام (٢٠١٦) وهذه الأعداد بالتأكيد لا تزال متدنية قياساً بالعدد الاجمالي لطلبة شرقي القدس. (المصدر نفسه)

٢،٢ أهداف الخطط التعليمية الاسرائيلية في شرقي القدس

جاء الاهتمام الاسرائيلي بالعملية التربوية قبل تأسيس الكيان أي فترة الانتداب البريطاني على فلسطين، وقد تأطر ذلك بعد صدور قانون التعليم الالزامي في اسرايل العام ١٩٤٩ وما تلاه من تشريعات مساندة؛ وأنّ مما اهتمت به الدوائر المعنية بالتربية والتعليم قضيتي الفلسطينيين العرب (عرب ٤٨) ثم سكان شرقي القدس بعد نكسة عام ١٩٦٧، الذين فضّل لهم منهاج خاص حسب المقاس الاسرائيلي، وبما يخدم مصالحها الوطنية وقيمها اليهودية، ولعل من اهم ما حرص عليه صنّاع التربية والتعليم في الكيان الاسرائيلي موضوعي المواطنة والسيادة.

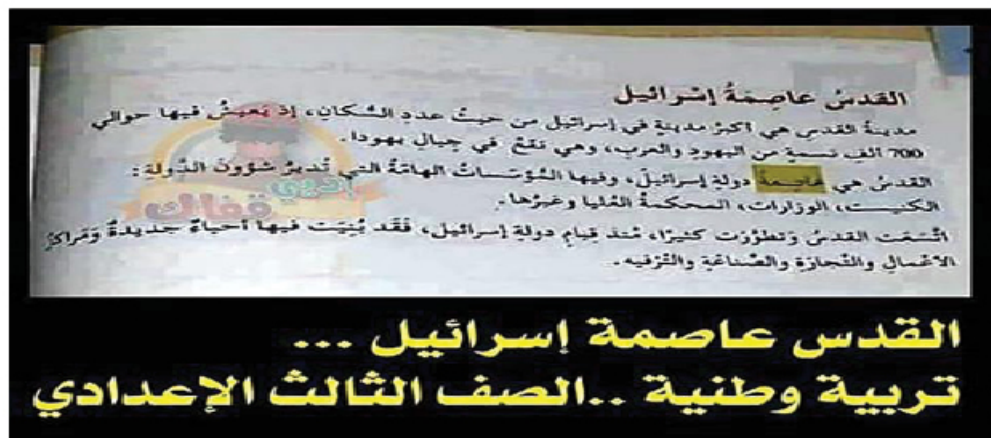
٢،٢،١ غرس قيم المواطنة والانتماء لإسرائيل في عقول الناشئة الفلسطينية

تعتبر القضية التربوية والتعليمية في أي مجتمع هي القضية الأساسية الداعمة له على الاستمرارية في نقل الموروث الثقافي والحضاري المتمثل بالقيم الخاصة به، بغرض المحافظة على ذاته وخصوصيته؛ وبالعودة الى معدّل مصروفات ثلاثين دولة من الدول التي تعتبر من الدول المتطورة في العالم على قطاع التعليم والتي وصلت إلى ٦،٢٪ من إنتاجها القومي في عام ٢٠٠١، بلغ ما أنفقه الكيان الاسرائيلي على هذا القطاع في نفس العام إلى ٨،٢٪ من إنتاجه القومي، الأمر الذي يشير إلى مدى اهتمام هذا الكيان بجهازه التربوي والتعليمي أسوة بالدول المتطورة. (ابو عصب، ٢٠٠٦)

لقد أدرك الاسرائيليون مبكراً أهمية التعليم ودوره المهم على مستوى المجتمع، ولهذا رأى أولئك أنه يتوجب على المدارس تحمّل الدور المناط بها في ترسيخ الانتماء والولاء الوطنيين لدى الناشئة للكيان الاسرائيلي، قصد المحافظة على الأمن والاستقرار الاجتماعي داخل الكيان، فبقدر ما تغرس القيم الاجتماعية الخاصة بالاحتلال بقدر ما يسود الأمن والاطمئنان على حد زعمهم، لان «النسق التربوي عادة يمثل أحد الأنساق الاجتماعية المهمة التي تؤدي عملاً حيويًا في المحافظة على بناء



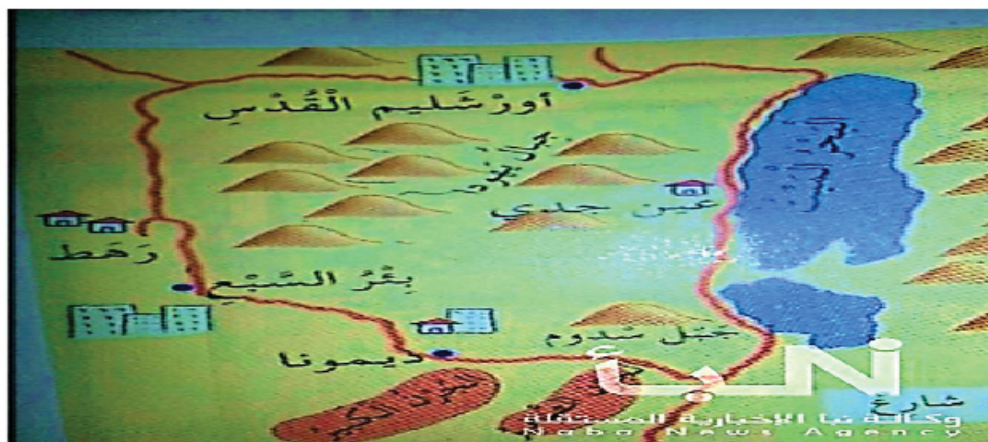
المجتمع واستقراره من خلال ما يقوم به النظام التعليمي من نقل قيم ومعايير المجتمع من جيل لآخر». (ضاهر، ٢٠١٧)



إن علم الإسرائيليين المبكر بالتنوع العرقي والثقافي داخل الكيان جعلهم يستفيدون من تجارب غيرهم من الدول ذات التنوع العرقي والثقافي لترسيخ روح المواطنة كفرنسا مثلا ، التي اهتمت كثيرا بموضوع المواطنة، فقد أكد المجلس الفرنسي للنظام التعليمي (٢٠١٥) أن فرنسا تصدر الدول الأوروبية باستثمارها التربوي في مجال التعليم وذلك بإدخالها في برامجها التعليمية انطلاقا من سنة ١٩٩٠ ثلاثة أبعاد قد تشكل تربية للمواطنة وهي: أولا دروس التربية المدنية معرفة نوعية، وثانيا مشاركة التلاميذ في إدارة المؤسسات ، وثالثا مشاريع النشاط التربوي خارج وداخل المؤسسة؛ وقد أثبت هذا النموذج فعاليته في تفعيل وترسيخ قيم المواطنة لدى المتعلمين حسب المسؤولين الفرنسيين. (بوطبال وياحي)

وفي نفس السياق يقول فرانسوا ديبالو خبير التربية في الاتحاد الأوروبي: «لم تعد المدرسة إطارا لتلقين المعارف والعلوم فحسب، بل إن لها وظيفة أساسية تتمثل في تشكيل المواطن، فهي مؤسسة إدماج اجتماعي، وإطار ملائم لبناء الهويات الفردية والجماعية لتلاميذ اليوم مسؤولي الغد، وإكسابهم القدرة الاندماجية في المجتمع، وإن وظيفة إسناد الشهادات التي تقوم بها المدرسة، يجب

أن تسير بالتوازي مع وظيفتها القيمية المعيارية». (البغدادي، مواطنة في المناهج الدراسية. تجارب عالمية، ٢٠١٤)



وبناء على ما سلف وضع القائمون على جهاز التربية والتعليم في إسرائيل الخطوط العريضة لسياساتهم التربوية الهادفة الى تمرير الرواية الاسرائيلية وترسيخها في ذهنية الطلبة المقدسين، عملا على إيجاد أجيال منهم يدينون لدولة الاحتلال بالولاء من خلال تشكيل وعي جماعي لديهم بمواطنتهم الاسرائيلية .

إن أهداف الكيان الإسرائيلي من وراء التربية من أجل المواطنة ظهرت جليا وبطرق غير مباشرة من خلال مخرجات المنهاج الاسرائيلي أولا ،ووفق المعايير الدولية المتبعة في غالبية دول العالم المتطورة المهتمة أصلا بالمواطنة الجماعية لأنها تعد رافعة للتنمية في هذه البلدان .

لقد حرصت وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية والجهاز التربوي الإسرائيلي على تسميم مضامين مقررات تربوية بعينها ،ممن ترى أنها ذات تأثير على تشكيل رؤى فكرية وسياسية معينة او تخدم المشروع الوطني الفلسطيني؛ ومن هذه المقررات: كتب اللغة العربية والدين ،والجغرافيا(الموطن) وكتب التاريخ الخ، وفرض منهاج تربوي جديد وهو المدينيات الخاص بتعليم نظام الحكم في اسرائيل .

تتبع الممارسات الإسرائيلية هذه من هاجس الخوف الذي تمر به الدوائر الرسمية الإسرائيلية من المستقبل المجهول الذي ينتظر الاحتلال في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وتنامي الشعور الوطني الفلسطيني ومظاهر العصيان والتمرد المستمرين ضد ظلم الاحتلال وقهره للمواطن الفلسطيني.

إن سعي الكيان الإسرائيلي الدائم إلى تمرير المنهاج التعليمي الإسرائيلي على مستوى مدارس شرقي القدس، وإصرار رجالات التربية والتعليم على ترسيخ قيم المواطنة في عقول الطلبة المقدسين(بطريقة غير مباشرة او معلنه)، يرمي الى خلق ما يعرف عندهم بالمواطن الصالح، وزرع



قيم الكيان في وجدانهم، وتربيتهم على ما يسمونها قيم التسامح واحترام الآخر وتراثه التاريخي، وحب النظام واحترام القانون العام، والانتماء الوطني للكيان، وهذا ما يتطلب استراتيجية فلسطينية وطنية لمواجهة مخططات الجهاز التربوي الإسرائيلي من خلال رفع مستوى وعي المواطن الفلسطيني ودعمه ليتمكن من إفضال كل هذه المشاريع المفروضة.

٢,٢,٢ فرض السيادة الإسرائيلية على العملية التربوية في مدينة القدس

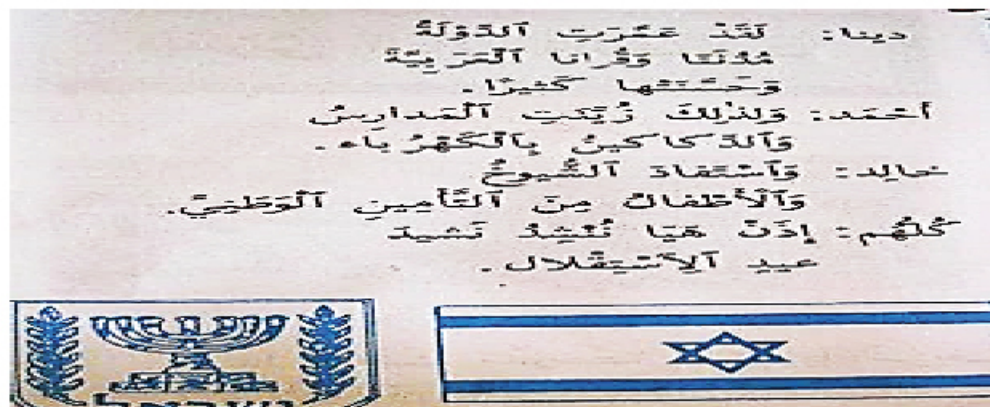
باشرت الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة والكنيست الاسرائيلي بعد احتلالها لشرقي المدينة في سن القوانين والتشريعات التي لا يتسع المجال لذكرها الهادفة الى تثبيت الوجود الاسرائيلي فيها، ابتداء من قانون ضمها وجعلها عاصمة إسرائيل الابدية واستحالة تقسيمها وغيرها من قوانين، ثم العمل ليل نهار على تغيير معالمها الطبوغرافية وحتى الديمغرافية وتهويد الكثير من معالمها؛ كل ذلك لفرض حقائق على الارض وفرض سياسة الأمر الواقع، وتعزيز السيادة الاسرائيلية على المدينة المقدسة.



إن هاجس الاحتلال الذي يطارد القيادة الاسرائيلية جعلها تفكر في فرض منهاج تربوي خاص على طلبة القدس من الفلسطينيين لتحقيق بذلك مفهوم السيادة على المدينة، وفق التعريف العام للسيادة الذي يعني: وجود سلطة عليا ومطلقة، وإفراها بالإنزام وشمولها بالحكم لكل الأمور والعلاقات سواء التي تجري داخل الدولة أو خارجها. (المشوخى)

وأقدمت السلطات الإسرائيلية المختصة ووزارة التربية والتعليم وبلدية القدس على تحريف المنهاج الفلسطيني، وحذف مضامين كثيرة منه إضافة الى منهاجها التربوي المسموم لإقناع المواطن المقدسي بأن سلطات الاحتلال هي صاحبة القرار الاخير في المدينة، وان ما تعرضه من منهاج واجب تطبيقه؛ ولعل أبرز ما اقدمت عليه الجهات الإسرائيلية المعنية والدالة على عزمها فرض سيادتها هي على المدينة، وتحييد الوجود الفلسطيني حتى وإن كان داخل المضامين التربوية، مجموعة من الإجراءات

- ذات علاقة مباشرة بمضامين المقررات التعليمية مثل:
١. حذف شعار السلطة الوطنية الفلسطينية واستبدال شعار بلدية القدس به.
 ٢. حذف العلم الفلسطيني من المنهاج الفلسطيني.
 ٣. تأكيد اسم «دولة إسرائيل» بقوة في المنهاج.
 ٤. ظهور العلم الاسرائيلي في صفحات الكتب المقررة.
 ٥. تأكيد مدينة القدس عاصمة اسرائيل الابدية.
 ٦. تعريف موقع القدس على أنه يأتي ضمن ما يسمونها صحراء يهودا.
 ٧. حذف خريطة فلسطين وإثبات خريطة فلسطين كاملة على أنها اسرائيل.
 ٨. حذف مصطلح الاحتلال الاسرائيلي.
 ٩. إثبات مصطلح الهيكل.
 ١٠. حذف مظاهر وطنية أخرى داخل مضامين المقررات التعليمية.
 ١١. عرض وثيقة الاستقلال الإسرائيلية في كل المدارس التابعة لبلدية الاحتلال.
 ١٢. حذف مفاهيم دينية وأعمال ادبية وقصائد شعرية فلسطينية من المنهاج.



وبالمناسبة فقد صرح الوزير زئيف إلكين (وزير البيثة) بما يؤكد بوضوح نوايا الكيان الاسرائيلي في مدينة القدس حيث قال: «أؤمن بأن السيادة مساوية للقدرة على الحكم والمسؤولية وينبغي التعبير عن ذلك في مجال التعليم». (ضاهر، ٢٠١٧)

إن فرض المنهاج التعليمي الإسرائيلي، أو المنهاج التعليمي الفلسطيني المحرّف والمشوّه على الطلبة الفلسطينيين في القدس، ليس إجراء شكلياً، وإن حذف شعار السلطة الوطنية الفلسطينية واستبداله بشعار بلدية الاحتلال وغير ذلك من الرموز الوطنية الفلسطينية بأنواعها، مسألة لها علاقة بالانتماء والهوية والسيادة الوطنية، فالتعليم الوطني مرتبط بالسيادة الوطنية، وكذلك المنهاج المشوّه يراد له أن يشوه الثقافة الفلسطينية ويضعف الانتماء ويزور التاريخ ويعبث بالجغرافيا الفلسطينية، ويفرض رؤية ورواية تتناقض مع الهوية والثقافة والتاريخ الفلسطيني.

التوصيات

غدا واضحا من خلال استعراض النوايا الإسرائيلية عمل السلطات الإسرائيلية على فرض سيادتها على مدينة القدس بكل الوسائل المتاحة، الأمنية منها والعمرائية والقانونية والتعليمية، في سباق مع الزمن ،حتى إنه وصل الامر بالسلطات الإسرائيلية استخدام أسلوب العصا والجزرة لتمرير مشاريعها وخططها التهويدية ؛ وفي ظل الحاصل الجدير بالطرف الفلسطيني الرسمي والشعبي أخذ ما يلي من توصيات بعين الاعتبار لأن المدينة تخضع لعملية تهويد منهجية وبدعم مالي لا حدود له وتأييد رسمي منقطع النظير.

١. دعم صمود فلسطينيي القدس بكل الوسائل المتاحة المادية منها والاعلامية والتكنولوجية.
٢. العمل على رفع مستوى الوعي لدى أولياء أمور الطلاب بخاصة لجان أولياء الامور للمخاطر التي تواجهها مدينة القدس على مستوى التربية والتعليم.

٣. التواصل مع مديري المدارس والفعاليات التربوية والوقوف إلى جانبهم لرفض المنهاج التعليمي الإسرائيلي.

٤. عقد مؤتمرات وندوات توعوية لتعريف الجمهور بمقاصد المنهاج الإسرائيلي.

٥. التوجه إلى المؤسسات والهيئات الدولية وحضها على اتخاذ إجراءات عقابية ضد المؤسسات التعليمية الإسرائيلية كالجامعات والفعاليات التربوية الإسرائيلية.

٦. انتخاب مجلس تربوي من مثقفي مدينة القدس وكادرها التعليمي المهني لمتابعة ملف التعليم في المدينة.

٧. دعوة الأهالي لأخذ دورهم في رفض المنهاج التعليم الإسرائيلي بالطرق التي يرونها مناسبة.

٨. دعوة أولياء امور الطلاب للتفاعل مع الموضوع ،وأن تطلب الأمر إعلان الإضرابات وإغلاق المدارس.

٩. تأسيس صندوق مالي لدعم المدارس المتضررة من رفض التعااطي مع المنهاج الإسرائيلي.

١٠. مطالبة الكوادر التدريسية والتربوية على تخصيص حصص لامنهجية خاصة بالتربية الوطنية لمواجهة السياسة التربوية الإسرائيلية العاملة على تعزيز قيم الانتماء والمواطنة الإسرائيلية .

وأخيرا، إن صمود المقدسيين الأخير في الدفاع عن المسجد الأقصى المبارك رغم آلة البطش الإسرائيلية، ليزيد الثقة في قدرة سكان القدس الفلسطينيين على إفشال مشاريع أسرلة منهاج التعليم في المدينة المقدسة، بل وحتى فرض سيادتهم الكاملة على المدينة؛ لكن هذا الصمود والتحدى من قبل المقدسيين بحاجة ماسة للدعم والإسناد من قبل القيادة الفلسطينية والفعاليات الفلسطينية المختلفة، وعدم تركهم وحيدين في مواجهة وزارة المعارف الإسرائيلية وبلدية الاحتلال التي تملك وسائل ضغط وموارد ضخمة ،وتغذيها دولة بالمال والفكر والتكنولوجيا .



المراجع

١. راسم عبيدات. (٢٨، ٦، ٢٠١٢). الهدف صهيينة وأسئلة التعليم الفلسطيني ٥٠٠. تم الاسترداد من مفتاح: www.miftah.org
٢. علاء مطر. (٢٠١٦). واقع الحق في التعليم العام في القدس المحتلة: تحديات وأفاق. تم الاسترداد من المؤتمر الدولي الثالث عشر-فلسطين قضية وحق: طرابلس-لبنان/مركز جيل البحث العلمي الحديث: www.jilrc.com
٣. المصدر السابق.
٤. وكالة وطن للأنباء/ نقلا عن الأناضول. (٥، ٨، ٢٠١٦). الاحتلال يبتز مدارس القدس من أجل أسئلة المناهج. تم الاسترداد من وكالة وطن للأنباء: www.wattan.tv/news
٥. موقع عرب ٤٨. (٥، ٨، ٢٠١٦). للاحتلال يساوم: الميزانيات مقابل أسئلة مناهج مدارس القدس. تم الاسترداد من عرب ٤٨: www.arabs48.com
٦. ديمة السمان. (٦، ٢، ٢٠١٦). التعليم في القدس والاعتداء على المناهج الفلسطينية.
٧. المصدر السابق.
٨. السمان، المصدر نفسه.
٩. جمعية حقوق المواطن في إسرائيل. (بلا تاريخ).
١٠. السمان، مصدر سابق.
١١. عبيدات، مصدر سابق.
١٢. أسئلة التعليم المقدسي.. سلاح الاحتلال لاعداد الهوية الفلسطينية. (١، ٩، ٢٠١٥). تم الاسترداد من موقع مدينة القدس بالعربية: www.alquds-online.com
١٣. عبيدات، مصدر سابق.
١٤. مطر، مصدر سابق.
١٥. المصدر نفسه.
١٦. شيريت ابيتان كوهين. (٢٨، ٥، ٢٠١٧). خطة تعليمية جديدة في القدس الشرقية (بالعبرية). تم الاسترداد من موقع صحيفة معاريف الاسرائيلية الاخباري (www.nrg.co.il): nrg)
١٧. المصدر السابق.
١٨. المصدر نفسه.
١٩. خالد ابو عصبية. (٢٠٠٦). جهاز التعليم في اسرائيل.. البنية، المضامين، التيارات، أساليب العمل. تم الاسترداد من مركز مدار/رام الله: www.ahl.co.il
٢٠. بلال ضاهر. (٢٩، ٥، ٢٠١٧). اسرائيل توسع تدريس المنهاج الاسرائيلي بالقدس المحتلة. تم الاسترداد من عرب ٤٨: www.arabs48.com
٢١. سعد الدين بوطبال، و سامية ياحي. (بلا تاريخ). دور المدرسة في تنمية قيم المواطنة لدى المتعلمين. تم الاسترداد من www.revues.univ-ouargla.dz: www.revues.univ-ouargla.dz



٢٢. فاطمة محمد البغدادي. (٩٧، ٢٠١٤). مواطنة في المناهج الدراسية. تجارب عالمية. تم الاسترداد من مجلة المعرفة: www.almarefh.net
٢٣. زياد بن عابد المشوخي. (بلا تاريخ). السيادة: مفهوما ونشأتها ومظاهرها. تم الاسترداد من صيد الفوائد: www.saaaid.net/bahoth. ١٠٠. htm.
٢٤. ضاهر، مصدر سابق.

الاستراتيجية الإسرائيلية تجاه تهويد مدينة القدس منذ العام ١٩٩٣ - ٢٠١٧م

The Israeli strategy towards the Judaization of Jerusalem city since ١٩٩٣ - ٢٠١٧ the year

د. هشام عبد القادر أبو هاشم

الملخص

تناولت الدراسة موضوع الاستراتيجية الإسرائيلية تجاه تهويد مدينة القدس خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٩٣ - ٢٠١٧م، حيث شهدت تلك الفترة تنامي في عملية السيطرة على مدينة القدس من ناحية الاستيطان والتهويد، وبينت الدراسة استراتيجية التهويد الإسرائيلية والتي تمثلت بسن القوانين ومصادرة الأراضي وبناء المستوطنات في مدينة القدس، بهدف الوصول إلى التهويد الديمغرافي والعقاري، بالإضافة إلى تهويد المقدسات. وخلصت الدراسة بأن الاستراتيجية الإسرائيلية فرضت وضع جيوسياسي في مدينة القدس يصعب تقسيمها في أي حل سياسي، بالإضافة إلى قطع الطريق والتواصل على الدولة الفلسطينية المنشودة.

Abstract

The study dealt with and identified the Israeli strategy towards the judaization of Jerusalem city during the period took place from 1993 to 2017, where that issue witnessed growing of control process on Jerusalem city through the Israeli settlement and judaization. The study also showed the Israeli judaization strategy, which presented by the process of enactment of laws related to the confiscation of land and the construction of settlements in Jerusalem city to reach the judaization of demographic, real estate and holy sites.

The study concluded that the Israeli strategy imposed a geopolitical situation upon Jerusalem city, which in turn is difficult to be divided in any political solution, in addition to cutting off any hope and communication to reach the desired Palestinian state.

المقدمة:

نظراً لأهمية مدينة القدس سياسياً وتاريخياً ودينياً، فقد مرت نشأتها على يد اليبوسيين منذ ما يقرب من ٣٠٠٠ ق.م، فأصبحت مدينة القدس تمثل إرثاً حضارياً ودينياً، ولهذا حظيت المدينة بمكانة دينية لدى جميع الديانات السماوية الثلاثة، وقد قام العرب والمسلمين بواجبهم في هذا المجال على أكمل وجه، ولم يميزوا بين مسلم أو مسيحي أو يهودي داخل المدينة.

وبعد احتلال مدينة القدس في حزيران عام ١٩٦٧م اتبعت إسرائيل استراتيجية تقوم على تأويلات وتفسيرات توراتية دينية ملفقة، فمنذ احتلالها للمدينة المقدسة مارست سياسة استيطانية، وشرعت بتنفيذ سياسة أمنية محكمة في مدينة القدس، وتعرضت المدينة في تلك الفترة إلى عملية استيطان منظمة وممنهجة واسعة بهدف محاصرتها وعزلها عن عمقها الجغرافي، وأطلقت المشاريع والبرامج الاستيطانية من جميع القوى السياسية اليمينية واليسارية والدينية، بهدف السيطرة على المدينة كسياسة أمر واقع في المستقبل، وهدفت إسرائيل من تلك السياسة إلى تهويد مدينة القدس في سبيل جعل الغلبة اليهودية فيها تفوق السكان المقدسيين.

إن السياسة التي اتبعتها إسرائيل في مدينة القدس أوقعت الأضرار الاجتماعية والاقتصادية والنفسية بالسكان المقدسيين، وقامت بمصادرة أراضيهم ومنعهم من الوصول إليها، ومنعت سكان المدينة من التوسع العمراني الطبيعي بهدف إجبارهم على الهجرة من المدينة المقدسة وتوطين اليهود بدلاً منهم.

جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على الاستراتيجية الإسرائيلية تجاه مدينة القدس خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٩٣-٢٠١٧م، وتحليل تداعياتها على السكان المقدسيين في مدينة القدس. مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تتمحور مشكلة الدراسة حول مجموعة من التساؤلات التي يطرحها التحليل، وانطلاقاً من أن الاستراتيجية الإسرائيلية في مدينة القدس تمثل وسيلة وهدفاً في الوقت نفسه، تسعى الدراسة إلى الإجابة عن التساؤل الرئيسي التالي:

ما هي الاستراتيجية الإسرائيلية تجاه تهويد مدينة القدس خلال الفترة ١٩٩٣-٢٠١٧م ويتفرع من السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية:

- ١- ما هي الاستراتيجية التوسعية الإسرائيلية في مدينة القدس؟
- ٢- كيف أثرت استراتيجية التهويد الإسرائيلية على السكان المقدسيين في مدينة القدس؟

أهمية الدراسة:

ترجع أهمية الدراسة إلى كونها تتناول قضية هامة جداً ومؤثرة في السياسة والعلاقات الدولية والتاريخ الدولي، فهي تتناول قضية القدس والتي تعتبر جزءاً لا يتجزأ من قضية فلسطين، في أبعادها القومية والدولية، السياسية والدينية، وجوانبها الإنسانية والقانونية على حد سواء، فتاريخ القدس لا يمكن أن يفصله عن تاريخ فلسطين وعروبة وإسلامية تلك المنطقة.

ومن هنا تأتي أهمية الدراسة فهي تركز وبشكل عميق على الاستراتيجية الإسرائيلية تجاه تهويد مدينة القدس والسيطرة على المدينة المقدسة في مرحلة حرجة من تاريخ القضية الفلسطينية، فمن زيادة الهجرة اليهودية إلى المدينة، ومصادرة أملاك سكانها الأصليين لصالح الاستيطان، إلى السيطرة الكاملة على المدينة المقدسة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى التالي:

- ١- التعرف على الاستراتيجية التوسعية الإسرائيلية في مدينة القدس.
- ٢- التعرف إلى تأثير استراتيجية التهويد على السكان المقدسيين في مدينة القدس.

حدود الدراسة:

يتمحور الحد الموضوعي للدراسة حول الاستراتيجية الإسرائيلية تجاه تهويد مدينة القدس، والسياسات التي اتبعتها إسرائيل لتهويد المدينة المقدسة، بما يخدم الرؤية الإسرائيلية لمستقبل مدينة القدس، ومحاولة فرض الطابع اليهودي على مدينة القدس. أما الحد الزمني فهو يغطي السياسة الإسرائيلية خلال الفترة التي أعقبت اتساق أوسلو عام ١٩٩٣م وحتى إعداد الدراسة في أيلول عام ٢٠١٧م.

منهجية الدراسة:

- ١- المنهج التاريخي: وسوف يتم استخدام المنهج التاريخي في التتبع التاريخي للاستراتيجية الإسرائيلية بأبعادها المختلفة السكانية والجغرافية والسياسية.
- ٢- المنهج الوصفي التحليلي: سيتم وصف الاستراتيجية الإسرائيلية وشكلها وتأثيرها تجاه تهويد مدينة القدس، والتركيز على تحليل بعض الظواهر والتعمق في مسبباتها وتوابعها.

تقسيم الدراسة:

قسمت الدراسة إلى مبحثين وهما:

المبحث الأول: الاستراتيجية الإسرائيلية في مدينة القدس.

المبحث الثاني: الاستراتيجية الإسرائيلية تجاه السكان المقدسيين في مدينة القدس.

المبحث الأول

استراتيجية السيطرة الإسرائيلية في مدينة القدس

أولاً: القدس في الفكر الصهيوني

تحظى مدينة القدس بدور بالغ الأهمية على المستوى الفكري والسياسي لدى قادة الحركة الصهيونية، ومن الطبيعي أن تكون الاستراتيجية الصهيونية واستراتيجية إسرائيل متناغمتين تماماً مع منطلقاتها الروحية والفكرية وأهدافها السياسية، لذا ترى اليهودية الصهيونية وجوب أن تبقى



القدس مركز جذب واستقطاب لكل المؤمنين بقدسيته من اليهود، ونجاح الاتجاه العلماني لاستغلال العامل الديني كمحرك لتجميع يهود الشتات حول الأماكن المقدسة بنظرهم وهي القدس والخليل وطبريا كنواة للدولة اليهودية، وكانت تطلعات الحركة الصهيونية إلى مدينة القدس وذلك لمكانتها الدينية والتاريخية لدى العالم، إضافة إلى التنظير الفكري لدى النخبة السياسية والمثقفة عند اليهود حول مدينة القدس، فقد استخدمت الدين اليهودي من أجل السيطرة على المدينة والأماكن المقدسة، ووظفت الدين لصالح أهدافها ومشاريعها التوسعية، فاستغلت التعاليم التوراتية التي تسيير إلى صهيون، والأرض المقدسة، والهيكل (أبو جاموس، ٢٠١٣).

أسفرت حرب عام ١٩٤٨م عن وقوع الجزء الغربي من مدينة القدس تحت السيطرة الإسرائيلية، وأخذت سلطات الاحتلال تعمل على دمج المدينة في الدولة الإسرائيلية وتهويدها، وذلك من خلال انشاء مجلس بلدي يهودي في كانون ثاني عام ١٩٤٩م، ومضاعفة عدد السكان اليهود عن طريق موجات الهجرة التي أعقبت الحرب (سالم، ٢٠٠٣: ٨٥)، وطرد ٦٠ ألفاً من سكانها العرب وتشريدهم، وبناء أحياء سكنية يهودية فوق الأراضي العربية، حيث كان يملك الفلسطينيون نحو ٨٨,٧٪ من مجمل مساحة مدينة القدس، وعملت سلطات الاحتلال الإسرائيلي على توسيع حدود بلدية القدس الغربية من ١٦٢٦١ دونماً إلى ٢٨١٠٠ دونماً، كما ارتفع عدد المستوطنين اليهود من ٨٤ ألفاً في تشرين الثاني عام ١٩٤٨م إلى ١٩٧ ألف في حزيران عام ١٩٦٧م، وفي تلك الفترة قامت سلطات الاحتلال بالاستيلاء على المناطق المحيطة بالقدس وقراها، وقامت ببناء نحو ٥٠ مستعمرة يهودية عليها (صالح، ٢٠١١: ١٠).

مع اندلاع حرب حزيران عام ١٩٦٧م احتلت إسرائيل الجزء الشرقي من القدس، وقامت بإصدار قانون ضم المدينة المقدسة عبر العديد من الإجراءات التي اتخذتها ليصبح الضم أمراً واقعياً، فقد اتخذت الحكومة الإسرائيلية بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٥م قرارها القاضي بسريان القانون الإسرائيلي بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٧م قراره بتعديل قانون الأنظمة والقضاء لسنة ١٩٤٨، وإضافة المادة ١١ ب التي تنص على سريان قانون الدولة وقضاؤها وإدارتها على كل مساحة من أرض إسرائيل حددتها الحكومة في مرسوم، واستخدم الاحتلال العنف والإرهاب والقتل واعتقال المئات من السكان وترويع الأهالي واقتحام المنازل وهدمها، بهدف تهجير أكبر عدد ممكن من سكانها العرب، لتسهيل السيطرة عليها وابتلاعها وهدم المدينة وتهويدها، فأعلن الاحتلال عن توحيد شطري المدينة تحت الإدارة الإسرائيلية في ٢٧ حزيران عام ١٩٦٧م، ثم أعلن رسمياً في ٣٠ تموز عام ١٩٨٠م، أن القدس عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل (سالم، ٢٠٠٣: ٨٩-٩٠)، وبدأت إسرائيل اعتبار القدس الشرقية والقدس الغربية موحدة وجزلاً يتجزأ منها.

الاختراق الذي حققته إسرائيل في اعلان المبادئ الموقع في واشنطن بتاريخ ١٣ أيلول عام ١٩٩٣م يتضمن الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، وتأجيل موضوع القدس وقضايا مهمة إلى مفاوضات الوضع النهائي في أيار عام ١٩٩٧م، فتح الباب على مصراعيه أمام إسرائيل لتستكمل تهويد القدس، وتجبر الطرف الفلسطيني إلى الإذعان للأمر الواقع أي القبول



بالقدس عاصمة موحدة لإسرائيل، أحدثت السلطات الإسرائيلية توسعاً جديداً في حدود البلدية وأصبحت مساحتها تقارب ١٣٠ كم^٢، وفي العام ٢٠٠٥م اقرت لجنة التخطيط والبناء التابعة لبلدية القدس الإسرائيلية المخطط الهيكلي «القدس ٢٠٠٠-٢٠٢٠»، والذي يوسع الحدود الغربية لمدينة القدس حوالي ٤٠٪، وفقاً للمخطط فإن أكثر من نصف الجزء الشرقي من مدينة القدس صنف على أنه مناطق مبنية وصنف حوالي ٤,٤٪ كمناطق خضراء ومساحات عامة، يمنع الاحتلال الفلسطيني البناء فيها (معهد الأبحاث التطبيقية، ٢٠١٥)

التركيز على مدينة القدس مسألة مركزية في الفكر الصهيوني، ومن الأبعاد الدينية والتاريخية من قبل أن ينشأ الكيان الصهيوني، حيث قال هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية: إذا حصلنا على مدينة القدس وكنت لا أزال حياً وقادراً على القيام بأي عمل، فسوف أزيل كل شيء ليس مقدساً لدى اليهود فيها، وسوف أحرق جميع الآثار التي مرت عليها قرون (صالح، ٢٠١١: ١٠)، مات هرتزل ولكن أفكاره بقيت حيه في النهج الاستيطاني الذي يقوم به اليهود في تهويد القدس وتدمير كل شيء غير مقدس عندهم.

ثانياً: استراتيجية الاستيطان في القدس

بدأت السياسة الإسرائيلية برسم معالم جديدة لتهويد القدس من أجل فرض سياسة الأمر الواقع وإيجاد أوضاع جيوسياسية يصعب على السياسي إعادة تقسيمها مرة أخرى، فقد بدأت بالسيطرة على المدينة من أجل بناء سلسلة من المستوطنات لتحيط بمدينة القدس من جميع الجهات، اعتمدت سلطات الاحتلال في نشاطها الاستيطاني على سلسلة من الإجراءات لتحقيق أهدافها في تهويد المدينة واحكام السيطرة عليها، وتم ذلك عبر الأطواق الاستيطانية بالإضافة إلى الشوارع الالتفافية. لذلك هدفت إسرائيل من وراء سياستها محاصرة المدينة بالمستوطنات وإقامة آلاف الوحدات السكنية اليهودية ومصادرة حوالي ٢٥٪ من مساحة القدس، تلك السياسة أخذت أبعاداً جيوسياسية في كل ما يتعلق بالسكان الفلسطينيين، وقد اثبتت من هذه السياسة مجموعة من الخطوات الإدارية والقانونية في مجالات التوطين والتخطيط والبناء، بهدف منع تطوير الأحياء الفلسطينية في شرقي القدس، وبدأ مرحلة جديدة من عملية تهويد وضرب العصب الاقتصادي الفلسطيني عبر الإعلان عن مخطط جديد لمركز المدينة من أجل تقييد النشاط التجاري، كما تم تنفيذ مشاريع وزارة البنية التحتية بإقامة مشاريع استيطانية داخل الأحياء الفلسطينية ضمن مشروع أطلق عليه بوابة حول القدس، يهدف إلى عزل تلك الأحياء وتحويلها إلى مجموعات معزولة ومنقسمة تحاط بالمستوطنات من جميع الجهات، رأس العامود، وجبل المكبر، وجبل الزيتون، وغيرها من المشاريع الاستيطانية (التفكجي، ٢٠٠٨: ١٦٢)

إن مسألة القدس واحدة من أبرز المسائل التي أرجئ البحث فيها بموجب اتفاقات أوسلو إلى ما يسمى بمفاوضات الحل النهائي، لكن الحكومات الإسرائيلية بسياستها الرامية إلى تهويد القدس سعت لاستباق تلك المفاوضات لحسم الوقت لمصلحتها من جانب واحد، حيث شكلت القدس معضلة عملية التفاوض في كامب ديفيد الثانية عام ٢٠٠٠م حول الوضع النهائي، لذلك ساهم الاستيطان



في إنجاح الهدف الإسرائيلي إلى حد كبير في تهويد مدينة القدس، بالإضافة إلى زرع الأحياء الاستيطانية الالتفافية حول القدس بهدف تطويقها وعزلها وزيادة عدد المستوطنين اليهود فيها، بهدف محاصرة التجمعات الفلسطينية والحد من نموها وعزلها عن بعضها كوحدة جغرافية واحدة، وكذلك فصلها عن الضفة الغربية.

اعتمدت إسرائيل تلك الاستراتيجية لتكثيف الاستيطان فوق التلال والمرتفعات بحيث تشكل سلسلة متواصلة تحيط بالمدينة، والتركيز على مركز المدينة ذاتها وربطها بشبكة من الطرق الرئيسية تأخذ شكل أذرع خيطية تعمل على وصل الضواحي الاستيطانية، بحيث تصبح المدينة وفق ذلك بمثابة خطوة تمهيدية لمشروع القدس الكبرى، والذي جرى اعداده في شباط عام ١٩٩٢م بالتعاون مع وزارة البناء والإسكان الإسرائيلية وبلدية القدس ودائرة أراضي إسرائيل، كمخطط لمدينة القدس الكبرى في العام ٢٠١٠م، يهدف إلى تعزيز مكانة القدس كعاصمة لإسرائيل من خلال إقامة شبكات طرق لليهود تستخدم للتنقل والتجارة وخلق تواصل واضح للسكان اليهود، وتم الكشف عن المخطط في أيلول عام ٢٠٠٨م حينما قدم عضو الكنيست يسرائيل كاتس اقتراح قانون بضم المستوطنات الواقعة خارج حدود بلدية القدس، وتم وضع مخططات لوصل مستوطنة معاليه ادوميم وجبعات زئيف، وغوش عتصيون، وبيتار بالقدس مع بعضها البعض، بهدف عزل القرى والأحياء الفلسطينية حيث يسهل السيطرة عليها أمنياً وديمغرافياً (صالح، ٢٠١١: ٦١).

ثالثاً: أهداف الاستيطان في القدس:

الاستيطان الإسرائيلي في القدس الشرقية والمناطق المحتلة عامة يحمل أهدافاً سياسية وأمنية، تحقق إسرائيل من وراءها هدفها الرئيس وهو السيطرة الكاملة على المدينة، وتحقيق الأغراض التالية (ربيع، ٢٠٠٥: ٤٤):

- ١- العمل على خلخلة الكثافة السكانية للفلسطينيين في القدس حفاظاً على الأمن، من خلال عدم السماح بإعادة ترميم البيوت وتوسيعها وبنائها، لإجبار الفلسطينيين على الرحيل، وإيجاد أغلبية يهودية كبيرة في المدينة تشكل بلا منازع عاصمة لإسرائيل.
- ٢- إحكام السيطرة الإسرائيلية على القدس بحكم موقعها الاستراتيجي فهي تقع في وسط فلسطين، وتشكل حاصرة للضفة الغربية، وترتفع عن سطح البحر حوالي ٨٠٠ متر تقريباً، والسيطرة على مركز النشاط والحركة ومحاور الدخول إلى الضفة الغربية، والعمل على تغيير الواقع الديموغرافي والعمراني للمدينة لأسباب أمنية استراتيجية.
- ٣- إقامة المستوطنات والبؤر الاستيطانية وشق الطرق الالتفافية بغرض فرض الطوق الأمني، وعزل سكان القدس عن محيطهم الفلسطيني والعربي في القرى والمدن المجاورة ووصلها بالمدن والتجمعات السكانية في إسرائيل، وإقامة القدس الكبرى والتي تصل مساحتها حوالي ٨٤٠ كم^٢ او ما يعادل ١٠٪ من مساحة الضفة الغربية.
- ٤- أهم هدف تسعى إسرائيل إلى تحقيقه خلق واقع جديد على الأرض يصعب تغييره بقرار



سياسي، وبالتالي تعذر التوصل إلى أي حل مع الفلسطينيين، بالإضافة إلى استخدامها كورقة ضغط ومساومة ضد الفلسطينيين.

اعتمدت سلطات الاحتلال في نشاطها الاستيطاني على سلسلة من الإجراءات لتحقيق أهدافها في تهويد المدينة وإحكام السيطرة عليها، وتم ذلك عبر الأطواق الاستيطانية، بالإضافة إلى الشوارع الالتفافية ومنها ما يلي: (أبو جابر وآخرون، ١٩٩٧: ٥٥٨)

الطوق الأول: ويضم المستوطنات رمات أشكول، جفعات همفتار، والتلة الفرنسية، والجامعة العبرية، وتعتبر تلك المستوطنات أول الأطواق حول مدينة القدس، لذلك أقامت إسرائيل هذه الأحياء على عجل مما شوّه منظر المدينة من خلال الأبنية العالية التي تغلق الأفق الشمالي مما أثر تأثيراً كبيراً على المنظر العام للمدينة المقدسة.

الطوق الثاني: وهو خارج حدود البلدية ولكنه ضمن مجال القدس الكبرى وهدفت هذه المخططات إلى بناء السور الثاني حول المدينة ويرتبط مع المنطقة الجنوبية في منطقة غوش عتصيون، وتشمل مستوطنات عتصيون، وروش تسوريم، وألون شيفرت، ونفي دانيال، وألعازر، وبيت عين، وإفرا، وبيتار، بالإضافة إلى المدينة الجديدة عير غانيم حيث يهدف المشروع إلى بناء حوالي ١٠ آلاف وحدة سكنية وإسكان ما يقرب من ١٠٠ ألف مستوطن.

الطرق الالتفافية: تعتبر تلك الطرق جزءاً أساسياً من الخطوط الاستيطانية الإسرائيلية، بالإضافة لاستراتيجية السيطرة والحصار للأراضي الفلسطينية ومصادرة مساحات واسعة وتدمير أراضٍ زراعية وغيرها، وتزعم إسرائيل بأن هدف هذه الطرق هو فصل حركة الإسرائيليين عن المناطق الفلسطينية، بهدف تسهيل تحركات المستوطنين وحمايتهم من الهجمات الفلسطينية.

مع انطلاق مؤتمر مدريد في تشرين أول عام ١٩٩١م وما تلاه من اتفاق إعلان المبادئ في أيلول عام ١٩٩٣م، ازدادت الخشية لدى اليمين واليمين المتطرف الإسرائيلي من أن تؤدي العملية السلمية إلى انسحاب إسرائيل من أجزاء واسعة من المناطق الفلسطينية المحتلة وإعادة الحرم الشريف إلى الفلسطينيين، فقد بدأت المشاريع والخرائط السياسية الإسرائيلية تخرج للجمهور الإسرائيلي والفلسطيني، مرتكزة على الواقع الذي فرضه الاستيطان على الأرض منذ عقود ليلغي إمكانية أية تسوية باستثناء تسوية بالشروط الإسرائيلية، لذلك أكد الليكود احترامه للاتفاقيات الموقعة مع منظمة التحرير الفلسطينية وذلك من خلال برنامج الانتخابي لعام ١٩٩٦م، وأكد أن دوره سيكون تخفيف المخاطر السياسية المستقبلية التي تنتج عن هذه الاتفاقيات، وعندما فاز الليكود في هذه الانتخابات، وجد نفسه أمام التزامات إقليمية ودولية، وفي تلك الفترة قامت حركات الهيكل بنشاط دعت إلى دخول اليهود إلى الحرم الشريف والصلاة فيه وبناء الهيكل، وأصدرت في العام ١٩٩٦م لجنة حاخامات مجلس المستوطنات في المناطق الفلسطينية المحتلة فتوى دينية دعت كل حاخام إلى الدخول للحرم الشريف بنفسه، وأن يوجه كل حاخام أتباعه وتلاميذه على دخول الحرم الشريف (محارب، ٢٠١٦: ٢٠).

حاول أقطاب الليكود الالتفاف على الواقع الجديد دون المساس بالأهداف السياسية الأساسية، بعد تشكيل حكومة نتياهو في العام ١٩٩٦م، أغلقت الحكومة بيت الشرق وتم تضيق الخناق على المؤسسات الفلسطينية في المدينة، وزاد الحصار على أهلها من خلال عمليات سحب هويات المقدسيين، ومنع البناء وهدم البيوت، وتكثيف الاستيطان داخل المدينة وحولها، بل وإنشاء مستوطنات جديدة مثل المستوطنة التي أعلن عن بنائها في جبل أبو غنيم «هارحوما» بين القدس وبيت لحم، واستمرار الحال مع جميع الحكومات في إسرائيل، ومع اندلاع انتفاضة الأقصى في أيلول عام ٢٠٠٠ وما جلبته من آثار، فإن الاستيطان في القدس ومحيطها لم يتأثر سلباً، بل على العكس ازداد بشكل لافت للانتباه، فعلى سبيل المثال فإن مستوطنة مودعين - عليت التي تقع بالغرب من القدس على الخط الأخضر، وهي مستوطنة لليهود المتدينين الأرثوذكس «الحريديم»، حيث ازداد عدد سكانها إلى ١٨٪ في الشهور العشرة الأولى للانتفاضة، وفي فصل جديد من فصول السياسات التهويدية الإسرائيلية في مدينة القدس، وفي أيلول من العام ٢٠٠٨م تم الكشف عن مخطط إقليم القدس، والذي يشدد على تحقيق الحلم بدولة إسرائيلية يهودية وعاصمتها القدس الكبرى، وذلك عقب إقرار الكنيست الإسرائيلي مشروع قرار «القدس الموحدة عاصمة الشعب اليهودي» بقراءته الأولى في العام ٢٠٠٨م، حيث بلغ عدد المستوطنات الإسرائيلية القابعة بشكل غير قانوني في القدس الشرقية ١٨ مستوطنة، وتحتل ما مساحته ٢١ كم^٢، ويقطنها ما يزيد عن ٢١٠ مستوطن (معهد الأبحاث التطبيقية، ٢٠١٥).

لذلك تسعى إسرائيل من وراء سيطرتها على الأراضي الفلسطينية في القدس لأهمية تلك المدينة من الناحية الاستراتيجية، وإيجاد حقائق ديموغرافية جديدة على الأرض، وإجبار المواطنين الفلسطينيين على الهجرة القسرية من مدينة القدس، وتحويلها إلى مدينة خالية من الفلسطينيين، وقطع التواصل بين الفلسطينيين وتاريخهم الديني والثقافي، وجعل الاستيطان أداة ضغط ومساومة في أي مفاوضات مستقبلية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، تجعل من المستحيل على أي حكومة إسرائيلية المضي قدماً في عملية السلام مع الفلسطينيين، وتحول دون قيام دولة فلسطينية في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م، لذلك فإن الأهمية الاستراتيجية للضفة الغربية وعلى رأسها القدس تقع في اهتمام السياسة الأمنية الإسرائيلية.

المبحث الثاني

استراتيجية التهويد الإسرائيلية في مدينة القدس

استراتيجية التهويد الإسرائيلية للقدس هي بمثابة الحلقة المركزية في العملية التهويدية المرسومة في الاستراتيجية الصهيونية للمدينة، تهدف إلى تهويد القدس اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ودينيًا، بهدف إلغاء الطابع العربي الإسلامي وصولاً إلى تذويبها في مجتمع يهودي داخل إسرائيل، وفرض سياسة الأمر الواقع وإحداث تغيير ديمغرافي وجغرافي لصالحها، واستباق أي حديث حول مفاوضات الحل الدائم الذي سيطرت عليه مقولة «يهودية الدولة» في العقل الصهيوني بمختلف أطيافه.

أولاً: استراتيجية التهويد الديمغرافي:

شكلت الزيادة السكانية العربية مفصلاً أساسياً في رسم خطوط القدس الكبرى، ففي عام ١٩٩٣م بدأ التخطيط من قبل بنيامين بن اليعازر وزير الإسكان السابق مدعوماً بتعليمات من اسحق رابين رئيس الحكومة الأسبق، لتنفيذ المخطط الذي هدف إلى إيجاد تواصل واضح للسكان اليهود وتقليص التقارب والاحتكاك مع العرب، والحفاظ على تعزيز مكانة القدس كعاصمة لإسرائيل، وربط المستوطنات خارج حدود البلدية مع داخلها بواسطة ممرات وتحقيق الأغلبية اليهودية من خلال جلب مائة ألف يهودي سنوياً، ما يعني أن مئات الآلاف من المستوطنين سيتم استيعابهم في مدينة القدس، بحيث يشكل ذلك ضغطاً وعبئاً كبيراً على كاهل المقدسيين حتى يغادروا ويتركوا المدينة، وتشير الإحصاءات الرسمية الإسرائيلية إلى خريطة الكثافة السكانية في البلدة القديمة التي تسعى سلطات الاحتلال إلى تهويدها وطرد السكان المقدسيين منها، إلى أن عدد السكان ٨٩,٠٤٢ من المسلمين، و٨,٠٤٢ من المسيحيين الأرمن، و٩,٦٢٥ من المسيحيين في حارة النصارى، و٨,٢٣٢ من اليهود في حارة الشرق أو ما يسمى «حارة اليهود»، أما القدس الشرقية فبلغ عدد سكانها سنة ٢٠٠٦م ٤١٣ ألفاً، منهم ٢٣١ ألفاً فلسطيني، و١٨٢ ألف مستوطن يهودي، ومع احتساب أعداد سكان القدس الشرقية والغربية فإن مجموعة سكان القدس بلغ في أوائل سنة ٢٠٠٧م إلى ٧٢٠ ألفاً، بينهم ٤٧٥ ألف مستوطن يهودي بنسبة ٦٦٪، و٢٤٥ ألف عربي بنسبة ٣٤٪ (مركز الزيتونة، ٢٠٠٧: ٢٣٧).

أدت السياسة التي اتبعتها إسرائيل إلى تفاقم أزمة السكن في المناطق العربية ونتيجة لعدم المصادقة على المخططات الهيكلية للأحياء العربية، كذلك نسبة السكان الفلسطينيين في المناطق محدودة ولا تتعدى في أقصى حالاتها ٧٥٪ من مساحة الأرض وعلى بعد أمتار من الأحياء العربية ترتفع النسبة إلى ما يقرب من ١١٥٪-٣٠٠٪ من مساحة الأرض، كما هو الحال في رأس العامود، أو التلة الفرنسية، كما أن الحصول على رخصة بناء للفلسطينيين يحتاج نحو ٩ سنوات، وتكاليف تصل إلى ٢٠ ألف دولار، مما يدفع المواطنين الفلسطينيين إلى القيام بالبناء بدون ترخيص، وما يتبع ذلك من تهديد بالهدم أو تقديمه للمحاكمة تكون الغرامات أكبر من تكاليف البناء، لكن الحكومة الإسرائيلية تقوم بالبناء عبر شركات وبيعها لليهود بكل سهولة وتكون التكاليف قليلة مقارنة مع الفلسطينيين (التكجي، ١٩٩٤: ٢١)، هذه سلسلة من الإجراءات التهويدية الإسرائيلية لمدينة القدس لتحقيق الأهداف السكانية لليهود في التصوق الديموغرافي على العرب، والحد من التوسع السكاني

اللسطيني، وبلغ عدد المنازل المهدامة في القدس من العام ٢٠٠٠ إلى العام ٢٠٠٩م ٦٥٤ منزلاً (مركز الزيتونة، ٢٠١٠: ٢٨٦).

تسعى المخططات الإسرائيلية إلى حصر نسبة الفلسطينيين في القدس بشقيها الشرقي والغربي فيما لا يتجاوز خمس أو ربع سكانها، وذلك من خلال سياسة التهجير الهادئ، وهي تجريد الكثير من العائلات المقدسية من حق المواطنة، وقد بدأت هذه السياسة منذ العام ١٩٦٧م، وهي متواصلة حتى الآن، حيث مارست إسرائيل ومن خلال وزارة الداخلية أسلوباً جديداً لتقليص عدد المقدسيين، من خلال سحب بطاقة المواطنة من كل مقدسي لا يتمكن من إثبات مكان سكناه في الماضي والحاضر في مدينة القدس وإجباره على مغادرة المدينة، وفي هذه الحالة يفقد حقوقه كاملة، ويحصر قانون الدخول في إسرائيل الصادر عام ١٩٧٤م الحالات التي يجوز فيها سحب بطاقة الهوية في ثلاث حالات (مركز الزيتونة، ٢٠٠٧: ٢٧٨):

أ- إذا تواجد الشخص خارج إسرائيل فترة سبع سنوات على الأقل.

ب- إذا حصل الفرد على إقامة في دولة أخرى.

ج- إذا حصل على جنسية دولة أخرى بوساطة التجنس.

بلغ عدد بطاقات الإقامة التي سحبت منذ عام ١٩٦٧م حتى ٢٠٠٧م ٨,٥٥٨ بطاقة، أما البطاقات التي سحبت خلال العام ٢٠٠٨م وحدها فقد وصلت إلى ٤,٥٧٧، وهي تشكل نسبة ٣٤,٨٪ من البطاقات التي سحبت منذ احتلال المدينة، وهذا التطور مرشح للزيادة في ظل ممارسات الاحتلال العنصرية ضد المقدسيين (مركز الزيتونة، ٢٠١٠: ٢٨٢)، كما أن قانون مركز الحياه «domicile» الذي تم تكريسه والعمل به اعتباراً من يناير ١٩٩٧م، اعتمد صيغة قانونية فحواها أن من يسكن داخل حدود القدس فقط له حق الإقامة الدائمة الفعلية، على ضوء ذلك فإن أكثر من ١٢٠ ألف مواطن مقدسي مهددون بفقدان حقهم في الإقامة الدائمة في القدس على اعتبار أنهم غير مقيمين إقامة دائمة بعد صدور هذا القرار (معهد الأبحاث التطبيقية، ٢٠١٥).

ثانياً: استراتيجية التهويد العقاري:

تصاعدت اعتداءات الجماعات اليهودية في الاستيلاء على البيوت المقدسية في إجراءات غير مسبوقة لوضع يدها على البيوت في البلدة القديمة بالقدس، وشرعت سلطات الاحتلال الإسرائيلية بتسجيل الأملاك والعقارات التي استولى عليها المستوطنون في البلدة القديمة، من أجل تثبيت ملكية الأملاك لجهات يهودية استيطانية، وتم الكشف عن تسجيل ١٢٠ عقاراً وتثبيتها للمستوطنين من خلال وثائق مزورة وبصورة غير قانونية، كما قامت سلطات الاحتلال بتسجيل ما مساحته ١٣٧ دونماً من الأراضي والعقارات في منطقة باب المغاربة والبؤر الاستيطانية داخل البلدة القديمة، والتي تعود إلى الوقف الإسلامي (أبو عطا، ٢٠٠٩: ٢٠).

يعتمد أهل القدس الشرقية بشكل كلي على الخدمات التي تقدمها بلدية القدس الغربية لحاجياتهم الأساسية، وتعرض سلطات الاحتلال ضرائب ثقيلة على سكان المدينة، وهناك تمييز واضح في دفع الضرائب، حيث يعفى المستوطنون اليهود من دفع ضريبة «الأرنونا»، وهي ضريبة



البلدية، وإجبار الفلسطينيين دفع الضرائب بكاملها رغم أن دخل الفرد الفلسطيني قليل بالنسبة إلى دخل المستوطن اليهودي، كما توجد أحياء فلسطينية خارج حدود بلدية القدس الغربية وتدفع ضريبة «الأرنونا»، وهي لا تستفيد من الخدمات التي تقدمها البلدية، وقد أدت الضرائب الباهظة التي فرضت على المقدسيين إلى دفع أكثر من ٢٥٠ تاجرًا في البلدة القديمة من القدس إلى إغلاق محلاتهم بعد تعرضهم للملاحقة، والحجز على محتويات محلاتهم ومصادرتها أو الحجز على حساباتهم في البنوك بدعوى أن عليهم ديونًا لسلطات البلدية والضرائب، ووفقًا للإحصائيات الاسرائيلية فإن اسرائيل تجبي ما نسبته ٣٥٪ من ميزانية بلدية الاحتلال من السكان المقدسيين في القدس الشرقية، لكن الاحصائيات تشير الى ان بلدية الاحتلال تتفق ما نسبته ٥٪ فقط على القدس وسكانها، في حين تخصص ٣٠٪ من هذه الاموال لتنفيذ مشاريع عديدة في المستوطنات ولتعزيز الوجود الاستيطاني اليهودي في القدس المحتلة. (الاقتصادي، ٢٠١٦/٩/٢م، فريد محاريق، اقتصاد القدس بين الريايط والحصار).

ثالثاً: استراتيجية تهويد المقدسات الإسلامية في القدس:

إن أبرز التحديات للهوية اليهودية المزعومة لمدينة القدس هي عدم وجود أي شيء مقدس في صيغة بناء أو معبد أو موقع تاريخي بارز فيها، من أجل ذلك تركزت الجهود الإسرائيلية على إيجاد بنية تحتية حقيقية لمقدسات يهودية داخل البلدة القديمة، والقيام بتهويد وتدمير المقدسات الإسلامية التاريخية من أجل بناء كنيس فوق الأرض مثل كنيس «خيمة إسحق» قبالة باب السلسلة أو كنيس الخراب في حارة الشرف «حي اليهود»، أو من خلال إعداد شبكة متكاملة من الحفريات تقام فيها مزارات يهودية مصطنعة لافتتاحها أمام الزوار.

تعرض مدينة القدس بشكل عام والمسجد الأقصى بشكل خاص إلى هجمة شرسة من قبل المؤسسة الإسرائيلية والجماعات اليهودية المتطرفة، طالت الإنسان والآثار والتاريخ والحضارة لتنفيذ مشاريع السيطرة وتهويد للمسجد، وتصاعدت بشكل ملحوظ ظاهرة اقتحام مجموعات يهودية للمسجد الأقصى المبارك رجالاً ونساءً وأطفالاً مع إقامة شعائر دينية يهودية بارزة داخل المسجد الأقصى، وأصبحت الظاهرة البارزة في هذه الاقتحامات أنها تتم بصورة مئات الأفراد وتأتي على شكل مجموعات متتالية وأصبح يشارك فيها بشكل بارز عدد كبير من الساسة الإسرائيليين، كما أعلن عشرات ممن يتسمون بالمرجعيات الدينية والتلمودية اليهودية، عن تأييدهم وتشجيعهم لأفراد المجتمع الإسرائيلي لاقتحام المسجد الأقصى، وقاموا باقتحام الأقصى حتى يقتدي الغير بهم، وتتم هذه الاقتحامات بحراسة مشددة من قبل الشرطة الإسرائيلية التي تهدف بشكل أساسي إلى تحويل الادعاء «بحق اليهود» في الدخول إلى المسجد الأقصى إلى أمر واقع يقبله سكان المدينة ويقبله الوعي العربي والإسلامي، وشهدت هذه الفترة منذ العام ٢٠٠٩م في ظل حكومة «بنيامين نتياهو» المتطرفة تصعيداً حاداً في مدينة القدس، ومنذ إعلانه في شهر تشرين الثاني عام ٢٠٠٩م عن تجميد الاستيطان في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م لمدة عشرة أشهر، وبلغ ذروته عندما عين نتياهو في آخر عام ٢٠٠٩م منسقاً خاصاً في مكتبه، لينسق بينه وبين بلدية الاحتلال في القدس



لتسهيل عمليات هدم المنازل فيها، وعلى رأسها منازل حي البستان جنوب المسجد الأقصى(مركز الزيتونة، ٢٠١٠: ٢٨٨).

شهدت الفترة الأخيرة الكشف عن حفريات جديدة ومنها جنوب المسجد وإلى الغرب منه، ليصبح بذلك عدد مواقع الحفريات تحت المسجد وفي محيطه ٢٨ موقعاً منها ٢٣ موقعاً نشطة و١٥ موقعاً مكتملة، أما من الناحية الجغرافية فتقع ١٧ حفزية منها جنوب المسجد الأقصى و١٩ حفزية غربية و٢ شمالية، وأكبر مشاريع الحفريات هو بناء وترميم ساحة البراق الذي يمتد على كامل المساحة الواقعة بين حائط البراق وحارة الشرف «الحي اليهودي»، وتبلغ مساحتها ٧ دونمات، وكان جهد الاحتلال ينصب على توسيع رقعة الحفريات وزيادة عددها وترميم المواقع وإعدادها لاستقبال الزوار، بالإضافة إلى تجهيز البنية التحتية اللازمة فوق الأرض وتحت الأرض، لتحويل المدينة اليهودية التي بنتها أسفل المسجد الأقصى ومحيطه إلى المزار السياحي الرئيسي في دولة الاحتلال، ولن يضطر الزوار السياح في هذه الحالة إلى المرور في أي حي عربي أو الاحتكاك مع المقدسين في أثناء الدخول إلى المدينة، وذلك من خلال شبكات الأنفاق التي تربط أجزاء هذه المدينة من الجنوب والغرب ببعضها البعض، وأنهى الاحتلال عمله في نفق يصل بين مدينة داود في سلوان جنوباً وشبكة أنفاق الحائط الغربي في الشمال، وسيتمكن هذا الطريق السائحين والمتطرفين اليهود من الوصول إلى ساحة البراق وأبواب المسجد الأقصى دون المرور بالتجمع السكاني الفلسطيني في الجنوب، مما يشكل خطراً على المسجد الأقصى نفسه لكونه يسهل اقتحامه والاعتداء عليه في المستقبل من اليهود (مؤسسة القدس الدولية، ٢٠١٥: ٦٣-٦٧).

لذلك أضحى مسألة التقسيم الزمني والمكاني للمسجد الأقصى مثار جدل كبير، حيث يهدف إلى تكريس وجود اليهود في المسجد الأقصى من ناحية، وتخصيص أجزاء ومساحات من المسجد الأقصى يقطعها اليهود ليحولوها إلى كنس يهودية لأداء صلواتهم فيها، ففي ٣٠ تشرين الأول من العام ٢٠١٤م أخذ التقسيم منحى جديد وخطير، إذ لأول مرة منذ العام ١٩٦٧م أغلقت سلطات الاحتلال بوابات المسجد الأقصى أمام المسلمين، وإعلان الاحتلال إقامة تجمع صهيوني بالكنيست لنزع الوصاية الأردنية عن القدس، والتسريع ببناء الهيكل وإقامة مديرية يهودية توازي دائرة الأوقاف الإسلامية، واتبعت قيوداً عام ٢٠١٥م حالت دون وصول النساء إليه في الفترات المخصصة لاقترحات المستوطنين، وفي ١٣ تشرين الثاني عام ٢٠١٦م أقرت اللجنة الوزارية الخاصة بالتشريعات، مشروع قانون يمنع رفع الأذان وعبر مكبرات الصوت في مساجد القدس والمناطق القريبة من المستوطنات، وذلك تمهيداً لعرضه على الكنيست لمناقشته والمصادقة عليه في ثلاث قراءات حتى يصبح قانوناً واجب النفاذ(مجلة البيان، ٢٥/٥/٢٠١٧م، أحمد فايق دلول، التقسيم الزمني والمكاني).

تشكل البوابات الإلكترونية التي أقامتها سلطات الاحتلال بالمسجد الأقصى في ١٤ تموز عام ٢٠١٧م مدخلاً جديداً للسيادة على ساحات الحرم القدسي الشريف، وتأتي هذه الخطوة إلى حرفة الأنظار عن المخطط الأساسي بفرض السيادة الإسرائيلية على الأقصى، لتحكم سيطرتها وإدارتها على ساحات الحرم، والتحكم بأعداد المصلين وفرض واقع جديد يمهد لبناء الهيكل المزعوم

وحصاره وتهويده لفرض التقسيم المكاني للأقصى (الجزيرة نت، ٢٠١٧/٧/٢٠م، محمد حسن وتد، البوابات الإلكترونية الإسرائيلية تمهيد لابتلاع الأقصى).

دأبت حكومات الاحتلال من عام ١٩٦٧ على تطبيق استراتيجية تهدف إلى تهويد المدينة والفضاء المحيط بها، وقامت هذه الاستراتيجية على ركيزتين أساسيتين وهما سن القوانين للإسهام في تهويد المدينة إلى جانب أنشطة تقوم بها مؤسسات ومنظمات دينية متطرفة على تنفيذ مشاريع وأنشطة تهويدية، لذلك فإن حجم الحملة الاستيطانية التي تتفدها الحكومة الإسرائيلية عبر مصادرة الأراضي الفلسطينية، وطرح عطاءات بناء آلاف الوحدات الاستيطانية الجديدة وخصوصاً في أراضي القدس وبناء جدار الفصل، الذي يلتهم مساحات واسعة من أراضينا مقسماً إياها إلى جزر معزولة، ملحقاً بذلك آثاراً مدمرة بحياة عشرات الألوف من الأسر الفلسطينية، هدفها إبعاد السكان المقدسين وطردهم وطمس الهوية العربية في مدينة القدس.

الخاتمة:

يتضح من خلال الدراسة أن الاحتلال الإسرائيلي وضع استراتيجية ومخططاً تهويداً للسيطرة على مدينة القدس، وقد اتضح ذلك من خلال العقلية الإسرائيلية والتي تخطط وتنفذ المشاريع التوسعية الاستيطانية من أجل الاستيلاء على المدينة وتهويدها، بالإضافة إلى طرد سكانها منها ومحاربتهم بجميع الوسائل المتاحة.

النتائج:

- ١- تحظى مدينة القدس باهتمام كبير على الأصعدة والمستويات كافة في الفكر الصهيوني.
- ٢- عملت إسرائيل على إفساح المجال جغرافياً وسكانياً أمام التمدد الاستيطاني اليهودي على حساب السكان المقدسين، الأمر الذي يمثل جوهر الاستراتيجية الإسرائيلية.
- ٣- مدينة القدس جوهر الصراع العربي- الإسرائيلي، لما تحمله من قيمة دينية الديانات السماويات، ومكانة دينية وسياسية للدولة الفلسطينية المنشودة.
- ٤- محاصرة المواطنين وخنقهم جغرافياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً بغية تقويض صمودهم لإجبارهم على الرحيل.
- ٥- الاعتداءات المتكررة من قبل المستوطنين اليهود بحماية الجيش على السكان المقدسين لإبقائهم في حالة خوف ورعب.
- ٦- قطع التواصل الجغرافي بين أنحاء الضفة الغربية وتقسيمها إلى مناطق للحيلولة دون إقامة دولة فلسطينية ذات سيادة.

التوصيات:

- ١- وضع استراتيجية وطنية موحدة لإعادة القضية الفلسطينية لأهميتها الأولى عربياً ودولياً، من أجل مجابهة المشاريع التهويدية في مدينة القدس.
 - ٢- تقديم الدعم الكامل لسكان مدينة القدس لتعزيز صمودهم داخل المدينة المقدسة.
 - ٣- اتخاذ موقف فلسطيني وعربي من قضايا الاقتحامات والحفريات الاستيطانية في القدس.
- المراجع:
- أبو جابر، إبراهيم وآخرون. (١٩٩٧): قضية القدس ومستقبلها، ط٢، دار البشير، عمان.
 - أبو جاموس، رضوان. (٢٠١٣): الاستيطان الصهيوني «الفكر والممارسة»، وكالة قدس نت للأنباء.
 - أبو عطا، محمود. (٢٠٠٩): مدينة القدس والمسجد الأقصى ٢٠٠٩ م .. إلى أين؟، مؤسسة الأقصى للوقف والشرا، أم الفحم.
 - التفكجي، خليل. (٢٠٠٨): الاستيطان في مدينة القدس الأهداف والنتائج، أوراق فلسطينية، المركز الفلسطيني للبحوث والدراسات الاستراتيجية، فلسطين.
 - التفكجي، خليل. (١٩٩٤): المستعمرات الإسرائيلية في الضفة الغربية، جمعية الدراسات العربية، القدس.
 - ربيع، علي. (٢٠٠٥): الإجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس وحسم مصيرها، القدس.
 - سالم، محمد صلاح. (٢٠٠٢): القدس .. الحق .. التاريخ .. والمستقبل، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة.
 - صالح، محسن محمد. (٢٠١١): معاناة القدس والمقدسات تحت الاحتلال الإسرائيلي، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، الطبعة الأولى، بيروت.
 - مؤسسة القدس الدولية، عين على الأقصى، تقرير توثيقي يرصد الاعتداءات على المسجد الأقصى خلال الفترة ٢٠١٤/٨/١ حتى ٢٠١٥/٨/١ م، بيروت.
 - محارب، محمود. (٢٠١٦): سياسة إسرائيل تجاه الأقصى، مجلة سياسيات عربية، عدد ١٩، آذار ٢٠١٦، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة.
 - مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. (٢٠٠٧): التقرير الاستراتيجي الفلسطيني ٢٠٠٦ م، بيروت.
 - مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. (٢٠١٠): التقرير الاستراتيجي الفلسطيني ٢٠٠٩ م، بيروت.

المواقع الإلكترونية:

الاقتصادي، ٢٣/١٢/٢٠١٤ م، فريد محاريق، اقتصاد القدس بين الرباط والحصار، تاريخ المشاهدة ٢٠١٧/٨/٢ م.



[1d576ay1922922Y1d576a=http://www.aliqtisadi.ps/ar_page.php?id](http://www.aliqtisadi.ps/ar_page.php?id=1d576ay1922922Y1d576a)

الجزيرة نت، ٢٠١٧/٧/٢٠م، محمد حسن وتد، البوابات الإلكترونية الإسرائيلية تمهيد لابتلاع الأقصى، تاريخ المشاهدة ٢٠١٧/٨/٢٣م.

[A%D8%2072017/http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews](http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/A%D8%2072017)

مجلة البيان، ٢٠١٧/٥/٢٥م، أحمد فايق دلول، التقسيم الزمني والمكاني، تاريخ المشاهدة ٢٠١٧/٨/٢٣م.

[5799=aspx?ID.http://www.albayan.co.uk/MGZarticle2](http://www.albayan.co.uk/MGZarticle25799.aspx?ID)

معهد الأبحاث التطبيقية «أريج»، ٢٠١٥/١١/٦م، مخططات العزل والاستيطان الاسرائيلية تدمر مقومات حل الدولتين، القدس، تاريخ المشاهدة ٢٠١٧/٨/٢م.

[8596=http://www.poica.org/details.php?Article](http://www.poica.org/details.php?Article8596)

محاولات إسرائيل طمس الهوية الوطنية بتهويد التعليم في القدس الشريف (1967-2017)

محمد عبد الجواد البطة
دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

المقدمة:

دأب منظرو الحركة الصهيونية منذ منتصف القرن التاسع عشر على التأكيد لليهود في مختلف أنحاء العالم، أن القدس عاصمة دولتهم المستقبلية، وسعت الحركة بكل جهد لها لتحقيق هذه المقولة حتى تمكنت من احتلال القدس في يونيو ١٩٦٧، وبعد أن استقر أمر المدينة بالكامل باليد الصهيونية، قاموا بعدة إجراءات من جانب واحد، وذلك للاتخاذ منها عاصمة للكيان الصهيوني، لذا حرصت على إضفاء الصبغة القانونية على هذه الإجراءات، فردت الأمر إلى الكنسيات الذي أصدر قراره في ١٩٦٧/٦/٢٧، مباركاً فيه قرار الضم.

استمرت الحكومات الصهيونية المتعاقبة إجراءاتها، خطوة تعقبها أخرى نحو إحكام قبضتها على المدينة وإن اختلفت الأساليب التنفيذية فهناك اتفاق في الجوهر وهو تهويد المدينة. فلجأت إلى إصدار القوانين التعليمية القائمة على الإجحاف، وتشويه المناهج التعليمية في القدس، والرامية إلى إضعاف الصلات الدينية والتاريخية والقومية بين العرب القاطنين في مناطق الاحتلال ثم الاتجاه إلى إضعاف هذه الصلات بين العرب المحتلين والعرب في الأقطار العربية الأخرى، بهدف طمس الشخصية العربية وصهرها في بوتقة الشخصية اليهودية.

هذه السياسة لاقت مقاومة شديدة من قبل السكان والجهاز التعليمي، ورفضاً تاماً من قبل مديري المدارس والمعلمين، وقد رفضت غالبية المعلمين العمل في المدارس التابعة لوزارة المعارف، وتوجهوا إلى المدارس الخاصة والأهلية التي ظلت تطبق المنهاج الأردني، وقد لعب المعلمون دوراً كبيراً في تشجيع أولياء الأمور على نقل أبنائهم إلى المدارس الوطنية سواء ما كان تابعا للأوقاف الإسلامية، أو للأديرة والكنائس المسيحية، أو المدارس المملوكة من قبل جمعيات أو أشخاص، وذلك للحفاظ على الهوية الوطنية للقدس الشريف وأهلها.

ولهذا تهدف الدراسة إلى ما يلي:

- إلى البحث في الإجراءات والمواقف الإسرائيلية على المستوى الرسمي، وبيان ما وصلت إليه سلطاتهم في تنفيذ مخططاتهم بشأن تهويد التعليم في القدس.
- البحث في المواقف الفلسطينية الراضية لسياسة تهويد التعليم في القدس، وبيان ما وصلت إليه من الحفاظ على الهوية الوطنية.
- التوثيق لمرحلة مهمة من معاناة ونضالات أهالي القدس في مسيرتهم التعليمية.

- إثراء المكتبات الوطنية بمثل هذه الأبحاث كون هذه القضية لم تلق الاهتمام الواجب.
- وأما عن حدود الدراسة فهما حدين مهمين:
- الحد المكاني وهو مدينة القدس الشريف.
- والحد الزمني وهي تلك الفترة الممتدة بين عامي ١٩٦٧-٢٠١٧، ويمثل عام ١٩٦٧ احتلال كامل المدينة، وفرض إجراءات التهوديد في شتى المجالات منها التعليم، أما عام ٢٠١٧ فهو ذكرى العام الخمسين لاحتلال القدس والمائة لوعد بلفور.
- أما عن المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج التاريخي بشقيه الوصفي والتحليلي، وسوف تعتمد الدراسة على الوثائق والإصدارات العربية والعبرية والإنجليزية التي تحدثت عن هذا الموضوع.
- تقسيم الدراسة:
- تنقسم الدراسة إلى قسمين رئيسيين:
- إجراءات تهويد التعليم في القدس.
- مقاومة تهويد التعليم في القدس والحفاظ على الهوية الوطنية.

المحور الأول: إجراءات تهويد التعليم في القدس-

يتناول هذا المحور ثلاثة مواضيع، الأول تمهيد عن سياسة تهويد التعليم في إسرائيل ١٩٤٨-١٩٦٧، والثاني سياسة تهويد التعليم في القدس، والثالث مراحل تهويد المناهج في القدس.

تمهيد: سياسة تهويد التعليم في إسرائيل ١٩٤٨-١٩٦٧، تعتبر سياسة تهويد التعليم أهم أداة تستخدمها إسرائيل لطمس الهوية الوطنية لدى الفلسطينيين العرب في إسرائيل، فمنذ أن قامت بطرد الأهالي من بيوتهم وقراهم ومدنهم واستولت على فلسطين عام ١٩٤٨ وهي تمارس هذه السياسة على من تبقى من الفلسطينيين في وطنهم والذين أصبحوا أقلية عربية بعد أن كانوا شعباً يحيا ويعيش فوق وطنه. قبل أن يتم تهجيرهم وتشيتهم إلى المخيمات الموجودة داخل البلاد وخارجها، فاصبح تعدادهم في أيار/ مايو ١٩٤٨ بعد إعلان قيام دولة إسرائيل ١٦٠,٠٠٠ نسمة، من أصل ١,٢٠٠,٠٠٠ نسمة، في عهد الانتداب البريطاني، وبسبب ارتفاع نسبة التوالد بينهم بلغوا ٣٠١,٥٣٣ نسمة، عام ١٩٦٦-١٩٦٧، وأصبحوا أقلية عربية في إسرائيل مقسمة إلى ثلاث طوائف دينية: المسلمون والمسيحيون والدروز، وقد كان عدد هذه الفئات عام ١٩٦٦-١٩٦٧ كما يلي: المسلمون ٢٣٠,٠٠٠ نسمة، المسيحيون ٥٨,٠٠٠ نسمة، الدروز ٣١,٠٢٦ نسمة^(١٠٢).

هذه الأقلية طبقت عليها حكومة الاحتلال نظام التعليم في إسرائيل من الناحية النظرية، حيث اعتبرت القوانين الرسمية الإسرائيلية السكان العرب في إسرائيل رعايا إسرائيليين ينطبق عليهم ما ينطبق على الرعايا اليهود، وبذلك خضع العرب لقوانين الدولة القائمة وهكذا أصبح نظام التعليم العربي جزءاً من النظام التعليمي الإسرائيلي، وأصبح بالتالي قانون التعليم الإلزامي الذي صدر عام

١٠٢ ((د. منير بشور، خالد مصطفى الشبخ يوسف، التعليم في إسرائيل، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، القاهرة، سبتمبر ١٩٦٩، ص ١٩٥.



١٩٤٩، وقانون التعليم الرسمي الذي صدر عام ١٩٥٣ أساس النظام التعليمي الذي قام عليه تعليم العرب في إسرائيل^(١٠٤).

هدفه من هذا القانون خلق جيل من الإسرائيليين العرب، يبتعد عن ثقافته وقيمه العربية بحيث تتمحي في النهاية شخصيته وهويته الأصلية. وتشرف وزارة المعارف والثقافة على التعليم العربي في إسرائيل ويقوم بمهمة الإشراف المباشر دائرة الثقافة - القسم العربي - برئاسة مدير يهودي يساعده عدد من الموظفين، وتقوم الوزارة التي تلزم المدارس العربية الرسمية بتطبيقها. وفي القرى ارتبطت المدارس العربية بالمجالس المحلية، وهي المسؤولة عن إدارة هذه المدارس، بيد أن كثيرًا من القرى العربية لا يوجد فيها مجالس محلية، مما يجعل التعليم مضطربًا في القرى، ويجعلها تعاني أكثر من مثيلاتها من القرى العربية من حيث النقصان في الأبنية والأثاث واللوازم المدرسية^(١٠٥).

ولما قامت قوات الاحتلال في حزيران/يونيو عام ١٩٦٧م باحتلال الشطر الشرقي من مدينة القدس، واصلت سياستها في تهويد التعليم، من خلال تطبيق القوانين الإسرائيلية على المدينة ومن ضمنها حل الأجهزة الإدارية كافة بما فيها جهاز التربية والتعليم في محاولة لتطبيق المناهج الإسرائيلية كجزء من عملية تهويد شاملة. هذا بالإضافة إلى الاستيلاء ومصادرة العديد من المدارس التاريخية وتدمير بعضها كما حصل في مدرسة حارة المغاربة^(١٠٦). وفي هذه الفترة تم تقسيم الأراضي المحتلة إلى أربعة مناطق إدارية هي: (الضفة الغربية - القدس - غزة - سيناء - الجولان) ويرأس كل منها حاكم عسكري إسرائيلي مسؤول أمام وزارة الدفاع، وربط قضايا التربية والتعليم بالحاكم العسكري مباشرة، عن طريق ضابط عسكري في كل منطقة يكون له حق الإشراف على الأجهزة التعليمية ووقف هذه الأجهزة ووقف العاملين فيها متى شاء... كما وقامت بإعادة تقسيم المناطق التعليمية تقسيمًا جديدًا، يتناسب مع متطلبات السيطرة العسكرية التي فرضها الاحتلال ففصلت القدس عن مدن الضفة، وألحقت النظام التعليمي فيها بالنظام التعليمي الإسرائيلي، وأصبح الإشراف الإداري والفني بيد دائرة الشؤون العربية في وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية، وجعلت الضفة ست مديريات دون القدس^(١٠٧).

وفي عام ١٩٦٩ أصدرت سلطات الاحتلال قانون الإشراف المدرسي والذي يُعني بشرقي القدس تحديدًا، حيث يوسع سلطة إشراف وزارة المعارف الإسرائيلية لتشمل المدارس الأهلية في القدس إداريًا ومنهجيًا وعلى المستوى العملي التطبيقي، فإن سلطات الاحتلال تمارس تمييزًا فاضحًا بين مدارس شرقي القدس ومدارس غربي القدس، على مستوى الميزانيات المخصصة أو المرافق

١٠٤ ((عدنان عبد الرحيم، تعليم العرب في فلسطين المحتلة، المنظمة العربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٦، ص ١٩٥.

١٠٥ ((المرجع السابق، ص ١٩٥.

١٠٦ ((التعليم في القدس، موقع وزارة التربية والتعليم الفلسطينية/ <http://alqudsgateway.ps/wp/?p=232>

١٠٧ ((عدنان عبد الرحيم، مرجع سابق، ص ٢٩.

والتجهيزات أو كفاءة الجهاز التعليمي، وحتى في تطبيق قانون التعليم الإلزامي^(١٠٨). وفي هذا الخصوص تتقاسم وزارة المعارف وبلدية القدس الإسرائيليتين الإشراف على المدارس الحكومية، حيث تتولى وزارة المعارف الإشراف الفني والمهني عليها، وتنفق على المدارس الأساسية فيما تنفق البلدية على المدارس الثانوية، وتشرف على تعيين المعلمين والمعلمات والإداريين فيها، كما توفر مستلزماتها من لوازم وأثاث ورواتب عاملين^(١٠٩).

و عملت حكومات الاحتلال المتعاقبة بفرض سياسة الجهل على المجتمع المقدسي لتفريغه من الروح الوطنية وتدمير بنيته الاجتماعية الخاضعة وتطويعه فعمدت إلى إغلاق المدارس والاعتداء على الطلبة والتكثيف بهم كما قامت بانتهاك القانون الدولي وعدم تحملها مسؤولية توفير فرص التعليم الإلزامي كقوة احتلال^(١١٠).

من الجدير بالذكر أن التعليم في القدس شهد نهضة في الفترة التي سبقت الاحتلال، إبان الحكم الأردني، الذي فتح مجال التعليم لجميع السكان بعد سنوات من الحرمان في عهد الانتداب البريطاني، كما شجع التعليم الخاص، وفتحت مدارس خاصة جديدة، وظهرت مدارس تابعة لوكالة الغوث الدولية ضمت اللاجئين الفلسطينيين، إضافة إلى المدارس الحكومية، ويمكن تلخيص وضع التعليم في القدس قبل حرب حزيران كالتالي:

- ١- المدارس الرسمية وتشمل ٢٩ مدرسة في القدس وضواحيها.
 - ٢- المدارس الأهلية والخاصة، فالأهلية هي مدارس ذات ملكية فردية أو تتبع مؤسسة أو جمعية خيرية، والمدارس الخاصة كانت إدارة مؤسسات دينية، وكان عددها ٤٤ مدرسة
 - ٣- المدارس التابعة لوكالة الغوث وعددها تسع مدارس.
- ولقد بلغ عدد الطلاب الدارسين عام ١٩٦٦-١٩٦٧ حوالي ٢٨ ألف طالب وطالبة في جميع جهات الإشراف الثلاث، فقد تمكن من استيعاب الطلبة المقدسيين، حيث إن مدارس التربية والتعليم الحكومية كانت تتحمل العبء الأكبر في استيعاب الطلبة، وبلغت النسبة ٦٢٪ في حين بلغت النسبة في المدارس الأهلية والخاصة ٢٦٪، ونسبة المدارس التابعة لوكالة الغوث ١١٪ وقد كان التعليم في المدارس الرسمية إلزامياً مجاناً في المرحلتين الابتدائية والإعدادية^(١١١).
- ومنذ عام ١٩٦٧ وحتى عام ٢٠١١، نمى عدد المدارس ولكن بوتيرة بطيئة وبشكل لا يتناسب مع

١٠٨ ((سلسلة تقارير القدس (٥) نبذة تاريخية عن التعليم في القدس، أوراق ندوة مشكلات التعليم في مدينة القدس، نظمتها دائرة شؤون القدس في، م.ت.ف.، في حرم جامعة القدس بتاريخ ٢٥-٤-٢٠١٢، ص ٢٧.

١٠٩ ((للمرجع السابق، ص ٢٨.

١١٠ ((التعليم في القدس، موقع وزارة التربية والتعليم الفلسطينية <http://alqudsgateway.ps/wp/?p=232>

١١١ ((سمير جبريل، التعليم في القدس واقع وتحديات، سلسلة أوراق القدس (٥) أوراق ندوة مشكلات التعليم في مدينة القدس التي نظمتها دائرة شؤون القدس (م. ت. ف) في حرم جامعة القدس بتاريخ ٢٥ نيسان، ٢٠١٢، ص ١١.

التزايد والنمو الطبيعي لسكان العرب في القدس، ومما يدل على ذلك ما نشرته وزارة التربية والتعليم الفلسطينية على موقعها من إحصائيات لعدد الطلبة العرب الملتحقين في مدارس القدس، والذي بلغ عددهم في العام الدراسي ٢٠١١-٢٠١٢، ٨٢٤٨٦ طالباً يدرسون في ١٨١ مدرسة موزعين على النحو التالي: (١١٣).

جهة الإشراف	عدد المدارس	عدد الطلبة	النسبة المئوية
الأوقاف الإسلامية	٣٩	١٢,٤٠٠	١٥,٠٣%
الأهلية والخاصة	٦٩	٢٤,١١٠	٢٩,٢٢%
وكالة الغوث	٨	٢,٤٤٢	٢,٩٦%
المعارف والبلدية	٥٢	٣٨,٨٢٠	٤٧,٠٦%
معارف سخنين شبه معارف	١٣	٤,٧١٤	٥,٧٠%

أما بالنسبة لتهويد المناهج: فهي حرب صهيونية مستعرة شنتها دولة الاحتلال على الفلسطينيين منذ أن أعلنت عن قيام كيانها الفاصب عام ١٩٤٨ على أراضي الفلسطينيين، ويظهر هذا بوضوح عندما ينظر أي شخص إلى كتب التاريخ واللغة العربية في المناهج الإسرائيلية التي تدرس للفلسطينيين الذين يعيشون داخل حدود ١٩٤٨، حيث تشكل هذه المناهج محاولات طمس الثقافة الوطنية والترويج لثقافة وطنية هجينة امتداداً تطبيقياً لتوجهات الأيدلوجيا الصهيونية (١١٣).

ومنذ أن احتلت قوات الاحتلال الشطر الشرقي من مدينة القدس في حزيران ١٩٦٧ يواجه التعليم في القدس المحتلة محاولات إسرائيلية مستمرة لأسرته والتأثير على مخرجاته، إذ تبنت إسرائيل عدة سياسات وخطط للتأثير على الواقع التعليمي فور احتلالها القدس، ومن هذه الإجراءات:

١- إلغاء القوانين الأردنية، وخصوصاً قانون التربية والتعليم الأردني رقم ١٦ لعام ١٩٦٤ واستبدالها بالتشريعات والقوانين الإسرائيلية.

٢- محاولات تطبيق المنهج الإسرائيلي المعمول به في المدارس العربية في إسرائيل، وبخاصة المتعلق بالعلوم الإنسانية البحتة، كالتاريخ والجغرافيا والمجتمع، بهدف غرس مفاهيم جديدة تعبر عن فلسفتها التربوية والتي تركز الفكر الصهيوني وتخلخل الهوية والانتماء القومي لدى الأطفال من خلال حذف كل ما يتعلق بالهوية والعلم وحق العودة الفلسطيني (١١٤).

وتعود أولى المحاولات لوضع أهداف محددة لسياسة تعليم العرب في القدس إلى العام ١٩٧٢، عندما

١١٢ ((للتعليم في القدس، موقع وزارة التربية والتعليم الفلسطينية، مرجع سابق.

١١٣ ((محمود شقير، الثقافة الوطنية الفلسطينية في الأراضي المحتلة والتحديات، صامد الاقتصادي، عدد ٥٩، لسنة الثامنة، كانون ثان، شباط ١٩٨٦، ص ٢٥.

١١٤ ((سلسلة تقارير القدس (١) القدس، ممارسات وإجراءات الاحتلال الإسرائيلي منذ حزيران ١٩٦٧-٢٠٠٩، دائرة شؤون القدس، م. ت. ف، القدس،

ترأس وزير التربية، أهارون بادلين، لجنة لوضع أهداف التربية العربية، وقد جاء في البند الثالث من هذه الوثيقة التي عرفت باسم وثيقة بادلين، والتي تضم عدة بنود منها:

١- وضع خطة لجعل امتصاص العرب في إسرائيل اقتصادياً، واجتماعياً أسهل.

٢- تعليم التوافق مع القيم الذي قبل بها المجتمع الإسرائيلي.

ولقد كانت هذه الوثيقة محل انتقاد من جانب عدد من التربويين الإسرائيليين. وفي هذا الشأن يقول الباحث التربوي سامي خليل مرعي: يبدو أن وثيقة بادلين لم تكن مجرد محاولة للتعطيم على الهوية القومية للعرب في إسرائيل، بل هي تحاول إلغاء ثقافتهم عن طريق فرض أخلاقيات وقيم مقبولة من قبل الغالبية اليهودية عليهم، عن طريق نظام التعليم الذي وجهته الحكومة^(١١٥).

وقد اقتصر تطبيق المناهج الإسرائيلية في القدس على المدارس العربية الرسمية وتمر تطبيق المناهج التعليمية على هذه المدارس بعدة مراحل:

أولاً: مرحلة تطبيق المناهج التعليمية الإسرائيلية: ٧٦٩١-٢٧٩١، في جميع المناهج الدراسية من الصف الأول حتى الثالث الثانوي، وإعداد الطالب للحصول على شهادة الدراسة الثانوية الإسرائيلية، (البحرور) وحملت المدارس الرسمية في هذه المرحلة جهوداً كبيرة لإعداد الطالب للحصول على شهادتي الدراسة الإعدادية والثانوية الأردنية عن طريق الحصاص الإضافية.

ثانياً: مرحلة المنهاج الموحد: ابتدأت هذه المرحلة في العام الدراسي ٢٧٩١-٣٧٩١ وانتهت في عام ٥٧٩١-٦٧٩١، وفيها طبق المنهاج كاملاً من الصف الأول إلى الثاني إعدادي، أما الصفوف الأخرى من التاسع حتى الثاني عشر طبق فيها منهاج خاص وهو عبارة عن خليط غير متجانس من المنهاج الأردني (المعمول به بعد عام ٧٦٩١) الإسرائيلي المفروض أعطيت بموجب حصص تكميلية بعد ساعات الدراسة الرسمية.

ثالثاً: مرحلة تطبيق المنهاج الأردني المعدل: وبدأت من السنة الدراسية ٦٧٩١-٧٧٩١ وبموجبها أصبح التعليم في المدارس في الإعدادية والثانوية حسب المنهاج الأردني المعدل مع الإبقاء على قسم خاص لطلاب (البحرور) وبموجب هذا، بقي النظام الإسرائيلي مطبقاً على جميع المدارس الابتدائية الرسمية^(١١٦).

رابعاً: المرحلة الرابعة: وفي عام ١٨٩١، أعيد تطبيق المنهاج الأردني في القدس على مراحل: الابتدائي؛ لكن تم تغييره بحيث أزيلت فلسطين عن الخريطة من كتب التاريخ والإنسانيات، واستخدمت الأسماء العبرية للأماكن مثل يروشلايم ويهودا والسامرة، كما فرض على المدارس تدريس مادتي اللغة العبرية

٢٠١٠، ص ٥٧.

١١٥ ((د. عدنان عبد الرحيم، مرجع سابق، ص ١٠-١١.

١١٦ ((المرجع السابق، ص ٣٦.

ومدينة إسرائيل، ومنع استيراد الكتب من الدول العربية. واستمر الحال على ما هو عليه، حيث ظل المنهاج الأردني يدرس في مدارس الأوقاف والمدارس الفلسطينية الخاصة ومدارس وكالة الغوث في شرقي القدس، حتى عام ٢٠٠٢-١٠٠٢ إلى أن تم الانتهاء من إعداد المنهاج الفلسطيني.

خامساً: المرحلة الخامسة هي بداية تطبيق المنهاج الفلسطيني، في العام الدراسي ٢٠٠٢-١٠٠٢ ولقد قامت أجهزة الاحتلال المشرفة على مدارس المعارف والبلدية، بحذف شعار السلطة الفلسطينية عن أغلفة الكتب وفرضت تدريس العبرية وتاريخ إسرائيل، كما شوهدت الحقائق الجغرافية والتاريخية ومتعلقات العقيدة الإسلامية والإرث العربي والحضاري داخل المنهاج، مما يعكس بشكل أساس المكانة الجوهرية للتعليم في الصراع على القدس بين الاحتلال وأهالي المدينة^(١١٧). ومنذ هذا العام شنت سلطات الاحتلال حملاتها الإعلامية المسعورة على المناهج الفلسطينية، التي دخلت المدارس الفلسطينية حيث وحدت التعليم في جناحي الوطن، وتضمنت: ^(١١٨).

- ١ الخصوصية الفلسطينية التي حرم منها الطالب الفلسطيني على مدى السنين.
- ٢ مادة دراسية تربوية تعليمية وطنية اجتماعية ومتوازنة، تتلاءم وروح العصر
- ٣ القيم والمبادئ الإيجابية البعيدة كل البعد عن العنصرية والكراهية والعنف والتزييف
- ٤ تحدثت عن الأرض والحقوق والمساواة.. الخ

واتهمت إسرائيل المناهج الفلسطينية ووصفتها بأنها مناهج تحريضية، تدعو إلى العنف وكراهية إسرائيل وارتفعت الأصوات الدولية تطالب بدارسة المناهج وتحليلها، وسحبت الدول المانحة التي كانت تمول طباعة الكتب مساعدتها متأثرة بما ذكر، بالرغم من أنه تم رفض وتمويل الدراسات المختلفة، لتحليل ودراسة كل حرف جاء في كتب المناهج الفلسطينية ومدى تأثيره على عملية السلام، إلا أن إسرائيل ما زالت تشكو المناهج بالرغم من أن نتائج الدراسات أثبتت- موضوعية المناهج الفلسطينية ومصداقيتها العالية، كما وطالبت بإسقاط مفاهيم وطنية من الذاكرة الفلسطينية، إلغاء مصطلح الوطن والمواطنة، وشهد الوطن، في الكتب المدرسية، لعلمها بمدى تأثيرها^(١١٩). متناسية أن مناهجها الدراسية:

- عنصرية: تسعى إلى تشويه وتزوير التاريخ.
- أهم ركائزها نشر الفكر الصهيوني .

وهذا ما يمكن تلمسه من خلال سياسات التهويد التي تسعى إلى محو الذاكرة وتغيير المعالم وطمس

١١٧ ((سلسلة تقارير القدس (٥) نبذة تاريخية عن التعليم في القدس، مرجع سابق، ص ٢٩.

١١٨ ((ديمة السمان، التعليم في القدس المحتلة تحدٍ وصمود معركة المناهج الفلسطينية.. معركة تاريخ وثقافة، سلسلة أوراق القدس (٥) أوراق ندوة مشكلات التعليم في مدينة القدس التي نظمتها دائرة شؤون القدس (م. ت. ف) في حرم جامعة القدس بتاريخ ٢٥ نيسان، ٢٠١٢، ص ١٢٠.

١١٩ ((ديمة السمان، مرجع سابق، ص ١١٩.

الحقيقة واستبدال أسماء المدن والقرى والأنهار بأسماء عبرية مثل صفات بدلاً من صفا وجبال يهوذا بدلاً من جبال القدس. ولم تكتف إسرائيل بحد الشكوى والمطالبة بتغير بعض الفقرات بل تعدت ذلك ووصل بها الأمر بأن تعيد طباعة كتب المناهج الفلسطينية وتحذف كل ما له علاقة بالانتماء الوطني الفلسطيني. محدثة بذلك مناهجاً جديداً هو منهاج فلسطيني لعبت به أيدي الرقيب اليهودي

سادسا: مرحلة مناهج فلسطينية لعبت بها يد الاحتلال: لقد شهد العام ١١٠٢-٢١٠٢ تكثيلاً وتوسيعاً غير مسبوق بالتفنن بأساليب تهويد المناهج الفلسطينية، في مدارس البلدية والمعارف الإسرائيلية،.. هناك ٠٥٪ من الطلبة الفلسطينيين في القدس والذين هم ملتحقون في مدارس البلدية والمعارف الإسرائيلية يدرسون مناهج فلسطينية لعبت بها يد الاحتلال، وعالجها مقصده العنصري كما أدخلت بعض المساقات (كالمنديات)، التي تحيي الذاكرة الصهيونية وترسخها، محاولة زرع مفاهيمها وقيمها في عقول الطلبة الفلسطينيين، ولم يكتفوا بنسبة ٠٥٪ من الطلبة، بل خططوا إلى شمل المدارس المقدسية الخاصة التي تشكل حوالي ٨٢٪ من مجموع المدارس، وبذلك من خلال الخطوات التالية: عممت إدارة معارف الاحتلال في القدس يوم ٢٠١١/٣/٧ قراراً على جميع المدارس الخاصة (المعترف بها وغير الرسمية) التي تتلقى مخصصات مالية منها يقضي بالتقيد بشراء الكتب المطبوعة- حيث أعاد طباعة كتب المناهج الفلسطينية بتصرف إدارة بلدية الاحتلال، وذلك في إشارة صريحة إلى وجود إدارة لبيسط السيطرة وفقاً لقانون الإشراف على المدارس، وغزو المناهج الدراسي الجديد للأعوام ٢٠١١-٢٠١٢، وما يعنيه ذلك من مخططات قادمة لإلغاء المنهاج الفلسطيني الوطني المتبع، واستبدال مناهج الاحتلال بها، الذي يطمس الهوية الفلسطينية والعربية في عقول الطلبة.. منهاج البجروت الإسرائيلي، الذي تعتبره جامعاتنا الفلسطينية وبعض جامعات الدول العربية الشقيقة رديفاً للتوجيهي^(١٢٠).

شهد هذا المنهاج حذف: دروس وأبيات شعرية وفقرات وكلمات وأسئلة وآيات قرآنية ورموز وطنية وكل ما يتحدث عن القضية الفلسطينية وحق العودة والمستعمرات وهجرة المستوطنين الإسرائيليين لفلسطين والحواجز والانتفاضة والقرى المدمرة واعتبار الصهيونية حركة سياسية عنصرية، والنضال وتتمية روح المقاومة والجهاد وتمجيد الاستشهاد والأسرى، والتسكك بالأرض والوطن والحس الوطني والانتماء والتراث الحضاري وانتحال الأزياء الفلسطينية وإحراق المسجد الأقصى، والقائد صلاح الدين الأيوبي وغيرها.. ضاربة بعرض الحائط أن حقوق الطبع محفوظة للسلطة الوطنية الفلسطينية^(١٢١).

١٢٠ ((ديمة اللسان، مرجع سابق، ص ١١٩.

١٢١ ((المرجع السابق، ص ١٢٠.

الإسرائيلية. إضافة إلى زيادة عدد حاملي شهادة البجروت الإسرائيلية، وزيادة عدد حاملي الشهادة المهنية، والحد من نسبة الطلاب المتسربين من الصفوف الثانوية. وتعد وزارة التعليم الإسرائيلية المدارس الفلسطينية المستعدة لتطبيق الخطة، بميزانيات خاصة وبدعم غير مسبق.

ومن عجب أن هذه الخطة انتقدتها جهات إسرائيلية في وزارة التربية والتعليم قائلة إن إسرائيل بعد سنوات من إهمال التعليم في القدس الشرقية، تقرر فرض شروط على المدارس الفلسطينية لدعمها، بدلاً من نقل الدعم المالي المطلوب دون شروط.

وأما عن الأهداف الغير المعلنة لهذه الخطة فهي ترمي إلى ضم الأحياء الفلسطينية في القدس تحت سيادة إسرائيل، وهذه الخطة على نقيض مع خطة النائبة الإسرائيلية عنات بركو من حزب الليكود، التي كانت قد أعدت خطة اقترحت فيها فصل الأحياء الفلسطينية عن مسؤولية إسرائيل، في إشارة إلى تناقض السياسة الإسرائيلية إزاء القدس الشرقية.

وفي الحقيقة هذه الخطة واجهت انتقادات واسعة من قبل السلطة الفلسطينية، التي تحذر من «مشروع يستهدف تهويد المناهج التعليمية في القدس» و «محاولة لأسرلة القدس وضرب مقومات الهوية الوطنية الفلسطينية»^(١٢٤).

ومع بداية العام الدراسي ٢٠١٧-٢٠١٨ قامت سلطات الاحتلال بمحاولة تنفيذ خطتها لاسرلة المناهج، من خلال توزيع كتب المناهج الاسرائيلية على بعض مدارس القدس الشرقية مجاناً، مستهدفة الترويج لمنهجها بالترغيب واستغلال ظروف اولياء الامور الذين انهكهم الوضع الاقتصادي الصعب^(١٢٥). ولم تقف محاولاتها عند هذا الحد بل وفي خضم الهجمة المستمرة لأسرلة المناهج الفلسطينية في القدس، اتبعت إسرائيل اسلوب الافتراء، وفي هذا الخصوص، قامت بلدية القدس،

في ١٥ سبتمبر ايلول ٢٠١٧، بعمل استفتاءً لمئات أولياء أمور الطلبة في القدس الشرقية، وادعت، إن النتائج أظهرت أن ٤٨٪ منهم يفضلون المناهج الإسرائيلية على الفلسطينية

ومن الافتراءات أيضاً أن ادعت صحيفة «إسرائيل اليوم» التي نشرت خبر الاستفتاء وقالت إنه حصري لها، أن الطلب من جانب الأهالي في القدس الشرقية على المناهج الإسرائيلية يزداد، وذلك أسوة بالوضع في المدارس العربية لدى عرب ٤٨. وذكرت الصحيفة أن بعض الأهالي أصدروا منشوراً، مع انطلاق السنة الدراسية، يدعو إلى التغيير وفتح الإمكانية أمام المدارس الفلسطينية في القدس الشرقية لاختيار المناهج الإسرائيلية إذا أرادوا. وجاء في المنشور حسب الصحيفة الإسرائيلية، أن عرب ٤٨ يتعلمون وفق المناهج الإسرائيلية وذلك لم يمس بانتمائهم الوطني.

وادعت بلدية القدس أن ثمة قفزة في عدد الطلاب الذين يتعلمون وفق المنهاج الإسرائيلية، إذ بلغ عددهم ٥٨٠٠ طالب من أصل ٥٠ ألف، مقارنة ب ٥٠٠ في السنوات الماضية. وعلق رئيس بلدية القدس، نير بركات، على هذه المعطيات قائلاً: «إننا نقود ثورة في التعليم في شرقي القدس. نريد

١٢٤ ((مناهج التعليم الإسرائيلية تصل إلى القدس الشرقية، مرجع سابق.

١٢٥ ((المقدسيون يحصلون على كتب تعليمية إسرائيلية مجاناً، المصدر،

منها دمج السكان العرب في المجتمع الإسرائيلي، في التعليم العالي والعمل". وأضاف أن التحدي كبير لأن البلدية إضافة إلى ملائمة المناهج الإسرائيلية للطلاب في شرقي القدس، بحاجة إلى بناء بنى تحتية جديدة ملائمة كذلك. «إننا نوجد شقي المدينة بالأفعال، ونمنح فرص متساوية للجانبين» قال رئيس البلدية. كما أن البلدية وضعت خطة لتوسيع نشاطاتها في الروضات والمدارس الابتدائية في شرقي القدس، وزيادة ساعات الدوام في المدارس والروضات لساعات بعد الظهر. كما أنشأت البلدية في شرقي القدس ٧٩ غرفة تعليمية جديدة، لتشجيع المدارس والطلبة على دراسة المناهج التعليمية و٤ مدارس جديدة، مثل المدرسة الإعدادية في حي الشيخ جراح، إعدادية الإبداع، والتي تتبع المناهج الإسرائيلية^(١٣٦).

وأخيراً لا يمكن القول حين استبعدت برامج التعليم الإسرائيلي كل ما ينتمي إلى الروح القومية العربية، والابتعاد عن الثقافة العربية لتسهيل صهرهم في البوتقة الإسرائيلية^(١٣٧). هدفت من هذه الإجراءات بحق التعليم الفلسطيني في المدارس العربية ما يلي:

١- تطبيق المناهج الإسرائيلية المعمول بها في المدارس العربية في إسرائيل، وبخاصة المتعلقة بالعلوم الإنسانية البحتة، كالتاريخ والجغرافيا والمجتمع، بهدف غرس مفاهيم جديدة، وغرس فلسفة المنهاج الإسرائيلي في نفوس الأطفال وأن هذه البلاد يهودية في الأصل، وقد تم تحريرها من الدخلاء.

٢- السيطرة الكاملة على المدينة، وإضعاف ارتباطها بالمدن الفلسطينية في الضفة الغربية.

٣- تطبيق المنهاج الإسرائيلي يهدف إلى القضاء على القومية العربية الإسلامية في مجالات الانتماء للقيم الترابية والوطنية والحضارة العربية^(١٣٨).

المحور الثاني: مقاومة تهويد التعليم في القدس والحفاظ على الهوية الوطنية.

لم يكن تهويد التعليم بالأمر السهل حيث دارت معركة من نوع آخر في هذا الميدان، وهي معركة الحفاظ على الهوية الوطنية، من خلال رفض الإجراءات الإسرائيلية المستهدفة لعملية التعليمية برمتها، حمل لواءها مدراء ومعلمي المدارس وأولياء الأمور، فقد رفض مدير التربية والتعليم ومساعدوه وجميع موظفي مكتبه والجهاز التعليمي مبدئياً التعاون، كما رفضوا الانضمام إلى أجهزة السلطات المحتلة رغم الإغراءات التي عرضت عليهم، وكانت حجتهم في ذلك أنهم يرون في تطبيق برامج التعليم الإسرائيلية قبولاً بعملية ضم القدس إلى إسرائيل، وهو ما يرفضونه، فردت سلطات الاحتلال على هذا الموقف باعتقال مدير التعليم ومساعدته وسجن كل منهما ثلاثة أشهر، ثم

١٣٦ ((بلدية القدس: ٤٨٪ من فلسطيني شرقي القدس يريدون المنهاج الإسرائيلي، المصدر <http://www.al-masdar.net/%/>

١٣٧ ((أنور محمود زنتي، تهويد القدس محاولات التهويد والتصدي لها من واقع النصوص والوثائق والإحصاءات، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، شباط / فبراير ٢٠١٠م، ص ٩٨.

١٣٨ ((المرجع السابق، ص ٩٩.

أصدرت سلسلة من الأوامر لفتح المدارس في الأوقات المحددة لها، والمباشرة بالضغط على أجهزة التعليم وأولياء أمور الطلاب بشتى الطرق للتعاون ولاستئناف السنة الدراسية وذلك لإيهام الرأي العام العالمي بأن الأمور في الأراضي المحتلة مستتبة وطبيعية.

فتحت المدارس الحكومية بالقوة والتحق بها بعض المعلمات والمعلمين لكن قسمًا كبيرًا منهم امتنع عن العمل، أما المدارس الطائفية والأهلية فتوقفت، ثم ما لبثت أن واصلت التدريس، وبعد أن بدت لها إمكانية الاستمرار بتدريس برامجها الخاصة.

وقد اغتمم عرب القدس فرصة افتتاح باب التعليم في المدارس الطائفية والأهلية فحولوا قسمًا كبيرًا من الطالبات والطلاب إليها بعد أن تفاهموا مع إدارتها لتوسيعها وإفساح المجال لاستيعاب أكبر عدد ممكن فيها، وقد أدت هذه الإجراءات إلى تخفيض أعداد الطلاب في المدارس الحكومية وخاصة الثانوية منها، بشكل أقلق السلطات المحتلة، ودفعها إلى إصدار قانون آخر سمته^(١٢٩) (قانون الإشراف على المدارس لسنة ١٩٦٩)

ومع أن مدارس الأوقاف الخاصة ازدهرت حتى أواخر السبعينات، إلا أنه مع تطبيق المنهاج الأردني المعدل عام ١٩٨١ في المدارس التابعة لوزارة المعارف وبلدية القدس التابعتين للاحتلال، بدأ يزداد عدد الطلاب المنتقلين إليها من مدارس الأوقاف والمدارس الخاصة، خاصة في ظل الصعوبات التي صارت تعاني منها الأخيرة، من محدودية المرافق والإغلاقات المتكررة والظروف الاقتصادية الصعبة للمعلمين مقارنة بزملائهم في مدارس المعارف، كما ازدادت نسبة التحاق الطلاب بالمدارس الحكومية والبلدية مع اندلاع الانتفاضة الأولى ١٩٨٧، بسبب ارتفاع رسوم المدارس الخاصة وتفضيل الطلاب للمدارس القريبة من أماكن سكنهم^(١٣٠).

وقد لاقت المناهج الإسرائيلية في القدس، مقاومة ورفضًا من المعلمين والأهالي في تقرير لصحيفة يديعوت احرنوت الإسرائيلية بتاريخ ١٦/٨/١٩٨١، أن المحاولات الإسرائيلية لتطبيق المنهاج الإسرائيلي على المدارس الحكومية العربية، قد أثبتت فشلها بسبب عدم تجاوب الطلبة، ولجوء إلى عدد منهم إلى المدارس الخاصة^(١٣١).

وانعكست السياسة التعليمية الإسرائيلية في مدينة القدس، على المستويات التعليمية لقد تدهور مستوى الطلبة التعليمي، ولوحظ أن نسبة الرسوب في مدينة القدس بين الطلبة العرب في القدس مرتفعة، بسبب ازدواجية المنهاج وعدم ترابطه مع الصفوف الابتدائية الأولى، وتناقضه مع معرفة التلميذ ومعتقداته، كما أن نسبة التسرب من المدارس مرتفعة بين الطلبة العرب في القدس.

أما المدارس الخاصة في القدس، لقد تجاهلت تطبيق المناهج الإسرائيلية وعملت على تطبيق

١٢٩ ((الموسوعة الفلسطينية، للقسم الثاني للدراسات الخاصة، م٦، ط أولى، بيروت، ١٩٩٠ ص ٨٧٨.

١٣٠ ((سلسلة أوراق القدس (٥) نبذة تاريخية عن التعليم في القدس، مرجع سابق، ص ٢٩.

١٣١ ((الموسوعة الفلسطينية، للقسم الثاني للدراسات الخاصة، م٦، ط أولى، بيروت، ١٩٩٠ ص ٨٧٨.

المناهج والكتب الأردنية المعدلة التي سمح بتدريسها في الضفة الغربية، ونتيجة إضراب معلمي المدارس الرسمية في القدس، احتجاجاً على تطبيق المناهج الإسرائيلية والشلل الذي أصاب المدارس الرسمية، أقبل طلاب القدس على المدارس الخاصة، وانخرط فيها المعلمون والمضربون، وقامت المدارس الخاصة باحتواء معظم طلاب المدارس الرسمية وتشجيعهم على الانتقال وإضافة شعب جديدة، مع إعفاء الطلبة من الرسوم الدراسية أو جعلها رمزية^(١٣٣).

وفي ٢٨ آب/أغسطس ١٩٩٤م أنشئت وزارة التربية والتعليم الفلسطينية بناءً على ما نصت عليه اتفاق غزة-أريحا واتفاق انتقال السلطات. تسلمت الوزارة مسئولية التعليم بجميع جوانبه ومختلف مستوياته في الضفة الغربية وقطاع غزة باستثناء القدس، حيث استلمت فقط مدارس الأوقاف، أما المدارس الخاصة ومدارس وكالة الغوث، فقد تبنت الرؤية العامة الفلسطينية والمنهاج، على الرغم من عدم وجود ما ينص على أنها تتبع قانونياً للسلطة الوطنية الفلسطينية^(١٣٤). وقد استلمت الوزارة المدارس في وضع سيء إجمالاً، حيث كانت تفتقر للعديد من الأجهزة والاحتياجات الأساسية، وتعاني من الإغلاقات المستمرة بسبب أحكام الاحتلال العسكرية في الانتفاضة الأولى، إلى جانب غياب الاهتمام بالتربية المهنية. وبالنسبة للمنهاج استمر الحال على ما هو عليه، حيث ظل المنهاج الأردني يدرس في مدارس الأوقاف والمدارس الفلسطينية الخاصة ومدارس وكالة الغوث في شرقي القدس. أما في مدارس المعارف والبلدية فقد حذفت سلطات الاحتلال شعار السلطة الفلسطينية عن أغلفة الكتب، وفرضت تدريس العبرية وتاريخ إسرائيل، كما شوهدت الحقائق الجغرافية والتاريخية ومتعلقات العقيدة الإسلامية والإرث العربي الحضاري داخل المناهج^(١٣٥) مما يعكس بشكل أساسي المكانة الجوهرية للتعليم في الصراع على القدس بين الاحتلال وأهالي المدينة. وعلى الرغم من ذلك حاولت الوزارة دعم مدارس شرقي القدس بما فيها مدارس الأوقاف، بما اتخذته من إجراءات بهذا الخصوص، كان من أبرزها:

- وضع جميع المدرسين في مدارس الأوقاف على كادر الوزارة لتأمين راتب شهري لهم وإعطاء المدرسين مكافأة إضافية مقدارها (٤٥٠ شيكل) شهرياً.
- احتساب جميع سنوات الخبرة التعليمية للمدرسين لأغراض التقاعد.
- السماح للمدرسين بالمشاركة في التأمين الصحي والتأمين الوطني الفلسطيني.

لكن هذه المحاولات بقيت متواضعة قياساً باحتياجات قطاع التعليم في شرق القدس، والذي كان

١٣٢ ((د. عدنان عبد الرحيم، مرجع سابق، ص ٣٦.

١٣٣ ((مؤسسة القدس الدولية، التعليم في القدس، التقرير المعلوماتي رقم (٦)، إعداد إدارة الإعلام والمعلومات في مؤسسة القدس الدولية، يناير ٢٠١٠م، بمناسبة الحملة الأهلية لاحتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٩م، بيروت، ص ١١.

١٣٤ ((اعتدال الأشهب، مقاومة التهودا الثقافي والتربوي في القدس، تقرير مقدم إلى المؤتمر الدولي للدفاع عن القدس، الدوحة - قطر، يناير ٢٠١١م، ص ٨-١١.



يفتقر الرعاية والاهتمام والحضور، خاصة في ظل المشاكل الأساسية التي يعانيها من تعدد مرجعيات المدارس، والنقض الفادح في المرافق والأبنية، والأوضاع الاجتماعية والسياسية المعقدة في المدينة. ومما لاشك فيه أن ضغوط الاحتلال كانت السبب الأكبر لهذه المشاكل، بهدف السيطرة على قطاع التعليم، ودفع الطلاب إلى التسجيل في مدارس المعارف والبلدية الإسرائيلية، حيث تنامي دور هذه المدارس على المدارس الأخرى في السنوات الأربعة الأخيرة^(١٣٥).

وعلى أثر تعديت سلطات الاحتلال على كتب المناهج الفلسطينية وإعادة طباعتها وفرضها على المدارس الرسمية عام ٢٠١١ انتفض الشارع المقدسي، بأطيافه وقطاعاته كافة، لمقاومة تصاعد الهجمة الإسرائيلية ضد المنهاج والهوية الفلسطينية باستهداف جديد لقطاع التعليم الخاص من خلال:

- تشكيل هيئة للحفاظ على المناهج الفلسطينية في القدس ضمت المؤسسات والفعاليات الأهلية المقدسية لجان أولياء الأمور والتربية والتعليم واتحادات الطلبة والمعلمين.
- عقد العديد من الاجتماعات والمؤتمرات الصحفية وتنظم الفعاليات الشعبية، بما فيها الأمور والطلبة والمعلمين وإدارات المدارس، والتي توضح خطورة التحريف والعبث بالمناهج الفلسطينية - كان لرجال الدين الإسلامي والمسيحي دورهم الفعال في مقاومة المخطط الاحتلالي عبر منابر المساجد والصلوات في الكنائس.

على الصعيد الإسرائيلي: تم وُجّهت الرسائل التحذيرية للبلدية الإسرائيلية ولوزارة التربية والتعليم الإسرائيلي لتوضيح خطورة قرار التدخل في المنهاج على العملية التعليمية في القدس، وتأكيد رفض المقدسين التام لهذا التدخل ومقاومته

عقد الاجتماعات مع وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية لوضعها في صورة ما يحدث، وطلب الدعم والمساندة في حملة مقاومة التحريف والتزوير، باعتبارها صاحبة الحق في طباعة المنهاج، وطلب توزيع الكتب الفلسطينية مجاناً على طلبة القدس.

توجيه الرسائل لمؤسسات المجتمع الدولي والمؤسسات الحقوقية لدعم المقدسين في نضالهم ومقاومتهم، من منطلق القانون الدولي الإنساني.

وزارة التربية والتعليم العالي قدمت الكتب الدراسية مجاناً لجميع طلبة القدس، بما فيها طلبة المدارس التابعة لمدارس البلدية والمعارف الإسرائيلية، بالتعاون من اتحاد مجلس أولياء أمور طلبة القدس^(١٣٦).

وأخيراً إن التعليم العربي في القدس يواجه صعوبات وهي:

- ١- التخطيط يصعب وضع خطة شاملة لمستقبل التعليم العربي في القدس، وذلك لتعدد الجهات المشرفة، خاصة مع سيطرة المعارف الإسرائيلية والبلدية عليها على تعليم ما يقارب نصف الطلبة في القدس ودعم نظام الخصخصة في التعليم العربي بكل ما يحمل من سلبيات دون متابعة،

١٣٥ ((مؤسسة القدس الدولي، مرجع سابق، ص ١٢ - ١٣.

١٣٦ ((ديمة السمان، مرجع سابق، ص ١٢٩-١٣٠.

بحيث أصبح فتح المدارس أمراً في متناول الجميع مع توفير التمويل اللازم لذلك من المعارف الإسرائيلية.

- ٢- الميزانيات: تعاني المدارس العربية في القدس من نقص في الميزانيات ومن تمييز واضح مقارنة مع مدارس في القدس الغربية ، حيث يقدر نصيب الطالب من الميزانية بنصف ما يحصل عليه الطالب اليهودي من الميزانية نفسها لرعاية التعليم الأساسي والثانوي كذلك فإن ميزانيات مدارس الأوقاف أو المدارس الخاصة غير كافية
- ٣- الاشراف لا يوجد إشراف تربوي حقيقي من قبل المعارف والبلديات على المدارس التي تخضع لنظامها التعليمي، سواء رسمية أو معترف بها، حيث توظف لهذه الغاية أربعة مشرفين فقط بالمقارنة مع ٢٦ مشرفاً يتابعون مدارس الأوقاف والمدارس الخاصة ، يعملون في مديرية التربية والتعليم الفلسطينية التابعة لإدارة الأوقاف^(١٣٧).

النتائج والتوصيات

- تعتبر سياسة تهويد التعليم أهم أداة تستخدمها إسرائيل لطمس الهوية الوطنية لدى الفلسطينيين العرب في أراضي ١٩٤٨ مستهدفة منها خلق جيل من الإسرائيليين العرب، يبتعد عن ثقافته وقيمه العربية بحيث تتمحي في النهاية شخصيته وهويته الأصلية.
- أظهرت الدراسة أن الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة شنت معركة منظمة ومنتظمة لضم القدس، أحد أدواتها تهويد المناهج الوطنية، وفرض سياسة تجهيل المجتمع المقدسي لتفريغه من الروح الوطنية وتدمير بنيته الاجتماعية وتطويعه، متبعة في هذا الخصوص سبع مراحل لتهويد المناهج، منها محاولات التهويد الكاملة ومنها محاولات التشويه، ومنها تعديلات ممنهجة على المناهج الفلسطينية وحذف فقرات تحمل قيم وطنية واجتماعية ودينية أيضاً بحجة أنها تدعو إلى العنف وكراهية إسرائيل.
- مثل العام الدراسي ٢٠١١-٢٠١٢ العام الأخطر على المناهج منذ عام ١٩٩٤، حيث شهد هجمة إسرائيلية منظمة على المناهج التعليمية في القدس، محاولة إلغاء المناهج الفلسطينية واستبدالها بمناهج إسرائيلية لطمس الهوية الفلسطينية .
- عانت المدارس في القدس من شدة الإهمال المتعمد من قبل سلطات الاحتلال. فمنذ عام ١٩٦٧ وحتى عام ٢٠١٧، نما عدد المدارس ولكن بوتيرة بطيئة وبشكل لا يتناسب مع التزايد والنمو الطبيعي للسكان العرب في القدس. فضلاً عن تعرض بعضها للإغلاق والاعتداءات عليها وعلى الطلبة والتككيل بهم.
- لم يكن تهويد التعليم بالأمر السهل حيث دارت معركة من نوع آخر في هذا الميدان، وهي معركة الحفاظ على الهوية الوطنية، فمنذ عام ١٩٦٧ تصدى لمخطط التهويد مدرء المدارس والمعلمون وأولياء الأمور، ورفضوا الانضمام إلى أجهزة السلطات المحتلة رغم الإغراءات التي عرضت عليهم

١٣٧ ((سمير جبريل، مرجع سابق، ص ٨٠-٨١.

تارة والتهديد بالاعتقال تارة أخرى، ولم تتوقف مقاومة المقدسين لسياسية الاحتلال ففي عام ٢٠١١ انتفض الشارع المقدسي لمقاومة الهجمة الإسرائيلية على المناهج الفلسطينية، وتم تشكيل لجان للمحافظة على المناهج وتم عقد عدة مؤتمرات، لكشف زيف الادعاءات وحجم الاعتداءات على المناهج وللحد منها .

التوصيات:

وضع خطة متكاملة لمواجهة المحاولات الإسرائيلية الساعية لأسرلة المناهج التعليمية في القدس، والهادفة لضم القدس. تشمل دعم صمود الأهالي في القدس، والجهاز التعليمي بمؤسساته كافة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

- الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني الدراسات الخاصة، ٦، ط أولى، بيروت ١٩٩٠
- ثانياً- المراجع:
- اعتدال الأشهب، مقاومة التهويد الثقافي والتربوي في القدس، تقرير مقدم إلى المؤتمر الدولي للدفاع عن القدس، الدوحة - قطر، يناير ٢٠١١.
- أنور محمود زناتي، تهويد القدس ومحاولات التهويد والتصدي لها من واقع النصوص والوثائق والإحصاءات، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، شباط / فبراير ٢٠١٠.
- ديمة السمان، التعليم في القدس المحتلة تحدٍ وصمود معركة المناهج الفلسطينية - معركة تاريخ وثقافة -، سلسلة أوراق القدس (٥) أوراق ندوة مشكلات التعليم في مدينة القدس التي نظمتها دائرة شؤون القدس (م . ت . ف) في حرم جامعة القدس بتاريخ ٢٥ نيسان، ٢٠١٢
- سمير جبريل، التعليم في القدس واقع وتحديات، سلسلة أوراق القدس (٥) أوراق ندوة مشكلات التعليم في مدينة القدس التي نظمتها دائرة شؤون القدس (م . ت . ف) في حرم جامعة القدس بتاريخ ٢٥ نيسان، ٢٠١٢.
- سلسلة تقارير القدس (١) القدس: ممارسات واجراءات الاحتلال الإسرائيلي منذ حزيران ١٩٦٧-٢٠٠٩، دائرة شؤون القدس، م . ت . ف، القدس، ٢٠١٠.
- سلسلة تقارير القدس (٥) نبذة تاريخية عن التعليم في القدس، أوراق ندوة مشكلات التعليم في مدينة القدس التي نظمتها دائرة شؤون القدس (م . ت . ف) في حرم جامعة القدس بتاريخ ٢٥ نيسان، ٢٠١٢.
- د . عدنان عبد الرحيم، تعليم العرب في فلسطين المحتلة، المنظمة العربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٦.
- محمود شقير، الثقافة الوطنية الفلسطينية في الأراضي المحتلة والتحديات، صامد الاقتصادي، عدد ٥٩، السنة الثامنة، كانون ثانٍ، شباط ١٩٨٦.



- د. منير بشور، خالد مصطفى الشيخ يوسف، التعليم في إسرائيل، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، القاهرة، سبتمبر ١٩٦٩.
- ثالثاً -مواقع النت:
 - التعليم في القدس، موقع وزارة التربية والتعليم الفلسطينية. <http://alqudsgateway.ps/wp/?p=232>
 - مناهج التعليم الإسرائيلية تصل إلى القدس الشرقية، المصدر(موقع إخباري إسرائيلي باللغة العربية) ٣٠ مايو ٢٠١٧، ٠٩:٢٨ [/http://www.al-masdar.net/%D9](http://www.al-masdar.net/%D9)



صورة القدس في المناهج الفلسطينية الجديدة (تحليل محتوى كتب الصف الأول وحتى الصف الرابع الأساسي)

د. سهيل حسين صالحه

أ. هبة طالب عبد اللطيف جيتاوي

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل محتوى كتب الصفوف من الأول إلى الرابع الأساسي للتعرف إلى صورة القدس في تلك المناهج، حيث تم تطوير أداة لتحليل المحتوى، تم من خلالها تحليل كتب اللغة العربية، والتربية الإسلامية، والتنشئة الاجتماعية، واللغة الانجليزية، والرياضيات، والتربية الوطنية والحياتية) وتم اختيار المجالات التالية ورصدها وتحليلها وهي: الصورة الدينية، والصورة التاريخية، والصورة الأثرية والسياحية، والصورة السياسية، إضافة إلى ظهور القدس في التطبيقات والسياقات العملية.

أظهرت نتائج التحليل إلى أن القدس وردت في كتب التربية الإسلامية واللغة العربية واللغة الانجليزية والتنشئة والعلوم والتربية الوطنية والحياتية، وفي كل كتاب تم التركيز على جانب أو أكثر من الجوانب التي تتعلق بمدينة القدس. لكن لم يتم ذكر أحداث النكبة ١٩٤٨، والنكسة عام ١٩٦٧ ولم يتم ذكر بعض سياسات اليهود في هدم المقدسات وحفر الأنفاق تحت المسجد الأقصى، كذلك أظهر التحليل أن صورة القدس متقطعة في كتب التربية الإسلامية، إذ تم ذكرها في كتاب الصف الأول والثالث والرابع لكن لم يتم ذكر أي صورة لمدينة القدس في الصف الثاني، والأمر نفسه في كتب العلوم والحياة، فالقدس لم تظهر في الصف الثالث

أوصت الدراسة بإعادة توزيع المحتوى الخاص بالقدس بتسلسل وتتابع خلال الصفوف الأربعة الأولى، ضرورة تضمين بعض الموضوعات الخاصة بتاريخ القدس وتحديثها من أجل إظهار صورة كاملة غير مجزأة، زيادة الأنشطة التي تتطلب البحث عن موضوعات تهتم بالقدس سواء كانت تقارير أم صوراً تتناسب مع طبيعة الأطفال.

المقدمة

حظيت مدينة القدس، وما تزال، بمكانة عظيمة في التاريخ الإنساني، إذ تميزت بخصوصية الزمان والمكان. فجدورها ضاربة منذ الحضارة العربية الكنعانية، أما بالنسبة لخصوصيتها المكانية، فقد كانت ملتقى الاتصال والتواصل بين قارات العالم القديم، تعاقبت عليها الحضارات، وأمتها الجماعات البشرية المختلفة، مخلفة وراءها آثارها ومخطوطاتها الأثرية، التي جسدت الملاحم والحضارة والتاريخ، دلالة على عظم وقداسية المكان. وتعد مدينة القدس أكبر مدن فلسطين التاريخية مساحةً وسكاناً وأكثرها أهمية دينياً واقتصادياً. تُعرف بأسماء أخرى في اللغة العربية

مثل: بيت المقدس، القدس الشريف، وأولى القبلتين.

أما عن مكانة القدس لدى المسلمين، فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومعراج الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وهي مهد السيد المسيح عليه السلام تعايشت على أرضها الديانات الثلاث، وهي مدينة السلام كما سماها البيوسيون في الماضي، وهي زهرة المدائن كما سماها المسلمون في الحاضر(الضرا، ٢٠١٢).

وقد سكنت القدس عدة قبائل كما أشار إليها (الدباغ، ٢٠٠٢) مثل الكنعانيون وهم أول شعب سامي استوطن فلسطين والأردن، ثم العهد الروماني، ثم جاء الإسلام في عهده الأموي، والعباسي، والفاطمي، والمماليك، والعثماني، ثم وقعت القدس وكل أجزاء فلسطين تحت الانتداب البريطاني إذ قاموا باحتلالها عام ١٩١٧، وفي عام ١٩٤٧ وقعت فلسطين والقدس تحت الاحتلال الإسرائيلي. وقد أولت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة مدينة القدس ومنطقتها منذ احتلالها سنة ١٩٦٧ اهتماماً خاصاً في المشاريع الاستيطانية التي تضعها للمناطق الفلسطينية المحتلة، ومنذ ذلك الوقت تعمل جاهدة للسيطرة عليها وتغيير معالمها بهدف تهويدها وإنهاء الوجود العربي فيها، وقد استخدمت لأجل ذلك الكثير من الوسائل وقامت بالعديد من الإجراءات ضد المدينة وسكانها، مثل مصادرة آلاف الدونمات من الأراضي التابعة للقرى التي أقيمت عليها المستوطنات وتطويق التجمعات السكنية الفلسطينية والحد من توسعها الأفقي والعمودي، وإبقاء مدينة القدس وضواحيها في حالة خوف ورعب معزولين عن شعبهم ووطنهم بشكل دائم، من خلال الاعتداءات المتكررة عليهم من قبل المستوطنين المدججين بالسلاح والمحميين من قبل قوات الشرطة الإسرائيلية وحرس الحدود (مركز المعلومات الفلسطيني وفا، ٢٠١١).

كما وصل الأمر إلى تهويد المناهج المدرسية والتي تكررت على مدى السنين منذ ضم القدس ١٩٦٧ وحتى يومنا هذا، وبأساليب مختلفة مثل شن حملات ضد المناهج الفلسطينية التي دخلت المدارس الفلسطينية لأول مرة عام ٢٠٠٠، واتهام تلك المناهج بأنها تحريضية تدعو إلى العنف وكراهية إسرائيل، وحاولت إلغاء مصطلح الوطن والمواطنة وشهيد الوطن (السمان، ٢٠١٢). وقد أفاد (القدومي، ٢٠١١) أن بلدية القدس - الصهيونية - تقوم الآن على تهويد المناهج الفلسطينية، وفرض تعليم التاريخ المحرّف والزائف لأبناء القدس، كما فرضتها على أبناء الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ م، وذلك ضمن سلسلة الإجراءات الصهيونية لطمس الهوية الفلسطينية، ولفرض قيم وعادات وسلوك وثوابت جديدة تخدم ذلك الاحتلال ووجوده على الأرض المباركة. ولم تسلم من ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، بل الأحداث التاريخية شطب الإرث الحضاري والإنساني للشعب الفلسطيني. وتسعى المناهج الفلسطينية إلى تعزيز القيم الوطنية والمعالم الدينية في الكتب المدرسية، ولعلّ القدس ومكانتها من أهم القضايا التي يُجدر تمثيلها في تلك الكتب، خاصة بعد قيام وزارة التربية والتعليم بتطوير كتب الصفوف الأربعة الأساسية الأولى. لذا جاءت هذه الدراسة لتحلل صورة القدس في المناهج المدرسية للتعرف إلى مدى محاولة تلك في الحفاظ على عروبة القدس وحمايتها من التهويد، وتأكيد الحق الإسلامي والعربي في المدينة.



مشكلة الدراسة وسؤالها :

تعد المناهج الدراسية من أهم موضوعات التربية وأساسها، فهي النقطة التي تصل المتعلم بالعالم المحيط به، وهي من إحدى الوسائل التي تستخدمها الأمة للوصول إلى الأهداف والغايات. وتعد المناهج أيضاً المرآة التي تعكس واقع المجتمع وفلسفته وثقافته وحاجاته وتطلعاته وهو الصورة التي تنفذ بها سياسة الدول في جميع إبعادها السياسية والاجتماعية والثقافية والتربوية والاقتصادية. ومن خلال الواقع الذي يعيشه الفلسطينيون تحت الاحتلال ومحاولة التهويد التي تتعرض لها المناهج، تمحورت مشكلة الدراسة حول التعرف إلى صورة القدس وكيفية تناولها في المنهاج الفلسطينية الجديدة لكتب (اللغة العربية، والتربية الإسلامية، والتنشئة الاجتماعية، واللغة الانجليزية، والرياضيات، والتربية الوطنية والحياتية) من الصف الأول الأساسي وحتى الصف الرابع الأساسي من خلال تحليل محتوى الكتب للصفوف المذكورة، وبناء على ما تقدم، فإن مشكلة الدراسة تتحدد في السؤال الآتي :

كيف تظهر صورة القدس في كتب الصفوف الأساسية الأربع الأولى؟

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل محتوى كتب الصفوف من الأول إلى الرابع الأساسي للتعرف إلى صورة القدس في تلك المناهج، باعتبار أن المناهج إحدى المكونات الأساسية للنظام التربوي، وتعد أيضاً الإطار العام للتعليم الذي يتم من خلاله تأهيل الطلبة بالقيم والأنماط السلوكية والمهارات اللازمة لحياة كل إنسان، وقد اهتم الباحثان بتحليل كتب المرحلة الأساسية (الصف الأول وحتى الرابع) لما تشكله مرحلة التعليم الأساسي مرحلة مهمة في إعداد الطلبة بشكل عام، كما أنها نواة المعرفة التي تركز عليها وزارة التربية والتعليم في نشر القيم والمعتقدات الوطنية الفلسطينية، خاصة تلك التي تتعلق بالقدس.

أهمية الدراسة

تتخصر أهمية الدراسة فيما يلي

- 1- تسليط الضوء على صورة القدس وكيفية تناولها في محتوى المناهج الفلسطينية الجديدة للصفوف من الأول الأساسي وحتى الرابع الأساسي.
- 2- تعد الدراسة الأولى -على حد علم الباحثين- التي تناولت هذا الموضوع في المناهج الفلسطينية الجديدة .
- 3- قد تشكل نتائج الدراسة قدراً من الاهتمام لوضع المناهج بتطوير إيضاحي أكثر لصورة القدس بالمناهج.
- 4- قد تساعد المعلمين والمعلمات على ضرورة التركيز على صورة القدس وضرورة عرضها بشكل عميق أمام الطلبة.

حدود الدراسة:

اقتصرت هذه الدراسة على الكتب الدراسية الآتية من المنهاج الفلسطيني الجديد :

- ١- اللغة العربية للسنة الدراسية (٢٠١٦/٢٠١٧) من الصف الأول وحتى الصف الرابع الأساسي .
 - ٢- التربية الإسلامية للسنة الدراسية (٢٠١٦/٢٠١٧) من الصف الأول وحتى الصف الرابع الأساسي .
 - ٣- اللغة الانجليزية للسنة الدراسية (٢٠١٦/٢٠١٧) من الصف الأول وحتى الصف الرابع الأساسي .
 - ٤- التشيئة الوطنية والاجتماعية للسنة الدراسية (٢٠١٦/٢٠١٧) من الصف الثالث وحتى الصف الرابع الأساسي .
 - ٥- الرياضيات للسنة الدراسية (٢٠١٦/٢٠١٧) من الصف الأول وحتى الصف الرابع الأساسي .
 - ٦- التربية الوطنية والحياتية للسنة الدراسية (٢٠١٦/٢٠١٧) للصفين الأول والثاني .
 - ٧- العلوم والحياة للسنة الدراسية (٢٠١٦/٢٠١٧) للصفين الأول والثاني .
- وتحديثاً لعملية التحليل، فقد اطلع الباحثان على الكتب نفسها في الفصل الأول للعام ٢٠١٧-٢٠١٨، ووجدوا أن التحديث لم يتناول أيّاً من مظاهر القدس التي تم تحليلها سابقاً.

مصطلحات الدراسة :

تعتمد الدراسة التعريفات الآتية لمصطلحاتها :

كتب المناهج الفلسطينية: المقصود بالكتب هنا الكتاب الرئيس للطلبة في المناهج الفلسطينية وتحديداً كتب الصفوف الأساسية الأربعة الأولى، بما في هذه الكتب من مفاهيم، وحقائق، وأنشطة، وأشكال، ورسوم، وصور، وقيم، وتقويم.

المحتوى: هو المعارف والمفاهيم والتعميمات والمبادئ والنظريات التي يتضمنها المقرر الدراسي والتي يتم اختيارها على نحو معين بهدف إكساب التلاميذ اتجاهات وقيم وميول معينة (هندي وعليان، ١٩٩٩).

الإطار النظري

يعود ميلاد مدينة القدس كمدينة إلى أكثر من ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، إذ تم تشييدها من إحدى القبائل الكنعانية- العمورية- التي نزحت من الجزيرة العربية كما ذكر علماء التاريخ والآثار، ومنذ نشأة المدينة تعاقبت عليها الحضارات والأجناس واللغات(غازي، ١٩٩٨).

وقد أطلق على مدينة القدس عدة أسماء في العصور التاريخية ، كان أقدمها أورشليم، إذ ورد هذا الاسم في النصوص الفرعونية في عهد الملك سنوسرت الثالث، ورسائل تل العمارنة، وفي الوثائق الأشورية، وتكرر ذكره أيضاً في التوراة أكثر من ستمائة مرة ، وفي النصوص اليونانية والرومانية،



وبالتالي يعد هذا الاسم اسماً عربياً كنعانياً ومعناه مدينة السلام أطلق على مدينة القدس منذ القرن التاسع عشر قبل الميلاد أي قبل قدوم اليهود إلى فلسطين واستيلائهم على مدينة القدس بسبعة قرون، لكن اليهود أبقوا على الاسم ولم يغيروه لذلك اعتقد البعض أنه اسم عبري، والاسم الثاني كان ييوس ومعناه القوة والصلابة، أطلقت اليهوديون وهم إحدى القبائل الكنعانية، بعد ذلك أطلق عليها اسم إيليا كابيوتلينا في زمن الإمبراطور هدریان، إلا أن جاء العباسيون وسموها بيت المقدس أو القدس وتعني المطهر من الذنوب (الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب، ٢٠١١).

وتعد القدس مدينة مقدسة للمسيحيين والمسلمين واليهود، بالنسبة إلى المسلمين فهي الأرض المباركة التي ذكرها القرآن الكريم في عدة سور، كما في سورة الإسراء (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

فيها المسجد الأقصى الذي يعد أولى القبليتين وثالث الحرمين الشريفين في الإسلام ومعراج الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وفيها كنيسة القيامة التي يزورها المسيحيون من أنحاء العالم كافة للصلاة فيها، ويعتقد اليهود بأن فيها هيكل سليمان.

لكن منذ الاحتلال الإسرائيلي أولت الحكومة الصهيونية اهتماماً بالغا بمدينة القدس، بحيث تبذل أقصى الجهد لطمس المعالم الإسلامية بالقدس رغبةً في تهويدها، فهي تعزلها عن باقي المناطق المحتلة، وتمنع الفلسطينيين من دخولها، وتدفع اليهود للسكن فيها من خلال إنشاء العديد من المستوطنات وإقامة أبنية فيها بنسب مغايرة للملامح العربية والإسلامية، وتحدث بالمدينة بعض الأعمال التي من شأنها تغيير مكانة القدس سياسياً وديموغرافياً، وقاموا بتغيير أسماء الشوارع والمناطق والحارات من أسماء عربية إلى أسماء عبرية، كذلك تم سحب الهويات من السكان العرب في القدس، ومصادرة الأراضي وهدم المباني الفلسطينية ومنع البناء فيها.

وانتقل موضوع التهويد إلى التعليم، فقد أشار يعقوب (٢٠١٢) إلا إن السلطات «الإسرائيلية» منذ احتلالها لمدينة القدس في عام ١٩٦٧م، وهي تسعى جاهدة إلى تقويض قطاع التعليم وربطه بجهات التعليم «الإسرائيلي» إشرافاً وإدارة، عبر سلسلة من الإجراءات والقرارات السياسية ومن أهمها: ضم المدينة المقدسة بعد احتلالها مباشرة، وإغلاق مكتب تربية وتعليم محافظة القدس ونقله إلى مدينة بيت لحم، مما أفقد الجانب الفلسطيني حق الإشراف على المؤسسات التعليمية الرسمية والخاصة في مدينة القدس ومحافظاتها، وحالياً شرعت سلطات الاحتلال الإسرائيلية بتنفيذ القرار القاضي بإلزام المدارس العربية في القدس المحتلة بتدريس المناهج والكتب الصادرة عن دائرة المعارف في بلدية الاحتلال بالمدينة حيث قامت بتوزيع تلك الكتب على العديد من المدارس الخاصة في المدينة وهددت المدارس التي لا تلتزم بهذا القرار بالإغلاق وفصل مدرسيها.

المناهج الدراسية

يعد التعليم الدعامة الأساسية للتنمية الشاملة أداةً وهدفاً، فهو من ركائز نهضة الأمم التي تقدمت وتطورت والتي اعتمدت بشكل أساسي على تطوير التعليم وأهدافه وخطته ومناهجه.

بالنسبة للركائز الأساسية للعملية التعليمية فإنها تتمحور حول الطالب والمعلم والمنهاج، وفي هذا البحث تم التركيز على المناهج الدراسية، باعتبارها الأداة الرئيسية التي تقوم عليها التربية لتحقيق أهدافها، ولها دور أيضاً في بناء وصقل شخصية الطلبة وتنمية مواهبهم وتحفيزهم نحو الأفضل من خلال الموضوعات والصور التي يتم طرحها في الكتب المدرسية، ولا ننسى دور الكتب والمناهج الدراسية في بث الوطنية في نفوس الطلبة وترسيخ مفهوم المواطنة في عقولهم منذ نعومة أظافرهم من خلال تعريفهم بعدد من التعريفات كمفهوم الوطن والعاصمة والنظام السياسي والحقوق والواجبات وغيرها .

وقد قامت وزارة التربية والتعليم الفلسطينية بتطوير مناهج دراسية جديدة خاصة للمرحلة الأساسية من الصف الأول وحتى الصف الرابع تم تدريسها للطلبة في عام (٢٠١٦/٢٠١٧) بحيث أكد مسئولو وزارة التربية أن المناهج الجديدة تحاكي التطورات الاجتماعية والاقتصادية والمهنية والمعرفية، كذلك راعت البعد الوطني والديني والمعرفي والثقافي بما يتماشى مع الحالة الفلسطينية، كما يواكب المنهاج الجديد الاتفاقيات الدولية الخاصة بحقوق الإنسان ومفاهيم الديمقراطية، ويوفر المنهاج الجديد فرصة للطلبة بتوظيف التكنولوجيا، واكتشاف المعرفة العلمية والمشاركة في إنجازها، ويحاكي المنهاج العشرات من المهن الجديدة التي افتقدها المنهاج القديم، كالغذاء والموسيقى واحتراف الرياضة (وكالة فلسطين اليوم الإخبارية، ٢٠١٦).

لكن كما تم ذكره سابقاً تحاول السلطات الإسرائيلية تهويد المناهج في القدس من خلال استخدام عدد من الأساليب، إذ أشارت السمان في مقالة تحت عنوان (تحريف المناهج في القدس.. تهويد للعلم والفكر الفلسطيني) في جامعة القدس (٢٠١٧) إلى أن البلدية قامت مع بداية العام الدراسي بتوزيع الكتب الصادرة عنها على المدارس الفلسطينية في المدينة، وقامت بفصل المديرين والمعلمين والمعلمات وإغلاق المدارس التي لم تلتزم بتلك الكتب، وقد اضطرت بعض المدارس إلى الرضوخ لهذا الإجراء تحت الضغط والتهديد، وأوضحت السمان أيضاً «الذي يحدث أن دائرة المعارف الإسرائيلية تسرق المناهج الفلسطينية وتجري عليها التعديلات التي ترغب فيها وتشطب كل ما يتعلق بتاريخ القضية الفلسطينية، فعلى سبيل المثال: ألغت مصطلحات مثل «النكبة» و«النكسة» كما وأدخلت على المنهاج مصطلحات جديدة للتأكيد على يهودية المدينة والأراضي الفلسطينية بأكملها مثل «حائط المبكى» بدلا من «حائط البراق» و«يهودا والسامرة» بدلا من «فلسطين» كما واستبدلت ترويسة السلطة الفلسطينية على الكتب بلاصق يحمل شعار بلدية الاحتلال، بالإضافة إلى منع الطلبة إلقاء النشيد الوطني الفلسطيني من خلال الإذاعة المدرسية.

ويرى الباحثان أنّ هذا الأمر يُعد طمساً وتشويهاً للصورة الوطنية وخاصة القدس، فالمعركة حول القدس لا تقتصر فقط على الناحية السياسية وإنما تمتد إلى التربية والمنهاج، ولذا فإن تثبيت صورة القدس في المناهج سيعمل على تأكيد الحق والتاريخ الفلسطيني فيها .

الدراسات السابقة

لقد اطلع الباحثان على العديد من الدراسات والبحوث ذات العلاقة بموضوع البحث، وفيما يأتي عرض لهذه الدراسات.

دراسة العيَّان (Alayan, ٢٠١٧) بعنوان « أوراق بيضاء : الرقابة الإسرائيلية على الكتب الفلسطينية في شرق القدس »

تناولت الدراسة تاريخ الرقابة الإسرائيلية على الكتب الفلسطينية في شرق القدس، ومستوى السيطرة الإسرائيلية على الكتب التي تدرسها مدارس فلسطينية في المدينة، وعلاقة ذلك بالصراع السياسي، وقد توصلت الباحثة إلى أن الرقابة الإسرائيلية نجحت في « مسح أو شطب الرموز الفلسطينية » و « اقتطاع أجزاء من الكتب » و « مسح محتوى صفحات بأكملها »، خاصة عندما يتعلق الأمر بفرض السيادة الإسرائيلية على المدينة.

دراسة تيم (٢٠١٣) بعنوان « دور الأدب في ترسيخ مكانة القدس في وجدان الأمة »

تناول البحث دور الأدب العربي في ترسيخ مكانة القدس في وجدان الأمة الإسلامية، وقد حقق ذلك من خلال إثارة جملة من المشاعر الجياشة تجاه القدس مثل: الحنين والشوق والحزن، والغضب والثورة على المحتل، ومجموعة من المواقف، مثل: الدعوة للجهاد في سبيل الله، والوحدة الإسلامية، والاعتصام بحبل الله المتين، وتطبيق شرعه القويم، ومحاربة الأفكار والمبادئ والمعتقدات الضالة والمذاهب الفاسدة. واتسم دور الأدب بالفاعلية والدافعية والحركة والعاطفة الإيمانية والإنسانية الفياضة، وسبب ذلك فيما نرى يرجع إلى أمرين هما :

الأول: المكانة الإيمانية للقدس فهي تحتضن المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعراجة إلى السماء، وهو آية من كتاب الله تعالى، حيث يقول: « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع العليم ».

الثاني: ضراوة العدوان الصليبي و الصهيوني على القدس وبلاد المسلمين بما ارتكبه من جرائم بشعة من قتل للأَنْفُس ونهب للممتلكات وانتهاك لحرَمات العرض والدين.

دراسة الطحل (٢٠١٣) بعنوان رواية القدس في الأدب العربي في القرن الحادي والعشرين

بحثت الدراسة في رواية القدس في القرن الحادي والعشرين من جميع جوانبها، وقد اختار الدارس لهذا الغرض أربع عشرة رواية لكتاب فلسطينيين وعرب، إحدى عشرة منها لكتاب يقيمون في فلسطين، وواحدة لكتاب فلسطيني يقيم في سوريا، واثنين لكاتبين عربيين لم يزورا المدينة ولم يقيما فيها، وقد كان اختياره لهذه الروايات متكئاً على بروز موضوع القدس في مضامينها، وعلى الشكل الفني لكل منها. وتتبع الباحث صورة القدس في الرواية وملاحها لدى روائيي الداخل والخارج، كما تلمس حميمية صورتها الروائية لدى الكتاب المقيمين في المدينة، وخضوت حضورها مكاناً واقعاً وفاعلاً لدى كتاب لم يقيموا في المدينة، ولم يعرفوا واقعها بتفاصيله المختلفة. كما تناول البحث العلاقات العربية الإسرائيلية في رواية القدس، ورصد الباحث فيه ملامح صورة اليهود، كما



تظهر، في روايات الداخل والخارج، من منظور الكتاب الفلسطينيين والعرب أنفسهم، وتتبع الدراسة أيّ جديد في علاقة الفلسطينيين باليهود، وأتى الباحث في أثناء ذلك على إيراد إشارات تكشف عن نظرة العربي تجاه ذاته. ووقف الباحث على «طرق القصّ في رواية القدس» أمام رواية القدس في شكلها الفنيّ، فتناول طرق قصّها ولغتها.

دراسة اسببتان (٢٠٠٩) بعنوان «القدس في مناهج الأدب المقررة في المدارس الفلسطينية» هدفت الدراسة إلى تناول القدس في المناهج الفلسطينية لما لهذه المدينة من مكانة وأهمية عقائدية عند كل مسلمي الأرض، وقد ركزت الدراسة على مناهج الأدب المقررة في المدارس الفلسطينية من الصف الأول الأساسي وحتى الصف الثاني عشر، وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن المناهج غطت القدس في القرآن والحديث والشعر والنثر وخاصة الخطب وأوصت الدراسة بإعادة صياغة منهاج الصف الثاني الأساسي وتضمينه مواضيع القدس.

منهجية الدراسة

تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل المحتوى، نظرا لملائمته أغراض الدراسة، وهو منهج يقوم على دراسة الواقع أو عرض الظاهرة كما هي دون زيادة أو نقصان أو تعديل، وذلك من خلال تقديم وصف دقيق لذلك الواقع، وسيقوم الباحثان بدراسة التكرارات التي تضمنت القدس أو ما يتعلق بها سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، كما سيدرس الباحثان كيفية تنظيم المحتوى الدراسي بالنسبة لورود صورة القدس.

مجتمع الدراسة وعينتها :

تكون مجتمع الدراسة من جميع كتب المرحلة الأساسية من الصف الأول وحتى الصف الرابع وفق المنهاج المطور لعام ٢٠١٦، وهي العينة نفسها من كتب اللغة العربية والتربية الإسلامية والتنشئة الوطنية والاجتماعية والرياضيات واللغة الانجليزية والتربية الوطنية والحياتية، مع الانتباه إلى محتوى الكتب المحدثّة في الفصل الأول ٢٠١٧-٢٠١٨.

أداة الدراسة

تم استخدام أداة مطورة لتحليل الكتب (تحليل المضمون) هي تقنية منهجية تعمل على إعطاء وصف كمي موضوعي منظم للمضمون الظاهر وتم اختيار المجالات التالية ورصدها وتحليلها وهي: الصورة الدينية، والصورة التاريخية، والصورة الأثرية والسياحية، والصورة السياسية، إضافة إلى ظهور القدس في التطبيقات والسياقات العملية.

إجراءات الدراسة

- دراسة الأدب النظري والدراسات السابقة.
- بناء أداة الدراسة لرصد مظاهر صورة القدس في الكتب المدرسية.
- تحديد مجتمع وعينة الدراسة
- جمع البيانات من خلال تحليل الكتب، وتمثيل النتائج بالجداول.



نتائج الدراسة :

سعت هذه الدراسة إلى تحليل محتوى كتب الصفوف من الأول إلى الرابع الأساسي، وفيما يأتي عرض لنتائج الدراسة من خلال الجداول (١-٤)

الجدول (١)

صورة القدس في كتب الصف الأول الأساسي

اسم الكتاب	الصورة الدينية	الصورة التاريخية	الصورة الأثرية والسياحية	الصورة الجغرافية	الصورة السياسية	تطبيقات وسياقات عملية
التربية الإسلامية	٢			١	٢	
اللغة العربية						
اللغة الانجليزية			١			
الرياضيات						٢
التربية الوطنية والحياتية						٤

يتبين من الجدول (١) أن صورة القدس ظهرت في كتاب التربية الإسلامية من خلال التركيز على أهميتها الدينية والجغرافية إذ تمحورت أهداف الدرس والذي كان بعنوان المسجد الأقصى، حول أهمية التعرف على المسجد الأقصى وعلى أهمية وأجر الصلاة فيه والتعرف أيضا على موقعه الجغرافي، كذلك تطرق الدرس إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى). وقد تناول الدرس أيضا القدس من الناحية السياسية، إذ تم التركيز على أن القدس هي عاصمة فلسطين، وكان هنالك نشاط آخر الدرس على شكل سؤال تم توجيهه للطلبة (ما واجبنا تجاه المسجد الأقصى؟)

أما في كتاب الرياضيات تم ظهور اسم القدس تحت مسمى تطبيقات و سياقات علمية، إذ تم توجيه أسئلة للطلبة من خلال التعرف على عدد أبواب مدينة القدس وعدد أبواب المسجد الأقصى. بالنسبة لكتاب التربية الوطنية والحياتية تم تصوير القدس من خلال تطبيقات و سياقات عملية كانت تتمحور حول وجود بعض الصور لمدينة فلسطينية وأهم المعالم الأثرية والدينية التي توجد في تلك المدن وكان مسجد قبة الصخرة إحدى المعالم البارزة لمدينة القدس في تلك التطبيقات.

وفي كتاب اللغة الانجليزية تم عرض البلدة القديمة للقدس على صفحة الغلاف

الجدول (٢)

صورة القدس في كتب الصف الثاني الأساسي

اسم الكتاب	الصورة الدينية	الصورة التاريخية	الصورة الأثرية والسياحية	الصورة الجغرافية	الصورة السياسية	تطبيقات وسياقات عملية
التربية الإسلامية						
اللغة العربية		٢	١	١	٢	
اللغة الانجليزية		١			١	٤
الرياضيات			١			٥
التربية الوطنية والحياتية			١	٣	٣	٤

يتضح من الجدول (٢) أن كتاب اللغة العربية صور مدينة القدس من عدة نواحي نبدأها بالصورة الجغرافية إذ تم توجيه سؤال للطلبة ضمن درس فلسطين الحبيبة وهو ما هي الأماكن التي مر بها الأصدقاء في طريقهم من القدس إلى حيفا، وقد تم توجيه سؤال آخر من ناحية دينية وتاريخية وأثرية ألا وهو ماذا زار الأصدقاء في مدينة القدس؟ أظهر درس نبني ونبني وجود منزل قديم قد ورثه أبو كريم عن أجداده، لكن قامت جرافة الاحتلال بهدم ذلك المنزل حتى أصبح ركاما وهنا تظهر الصورة السياسية من خلال السياسات التي يتبعها الاحتلال في الهدم الدائم لبيوت الفلسطينيين وخاصة في مدينة القدس، وقد اكتملت الصورة السياسية بوجود أغنية تحت عنوان لا لن ارحل إذ ركزت الأغنية على ضرورة عدم الاستسلام والرضوخ للاحتلال وان نبقى مرفوعين الرأس وحارسين للقدس. وجاءت أغنية أخرى بعنوان أنا شبل أنا زهرة، إذ أظهرت الأغنية الجانب التاريخي من خلال وجود ولد وبنيت يرتدون الكشافة الفلسطينية وأعينهم اتجاه القدس يرددون بوجود بيوت قديمة للفلسطينيين بناها أجدادنا، واكتملت الصورة أيضا من ناحية سياسية إذ نادى الطلبة الكشافة بانطلاق جمرة الثورة إلى يافا إلى عكا إلى الأقصى إلى الصخرة، أما من ناحية تراثية فقد ظهرت لوحة لمسجد قبة الصخرة القدس محاطا بالكوفية الفلسطينية والعلم الفلسطيني والتطريز الفلسطيني

بالنسبة لكتاب الرياضيات كان هنالك عدد من المسائل الحسابية التي تم فيها ذكر مدينة القدس وكان عددها بحدود الخمسة مسائل.

أما كتاب التربية الوطنية والحياتية فقد ظهرت الصورة السياسية من خلال وجود خارطة فلسطين مرتين وإبراز مدينة القدس بشكل مختلف عن باقي المدن الفلسطينية الأخرى، أي التأكيد على أنها العاصمة الرئيسية لفلسطين، كما أوضحت الخريطة التوزيع الجغرافي لمدينة القدس وباقي المدن

الفلسطينية، كذلك ركزت الخريطة على التعرف إلى الجهات الأربعة من ناحية جغرافية وسؤال الطلبة عن المدن التي تقع شمال مدينة القدس وقد ظهرت مدينة القدس من خلال عدد من التطبيقات والسياقات العملية بخمسة تطبيقات، إذ تم التركيز على اسم المدينة الفلسطينية والمعلم البارز فيها، وكانت مدينة القدس ومسجد قبة الصخرة ضمن هذه التطبيقات، أما من ناحية تراثية فقد ظهرت لوحة لمسجد قبة الصخرة في القدس محاطا بالكوفية الفلسطينية والعلم الفلسطيني والتطريز الفلسطيني.

أما في كتاب اللغة الانجليزية ظهرت القدس بالصورة السياسية من خلال وجود خريطة لفلسطين وعليها المدن الفلسطينية وقد تم إبراز مدينة القدس على الخريطة كعاصمة لفلسطين، وقد تم وضع مدينة القدس ضمن تطبيقات والسياقات عملية بحدود الأربع مرات من خلال سؤال الطلبة سؤال تحت عنوان where are you from .

كما يُلاحظ أن كتاب التربية الإسلامية لم يتضمن أي صورة أو نشاط أو مثال على مدينة القدس.

الجدول (٣)

صورة القدس في كتب الصف الثالث الأساسي

اسم المقرر	الصورة الدينية	الصورة التاريخية	الصورة الأثرية والسياحية	الصورة الجغرافية	الصورة السياسية	تطبيقات وسياقات عملية
التربية الإسلامية	٢			١	١	
اللغة العربية	٢				٢	
اللغة الانجليزية					٢	
الرياضيات						٣
العلوم والحياة						
التنشئة الوطنية والاجتماعية	٥	٣	١		١٠	٥

يتضح من الجدول (٣) أن كتاب التربية الإسلامية أظهر مدينة القدس بالصورة الدينية والجغرافية والسياسية، نبدأها أولاً من الناحية الدينية، إذ جاء درس تحت عنوان رحلة إلى القدس ركزت أهدافه على ضرورة التعرف إلى أهمية القدس ومكانتها في قلب المسلم وسبب ذهاب المسلمين إليها، ثم تم عرض آية قرآنية التي تبين أهمية المسجد الأقصى بالنسبة للمسلمين (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو



السميع البصير) وبعد ذلك تناول الدرس عدد من الأسئلة التي أرادت أن تبين الأهمية الدينية لمدينة القدس بالنسبة للمسلمين، وتم إظهار القدس من ناحية جغرافية من خلال توجيه سؤال للطلبة عن موقع مدينة القدس في فلسطين، أما من ناحية سياسية فقد تم توجيه سؤال للطلبة عن أهم المعينات التي تواجه الفلسطينيين عند الذهاب للقدس؟ وما واجب المسلمين اتجاه مدينة القدس؟ في كتاب اللغة العربية تناول موضوع للتعبير بعض الأسئلة التي تمحورت حول القدس، من ناحية دينية تم توجيه سؤال للطلبة عن أهم الأماكن الدينية في القدس، ولماذا يذهب الناس للقدس، أما من ناحية سياسية تناول التعبير سؤال وهو ما واجبنا اتجاه القدس؟ وجاءت أيضا قصيدة بعنوان أرض الكرماء، وضعت فيها صورة مدينة القدس وأظهرت القصيدة بأن القدس بلد الأقصى والحرم، أما من ناحية سياسية فقد شددت على ضرورة التضحية بالنفس من خلال الجهاد لإزالة الغاصبين من بلادنا.

في كتاب الرياضيات تم ذكر مدينة القدس في المسائل الكلامية وكانت بحدود ثلاث مسائل. بالنسبة لكتاب التشئة الاجتماعية قد ظهرت مدينة القدس بحدود عشر المرات من الناحية السياسية وكانت على النحو التالي: جاء درس بعنوان مدينة القدس عاصمة وطني فلسطين ركز الدرس في أهدافه على ضرورة معرفة أن القدس هي عاصمة فلسطين، وأن علم فلسطين سيرفع على أسوارها بعد تحريرها من الاحتلال الإسرائيلي، وكان هنالك حوار خلال الدرس يبين أن عدد المصلين يوم الجمعة في القدس أكثر من الأيام العادية وكان السبب وراء ذلك هو سياسات الاحتلال الإسرائيلي التي تمنع دخول المصلين في الأيام الأخرى، وقد جاءت فقرة في الدرس حثت على ضرورة الدفاع عن مدينة القدس والمحافظة عليها وعلى مقدساتها والصلاة فيها وتعزيز صمود أهلها حتى نحررها من الاحتلال، وفي نهاية الدرس جاء سؤال ضع دائرة بأن يختار الطلبة عاصمة فلسطين من بين عدد من المدن الفلسطينية وكانت القدس ضمن هذه المدن، وبعد ذلك جاء درس بعنوان ذكرى إعلان استقلال فلسطين إذ تم إظهار إعلان الرئيس الراحل ياسر عرفات استقلال فلسطين وتأكيد أن القدس هي العاصمة (نعلن باسم الله وباسم الشعب العربي الفلسطيني، قيام دولة فلسطين، فوق أرضنا الفلسطينية، وعاصمتها القدس الشريف، وبالتالي تم التركيز أيضا على أن من مظاهر الاستقلال هو وجود العاصمة وعاصمتنا هي القدس الشريف. أما من ناحية دينية فقد ركز الكتاب على أن المسجد الأقصى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وقبة الصخرة التي عرج منها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء، وكنيسة القيامة وأهميتها لدى المسيحيين، أما من ناحية تاريخية فقد تم التطرق إلى سور مدينة القدس الذي يحيط بالمدينة والذي له سبعة أبواب، كذلك تم التطرق أيضا إلى أحياء القدس التي يعيش فيها الفلسطينيون من زمن طويل مثل حي الشيخ جراح وحي سلوان وأسواقها القديمة، كذلك ركزت عبارة على أن القدس مدينة عربية بناها أجدادنا العرب منذ آلاف السنين.

وقد تم تصوير القدس ضمن تطبيقات وسياقات عملية في عدة نواحي من خلال تلوين لرسومات لقبة الصخرة والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة، تجميع عدد من صور القدس وأحيائها وأسواقها



وصور للمسجد الأقصى وقبة الصخرة وكنيسة القيامة وتعليق الصور على مكان مناسب في المدرسة ودعوة باقي الطلبة لمشاهدة تلك الصور والتعرف إلى مدينة القدس. وكان هنالك أيضا نشاط من خلال استخدام قلم رصاص للوصول إلى طريق صحيح إلى القدس من خلال لعبة المتاهة، وبعد ذلك جاء تطبيق يطلب من الطلبة توصيل الصورة مع العبارة المناسبة، وكان مضمون ذلك التطبيق يتمحور حول المعالم الموجودة بالقدس، وأخيرا جاء تمرين يتم فيه وضع إشارة الصح والخطأ أمام العبارات التي تناولت عدد من قضايا القدس، وقد جاءت خريطة لفلسطين توضح المواقع الأثرية والدينية والترفيهية في فلسطين وكانت القدس ضمن هذه المدن لمعرفة الهدف من زيارتها.

بالنسبة لكتاب اللغة الانجليزية وردت صورة لقدس من ناحية سياسية كعاصمة لفلسطين مرتين ضمن درس تحدث عن بعض العواصم لبعض الدول.

كما يلاحظ أن كتاب العلوم والحياة لم يتضمن أي صورة أو نشاط أو مثال على مدينة القدس.

الجدول (٤)

صورة القدس في كتب الصف الرابع الأساسي

اسم المقرر	الصورة الدينية	الصورة التاريخية	الصورة الأثرية والسياحية	الصورة الجغرافية	الصورة السياسية	تطبيقات وسياقات عملية
التربية الإسلامية	١					
اللغة العربية		١	١		١	
اللغة الانجليزية			٢		١	١
الرياضيات						٦
التنشئة الوطنية والاجتماعية	١					
العلوم والحياة				٢	١	

يتضح من الجدول (٤) وجود صورة القدس في كتاب التربية الدينية وذلك من خلال التحدث عن صلاة الجماعة وأهميتها وكان المسجد الأقصى هو المسجد الذي ظهر في ذلك الدرس.

أما بالنسبة لكتاب اللغة العربية فقد ظهرت صورة القدس من الناحية التاريخية والأثرية من خلال درس بعنوان جولة في أسواق القدس، إذ تم ذكر سوق باب خان الزيت، الذي يعد المدخل الرئيسي لأسواق البلدة العتيقة، وسوق العطارين، سوق اللحامين، وسوق الدباغة، وسوق القطنين، وبعد ذلك جاءت أغنية للطلبة بعنوان اجل إنني من القدس، تركزت فيها الصورة السياسية من خلال التأكيد



أن هذه الأرض لنا وأنا سنفديها بالمال والنفس ولن نرضى لها أي مذلة من قبل أي محتل. أما كتاب اللغة الانجليزية ظهرت خارطة لفلسطين وعليها مدن فلسطينية ومنها مدينة القدس التي يرغب الناس بزيارتها، كذلك جاءت القدس في تطبيقات عملية في صفحة أخرى لتوضح الصورة السياحية للقدس والتي يرغب أيضا الناس بزيارتها

بالنسبة لكتاب الرياضيات تم ذكر مدينة القدس في المسائل الكلامية وكانت بحدود ست مسائل في كتاب التنشئة الوطنية جاءت القدس من ناحية دينية وذلك من خلال التركيز على أن المسجد الأقصى من المساجد المهمة لدى المسلمين.

في كتاب العلوم والحياة تم تصوير القدس من ناحية جغرافية وذلك في درس تحت عنوان الحالة الجوية، وقد كانت هنالك خريطة لفلسطين تبين الحالة الجوية فيها من ضمنها مدينة القدس وأيضا في الخريطة تم التركيز بلون مختلف لكلمة القدس إشارة إلى أنها العاصمة في فلسطين. مناقشة النتائج

لقد وردت القدس في كتب التربية الإسلامية واللغة العربية واللغة الانجليزية والتنشئة والعلوم والتربية الوطنية والحياتية، وفي كل كتاب تم التركيز على جانب أو أكثر من الجوانب التي تتعلق بمدينة القدس.

قدمت كتب التربية الإسلامية معلومات دينية عن أهمية القدس ومكانتها عند المسلمين وسبب الذهاب إليها، كذلك تطرقت كتب اللغة العربية إلى التعرف إلى أهمية القدس التاريخية والسياحية. وتناولت كتب اللغة الانجليزية الأهمية الجغرافية لمدينة القدس، كذلك تناولت كتب التنشئة الاجتماعية وخاصة كتاب الصف الثالث مواضيع القدس من ناحية سياسية من خلال التركيز على أن القدس هي عاصمة فلسطين، كذلك تطرقت الكتب إلى السياسات التي تتخذها سلطات الاحتلال في مدينة القدس من هدم للبيوت ووضع حواجز أمام المصلين عند الذهاب إلى القدس. وجاءت بعض القصائد في كتب اللغة العربية تنادي على ضرورة عدم الاستسلام والرضوخ للاحتلال وان نبقى مرفوعين الرأس وحارسين للقدس.

من خلال التحليل لاحظ الباحثان أن الكتب المدرسية قدمت صورة واضحة غير موزعة بانتظام عن مدينة القدس بشكل عام، وبذلك يستطيع الطلبة معرفة قيمة القدس الدينية والتاريخية والجغرافية والقومية من خلال الدروس والعبارات التي وردت، هذا يدل على أن الوزارة بذلت جهدا لا بأس فيه بإبقاء صورة القدس الحقيقية في المناهج الجديدة، وشددت على ضرورة بقاءها إسلامية عربية وأنها حق للفلسطينيين وأنها عاصمة فلسطين الأولى.

لكن لم تتطرق المناهج ولو بشكل بسيط على أن الجيش الإسلامي فتح مدينة القدس على زمن عمر بن الخطاب، وأن صلاح الدين حررها من الغزو الإفرنجي في معركة حطين، وفي العصر الحديث لم يتم ذكر أحداث النكبة ١٩٤٨، والنكسة عام ١٩٦٧ ولم يتم ذكر بعض سياسات اليهود في هدم المقدسات وحفر الأنفاق تحت المسجد الأقصى، إذ يرى الباحثان أن للطلبة في هذه المرحلة العمرية الحق بمعرفة بما يفعل الصهاينة بفلسطين وخاصة القدس لتتشبثهم على القوة والشجاعة

حاضرنا ومواجهة هذا العدو مستقبلاً .

كذلك أظهر التحليل أن صورة القدس متقطعة في كتب التربية الإسلامية، إذ تم ذكرها في كتاب الصف الأول والثالث والرابع لكن لم يتم ذكر أي صورة لمدينة القدس في الصف الثاني، والأمر نفسه في كتب العلوم والحياة، فالقدس لم تظهر في الصف الثالث، ولعل ذلك يعود إلى سرعة إعداد الكتب المدرسية والاهتمام بتضمين موضوع القدس خلالها دون تركيز على التابع والتكامل في محتوى العرض.

التوصيات :

- بناء على ما أتت به الدراسة من نتائج، فإن الباحثين يوصيان بما يأتي :
- إعادة توزيع المحتوى الخاص بالقدس بتسلسل وتتابع خلال الصفوف الأربعة الأولى.
- ضرورة تضمين بعض الموضوعات الخاصة بتاريخ القدس وتحديثها من أجل إظهار صورة كاملة غير مجزأة.
- زيادة الأنشطة التي تتطلب البحث عن موضوعات تهتم بالقدس سواء كانت تقارير أو صوراً تتناسب مع طبيعة الأطفال.

المصادر والمراجع

- ١- اسبيتان، مشهور(٢٠٠٩). القدس في مناهج الأدب المقررة في المدارس الفلسطينية. مجلة جامعة القدس للأبحاث والدراسات. ١٨٤. مج ١.
- ٢- تيم، محمد(٢٠١٢) دور الأدب العربي في ترسيخ مكانة القدس في وجدان الأمة. بحث منشور. جامعة الإسلامية ، غزة، فلسطين .

www.site.iugaza.edu.ps/mtayem/files/02/2015/القدسوالأدب.docx

٣- جامعة القدس(٢٠١٧) تحريف المناهج في القدس تهويد للعلم والفكر الفلسطيني. <https://d8%a8%ae%d8%d8%a3%d8%84%d9%a7%d8%325/www.alquds.edu/en8%d9%a7%d8%-b1%d8%a7%d8%a8%ae%d8%d8%a3%d8%/b1%d8%a7%8a%d-%d9%b1%ad%d8%aa%d8%d8%-131582/b3%af%d8%d8%82%d9%4ac-%d8%87%d9%a7%d8%86%d9%85%d9%84%d9%a7%d8%-81%925%af%d8%d8%82%d9%84%d9%a7%8a-%d8%d9%81%9d9>

- ٤- الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب،(٢٠١١). أسماء مدينة القدس عبر العصور

<http://www.wata.cc/forums/showthread.php-89982>

[-A 1 %D 8 %A 7 %D 8 %8 5 %D 9 %B 3 %D 8 %A 7 %D 8 %
-A 9 %D 8 %8 6 %8 A % D 9 %A F % D 9 %D 8 %8 5 %D 9 %
-B1%D8%A8%D8%B9%D8%-B3%AF%D8%D8%82%D9%84%D9%A7%D8%
B 1 %D 8 %8 8 %D 9 %B 5 %D 8 %B 9 %D 8 %8 4 %D 9 %A 7 %D 8 %](#)

٥- السمان، ديمة (٢٠١٢) التعليم في القدس المحتلة تحد وصمود .معركة المناهج الفلسطينية .معركة تاريخ وثقافة وتراث. وزارة التربية والتعليم العالي، رام الله ، فلسطين.

٦- الطحل، محمد(٢٠١٣). رواية القدس في الأدب العربي في القرن الحادي والعشرين، رسالة ماجستير. جامعة النجاح الوطنية. فلسطين.

٧- غازي، خالد (١٩٩٨) ، سيرة القدس، ط١، دار الهدى للنشر والتوزيع.

٨- الفرا، عبد الناصر(٢٠١٣) الجذور التاريخية لمدينة القدس وكيفية الحفاظ عليها بحث منشور. جامعة القدس المفتوحة. خان يونس.

٩- القدومي، عيسى(٢٠١١) مدارس القدس ومناهج التهوديد . مركز القدس للدراسات التوثيقية.

[5117=http://www.aqsaonline.org/news.aspx?id](http://www.aqsaonline.org/news.aspx?id=5117)

١٠- مركز المعلومات الفلسطيني- وفا- (٢٠١١) . وسائل تهويد مدينة القدس، رام الله [http://](http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3586)

[3586=www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id](http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3586)

١١-هندي، صالح، عليان، هاشم، تخطيط المنهج وتطويره .ط٢. دار المعرفة للنشر والطباعة. الأردن.

١٢- وكالة معا الإخبارية (٢٠١٦) كشف تفاصيل المنهاج الدراسي الجديد

[860057=https://www.maannews.net/Content.aspx?id](https://www.maannews.net/Content.aspx?id=860057)

١٣-يعقوب، أوس (٢٠١٢) تهويد التعليم في مقدمة المخططات «الإسرائيلية» لتهويد القدس الشريف، مؤسسة القدس للثقافة والتراث

[2914=http://www.alqudslana.org/index.php?action=article&id](http://www.alqudslana.org/index.php?action=article&id=2914)

White pages: Israeli censorship of Palestinian textbooks in .Alayan, S (٢٠١٧).

East Jerusalem. *Journal of Social Semiotics*, ٢١-١.

قضية القدس في المواقع الإسلامية - موقع قناة القدس نموذجا -

١. أسماء دلة

مقدمة

تعتبر القدس منارة الأمة الإسلامية عامة وفلسطين خاصة، كونها أول القبلتين وثالث الحرمين، ومهبط الأنبياء، ومسرى النبي صلى الله عليه وسلم، لهذا كانت على مر العصور، محل نزاع بين الأمم، والقضية التي لا تموت، إذ تعرضت عبر العصور، إلى محاولات طمس الهوية، والاعتصاب من طرف شتى أنواع العدوان، كما هو قائم اليوم، إذ تتعرض إلى محاولات تغيير الهوية، التهويد، السلب، تزييف التاريخ، وتشويه الحقائق من طرف الاحتلال، باستعمال مختلف الوسائل وأذكاها، والتي من أهمها الإعلام، الذي يعد اليوم السلطة الأولى في العالم، من حيث قوة التأثير والاستقطاب، وتوجيه الرأي، لهذا فإن المشهد الإعلامي للقضية، والصراع القائم حول القدس من خلال الإعلام اليوم، من أبرز محطات الصراع، وأكثرها إثارة، حيث تتنافس أطراف الصراع، من أصحاب الحق والاحتلال، حول اسقطاب الرأي العالمي وتوجيهه، وكسب تأييده عبر منظومات إعلامية مدروسة.

وفي ظل كثرة انشغالات الإعلام اليوم وتعدد قضاياها حتى العربي والإسلامي منه، بسبب كثرة قضايا العالم الإسلامي اليوم، تعددت قضاياها، بل وانشغلت الكثير منها عن القضية المركزية التي تعنى بالمسجد الأقصى المبارك، صار تقصي المنابر المتخصصة بشأنه، والثابتة على نصرته من الأمور الصعبة، إذ غالبا ما تحرف الكثير من المنابر التي ترفع شعار نصرته في مزالق الأيديولوجيات، مما ينحرف بها عن الهدف الأساسي، ولهذه الأسباب خصصت الدراسة موقع قناة القدس للبحث، وتميزها عن غيرها بالحيادة عن كل الأيديولوجيات.

ولتتمكن الدراسة من تقديم الجديد، اعتمدت على عدة مناهج وهي المنهج التاريخي، والوصفي وأداة تحليل المحتوى، وقسمت البحث إلى ثلاث مباحث، اثنان نظريان، وواحد تطبيقي، تحت العناوين التالية ضبط المفاهيم، قضية القدس في الإعلام، ونتائج الدراسة تحليلية، كما استعانت الدراسة بالكثير من المصادر والمراجع التي تساعد على حل التساؤل الذي شخصته الدراسة للإجابة عنه والذي يقول: كيف يتناول الإعلام الإسلامي قضية القدس؟، والذي تفرع عنه ما يلي:

الأسئلة في الجانب النظري:

- ما هو تعريف القدس؟

- متى بدأ الحديث عن القدس في الإعلام العربي الإسلامي؟

- كيف تناولت وسائل الإعلام الغربية قضية القدس؟

الأسئلة في الجانب التطبيقي:

فئة ماذا قبل:



- ما هي أهم الموضوعات التي يتناولها هذا الموقع عن القدس؟
 - ما هي أهداف تناول هذا الموقع لموضوع القدس؟
 - ما هي أهم المصادر المعتمدة في تناول موضوع القدس في هذا الموقع؟
 - ما هو الجمهور المستهدف من وراء تناول الموقع لموضوع القدس؟
- فتة كيف قيل:

- ما هي الأساليب المستخدمة في الموقع في أثناء تناوله لموضوع القدس؟
 - ما هي اللغة المستخدمة في تناول هذا الموقع لموضوع القدس؟
- خطة البحث:

المبحث الأول: ضبط المفاهيم

المطلب الأول: تعريف القضية.

المطلب الثاني: تعريف القدس.

المطلب الثالث: تعريف المواقع الإسلامية.

المبحث الثاني: قضية القدس في الإعلام

المطلب الأول: تاريخ قضية القدس في الإعلام الفلسطيني والعربي.

المطلب الثاني: قضية القدس في الإعلام الغربي.

المبحث الثالث: نتائج الدراسة التحليلية

المطلب الأول: نتائج الدراسة المتعلقة بفتة المضمون

٠١- الموضوعات التي يتناولها هذا الموقع عن القدس.

٠٢- أهداف تناول هذا الموقع لموضوع القدس.

٠٣- المصادر المعتمدة في تناول موضوع القدس في هذا الموقع.

٠٤- الجمهور المستهدف من وراء تناول الموقع لموضوع القدس.

المطلب الثاني: نتائج الدراسة المتعلقة بفتة الشكل

٠١- الأساليب المستعملة في تناول هذا الموقع لموضوع القدس.

٠٢- اللغة المستخدمة في الموقع أثناء تناوله لموضوع القدس.

خاتمة

وسماها العثمانيون القدس الشريف^{١٤٢}.

- وهي "إقليم فريد غني بخلفية تاريخية خصبة، وبأهميات دينية، وارتباطات ثقافية، وبادعاءات سياسية ودينية تنافسية، وباهتمامات دولية، تؤثر في بقية العالم في الإطارين التاريخي والمعاصر. ولبيت المقدس إطار مرجعي مركزي، وطبيعة حيوية ذات ثلاثة عناصر أساسية مترابطة: موقعها الجغرافي الأرض والحدود، وشعبها (السكان)، ورؤيتها الفريدة والخلاقة والشاملة لإدارة أرضها وشعبها بوصفه نموذجاً للتعددية الدينية والثقافية، والتواصل الحضاري، والأمان"^{١٤٣}.

المطلب الثالث: تعريف المواقع الإسلامية

١: المواقع لغة: والمَوْقِعُ والمَوْقِعَةُ موضعُ الوُقُوعِ، والمَوْقِعُ موضع لكل واقِع^{١٤٤}، ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنَّهَا تَقَعُ مِنَ الْجَائِعِ مَوْقِعَهَا مِنَ الشَّبَعَانِ»^{١٤٥}، أي مساقطه، ويقال: انتجعوا مواقع الغيث^{١٤٦}، ومواقع الغيث مساقطه، ويقال وقع الشيء موقعه، والوقية في النَّاسِ الغيبة، والوقية أيضا القتال^{١٤٧}، ومواقع الغيث مساقطه، ويقال وقع الشيء موقعه^{١٤٨}.

٢: المواقع الإسلامية اصطلاحاً: هي مجموعة الصفحات التي يحيطها نطاق إلكتروني واحد، تهدف إلى خدمة الدعوة الإسلامية: إما علماً أو عملاً أو سلوكاً^{١٤٩}.

ومن كل ما سبق يمكن صياغة تعريف إجرائي للمركب: قضية القدس في المواقع الإسلامية كما يلي: الإجراءات والأحكام التي تتعلق بالقدس الشريف عبر الصفحات الإلكترونية، ذات المنهج الإسلامي.

١٤٢ عبد الناصر الفراء: الجذور التاريخية لمدينة القدس وكيفية الحفاظ عليها، مؤتمر يوم القدس الثامن: الحول المقترحة لمستقبل مدينة القدس - أبعادها وآثارها، ١٢/١٢/٢٠٠٦م، info.wafa.ps/pdf/q17.pdf، ص ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦.

١٤٤ د عبد الفتاح العويسي: بيت المقدس Islamicjerusalem، <http://tr.edu.izu.www/>، html.definitions/ar/islamicjerusalem، ٠٨/٠٧/٢٠١٧م.

١٤٥ ابن منظور: مصدر سابق، ج ٥٨، ص ٤٠٨.

١٤٦ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي: مسند أبي يعلى، ت حسين سليم أسد، ط ١، دار المأمون للتراث، دمشق-سوريا، ٤٠٤هـ-١٩٨٤م، (١/٨٦)، رقم ٨٥.

١٤٧ محمّد مرتضى الزبيدي: مصدر سابق، ت: مصطفى حجازي، وزارة الإعلام: الكويت، ط ١٦، (١٩٨٥ - ٥١٤٠٥ م): ج ٢٢ ص ٣٥٤.

١٤٨ محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، ت: عصام فارس الحرساني، دار عمار: عمان-الأردن، ط ٩، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م)، ص ٣٥٦.

١٤٩ محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: المصدر نفسه، ص ٣٥٦.

١٥٠ نوره بنت عبد الرحمن بن علي الزاملي: معايير الجودة في المواقع الدعوية، دراسة تحليلية تقييمية على عينة من المواقع الدعوية، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير، قسم الدعوة، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ص ٣١.

المبحث الثاني: قضية القدس في الإعلام

المطلب الأول: قضية القدس في الإعلام الفلسطيني والعربي

عرفت قضية القدس مراحل إعلامية كثيرة تتعلق أغلبها بمراحل الكفاح على الأراضي المحتلة وهذه المراحل:

المرحلة الأولى: والتي شهدت بدايات الصراع بعد الابتلاء بوعده بلفور في ٢/١١/١٩١٧، واشتداد الهجمة الصهيونية والإمبريالية على اغتصاب الأرض،^{١٥١}، مما سبب قلقاً واضطراباً رافقه تحفز، فازدادت الهجمات على المستعمرات الصهيونية، ومخيمات الجنود البريطانيين، كما اشتدت عمليات تأديب الجواسيس وباعة الأراضي^{١٥٢}، ومن صحف هذه المرحلة صحيفة "سورية الجنوبية" التي تأسست في ٨ أيلول عام ١٩١٩م ويشرف على تحريرها عارف العارف، ومحمود حسن البديري، وهي جريدة سياسية أدبية، تصدر مرة واحدة في الأسبوع، ثم صدرت نصف أسبوعية، وذكر العقاد أنها هاجمت الصهايون^{١٥٣}، وعاشت الجريدة سنة مستتكرة وعد بلفور، والانتداب البريطاني، وفصل فلسطين عن سورية الكبرى^{١٥٤}.

كما قامت الحكومة البريطانية بتأسيس إذاعة هنا القدس في ٣٠ أفريل ١٩٣٦م، والتي اتخذت حي «مأمن الله» في القدس مقراً لاستديوهاتها، وكانت أوقات بثها مقسمة بين فترة إنجليزية يديرها البريطانيون، وفترة عبرية يديرها اليهود، وفترة عربية يديرها الفلسطينيون، وكان أكبر عمل قامت به الإذاعة آنذاك في الفترة المخصصة للعربية، أنها استطاعت تغطية حرب ١٩٣٦م/١٩٣٩م كاملة، والمجازر الوحشية التي قام بها الاحتلال آنذاك، كمجزرة دير ياسين^{١٥٥}.

كما عرفت فلسطين في هذه المرحلة جملة من الوسائل الإعلامية الأخرى، كإذاعة منظمة المجاهدين الفلسطينيين «وهي إذاعة سرية»، و«إذاعة الشرق الأدنى» التي كانت الإذاعة الدولية التي تبث من فلسطين (يافا)، وأنشئت في فلسطين محطة إذاعة سميت ب«إذاعة الشرق الأدنى»، ومقرها في يافا، في العام ١٩٤٢؛ وتعين الضابط البريطاني شمس الدين مارساك، الذي اعتنق الدين الإسلامي، مديراً لها منذ تأسيسها، وحتى العام ١٩٤٤^{١٥٦}، فكان للإعلام حينها الدور الفاعل

١٥١ حسين أبو شنب: الإعلام الفلسطيني في ضوء المتغيرات السياسية والتكنولوجية .. واقعه، تحديثاته، مستقبله، جريدة الحياة الجديدة، العدد ٦٥٩٠، ١٤/٠٣/٢٠١٤م، ص ٠٩.

١٥٢ محمد سيد بركة: تاريخ الإذاعة الفلسطينية .. هنا القدس: سيره بلاد ومثقفين وحياة اجتماعية واعدة، القدس العربي، <https://www.goodreads.com>، 01/05/2010م.

١٥٣ ماجد تروبان: الصحافة الفلسطينية النشأة والتطور، <https://www.majed1970.com>، ٠١/٠٤/٢٠١٧م.

١٥٤ الموسوعة الفلسطينية: الصحافة الفلسطينية، <http://www.palestinapedia.net>، ٠٢/٠٤/٢٠١٧م.

١٥٥ عمر نزال: إذاعة فلسطين الأولى هنا القدس، مجلة مدى، العدد ٧، جويلية، ٢٠١٢م، <http://www.madacenter.org>، بتصرف.

١٥٦ مركز المعلومات الوطني الفلسطيني سوافا: هيئة الإذاعة والتلفزيون، <http://ps.wafa.info>، ٠١/٠٤/٢٠١٧م.



في التأثير في الرأي العام الفلسطيني، الذي بدأ يتفاعل مع الحركات والتنظيمات السياسية، التي برزت في الساحة الفلسطينية، والتي بدورها لاحظت الدور المؤثر للإعلام، فأخذت تصدر منابر خاصة بها^{١٥٧}.

المرحلة الثانية: وتميزت بخضوع الضفة الغربية، وقطاع غزة، إلى الحكيم الأردني والمصري^{١٥٨}، فأصبحت الإذاعة تبث من رام الله، في الضفة الغربية، وانتقلت الإذاعة الفلسطينية إلى الإذاعة الأردنية، وتم افتتاحها كإذاعة أردنية أول مارس ١٩٥٩م، من العاصمة عمان، وبعد سقوط باقي الأراضي الفلسطينية تحت الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧م، صمت البث من محطة الإذاعة في رام الله، واستمر بث إذاعة المملكة الأردنية الهاشمية من عمان؛ في حين لم يكن هناك أي بث إذاعي من قطاع غزة في أثناء الإدارة المصرية^{١٥٩}.

كما عرفت المرحلة، الكثير من الرواد، في الصناعة الإعلامية بالجهود الفلسطينية الذاتية وبالإمكانات المتواضعة فنياً ومالياً، ولعل أبرز هذه الجهود ما قامت به صحيفة أخبار فلسطين بالتعاون مع أخبار اليوم، والتي أنجبت جيلاً من الصحفيين، من أبرزهم: محمد آل رضوان وزهير الريس ومحمد جلال عناية ودرويش عبد النبي وغيرهم من السابقين كهارون هاشم رشيد وخميس أبو شعبان ومن جميع أنحاء فلسطين^{١٦٠}.

المرحلة الثالثة: وفيها تم تأسيس منظمة تحرير فلسطين، وإنشاء محطة إذاعية في القاهرة باسم "صوت فلسطين"، والتي بدأت بثها الفعلي في الأول من مارس عام ١٩٦٥، لتعيد ما انقطع من البث الإذاعي الفلسطيني، بحكم نكبة^{١٦١} ١٩٤٨، والبعض يصطلح على هذه المرحلة باسم مرحلة الاحتلال الإسرائيلي^{١٦٢}، وظهرت إذاعة فلسطين في إطار إذاعة صوت العرب المصرية، وانتشر صوت فلسطين ضمن برامج عدد من الإذاعات، في عدد من الأقطار العربية، خاصة المضيفين للاجئين الفلسطينيين. كما ظهر صوت فلسطين، من خلال إذاعات مستقلة، كصوت ناطق باسم منظمة التحرير الفلسطينية، في عدد من الدول العربية، خاصة الأردن وسوريا ولبنان^{١٦٣}، وقد نجحت هذه المرحلة في خلق كوادرات متوالية، و متميزة في العطاء، والإبداع، والإنتاج الإعلامي، والثقافي، وكان للسياسة الإعلامية الواضحة المعبرة عن الفعل الوطني الفلسطيني، الأثر الأكبر في الترويج للقضية، والانتصار

١٥٧ محمود خليفة: تاريخ الصحافة المقدسية منذ نشأتها، <http://ps.wafa.info/>، ٢٠١٧/٠٤/٠٢م، ص ١٤٦، بتصرف.

١٥٨ ماجد تريان: مرجع سابق، <https://www.wordpress.majed1970.com>، ٢٠١٧/٠٤/٠١م.

١٥٩ مركز المعلومات الوطني الفلسطيني - وفا: مرجع سابق، <http://ps.wafa.info/>، ٢٠١٧/٠٤/٠١م.

١٦٠ حسين أبو شنب: مرجع سابق، ص ٠٩.

١٦١ عبدالله تايه: التطور التاريخي لإذاعة وتلفزيون فلسطين، دنيا الوطن، <https://www.pulpit.com>.

١٦٢ نسرين حسونة: الإعلام الفلسطيني ١٨٧٦ - ١٩٤٨م، <http://www.alukah.net>، ٢٠١٧/٠٤/٠١م.

١٦٣ عبدالله تايه: مرجع سابق، <https://www.alwatanvoice.com>، ٢٠٠٦/١٢/٢٠م.

لها، واستقطاب الاصدقاء، ما جعل العالم يعترف بفلسطين، ومنظمة التحرير الفلسطينية، عضواً مراقباً في الأمم المتحدة، ويزيد عدد المعترفين بمنظمة التحرير عن عدد المعترفين بالدولة الإسرائيلية آنذاك.

المرحلة الرابعة: وهي مرحلة إعلام السلطة على الأرض الفلسطينية، وفي ظل سيادة وطنية^{١٦٤}، تم خلالها إنشاء هيئة الإذاعة والتلفزيون، في ١٣/٩/١٩٩٣؛ فبدأت «إذاعة فلسطين» بثها التجريبي يوم ١٩٩٤/٧/٢م، بخطاب للرئيس ياسر عرفات، ثم ابتداء البث الرسمي، مع بداية شهر أكتوبر عام ١٩٩٤م بنشرات الأخبار، والبرامج من إنتاج محلي في استوديوهات أريحا^{١٦٥}، أما في قطاع غزة، فقد تم إنشاء محطة إذاعية ثانية تابعة لهيئة الإذاعة والتلفزيون، وهي صوت فلسطين البرنامج الثاني، وبدأت «بثها الرسمي بتاريخ ٢٠/٣/٢٠٠٠م، في مناسبة العيد الوطني "يوم الأرض"، وبساعات بث يومي بلغت ١٧ ساعة^{١٦٦}، وأدت دوراً بارزاً في فضح ممارسات الاحتلال، والعدوان الإسرائيلي أثناء انتفاضة الأقصى، وقد قامت طائرات الاحتلال بقصف موقع المنطار لبث الإذاعي والتلفزيوني في ٢٠ نوفمبر عام ٢٠٠٠م، ودمرت المكان؛ وأعيد البث بعد فترة وجيزة من مكان آخر^{١٦٧}.

وتطور البث التلفزيوني بعد أن بدأ العمل في الفضائية الفلسطينية؛ لمواكبة التطور العلمي، والرغبة في توصيل الرسالة الإعلامية الفلسطينية، إلى الفلسطينيين في الشتات، وفضح ممارسات الاحتلال في الأراضي الفلسطينية المحتلة، والوصول إلى خارج نطاق حدود الأراضي الفلسطينية؛ فبدأ «البث التجريبي على القمر المصري نايل سات ١٠١ في يناير ١٩٩٩م، وبدأ بثاً تجريبياً آخر على القمر الصناعي العربي «عربسات ٢» بتاريخ ٢٣/٦/١٩٩٩م، ثم بدأ البث الرسمي على القمرين في ٣/٧/١٩٩٩م، وزاد نطاق التغطية ليشمل الأمريكتين على القمر TELESTARS لأمريكا الشمالية؛ وعلى القمر INTELSAT لأمريكا الجنوبية، وذلك أوائل شهر يوليو ١٩٩٩م^{١٦٨}، وشهدت هذه المرحلة كمّاً هائلاً من المكاتب الإعلامية، والفنية المختلفة، ذات امتدادات مالية، وفضائية وحزبية، ومن ذلك إذاعة صوت الأقصى التي أنشئت في شهر يونيو من العام ٢٠٠٢م^{١٦٩}.

المرحلة الخامسة: وهي امتداد طبيعي لمرحلة إعلام السلطة الوطنية، والتي تبدأ مع نتائج الانتخابات

١٦٤ حسين أبو شنب: مرجع سابق، ص ٠٩.

١٦٥ مركز المعلومات الوطني الفلسطيني - وفا-: مرجع سابق، <http://ps.wafa.info>، ٠٤/١٧/٢٠١٧م.

١٦٦ خالد صيام إذاعة صوت فلسطين البرنامج الثاني بين الواقع والطموح، ps.tayeh.www □ - أقيمت في غزة في ١٦/١٠/٢٠٠١.

١٦٧ مركز المعلومات الوطني الفلسطيني - وفا-: مرجع سابق، <http://ps.wafa.info>، ٠٤/١٧/٢٠١٧م.

١٦٨ شوقي يحيى الفرا: تأثير الفضائيات الفلسطينية على الوضع الفلسطيني، «حرب غزة نموذجاً»، رسالة ماجستير في الإعلام والاتصال، مجلس كلية الآداب والتربية، قسم الإعلام والاتصال، الأكاديمية العربية المفتوحة، الدنمارك، أكتوبر ٢٠١٠، ص ٤٧، ٤٨.

١٦٩ ميرفت حوف: أهم وسائل الإعلام المؤثرة في الساحة الفلسطينية، <https://sasapost.www>، ١٤/١٧/٢٠١٧م، com.

التشريعية الثانية، ٢٥/١/٢٠٠٦، وانتقال الأغلبية البرلمانية إلى التيار الإسلامي، بزعامة حركة حماس، والتي عملت جادة على التمتع الكامل بمقومات، ومكونات السلطة، والاستحواذ على المواقع الأساسية وتنفيذ البرنامج السياسي، والإعلامي للحركة، وهو ما أحدث واقعاً إعلامياً جديداً، يخدم هذا البرنامج، فزادت المنابر الإعلامية الملتزمة بهذا البرنامج^{١٧٠}، كقناة الأقصى الفضائية التي تأسست في ٢٠٠٦م، وصحيفة فلسطين في مايو ٢٠٠٧م،^{١٧١} كما ظهرت منابر إعلامية أخرى مستقلة عن التوجهات السياسية، وأهمها فضائية القدس التي بدأت في نوفمبر ٢٠٠٨م^{١٧٢}، كما ميزت المرحلة ثورة الفيسبوك واخوانه، وتسريبات ويكيلكس، والإعلام الإلكتروني متعدد الامكانيات والاتجاهات^{١٧٣}.

المطلب الثاني: قضية القدس في الإعلام الغربي؛

إن المتأمل في مواقف الإعلام الغربي تجاه القدس، يرى أن إسرائيل نجحت على مدى عقود في استمالة، بل تدجين معظم الإعلام الأميركي والغربي عموماً، وتسخيرها لصالحها، وهذا في الواقع ليس عيباً، بل هو ذكاء، يخبر عن أن إسرائيل تخطط وتتقذ، تضع استراتيجيات وتطبقها، أدركت، وما تزال أهمية الإعلام ووسائل كسب المؤيدين، وتأليب العالم على الفلسطينيين، والعرب والمسلمين، وهي ماضية قديماً على هذا النهج، بقدراتها الذاتية كدولة، والذاتية الموضوعية من خلال لوبياتها، وجماعات ضغطها، المنتشرة في عواصم القرار الكبرى كلها، ومن خلال كبار الرأسماليين اليهود في الغرب^{١٧٤}.

فقد أظهرت متابعة دقيقة لنمط تغطية الإعلام الغربي، لأحداث انتفاضة القدس، انحيازاً فاضحاً لصالح الاحتلال الصهيوني في تناوله للأحداث، وأكد التقرير الذي أعده مركز «الدراسات السياسية والتنمية» أن السياق العام للتغطية الإعلامية الغربية، يقوم على لوم الضحية الفلسطيني، وتبرئة الاحتلال، ومعاملة الفلسطينيين على أنهم أرقام بلا أسماء، مقابل التركيز على القتلى والمصابين الصهاينة، وتبني الرواية «الإسرائيلية» للأحداث، وهو النسق الذي اتبعه الإعلام الغربي ولا يزال، في تغطيته للأحداث، باستثناء بعض الإعلام الليبرالي واليساري^{١٧٥}.

وفي قراءة رقمية لكيفية تغطية الإعلام الأميركي، للانتفاضة الفلسطينية، التي أعدها مركز الدراسات السياسية والتنمية، رصد سريع لمنهج اعتمده من ناحية تجاهل القاتل الإسرائيلي، وعادة ما يكون في صياغة المبني للمجهول، في حين يتصدر الخبر المسألة التي تهدف إلى التعاطف

١٧٠ حسين أبو شنب: مرجع سابق، ص ٠٩.

١٧١ ميرفت عوف: مرجع سابق، <https://www.sasapost.com>، ٢٠١٧/٠٤/١٤م.

١٧٢ ميرفت عوف: المرجع نفسه، <https://www.sasapost.com>، ٢٠١٧/٠٤/١٤م.

١٧٣ حسين أبو شنب: مرجع سابق، ص ٠٩.

١٧٤ حسان بن جنو: دور الإعلام في الحدث الفلسطيني، <http://net.aljazeera.com>، ٢٠١٧/٠٤/١٤م.

١٧٥ المركز الفلسطيني للإعلام: انتفاضة القدس في الإعلام الغربي .. مهنية مفقودة وانحياز للاحتلال، <https://www.palinfo.com>، ٢٠١٧/٠٤/١٤م.



مع الجانب الإسرائيلي، مثلاً: «اعتداء على معبد إسرائيلي، ومقتل أربعة فلسطينيين»، كان عنواناً لخبر حول ما جرى من حرق لبعض من قبر يوسف في نابلس، الذي بات مكاناً دينياً إسرائيلياً، دون إشارة في مضمون الخبر إلى أنه يقع ضمن الأراضي الفلسطينية، وكان الأمر هجوم فلسطيني على إسرائيل^{١٧٦}.

وفي الـ ١٤ من شهر سبتمبر ٢٠١٥م نشرت صحيفة النيويورك تايمز، وشبكة cnn، تقارير عن «التوترات المتزايدة في المسجد الأقصى في القدس»، مؤكدة أن الجانب الوحيد الذي يجب أن يلام هم الفلسطينيون، على عدم رغبتهم في القبول بحق إسرائيل في الوجود، وتشير وسيلتنا الإعلام هاتين، إلى أن ما يحدث ليس ذنب المتطرفين، الذين يخططون لتدمير المسجد الأقصى، ولا ذنب السياسات الإسرائيلية الأخيرة التمييزية، لتقييد وصول المسلمين للمسجد الأقصى، في الوقت الذي تمنح فيه حرية كاملة للمستوطنين المتطرفين، للدخول، وفي نهاية المطاف، ووفقاً لصحيفة نيويورك تايمز، ما يحدث مشكلة للفلسطينيين الشباب «حامى الصدور»^{١٧٧}.

أما شبكة «إن بي سي» الأميركية، فقد نشرت خارطة توضح كيفية انتقال الأراضي الفلسطينية، منذ عام ١٩٤٨م، حتى اليوم، إلى الإسرائيليين، عبر أربع خرائط توضيحية، قام اللوبي الصهيوني بانتقاد الشبكة، وهي مناصرة لإسرائيل، وطلب منها تعديل الخرائط، أو الالتزام بعدم نشرها بالمستقبل، وأذعن الشبكة، وتعهدت «بتصحيح الخرائط»، عند نشرها في المستقبل^{١٧٨}، وفي تقرير حمل عنوان «هل تغذي مواقع التواصل الاجتماعي العنف الفلسطيني الإسرائيلي؟» تبنت شبكة بي بي سي البريطانية، الرواية الصهيونية بوقوف مواقع التواصل الاجتماعي، خلف ما أسمته «التحريض الفلسطيني»، ونشرت صورة لأحد القتلى الإسرائيليين في عملية الباص الشهيرة في القدس، كما نشرت رسماً بيانياً، يوضح زيادة نسبة عمليات الطعن في العام الحالي، دون أن تبذل جهداً مماثلاً فيما يتعلق بتصعيد العدوان، وتوالي ارتقاء الشهداء ووقوع الجرحى الفلسطينيين، وفي مقال نشره موقع الانتفاضة الإلكترونية، حول تغطية البي بي سي للأحداث، أشارت الناشطة البريطانية أمينة سليم، إلى أن الإذاعة أشارت في برنامجها الشهير «اليوم» إلى «مقتل ٥٠ شخصاً تقريباً»، في إحياء ضمني أن كلهم من «الإسرائيليين»، وهو ما يناهض الحقيقة^{١٧٩}.

ومما سبق يتضح الميول الغربي، للرأي والموقف الصهيوني، في رؤيته لقضية القدس خاصة، وفلسطين عامة، والعارف بحصة الكيان الإسرائيلي من الإعلام العالمي، لا يستغرب من هذه الرؤى، حول القضية، إذ يتربع روبرت ماردوخ اليهودي على أكثر من ٨٠ بالمائة من الإعلام العالمي، مما يعني أن جل الإعلام القائم تحت سيطرته، وبالتالي لا عجب من خدمته للأراء والمواقف التي تخدم مواقفه واتجاهاته.

١٧٦ هاني حبيب: انتفاضة الكرامة: الإعلام الأمريكي .. خداع وتزوير ، <http://www.ps.ayyam-al.com/ps.ayyam-al.com/2017/04/14>.

١٧٧ هاني أبو عشيبة: التغطية الإعلامية الأمريكية للانتفاضة الفلسطينية الثالثة، <http://ps.cpbs.com/ps.cpbs.com/2017/04/14>.

١٧٨ هاني حبيب: مرجع سابق، <http://www.ps.ayyam-al.com/ps.ayyam-al.com/2017/04/14>.

٢٤٨ المركز الفلسطيني للإعلام: مرجع سابق، <https://www.palinfo.com/palinfo.com/2017/04/14>.

المبحث الثالث: نتائج الدراسة المتعلقة التحليلية

الموقع الذي سيتم تطبيق الدراسة النظرية عليه هو: موقع قناة القدس الفضائية، الذي يهتم بالقضية الاولى للمسلمين، وهي قضية الأقصى الشريف، الذي يعتبر حق شرعي اثبتته التاريخ للمسلمين، وأن اليهود مجرد دخلاء على الأرض، حيث انها كانت للكنعانيين من قبل، وهم من العرب، وتم اغتصابها مرات من مختلف انواع الاحتلال، وفي كل مرة يطهرها ويسترجعها المسلمون، وفي آخر نهب للأرض الذي كان تحت الوصاية البريطانية بعد وعد بلفور، انتدبت هذه الاخيرة على الارض، ثم سلمتها لليهود وهي أهلة بالمسلمين والمسيحيين ولاخلاء البلاد لليهود فقط، تم ابعاد العرب عن ارضهم عام ١٩٤٨م مع الكثير من المجازر لابادتهم، بتواطؤ دولي، وسكوت عربي، ومع ذلك، فقد ظهرت العديد من انواع المقاومة لهذا الإرهاب، من تلك الحقبة إلى اليوم، حيث تنوعت وسائل المقاومة وكثرت، فلم تعد قاصرة على الحجر أو السلاح، إذ شقت طريقها في ظل التطور التكنولوجي، لتصنع منابر حرة، تدافع عن قضية القدس، وتبين أحقية المسلمين بها، وتفضح جرائم الاحتلال، ويطشه للانساني، ومن بين هذه المنابر باقة قنوات القدس الفضائية التي تبث بتشكيلات كثيرة، ومن بينها النافذة الإلكترونية الخاصة بها، وهو ما جعلها موضوع الدراسة التحليلية الخاصة بهذا البحث، من أجل معرفة واقع القضية عبر هذا المنبر وتقييمها.

التعريف بالقناة:

هي قناة تلفزيونية عربية تعنى بالشأن الفلسطيني، مرخصة في لندن ولها مكاتب في قطاع غزة والضفة الغربية وبيروت ودمشق، تملكها شركة راديو وتلفزيون القدس، وتبث باللغة العربية على مدار ٢٤ ساعة، ورسالة القناة هي إبراز أهمية فلسطين والقدس للأمة العربية والإسلامية ومركزيتها، والتأكيد على عدالة قضيتها، وتصحيح الفهم تجاهها عربياً ودولياً، والعمل على حشد الجهود والطاقت لدعمها ومساعدة أهلها، وتوثيق أخبارها ووقائعها، ضمن سياسة تحريرية متوازنة، تلتزم بمبادئ العمل الإعلامي وأخلاقياته، وتطمح القناة أن تكون الخيار الأول للمشاهد الفلسطيني والعربي المهتم بالشأن الفلسطيني تحت شعار القدس موعداً^{١٨}.

فئات ماذا قيل: * فئة الموضوع * فئة المصادر * فئة الجمهور * فئة الأهداف.
فئات كيف قيل: * فئة اللغة * فئة الأساليب.

وحدات القياس: الوحدة المعتمدة في هذه الدراسة هي: الفكرة.

مجتمع البحث: هو كل ما ينشره موقع قناة القدس الفضائية، من مواد كالأخبار والتقارير والبرامج... الخ.

عينة الدراسة: بما أن نوافذ الموقع، وتشعباته كثيرة، خصوصاً لما نعرف أن الموقع هو صفحة الكترونية لفضائية القدس، فإنه يتعذر علينا تحليل ودراسة كل ما يعرضه الموقع من مادة علمية، في فترة وجيزة، لهذا تم تحديد العينة في أحد أركان الموقع فقط، وهي ركن الأخبار كونها أكثر عنصر متجدد في الموقع، وبالتالي فالعينة هي كل الأخبار التي نشرها الموقع لمدة شهر، اختيرت

١٨ قناة القدس الفضائية: www.qudstv.com، ٢٠١٧/٠٥/٣٠م.

أيامه بواسطة الدورة الصناعية حيث نختار من كل أسبوع يوم على التوالي، وكانت الأيام التي تم تحليل أخبارها كالاتي: الخميس ٢٠١٧/٠٦/٠١م، والجمعة ٢٠١٧/٠٦/٠٩م، والسبت ٢٠١٧/٠٦/١٧م، والأحد ٢٠١٧/٠٦/٢٥م، والاثنين ٢٠١٧/٠٧/٠٢م.

٠١- الموضوعات التي يتناولها هذا الموقع عن القدس.

جدول رقم (٠١): يبين توزيع الموضوعات في عينة الدراسة.

موقع قناة القدس الفضائية		نوع الموضوعات	
		ك	%
85	26.81 %	انتهاكات سلطات الاحتلال وأذنايه	
50	15.77 %		
36	11.35 %		
32	10.09 %		
26	8.20 %		
26	8.20 %		
25	7.88 %		
13	4.10 %		
09	2.83 %		
06	1.89 %		
05	1.57 %		
04	1.26 %		
317	100 %	المجموع	

مواضيع أخرى
المسجد الأقصى وتاريخه
الاستيطان مصالحة الأراضي
الأسرى
الدعم العربي الإسلامي
اللاجئين
اصداعات المستوطنين
تهويد القدس
الظروف المعيشية
الانتفاضة الثالثة ومشاكلها

يتضح من خلال هذا الجدول، أن المواضيع التي يهتم بها موقع قناة القدس الفضائية، في الأخبار التي يعرضها تتنوع لتشمل مختلف عناصر القضية الفلسطينية، وتتركز أعلى نسب اهتماماته، في الحديث عن انتهاكات سلطات الاحتلال أذنايه، والتي تمثل نسبة ٢٦,٨١٪، وتشمل الاخبار التي تبين تجاوزات المحتل المتنوعة، مثل: «أعمال تجريف وإخطارات جنوب جنين»، «قرار إسرائيلي بإلغاء تصاريح الأسر الفلسطينية من الضفة للداخل»، «الاحتلال يخفّض خطوط الكهرباء

المغذية لقطاع غزة”.

وسجل موضوع المسجد الأقصى وتاريخه، نسبة ٢٥،١١٪، من خلال الأخبار التي تبين أصله الإسلامي، والتمسك الفلسطيني به، ك: “مدفع رمضان حاضر في القدس أكثر من ٣٠ عاماً”، “٨٧ عاماً على إعدام أبطال ثورة البراق”

أما موضوع مصادرة الأراضي والاستيطان، فقد سجل نسبة ١٠،٠٩٪، للدلالة على أهمية الموضوع، وخطورته ومن الأمثلة على ذلك: «خطة تشمل بناء أكثر من ألفي وحدة استيطانية شرقي القدس المحتلة»، “بروكسل: وفد فلسطيني يناقش عقد مؤتمر دولي حول الاستيطان”.

واحتل موضوع الأسرى نسبة ٢٠،٠٨٪، ومن الأمثلة على ذلك: «اقتحمت وحدات كبيرة من قوات القمع التابعة لمصلحة السجون الإسرائيلية «المتسادا»، قبيل ظهر يوم الاثنين، قسم ١٣ في سجن النقب جنوب فلسطين؛ وأجبرت الأسرى على مغادرته، وأجرت تفتيشات، مستخدمة الكلاب البوليسية»

وحازت المواضيع المتفرقة التي تخص أحوال شتى انحاء العالم، بشرقه وغربه، نسبة ١٥،٧٧٪، مثل: «علماء فلسطين تعزي بوفاة الداعية محمد الراوي»، “العليا» بالسعودية: تحري هلال عيد الفطر مساء السبت... الخ.

بينما توزعت باقي النسب، بأرقام متقاربة على باقي عناصر القضية الفلسطينية كقضية اللاجئين بنسبة ١٠،٠٤٪ مثل: «تعهد الاتحاد الأوروبي بمساعدات بقيمة ٨٢ مليون يورو لوكالة الأمم المتحدة، لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا) خلال العام الجاري»، “وحضي موضوع الدعم الغربي والإسلامي على نسبة ٢٠،٠٨٪، ٧،٨٨٪ بالترتيب، ما يدل على أن الدافع الإنساني لتصرة قضية القدس العادلة، فاق الدافع الإسلامي، ومن الأمثلة على ذلك: «جامعتان بتشيلى تلغيان فعاليات دعمتها سفارة الكيان الإسرائيلي»، “الصحة العالمية: تصوت بأغلبية لصالح قرار يخص فلسطين”، “باكستان: وقفة تضامنية نسوية مع الأسرى”، “ماليزيا تمنع فعالية للاحتفال باحتلال القدس”.

أما الموضوعات التي تهتم بالطابع السائد في فلسطين فقد سجلت الأرقام التالية بالترتيب: الظروف المعيشة في فلسطين: ٥٧،٠١٪، مثل: «٢٨ ألف شيقل غرامات بحق الأشبال في عوفر، بينما أحداث الانتفاضة سجلت نسبة: ٢٦،٠١٪، مثل: «إصابة جندي إسرائيلي بطعنة شمال الضفة»، و«إصابة مستوطن شرق نابلس بعملية طعن واعتقال المنفذ»، ووصلت نسبة اعتداءات المستوطنين إلى ٨٢،٠٢٪، ك: «آلاف المستوطنين يشاركون بمسيرة حمل الأعلام بالقدس»، مما يدل على أن الظروف المعيشة في فلسطين، والروتين الطبيعي، بات يدور حول المعاناة من ظروف معيشية صعبة، واعتداءات المستوطنين، ومعايشة أحداث الانتفاضة، ومنه يتبين أن الموقع ينقل صورة الوضع العام في فلسطين، من خلال نشر هذه الأخبار، ليتأكد للجمهور، أن الحياة في الداخل الفلسطيني تفتقر إلى أدنى مستويات الإنسانية.



٠٢- أهداف التي يسطرها الموقع.

جدول رقم (٠٢): يبين توزيع الأهداف في عينة الدراسة.

موقع قناة الأقصى الفضائية		الأهداف	
		ك	%
		فضح جرائم الاحتلال واذنابه	
31.94 %	100		
	14.69 %	46	
	12.14 %	38	
	08.62 %	27	
	07.98 %	25	
	07.98 %	25	
	06.70 %	21	
	06.38 %	20	
	02.23 %	07	
	01.27 %	04	
100%	313	المجموع	

يتضح من خلال الجدول، أن أكبر هدف، تم استخلاصه من تحليل العينة، تمثل في فضح جرائم الاحتلال واذنابه، وذلك بنسبة ٢١,٩٤ %، أما الهدف الثاني، فتمثل في نقل مشاهد الحياة، والمعاناة، والصمود الفلسطيني، وسجل نسبة ١٤,٦٩ %، من أجل تعريف العالم، شعوبه وحكومات بالأوضاع المزرية، التي يحيهاها الفلسطينيون، وثالث الأهداف، تمثل في التعريف بالمسجد الأقصى، وتاريخه والدفاع عنه، وحاز نسبة ١٢,١٤ %، مما يدل على أن موقع القناة، متوافق مع أهدافه العامة، وتم تسجيل نسبة ٠٨,٦٢ %، في أهداف أخرى خارج التصنيفات المدروسة.

كما تبين تساوى حضور هدف كشف مخططات التهويد والاستيطان، مع هدف بيان الدعم الغربي للقضية، بنسبة ٠٧,٩٨ %، للدلالة على أهمية العنصرين، حيث أن التهويد والاستيطان، أكبر التحديات التي يعيشها الداخل الفلسطيني، والدعم الغربي أكبر دعم للقضية، من خارج فلسطين، كمتنافس ومساندة للصمود أمام هذه الصعوبات، كما يتضح من خلال هذا، الرغبة في تحفيز الدول العالم وشعوبه أكثر، لمناصرة القضية، لاتفاق الجميع على عدالتها، ثم يأتي بعد ذلك هدف نقل معاناة الأسرى، الذي سجل نسبة ٠٦,٧٠ %، ليعتدنى للعالم الإطلاع على الجرائم، التي يرتكبها

الاحتلال، والتي تخالف كل المواثيق الدولية، فيما يخص الأسرى.

ثم يأتي بعده هدف بيان الدعم العربي والإسلامي، الذي لم يفلح حتى في التساوي مع الدعم الأجنبي، الذي ينطلق من منطلق الانسانية فقط، على غرار العربي والاسلامي، المتعدد الأسباب الكفيلة باستحقاق الدعم الكبير، كما لم يهمل الموقع قضية اللاجئين، التي كان لها نصيب من أهدافه، من خلال التذكير بحقوقها، حيث سجل نسبة ٢٢، ٠٢٪، وآخر هدف تم التوصل إليه من خلال تحليل العينة المدروسة، هو نقل أحداث الإنتفاضة الثالثة، والذي سجل: ٢٧، ٠١٪، ومنه يمكن القول أن هذه الاهداف الجزئية، تشكل مجتمعة، جسور اتصال مع للاهداف العامة للموقع.

٠٣- المصادر تناول هذا الموقع لموضوع القدس.

جدول رقم (٠٢): يبين توزيع المصادر في عينة الدراسة.

موقع قناة الأقصى الفضائية		المصادر المعتمدة	
		ك	%
35	57.37 %	القناة	
09	14.75 %	المصادر المعتمدة الإعلام العربي (جرائد ومواقع وقنوات) لقاءات وتصريحات مصادر مختلفة من محطات أخرى وإثاق وقوانين شهود عيان وكالات الأنباء	
05	08.19 %		
04	06.55 %		
04	06.55 %		
03	04.91 %		
01	01.63 %		
61	100%	المجموع	

من خلال هذا الجدول، يتضح أن أكثر المصادر معتمدة، من طرف موقع قناة القدس الفضائية، في نشر الأخبار هي قناة القدس الفضائية، إذ تسجل الحضور بنسبة ٥٧، ٣٧٪، وذلك يرجع إلى المكاتب المتعددة التابعة لها في مختلف دول العالم، مما جعلها تتجمع في تغطية شتى الاحداث العالمية المتعلقة بالقضية، بواسطة طواقمها، أما المصدر الثاني مرتبة، فهو إعلام العدو، الذي سجل نسبة ١٤، ٧٥٪، حيث يعتمد عليه الموقع، في نقل شؤون الداخلية للاحتلال، وفضح خططهم التي بات يُجهر بها أمام كل العالم، أو نشر تصريحات قيادات الاحتلال التي لها علاقة بالقضية الفلسطينية ومن الأمثلة على ذلك: «وحسب القناة العبرية العاشرة، في أعقاب عملية القدس أجرى نتياهو مشاورات أمنية...»، و«ووفقاً لما نشره المحلل العسكري في صحيفة «معاريف» العبرية «عمير رففورت»: اجتمع ضباط كبار في الجيش...».

كما اعتمد الموقع في مصادره الإعلامية على إجراء لقاءات وأخذ تصريحات من مختلف

الشخصيات وكان ذلك بنسبة ٠٨,١٩٪، ك: و» وقال رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين عيسى قراقع في تصريح صحفي، إن وحدات كبيرة اقتحمت القسم...»، و« أفاد الناشط الإعلامي محمد عوض، أن قوّة عسكرية من جيش الاحتلال...»، كما اعتمد الموقع على مصادر تابعة لمحطات إعلامية أخرى بنسبة ٠٦,٥٥٪، ومن أمثلته، « أكدت إذاعة صوت الأسرى أن أسيرين من قطاع غزة...»، و« قالت عضو جمعية «إعلاميون من أجل فلسطين» الصحفية رحاب الحمروني «للأناضول» إننا نهدف من خلال هذه الوقفة...».

و بنفس النسبة تم ملاحظة رجوع هذا المنبر الإعلامي إلى مختلف القوانين والمواثيق الدولية سواء لنشر المستجد منها، أو بيان المخالفات الدولية التي يقوم بها الاحتلال وإقامة الحجة عليه مثل: « تعهد الاتحاد الأوروبي بمساعدات بقيمة ٨٢ مليون يورو لوكالة الأمم المتحدة، لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا) خلال العام الجاري »، كما لم يفت الموقع الرجوع إلى شهادات الشهود عيان، بنسبة ٠٤,٩١٪، كونهم من أهم المصادر المعتمدة إعلامياً، في الحوادث للتأكيد على الخبر وإثبات صحته، ومن ذلك: « وذكر شهود عيان، أن مركبات إسعاف إسرائيلية...»، ورجع الموقع إلى وكالة الأنباء الفلسطينية، في بعض أخباره، بنسبة ٠١,٦٣٪. ومن الأمثلة على ذلك: « وذكرت وكالة الأنباء الرسمية، أن قوات الاحتلال المتمركزة في الأبراج العسكرية...»، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل، على حرص الموقع على التنوع في المصادر المعتمدة في نشر الاخبار، لزيادة نسبة مصداقيته، مما يجعله يحظى بالقدر العالي من الثقة التي تستقطب أكبر عدد من الجمهور.

٠٠٤ - الجمهور المستهدف من وراء تناول الموقع لموضوع القدس.

جدول رقم (٠٤): يبين توزيع الجمهور المستهدف في عينة الدراسة.

موقع قناة الأقصى الفضائية		الجمهور المستهدف	
		ك %	
205	42.97 %	الفلسطينيون	الجمهور المستهدف شعوب العالم ومؤسسات دولية العرب والمسلمون
139	29.14 %		
133	27.88 %		
477	100%	المجموع	

من خلال الجدول، يتضح أن الجمهور المستهدف من الاخبار التي ينشرها الموقع، متنوع وذلك لطبيعة الموقع، وطابعه الموضوعي، وبالتالي فقد كانت النسب المسجلة في الجمهور، متقاربة إلى حد كبير بين مختلف الأنواع، إذ سجل الجمهور الفلسطيني، نسبة ٤٢,٩٧٪، وكان ذلك في الاخبار التي تتنقل المشاهد اليومية، والقوانين والمستجدات، التي ينبغي أن يكون الفلسطيني، أول من يتلقاها، بالإضافة إلى الاخبار، التي تحمل الدعم النفسي، أو المادي، للشعب الفلسطيني، مما يشد من أزره ويقويه ومن الأمثلة على ذلك: « أعلن رئيس الهيئة العامة للشؤون المدنية الوزير حسين الشيخ،

الخميس، أن معبر الكرامة سيعمل ٢٤ ساعة، ابتداءً من ٢٠ يونيو الجاري، وحتى أكتوبر طيلة أيام الأسبوع، ما عدا أيام الجمعة والسبت“، و“قرر رئيس الوزراء الإسرائيلي، إلغاء جميع التصاريح لأسر من الضفة الغربية...”

أما ثاني فئة من الجمهور فهو الجمهور العالمي قيادة وشعباً، بنسبة ٢٩,١٤ ٪، كون الموقع ذو مكاتب في مختلف البلدان، وبيت الموقع مواد الإعلامية، للمتلقى العالمي، لتوسيع دائرة المؤيدين للقضية، بعد الاطلاع على الجرائم اللا إنسانية، التي يرتكبها الاحتلال مراراً وتكراراً، وما ينشره الموقع من صور الدعم الغربي للقضية، دلالة على نجاح الإعلام الموضوعي والحر في إيصال الرسالة للغرب، والتي تمكنت من تحريك الحس الإنساني فيهم، من خلال حملات النصرة للفلسطينيين، والمقاومة للاحتلال التي تظهر بين الحين والآخر، ومن الأمثلة على ذلك: «كانت قوات الانتداب البريطاني اعتقلت جمجوم وحجازي والوزير، مع مجموعة من الشبان الفلسطينيين إثر ثورة البراق»، التي اشتعلت شرارتها عندما تظاهر مستوطنون بتاريخ ١٤ آب ١٩٢٩ لمناسبة ما يسمى ذكرى تدمير الهيكل“.

وآخر فئة من الجمهور فهو العالم العربي والإسلامي، قيادة وشعباً، بفارق صغير عن الجمهور العالمي، حيث سجل ٢٧,٨٨ ٪، وسعى الموقع من خلاله إلى نقل مشاهد المعاناة الفلسطينية، والندس الذي يتعرض له الأقصى، والحملات المؤيدة التي تقوم بها بعض الدول العربية والإسلامية، ضف له مشاركة المسلمين مختلف المناسبات الدينية لتتمية الحس الإسلامي والعربي أكثر، ومن الأمثلة على ذلك: «دعت المحكمة العليا في السعودية الخميس، إلى تحري رؤية هلال شهر شوال لهذا العام، الذي يحدد بداية عيد الفطر»، و“وقال مدير المسجد الأقصى الشيخ عمر الكسواني إن: هذه الجموع أتت للدفاع عن المسجد الأقصى، وللتأكيد على إسلاميته وللرباط فيه فهنيئاً لكم... الخ.

المطلب الثاني: نتائج الدراسة المتعلقة بفئة الشكل

٠١- الأساليب المستعملة في تناول هذا الموقع لموضوع القدس.

جدول رقم (٠٥): يبين توزيع الأساليب الإقناعية في عينة الدراسة.

موقع قناة الأقصى الفضائية		الأساليب الإقناعية	
		ك %	
84.39 %	238	الأساليب العقلية	الأساليب العاطفية
15.60 %	44		
100 %	282	المجموع	

من خلال الجدول، يتضح أن أكثر الأساليب المعتمدة، هي العقلية، بنسبة ٨٤,٣٩ ٪، وذلك لطبيعة المادة المحللة، وهي الاخبار، التي تتطلب الأسلوب العقلي، ومن الأمثلة على ذلك: «إصابة

جندي إسرائيلي بطعنة شمال الضفة»، «إصابات بالرصاص الحي في مواجهات شرق غزة»... الخ
كما يتخلل المادة المحللة، بعض ملامح، الأساليب العاطفية، التي سجلت نسبة ١٥,٦٠٪، من
خلال شهادات شهود العيان، وتصوير بعض الجرائم المنفذة من طرف الإحتلال، الهادفة إلى كسب
تأييد عالمي، وفضح جرائم الإحتلال، ومن الأمثلة على ذلك: استعمال الكلمات التالية: «عريديات
واعتداءات المستوطنين»، «محاولات احتلالية لإيقاف صوت مدفع رمضان»، و«وزعم موقع اللاه
نيوز»... الخ.

٢٠٠٢- اللغة المستخدمة في الموقع أثناء تناوله لموضوع القدس
جدول رقم (٠٦): يبين توزيع اللغة المستخدمة في عينة الدراسة.

اللغة المستخدمة		موقع قناة الأقصى الفضائية
ك		
لغة عربية فصحي بسيطة	247	% 100
لغات أجنبية	0	% 0
لغة عامية	0	%
المجموع	247	% 100

يتضح من الجدول أن اللغة المستخدمة في هذا الموقع، هي اللغة العربية الفصحى البسيطة،
بنسبة ١٠٠٪، وذلك لاعتبارات كثيرة أهمها، طبيعة المادة المدروسة، وهي الاخبار، التي تتطلب لغة
بسيطة، كما يتضح أن استخدام هذه اللغة، راجع إلى طبيعة الجمهور المستهدف، الذي اتضح انه
جمهور متنوع ومتعدد، منه ما هو محلي، ومنه ما هو عربي، ومنه ما هو عالمي، واعتماد الموقع
على لغة واحدة، يتطلب منه ان تكون فصحي بسيطة، يسهل فهمها عند كل العرب، على خلاف لو
كانت لهجة فلسطينية عامية، فانها تجعل الموقع جهوي، وخاص وضيق.

كما أن هذه اللغة تسهل الترجمة بالنسبة للجمهور العالمي، حيث أنها في المتناول، ولا تحمل
تايلات متعددة، تصعب معها الترجمة كما يحدث في الأسلوب العاطفي، ومن الأمثلة على ذلك: «آلاف
المستوطنين يشاركون بمسيرة حمل الأعلام بالقدس»، و«إصابات بالرصاص الحي في مواجهات شرق
غزة»، و«جامعتان بتشيلي تلغيان فعاليات دعمتها سفارة الكيان الإسرائيلي»، و«يغدو الإسرائيليون
تخسر ١٩٠ مليون يورو بفعل المقاطعة»... الخ.

خاتمة:

وفي الختام يجدر الإشارة إلى أهم ما تم التوصل إليه من نتائج والتي كانت كما يلي:

١٠٠- النتائج المتعلقة بالدراسة النظرية:

- أن أحق الناس بالقدس هم العرب المسلمين، باستناد إلى الحقائق التاريخية، التي بينت أن عمرها ٢٨ قرن وبنائها ملكي صادق، وأن البيوسيين الذين هم العرب البائدة، سكنوها قبل سيدنا داوود الذي نحن أحق به من اليهود.

- أن أسماء القدس، تعددت واختلفت من عصر لآخر، وأشهر الأسماء التي أطلقها عليها المسلمون، بيت المقدس، والقدس، والقدس الشريف.

- أن قضية القدس في الإعلام العربي والإسلامي، عرفت خمس مراحل، بداية من الانتداب البريطاني، إلى اليوم، وتميز الإعلام في جميع هذه المراحل، بالمقاومة والمواجهة الإعلامية القوية، للهجمات البريطانية، أو الصهيونية على حد سواء، وأن أغلب الإعلام العربي المقاوم، كان فلسطيني المنبت، وأما الإسلامي منه، فلم يبلغ للتطلعات المرجوه، ويتلخص في المحاولات الفرعية غير الحكومية، ما عدا الفترة التي لحقت فيها الضفة بالأردن فبثت إذاعتها من هناك وغزة بمصر فبثت إذاعة لها من هناك، والتي كانت جد متأخرة عن انطلاق البث الأردني.

- أن ظهور الخلافات السياسية في الساحة الفلسطينية، أنتج نوعاً آخر من الإعلام، وهو الإعلام المادج بأيدولوجيات كل فصيل، كما ساهم هذا النوع من الانقسام، في ظهور الإعلام الموضوعي المحايد، مثل قناة القدس بمختلف باقاتها.

- أن أغلب مواقف الإعلام الغربي الرسمي من القضية الفلسطينية، دائمة الانحياز لمواقف الإحتلال، لهذا يعد من أهم وسائل إخفاء الحقائق، وتحريض الآخر على الجانب الفلسطيني وكسب التأييد العالمي للكيان الصهيوني، والذي يرجع للتحكم اليهودي في الإعلام العالمي بنسبة ٨٢٪، وهو ما يبرر المواقف العالمية المخزية للعدالة فيما يتعلق بقضية القدس.

٠٢- النتائج المتعلقة بالدراسة التحليلية: يتضح من خلال النتائج المسجلة في الدراسة التحليلية أن:

- أكثر الموضوعات التي يهتم بها موقع قناة القدس الفضائية، في مجالته للقضية الفلسطينية، هو موضوع انتهاكات سلطات الإحتلال وأذنابه، حيث سجل نسبة: ٢٦,٨١٪، ثم يليها موضوع المسجد الأقصى وتاريخه والدفاع عنه بنسبة: ١١,٣٥٪، ثم الاستيطان ومصادرة الأراضي بنسبة: ١٠,٠٩٪، ثم الأسرى بنسبة: ٠٨,٢٠٪، بينما سجلت قضية اللاجئين نسبة: ٠٤,١٠٪، والظروف المعيشة في فلسطين: ٠١,٥٧٪، وأحداث الانتفاضة: ٠١,٢٦٪، اعتداءات المستوطنين: ٠٢,٨٣٪، والمتبقي كان في تناول المواضيع المتفرقة.

- الأهداف التي ركز عليها الموقع، تمثلت في فضح جرائم الإحتلال وأذنابه، بنسبة: ٣١,٩٤٪، ونقل مشاهد الحياة، والمعاناة، والصمود الفلسطيني، بنسبة: ١٤,٦٩٪، والتعريف بالمسجد الأقصى، وتاريخه والدفاع عنه، بنسبة: ١٢,١٤٪. وسجل: بيان الدعم الغربي للقضية، بنسبة: ٠٧,٩٨٪، ونقل معاناة الأسرى، بنسبة: ٠٦,٧٠٪، وبيان الدعم العربي والإسلامي بنسبة: ٠٢,٢٪، ونقل أحداث الإنتفاضة الثالثة، بنسبة: ٠١,٢٧٪.

- أكثر المصادر المعتمدة من الموقع، هي القناة الرسمية للموقع، بنسبة: ٥٧,٢٧٪، ثم إعلام العدو، بنسبة: ١٤,٧٥٪، يليه تصريحات الشخصيات والهيئات، بنسبة: ٠٨,١٩٪، أما المصادر التابعة



لمختلف المحطات فسجلت نسبة: ٠٦,٥٥٪، وسجل الشهود العيان نسبة: ٠٤,٩١٪، ووكالة الانباء الفلسطينية نسبة: ٠١,٦٣٪.

- يتضح من التحليل أن الجمهور المستهدف من الموقع، هو ثلاث أنواع أوله الفلسطينين، الذي سجل نسبة ٤٢,٩٧٪، ثم الجمهور العالمي، بنسبة ٢٩,١٤٪، يليه العرب والمسلمون بنسبة ٢٧,٨٨٪.

- اعتمد الموقع في الأخبار التي ينشرها على نوعين من الأساليب، الأول منها العقلية، بنسبة ٨٤,٣٩٪، ثم العاطفية بنسبة ١٥,٦٠٪، أما فيما يخص اللغة، فكانت النسبة الأكبر في الاخبار التي ينشرها الموقع باعتبارها هي المادة المحللة، هي اللغة العربية الفصحى، بنسبة ١٠٠٪، حيث ينعدم أي وجود للغة العامية، أو الأجنبية، أو الفصحى المعقدة.

هذا وماكان فيه من صواب فمن الله وحده، وماكان من عوج، أو خطأ، فمن نفسي والشيطان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم
كتب السنة:

- أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي: مسند أبي يعلى، ت حسين سليم أسد، ط ١، دار المأمون للتراث، دمشق-سوريا، ١٤٠٤-١٩٨٤م، (٨٦/٠١)، رقم ٨٥.
- المعاجم اللغوية:
- ٠١- ابن منظور: لسان العرب، ط ١، دار صادر - بيروت، (د ت).
- أحمد بن فارس بن زكرياء: معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مصر، ٥٥، ص ٦٣.
- ٠٢- محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، ت: محمد صديق المنشاوي، ط ١، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، ص ١٤٨.
- ٠٣- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، ت: عصام فارس الحرساني، دار عمار: عمان-الأردن، ط ٩، (١٤٢٥-٢٠٠٥م).
- ٠٤- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مصطفى حجازي، وزارة الإعلام: الكويت، ط ١٦، (١٤٠٥ - ١٩٨٥ م) ج ٢٢ ص ٣٥٤.
- ٠٥- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، ت: عبد المجيد قطامش، ط ١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ج ٣٩، ص ٣١٠.
- الرسائل الجامعية
- ٠١- نورة بنت عبد الرحمن بن علي الزاملي: معايير الجودة في المواقع الدعوية، دراسة تحليلية تقييمية على عينة من المواقع الدعوية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، قسم الدعوة، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، مجالات:
- ٠١- حسين أبو شنب: الاعلام الفلسطيني في ضوء المتغيرات السياسية والتكنولوجية .. واقعه، تحدياته، مستقبله، مجلة الحياة العدد ٦٥٩٠، ١٤/٠٣/٢٠١٤م، كتب عامة:
- محمد سيد بركة: تاريخ الإذاعة الفلسطينية .. هنا القدس: سيرة بلاد ومثقفين وحياة اجتماعية واعدة، القدس العربي، ٠١/٠٥/٢٠١٠م.
- مواقع إلكترونية:
- ٠١- خالد صيام إذاعة صوت فلسطين البرنامج الثاني بين الواقع والطموح، www.tayeh.ps . أقيمت في غزة في ١٦/١٠/٢٠٠١ .
- ٠٢- شوقي يحيى الفرا: تأثير الفضائيات الفلسطينية على الوضع الفلسطيني، «حرب غزة نموذجا»، رسالة ماجستير في الإعلام والاتصال، مجلس كلية الآداب والتربية، قسم الإعلام والاتصال، الأكاديمية العربية المفتوحة، الدنمارك، أكتوبر ٢٠١٠، ص ٤٧، ٤٨، rooad.net/uploads/news/tathyr_alfaiyat_alfslynyyt_drast_magsyr.doc
- ٠٣- عبد الناصر الفرا: الجذور التاريخية لمدينة القدس وكيفية الحفاظ عليها، مؤتمر يوم القدس

- الثامن: الحلول المقترحة لمستقبل مدينة القدس - أبعادها وآثارها، ٢٠٠٦/١٢/١٢م، info.wafa.ps/pdf/pdf/q17، ص ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦.
- ٠٠٤- عبدالله تايه: التطور التاريخي لإذاعة وتلفزيون فلسطين، دنيا الوطن، <https://pulpit.alwatanvoice.com>، / ٢٠٠٦/١٢/٢٠م.
- ٠٠٥- عمر نزال: إذاعة فلسطين الأولى هنا القدس، مجلة مدى، العدد السابع، شهر جويلية، ٢٠١٢م، <http://www.madacenter.org>، بتصرف.
- ٠٠٦- غسان بن جدو: دور الإعلام في الحدث الفلسطيني، <http://www.aljazeera.net>، ٢٠١٧/٠٤/١٤م.
- ٠٠٧- قناة القدس الفضائية: www.qudstv.com، ٢٠١٧/٠٥/٣٠م.
- ٠٠٨- ماجد تريان: الصحافة الفلسطينية النشأة والتطور، ١٩٧٥ <https://majed.wordpress.com>، ٢٠١٧/٠٤/٠١م.
- ٠٠٩- محمود خليفة: تاريخ الصحافة المقدسية منذ نشأتها، ص ١٤٦، <http://info.wafa.ps>، ٢٠١٧/٠٤/٠٢م، بتصرف.
- ١٠- المركز الفلسطيني للإعلام: انتفاضة القدس في الإعلام الغربي .. مهنية مفقودة وانحياز للاحتلال، <https://www.palinfo.com>، ٢٠١٧/٠٤/١٤م.
- ١١- مركز المعلومات الوطني الفلسطيني - وفا: <http://info.wafa.ps>، ٢٠١٧/٠٤/٠١م.
- ١٢- ميرفت عوف: أهم وسائل الإعلام المؤثرة في الساحة الفلسطينية، <https://www.sasapost.com>، ٢٠١٧/٠٤/١٤م.
- ١٣- نسرین حسونة: الإعلام الفلسطيني ١٨٧٦ - ١٩٤٨م، <http://www.alukah.net>، ٢٠١٧/٠٤/٠١م.
- ١٤- هاني أبو عشيبة: التغطية الإعلامية الأمريكية للانتفاضة الفلسطينية الثالثة، <http://cpds.ps>، ٢٠١٧/٠٤/١٤م.
- ١٥- هاني حبيب: انتفاضة الكرامة: الإعلام الأميركي .. خداع وتزوير، <http://www.al-ayyam.ps>، ٢٠١٧/٠٤/١٤م.

فهرس الجداول

الصفحة	اسم الجدول	الرقم
13	جدول رقم (01): يبين توزيع الموضوعات في عينة الدراسة	01

15	جدول رقم (02): يبين توزيع الأهداف في عينة الدراسة.	02
16	جدول رقم (03): يبين توزيع المصادر في عينة الدراسة	03
17	جدول رقم (04): يبين توزيع الجمهور المستهدف في عينة الدراسة	04
19	جدول رقم (05): يبين توزيع الأساليب الإقناعية في عينة الدراسة	05
19	جدول رقم (06): يبين توزيع اللغة المستخدمة في عينة الدراسة.	06

فهرس الموضوعات:

.....	مقدمة:	٢.....
.....	خطة البحث:	٣.....
.....	المبحث الأول: ضبط المفاهيم:	٤.....
.....	المطلب الأول: تعريف القضية:	٤.....
.....	القضية لغة واصطلاحاً:	٤.....
.....	المطلب الثاني: تعريف القدس:	٤.....
.....	القدس لغة واصطلاحاً:	٤.....
.....	المطلب الثالث: تعريف المواقع الإسلامية:	٥.....
.....	المواقع الإسلامية لغة واصطلاحاً:	٥.....
.....	المطلب الرابع: التعريف الإجرائي:	٥.....
.....	المبحث الثاني: قضية القدس في الإعلام:	٦.....
.....	المطلب الأول: قضية القدس في الإعلام الفلسطيني والعربي:	٦.....



- المرحلة الأولى:
٦.....
- المرحلة الثانية:
٦.....
- المرحلة الثالثة:
٦.....
- المرحلة الرابعة:
٨.....
- المرحلة الخامسة:
٩.....
- المطلب الثاني: قضية القدس في الإعلام الغربي:
١٠.....
- المبحث الثالث نتائج الدراسة المتعلقة بفئة المضمون:
١٢.....
- التعريف بالقناة:
١٢.....
- فئات ماذا قيل:
١٢.....
- فئات كيف قيل:
١٢.....
- وحدات القياس:
١٢.....
- مجتمع البحث وعينته:
١٣.....
- المطلب الأول: الموضوعات التي يتناولها هذا الموقع عن القدس:
١٣.....
- المطلب الثاني: أهداف التي يسطرها الموقع:
١٥.....
- المطلب الثالث: المصادر تناول هذا الموقع لموضوع القدس:
١٦.....
- المطلب الرابع: الجمهور المستهدف من وراء تناول الموقع لموضوع القدس:
١٧.....



- المبحث الرابع: نتائج الدراسة المتعلقة بفئة الشكل:
١٨.....
- المطلب الأول: الأساليب المستعملة في تناول هذا الموقع لموضوع القدس:
١٩.....
- المطلب الثاني: اللغة المستخدمة في الموقع أثناء تناوله لموضوع القدس:
١٩.....
- خاتمة:
٢١.....
- النتائج:
٢١.....
- قائمة المصادر والمراجع:
٢٢.....
- فهرس الجداول:
٢٣.....
- فهرس الموضوعات:
٢٤.....



مشروع قانون التسوية الاسرائيلي (تسوية التوطين 2017) والآثار المترتبة حال تطبيقه علي محافظة القدس

عبد الجبار زكي عبد قاعود

ماجستير القانون العام

باحث لدرجة الدكتوراه في القانون العام

باحث بمركز التخطيط الفلسطيني م.ت.ف

تقديم

يعمل «الإسرائيليون» منذ عقود على طمس الهوية الأساسية لعموم فلسطين ومدينة القدس المحتلة على وجه الخصوص، وذلك من خلال تنفيذهم لسياسات ومخططات استيطانية وديمغرافية واقتصادية، وقد اتبعت «إسرائيل» سلسلة قوانين وأنظمة لتجسيد الاستيطان في القدس وتأييده. منذ الساعات الأولى للاحتلال، بدأت السياسة الإسرائيلية والجرافات الإسرائيلية برسم المعالم لتهويد القدس من أجل فرض الأمر الواقع وإيجاد أوضاع جيوسياسية يصعب على السياسي أو الجغرافي إعادة تقسيمها مرة أخرى. وشرع في وضع أساسات الأحياء اليهودية في القدس الشرقية لتقام عليها سلسلة من المستوطنات تحيط بالقدس من جميع الجهات، وإسكان مستوطنين فيها لإقامة واقع جغرافي وديموغرافي، وإحداث خلخلة سكانية في القدس العربية. وبعد أن كان السكان الفلسطينيون يشكلون أغلبية في سنة ١٩٦٧ أصبحوا أقلية في سنة ١٩٩٥. وبعد أن كانوا يسيطرون على ١٠٠٪ من الأراضي، أصبحوا بعد عمليات المصادرة، وإقامة المشاريع الاستيطانية، وفتح الطرق، والبناء ضمن الأحياء العربية، يسيطرون على ٢١٪ من الأراضي. ثم أتت مرحلة أخرى من مراحل التهويد ورسم الحدود، وهي رسم ما يسمى حدود القدس الكبرى (المتروبوليتان)، لتشمل أراضي تبلغ مساحتها ٨٤٠ كم ٢، أو ما يعادل ١٥٪ من مساحة الضفة الغربية، ولتبدأ حلقة أخرى من إقامة المستوطنات خارج حدود البلدية، لكن هدفها هو التواصل الإقليمي والجغرافي بين المستوطنات الواقعة في الضفة الغربية وخارج حدود البلدية، بالإضافة إلى إقامة شبكة من الطرق تصل بين هذه المستوطنات. وهكذا، فإن خريطة الحكومة الإسرائيلية للاستيطان في منطقة القدس الكبرى تشمل إفرات، وغوش عتسيون، ومعاليه أدوميم، وغفعات زئيف، ويجري البناء فيها بطاقة كاملة (وقد أشار الباحثون الجغرافيون منذ أعوام طويلة إلى الصلة الوثيقة بين حدود بلدية القدس والقدس الكبرى)^{١٨١} ورغم إصدار العديد من القوانين الخاصة بالقدس من أجل السيطرة

١٨١

الكعنجي، خليل. (١٩٩٧): الاستيطان في مدينة القدس الاهداف والنتائج، مجلة الدراسات الفلسطينية،

المجلد ٨، العدد ٣١، صيف ١٩٩٧، ص ١٣٣

عليها لتنفيذ المشاريع والمخططات الإسرائيلية تلك تدريجياً، وفي مطلع العام ٢٠١٧ صوت البرلمان الإسرائيلي «الكنيست» على مشروع قانون تسوية التوطين بالقراءة الثالثة، الهادف إلى مصادرة الأراضي الفلسطينية وتشريع البؤر الاستيطانية والمباني المقامة عليها. تتخصص الدراسة في رصد قانون «تسوية المستوطنات» وتحليله والذي يتيح مصادرة أراض فلسطينية ويشرع آلاف الوحدات السكنية في محافظة القدس بأثر رجعي، وبالتالي سيكون للقانون تداعيات مستقبلية غير مسبوقه بما يتعلق بالاستيطان، بحيث سيشرعن بشكل مباشرة البؤرة الاستيطانية، ومصادرة فورية لآلاف الدونومات المملوكة ملكية خاصة لمواطنين فلسطينيين. وعليه تطرح الدراسة السؤال الرئيس التالي: ما أثر مشروع قانون التسوية الإسرائيلي «قانون التوطين ٢٠١٧» على محافظة القدس؟ وكيف يمكن مواجهته فلسطينياً؟

أهداف الدراسة

الهدف العام: قراءة مشروع قانون التسوية وتفسيره القانوني من وجهة النظر الإسرائيلية.
الهدف الفرعي: تحليل أثر تطبيق قانون التسوية على محافظة القدس.
وللإجابة عن السؤال الرئيس تعتمد الدراسة على تحديد مفهوم مشروع قانون التسوية وتفسيره، الذي يمنع المحاكم الإسرائيلية من اتخاذ أي قرارات بشأن تفكيك البؤر الاستيطانية والمباني التي أنشأت في المستوطنات ومحيطها المقامة على أراضي فلسطينية خاصة. وعليه تنقسم الدراسة إلى ثلاثة محاور رئيسية:

أولاً: مفهوم مشروع قانون التسوية الإسرائيلي وطبيعته.

ثانياً: أثر مشروع قانون التسوية الإسرائيلي على محافظة القدس.

ثالثاً: مشروع قانون التسوية الإسرائيلي ومخالفته للقانون والقرارات الدولية.

المحور الأول: مفهوم مشروع قانون التسوية وطبيعته القانونية.

أقرت الهيئة العامة للبرلمان الإسرائيلي «الكنيست» يوم الاثنين ٦ شباط/ فبراير ٢٠١٧م، بالقراءة النهائية، مشروع قانون معدّل لثلاثة مشاريع قانون، ما يسمى بـ «قانون التسوية»، الذي يقضي بمصادرة الأراضي الفلسطينية بملكية خاصة في الضفة المحتلة، لغرض تثبيت البؤر الاستيطانية المقامة عليها، بعد أن استولت عليها عصابات المستوطنين على مر السنين. وكان الكنيست قد أقر القانون بالقراءة التمهيديّة، في ٥ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٦. وفي ٧ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٦، بالقراءة الأولى^{١٨٢}. وكان الكنيست قد أقر المشاريع الثلاثة السابقة، بالقراءة التمهيديّة في ١٦

تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٦م، وانتقلت كمشروع قانون واحد، لإعداده للقراءة التمهيديّة. إلا أن القانون اصطدم بمعارضة المستشار القضائي للحكومة الإسرائيليّة، وكذا أيضاً المستشار القضائي للكنيست^{١٨٣}.

والجدير بالذكر هنا لكي يصبح القانون نافذ المفعول لا بدّ من التوقيع على القانون من رئيس الدولة، ورئيس الحكومة، والوزير المختص. وبعدها ينشر في مجلة الوقائع الرسميّة. وبذلك يصبح القانون نافذ المفعول^{١٨٤}. ويتضح من الصيغة المعدلة للقانون المذكور في ديباجته التي تعتبر جزءاً منه أن الهدف من القانون هو: «تنظيم الاستيطان في الضفة الغربيّة بما يضمن ترسيخه وتطوره». لذلك فإن المعنى هنا شرعنة الاستيطان بالمفهوم القانوني، وصبغه بالصفة الرسميّة، ويصبح موضوع البيوت السكنية ومرافقها في المستوطنات خاضعاً للتخطيط والبناء، وتمنح فعلياً تراخيص بناء وفقاً للقانون. وبالتالي هذه العملية تؤهل أكثر من ٤٠٠٠ وحدة سكنية في الضفة الغربيّة، وتصادر حق استعمال وملكية ما يقارب ٨٥٠٠ دونم، بإدعاء أنها ستكون مقابل تعويض مالي، دون الاكتراث بحق الملكية للفلسطينيين اللذين ما زالوا يصرون على حقهم بالأرض رافضين الحديث عن التعويض المالي، وهذا عملياً يعني شرعنة ما يسمى «البؤر الاستيطانية»^{١٨٥} غير الشرعيّة^{١٨٦}.

تفصيلات مشروع قانون التسوية

ورد في مشروع قانون التسوية عدة مفاهيم ومصطلحات تختص في المستوطنات والبؤر الاستيطانية في الضفة الغربيّة، نشرح أهمها فيما يلي:

١. المادة رقم (١) من مشروع قانون التسوية

«هدف القانون هو تسوية التوطين الإسرائيلي في يهودا والسامرة، والسماح باستمرار تعززه

١٨٣ مدار. (2017): إقرار بالقراءة النهائية لقانون «التسوية»، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيليّة-مدار، تاريخ النشر ٧ فبراير ٢٠١٧م.

<https://www.madarcenter.org>

١٨٤ زعبي، سناء. (٢٠١٦): مضامين تدريس موضوع السلطة التشريعيّة: الكنيست، موقع مدنيّات نشر بتاريخ ٢٩ سبتمبر ٢٠١٦.

<http://il.ac.cet.citizenship/ShowItem.aspx?ItemID=48af-9c9a-48c7a03f&ARB=lang&ab044219c538-830d>

١٨٥ البؤر الاستيطانية: هي بناء مدني أو شبه عسكري، لم يتم إقرار إنشائه من قبل السلطات الإسرائيليّة، وغالباً ما يتم الإقرار فيما بعد، وذلك باختيار توقيت سياسي مناسب. ومن هذا التعريف يتضح أن البؤرة الاستعمارية قد تتحول إلى مستعمرة أو معسكر. للاستزادة أنظر

- مركز الإحصاء الفلسطيني، تقرير ٢٠١١

١٨٦ خمائسي، عمر. (٢٠١٧) قانون تسوية التوطين أم شرعنة الاستيطان، تاريخ النشر ٢٠١٧/٢/٩.

<http://www.meezaan.org/articles=mod?ID=442>

وتطويره»^{١٨٧}. يوضح مشروع القانون في مادته الأولى هدفه الرئيس وهو شرعنة البؤر الاستيطانية المقاومة على أراضي ملكية خاصة للفلسطينيين في الضفة الغربية. وبالتالي يمكن لنا القول، إن القانون جاء ليشرع ما أنتجته ممارسات دولة الاحتلال في أراضي الدولة الفلسطينية عبر سنوات احتلالها.

٢. المادة رقم (٢) من مشروع قانون التسوية

ورد في المادة رقم (٢) الفقرة (٥): «التوطين- بما في ذلك حي أو باحة أو بلدة، بما يشمل كل بيوت السكن التي فيها، والأبنية، والأراضي الزراعية التي تستخدم لاحتياجات البلدة، ومباني عامة، التي تستخدم الساكنين في البلدة، ووسائل إنتاج، وطرق وصول، وخطوط مياه، واتصالات، وكهرباء ومجاري»^{١٨٨}. ويفصل عمر خماسي النص السابق قائلاً: «توسيعات البلدة أو الحي، بما في ذلك جميع بيوت السكن، والأبنية والأراضي الزراعية التي تستخدم لاحتياجات البلدة، وطرق الوصول إليها»^{١٨٩}. نص المادة فصل أكثر من شرعنة الاستيطان، وذهبت أبعد من ذلك في تهيئة حياة كاملة للبؤر الاستيطانية، أي عمل الإجراءات والتراخيص اللازمة للمباني المقامة في هذه البؤر الاستيطانية. وورد في المادة رقم (٢) الفقرة (١٢): «الأراضي التي بحاجة للتسوية»-أراضي بنيت عليها بلدات إسرائيلية-أو أرض تم السيطرة عليها، لاحتياجات بلدات إسرائيلية قائمة، والتي حقوق استخدامها والسيطرة عليها، أو على جزء منها، ليست بيد سلطات المنطقة أو الوصي». الفقرة (١٢) تفسر ما تريده إسرائيل من مشروع القانون لتضفي الشرعية على مصادرة الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية، وخاصة محافظة القدس، والتي صادرتها قوات الاحتلال من خلال عدة أساليب أهمها: المصادرة بالقوة وبتزوير الأوراق والحجج الثبوتية، واقامت عليها حواجز عسكرية «منطقة عسكرية» وقيل انسحاب جيش الاحتلال يتم زراعة مستوطنين وإعلان عن بؤرة استيطانية جديدة. ومن ثم إنشاء مباني وإسكان مستوطنين بها وضمها إلى المستوطنات الإسرائيلية في المنطقة. وهدف المشرع حل إشكاليات القوانين والتشريعات السابقة التي تطبق على تلك الأراضي الفلسطينية.

المادة رقم (٣) من مشروع قانون التسوية

تعتبر المادة رقم (٣) العمود الفقري لمشروع قانون التسوية، والتي تنص على التالي: «تسجيل الأراضي التي تحتاج للتسوية، أو الحصول على حقوق استخدامها والسيطرة عليها. وجدت سلطات المنطقة، أنه في الفترة التي سبقت يوم نشر هذا القانون، قد بنيت بحسن نية بلدة على أرض، تحتاج إلى تسوية، أو أن الدولة وافقت على بنائها، فيسري على الأرض التي بنيت عليها ذات البلدة، عشية

١٨٧ نص المادة رقم (١) من مشروع قانون التسوية «قانون التوطين» بالمسمى الإسرائيلي للقانون ترجمة مركز مدار للدراسات الإسرائيلية.

١٨٨ نص المادة رقم (٢) من مشروع قانون التسوية

١٨٩ خماسي، عمر. (٢٠١٧) قانون تسوية التوطين أم شرعنة الأستيطان،

الاربعاء ٢٠١٧/٢/٩.



يوم نشر هذا القانون، التعليمات التالية»^{١٩٠}:

١. الأراضي، التي لم يثبت شخص حقه بملكيته، يتم تسجيلها على اسم الوصي، كملك حكومي، بموجب البند ٢ج، للأمر بشأن الملك الحكومي.

٢. أ. الأراضي التي لها صاحب حق بالأراضي، فإن سلطات المنطقة تأخذ لنفسها صلاحيات الاستخدام والسيطرة على الأراضي، ويتم نقلها الى الوصي، إذا ما وجدت السلطات أن المبلغ الذي تم استثماره في بناء البلدة، فاق خلال البناء، على قيمة الارض الخالية من دون البلدة، في ذات الوقت.

ب. تلقي حقوق الاستخدام والسيطرة على الأرض، كما جاء في هذا البند يتم بقدر الامكان، بموجب تعليمات قانون الأراضي الأردني، طالما أنها لا تتناقض مع تعليمات هذا القانون، وهي تبقى سارية إلى حين الحسم السياسي، بشأن مكانة المنطقة وهذه البلدة.

إيضاح هدف المشرع من هذه المادة لا بد من نظرة مقتضية تاريخية لمشروع الاستيطان وقانونياته، وبالتحديد قرارات المحكمة العليا عام ١٩٧٨؛ قرار «بيت أيل»، وعام ١٩٧٩ «قرار ألون موريه». إذ جرى رسم خارطة الطريق في كيفية الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية بغطاء القانون عن طريق النفي، حيث أشارت المحكمة العليا إلى أن بناء مستوطنات لأهداف غير أمنية على أراض فلسطينية خاصة هو أمر مخالف للقانون المحلي والدولي، وعليه نقلت إسرائيل مستوطنة «ألون موريه» إلى منطقة محاذية على أراض فلسطينية أخرى بادعاء أنها أراض غير خاصة، ولكن الأخطر أن العليا أوجدت للحكومة آنذاك الطريق «القانوني» أو المعادلة للاستيلاء على الأراضي في الضفة الغربية. بمعنى آخر بالإمكان الاستيلاء على الأراضي بملكية «غير خاصة» ولأهداف غير أمنية والاستيلاء على أراض خاصة لأهداف أمنية^{١٩١}. ومما سبق نرى بأن المحكمة الإسرائيلية العليا تشرّع ممارسات الاحتلال في الاستيلاء على أراضي الفلسطينيين سواء كانت خاصة أو غير خاصة. وهذا يعني أن مسار الحكومة الإسرائيلية السياسي ومسار المحكمة العليا القانوني يسيران في اتجاه احتلال الأراضي الفلسطينية «على مدى خمسين سنة يحاول معارضو الاستيطان التوجه لمحكمة العدل العليا وإثبات أنه غير قانوني. كل هذه المحاولات فشلت ولم تقبل المحكمة أي دعوى كهذه أو توافق على هذا الموقف. ولم تتدخل المحكمة في سياسة الاستيطان الاسرائيلية- هذا الموضوع الذي كان وما زال من صلاحية حكومات اسرائيل»^{١٩٢}. وكذلك مصطلح «أراضي دولة»، تطور تدريجياً من قبل

١٩٠ المادة رقم (٣) من مشروع قانون التسوية.

١٩١ خماسي، عمر. (٢٠١٧) قانون تسوية التوطين أم شرعة الاستيطان، الأربعا ٢٠١٧/٢/٩.

<http://www.meezaan.org/articles/mod?ID=442>

١٩٢ هاينتر، أوري. (٢٠١٧): كان بالإمكان أن ينتهي الأمر بشكل مختلف، مقال في صحيفة اسرائيل اليوم، (ت) وكالة فلسطين اليوم الإخبارية، تاريخ النشر ٢ فبراير ٢٠١٧.

<https://ps.paltoday.com/post/ar/290958>

الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، لتمكينها من الاستيلاء على أكبر قدر من الأراضي الفلسطينية، حيث عرفت «أرض الدولة» بأنها: «التي ورثها المحتل عن أراض مسجلة باسم الحكومة الأردنية والانتداب البريطاني عام ١٩٦٧، إذ نقلت على اسم الوصي على أملاك الحكومة الإسرائيلية ومن ثم أضيفت صلاحية جديدة وهي إمكانية الإعلان عن أراض دولة وفقاً لمنشور القائد العسكري وأوامره، وهكذا جرت عملية الاستيلاء الأولى.

ولم يتوقف جشع المشروع وطمعه الاستيطاني في الاستيلاء على أراض فلسطينية بحجج أنها أملاك دولة (مع أن هذه الأراضي جزء منها خاص غير مسجل وآخر لفلسطيني الشتات المهجرين وآخر أراض أميرية وموات، وفقاً للقانون العثماني والأردني. وفي كل الأحوال لا يجوز- وفق القانون الدولي- استعمالها لمواطني الاحتلال، وإسرائيل ممنوعة من استعمالها للاستيطان)، فالحكومات الإسرائيلية شجعت ودعمت البناء على أراض خاصة مسجلة، بهدف فرض الأمر الواقع والتوسع بهدوء وبيضاء حتى استولت على أكثر من ٨٥٠٠ دونم أخرى من الأملاك الخاصة المسجلة لملاك فلسطينيين. ومن الأهمية التنويه أن كل الأرض خاصة، ولكن قسماً منها مسجل في الطابو، وقسم آخر غير مسجل، ولكن هذه الحقيقة لا تنفي أنها أرض خاصة، إلا أن إسرائيل لا تتعامل وفقاً لهذا المبدأ، لأن هدفها الأساس هو الاستيلاء على كل شبر من أرض فلسطينية^{١٨٣}.

ويسمح هذا القانون لقوات الاحتلال وحكومتها بالإعلان عن أراض المواطنين الفلسطينيين الخاصة التي اقيمت عليها مستوطنات أو منازل استيطانية وحرمان أصحابها من حق الملكية والاستخدام لهذه الأراضي حتى التوصل إلى حسم مصير «المناطق».

٤. المادة رقم (١١) من مشروع قانون التسوية

نصت المادة رقم (١١) على التالي:

أ.

١. خلال فترة ١٢ شهراً، من يوم نشر هذا القانون، يتم تعليق اجراءات تطبيق الأوامر الإدارية، القائمة بشأن البلديات الإسرائيلية المشمولة في الاضافة.
٢. خلال الفترة المذكورة في الفقرة (١)، تحدد سلطات المنطقة، إذا وجدت في البلديات المشمولة في الاضافة، الشروط القائمة في البند ٣.
٣. قررت سلطات المنطقة أنه في البلديات المشمولة في الاضافة الشروط القائمة في البند ٣، فإنه تسري عليها تعليمات هذا القانون.
٤. تعليمات هذا البند الصغير، لا تسري على:

أ. اجراءات تطبيق أوامر إدارية، القائمة بشأن التوطين في البلديات الواردة في الاضافة، في البلديات المشمولة في الاضافة، التي صدرت بشأنها قرارات محاكم، ليتم تطبيقها.

١٩٣ خمائسي، عمر. (٢٠١٧) قانون تسوية التوطين أم شرعة الاستيطان، الأربعا



ب. المبنى الذي هدمه ضروريا، من أجل منع خطر على البشر.

ب. وزير القضاء، بمصادقة لجنة القانون الدستور في الكنيست، يحق له أن يضيف، بأمر، بلدات للإضافة.

حينما نفسر المادة (١١) وفقراتها اللاحقة، يتضح لنا بأن المشرع الإسرائيلي أرد تحصين المستوطنات والبؤر الاستيطانية المقامة في أراضي السلطة الوطنية، أي تجميد ووقف تنفيذ أي قرارات أو أوامر تنفيذية سابقة على نص المادة وفقراتها بحق ١٦ مستوطنة وبؤرة استيطانية، حددت في البند (١٠) (١٩٤).^{١٩٤} وذهب مشروع قانون التسوية في قراءته الثالثة أبعد من ذلك، حيث سمح في مادته رقم (١١) بند (٤) تفريع (ب) لوزير القضاء الإسرائيلي وبمصادقة لجنة القانون في الكنيست أن يضيف «بلدات» بؤر استيطانية لما ذكر سابقاً في الإضافة لمشروع القانون. ورغم سريان مشروع قانون التسوية بأثر رجعي على المستوطنات والبؤر الاستيطانية كافة في الضفة الغربية بما فيها المستوطنات والبؤر الاستيطانية في محافظة القدس، إلا أن هناك استثناء لبعض أحكام المحكمة الإسرائيلية العليا التي صدرت بحق البؤرة الاستيطانية «عمونا» و٩ بيوت استيطانية أقيمت في مستوطنة «عوفرة» و١٦ أخرى في البؤرة الاستيطانية «نتيف هابوت» كون المحكمة العليا قد حسمت مصيرها بالهدم والإزالة عبر قرار قضائي قطعي سبق للمحكمة العليا أن أصدرته^{١٩٥}. والغرض من هذا الاستثناء الحكومي هو عدم مواجهة المحكمة الإسرائيلية العليا، في حال اعتراض أحكامها الصادرة بالخصوص.

بعد أن انتهينا من تفسير أهم المواد التي وردت في مشروع قانون التسوية، لم يتبق سوى المواد الإجرائية لتنفيذ القانون، والتي سيرد تفسير بعضها لاحقاً حسب موضعها في الدراسة، أما الآن يمكن اجمال المقصود بالنصوص السابقة بما يلي:

أولاً: تسعى دولة الاحتلال الإسرائيلي إلى شرعنة المستوطنات والبؤر الاستيطانية الجاثمة على الأرض الفلسطينية من خلال قانون تصدره في برلمانها «الكنيست».

ثانياً: تدعي دولة الاحتلال في مشروع القانون أن الأرض والمباني والمنشآت المقامة عليها وملحقاتها والمياه قد أنشأت بحسن نية (أمر واقع ومفروض على الفلسطينيين)، وعليهم القبول بالتعويض المالي وفقاً لقانونهم.

ثالثاً: لا يحق للفلسطيني وفق مشروع قانون التسوية الاعتراض على مصادرة أرضه أو اللجوء للمحاكم الإسرائيلية- والتي هي ليست صاحبة اختصاص على الأرض الفلسطينية.

١٩٤

٥ البند رقم (١٠) من مشروع التسوية ينص على أسماء البؤر الاستيطانية المشمولة بالمادة رقم (١١) وهي: عوفرة، علي، نتيفي هابوت، كوخاف هشاحر، متسبيه كريم، الون موريه، معاليه مخماس، شفي شمرون، كيدوميم، بسغوت، بيت ايل، هار هيرخاه، مودعين عليت، نيكوديم، وكوخاف يعقوب»

١٩٥ معاً، الكنيست تصوت على قانون مصادرة اراضي الفلسطينيين وتسليمها للمستوطنين

29/1/2017

المحور الثاني: أثر مشروع قانون التسوية على محافظة القدس

بدأ الاستيطان الإسرائيلي في شرقي القدس منذُ بداية احتلال المدينة في الخامس من يونيو عام ١٩٦٧. حيث بُنيت أولى البيوتات الاستيطانية في حي المغاربة بالبلدة القديمة^{١١٦}. ومع مرور الوقت انتشرت المستوطنات الإسرائيلية في جميع أنحاء المدينة، ويمكن تصنيف مستوطنات شرقي القدس من الناحية الإدارية إلى قسمين:

القسم الأول:

المستوطنات التي تقع داخل حدود البلدية، ويبلغ عددها ١٨ مستوطنة، وتبلغ مساحتها الإجمالية ١٩،٨٣٤ دونماً، وتحتوي حوالي ١٩٥٠٠٠ مستوطن، والعديد من هذه المستوطنات تم بناؤها داخل لأحياء العربية^{١١٧}.

القسم الثاني:

المستوطنات الإسرائيلية التي تقع خارج حدود البلدية، وداخل المحافظة، وفق تقسيم ما قبل عام ١٩٦٧، حيث يبلغ عددها ١٧ مستوطنة تحتل مساحة مقدارها ٢٤٠٩٠ دونم، وتحتوي حوالي ٨٤٠٠٠ مستوطن. هذا بالإضافة إلى ١٨ بيوتاً استيطانية تم بناؤها في الفترة بين ١٩٩٦-٢٠٠٧ هدفت إلى خلق كيان يهودي في قلب الأحياء العربية^{١١٨}.

وبالعودة لمشروع قانون تسوية الأراضي وأثره على محافظة القدس يمكن القول بأن الهدف هو: إضفاء الشرعية على البيوت الاستيطانية في المحافظة والتي تلتهم آلاف الدونمات من الأراضي الفلسطينية المملوكة لمواطني محافظة القدس، أي أنه سيكون هناك عزل مناطق وفصل عنصري للفلسطينيين الذين يعيشون في هذه المناطق، وبعبارة أخرى، تضيق الخناق على الفلسطينيين، الذين يعيشون في هذه المناطق التي هي ووفقاً لجميع التشريعات الدولية أراض فلسطينية محضة خاصة بعاصمة الدولة الفلسطينية. والتي ستحرم سكان محافظة القدس من التنمية الاقتصادية والاجتماعية والفصل بين القرى وقلب المدينة ولم تكتفي قوات الاحتلال بالصادرة فقط، بل هدمت المنازل العربية لتغيير معالم المدينة وملاحمها، وتقوم بتضييق الخناق على الفلسطينيين، بمنعهم من العمل في ترميمها أو الدخول إليها في الكثير من الأحيان، لتدفعهم إلى الهجرة منها وإهمالها، وبالتالي تسهيل مهمتها الاستيطانية فيها كغيرها من المناطق المحيطة بالمحافظة، غير غافلة في تهويدها العمل على طمس حضارتها وتاريخها العربي والإسلامي وستفقد حق إعادة هذا

١٩٦ عتاب، محمد رشيد، (٢٠٠١): الاستيطان الصهيوني في القدس ١٩٦٧-١٩٩٣، بيت المقدس للنشر والتوزيع، ط١، القدس، فلسطين، ص٣٨.

١٩٧ غزال، مرفت، (١٩٩٧) الاستيطان الصهيوني في القدس» مجلة صامد الاقتصادي، فلسطين عدد ١٠٧، ص٨٨-١٠٩.

١٩٨ التوفكجي، خليل، ٢٠٠٨: الاستيطان في مدينة القدس الأهداف والنتائج، أوراق فلسطينية، المركز الفلسطيني للبحوث والدراسات الاستراتيجية، فلسطين، ١٦٤-١٥٦.



الأراضي إليه في أي حل لتسوية النهاية كون مشروع القانون عنصرياً بحيث لا يسمح الاعتراض علي مصادرة الأراضي الخاصة من أصحابها حسب ما جاء في المادة (١٠) في البند (د) من مشروع قانون التسوية « لجنة الاعتراضات لا يكون عملها مرتبطاً بأنظمة القضاء، والاثباتات المتبعة في المحاكم، وتعمل بالشكل الذي تراه الأكثر نجاعة، من أجل اتخاذ القرار العادل والأسرع». وبالعودة لتاريخ الاستيطان في محافظة القدس والبلدة القديمة، والمشاريع الفكرية والمخططات العملية التي ابتلعت العديد من الأراضي لإقامة المستوطنات، ومن ثم تطورت إلى بناء بؤر استيطانية في البلدة القديمة، نستطيع القول بأن العقل الإسرائيلي يعمل من خلال تشريع القوانين التي تتناسب مع التناول الاستيطاني في محافظة القدس وتهويدها لإلغاء المشروع الفلسطيني بان تكون القدس الشرقية عاصمة للدولة الفلسطينية القادمة. حيث اعطي الحق الكامل للجنة التخمين المشكلة بموجب المادة (٩) من مشروع القانون على اتخاذ أي قرار دون الرجوع للمالك الأصلي للأراضي المصادرة، بل ذهب أبعد من ذلك بعدم أحقيته الاعتراض على مصادرة أرضه وسمحت له بالحصول على البديل المالي المقرر من قبلها.

قد بُنيت مدينة القدس عام ٢٥٠٠ ق.م، على يد البيوسيين العرب، وهم كنعانيون، وقد نُسبت المدينة لهم فسميت « ييوس »، وكذلك سميت أورشالم أي مدينة السلام، وعالمياً تعرف جيروسالم. وقد استمرت السيادة العربية على المدينة ((١٧٥٠)) عام، عُرفت المدينة خلالها بأنها أرض مقدسة، يحكمها كهنة مؤمنون بوحداية الله، وكان أشهرهم «ملكي تصادق» وتعني الملك العادل الذي كان بنى معبداً في المدينة، وكان الملوك وغيرهم يحضرون من المدن والممالك المحيطة للاستفادة منه. لقد تعرضت مدينة القدس للغزو والاحتلال من قبل الغزاة الطامعين فيها لأهميتها الإستراتيجية، حيث موقعها المتوسط بين باقي المدن، وكونها مركزاً للتجارة والعبادة. وكان بين الغزاة الذين احتلوها « العبرانيون » وذلك خلال الفترة ١٠٠٦ - ٥٨٧ ق.م، حيث تم تدمير هيكلهم وسببهم من قبل البابليين، وبقي العرب الكنعانيون يعيشون فوق أرض القدس ولم يخرجوا منها رغم تعرضها للاحتلال تلو الاحتلال. وعاد الحكم العربي إليها بدخول عمر بن الخطاب، واستمر اثني عشر قرناً. وهنا لابد من الإشارة إلى العهدة العمرية والتي تنص على منع اليهود من دخول القدس. نستخلص مما تقدم، أن أرض القدس هي أرض عربية على مرّ التاريخ، وليس لليهود أي حق تاريخي بهذه الأرض المقدسة، وأن احتلال اليهود للجزء الغربي من القدس عام ١٩٤٨، واحتلالهم للجزء الشرقي من أراضيها عام ١٩٦٧، هو عمل غير شرعي، ويجب عدم الاعتراف بشرعيتهم بالسيادة على هذه الأرض العربية، بل يجب اقتلاعهم من هذه الأرض، لأن عامل الوقت ليس في صالحنا، فكلما طال الزمن تزداد مساحة الأرض التي تسيطر عليها سلطات الاحتلال الصهيوني، سواء بالإغراء أو بالإكراه. فقد قامت هذه السلطات باستخدام الأساليب المختلفة لهويد أراضي القدس العربية، بعد أن قامت بإلحاقها إدارياً لسيادتها، ومن هذه الأساليب للاستيلاء على أراضي القدس: - توسيع رقعة الأراضي التابعة لبلدية القدس من خلال إلحاق أراضي من الضفة الغربية لها، فبعد أن كانت أراضي بلدية القدس ٦,٥ كم٢ عام ١٩٦٧ + ٢٨ منطقة ١٩٤٨، أصبحت ٧١ كم٢،

وهناك مشروع القدس الكبرى الذي يصل حدود رام الله شمالاً وحدود الخليل جنوباً وأبواب أريحا شرقاً، لتصل المساحة ٤٤٦ كم^٢. (٤٤٦٢٧٩) دونماً حيث يضم ٩ مدن من الضفة وستون قرية عربية. - مصادرة الأراضي: وقد تم مصادرة ٢٢٣٨٠ دونماً من الأراضي العربية لبناء المستوطنات الصهيونية عليها، وبعد اتفاق أوسلو، تمت مصادرة ١٤٣٠ دونماً أيضاً.

— اعتبار نصف مساحة أراضي القدس تقريباً منطقة خضراء، أي ساحات عامة ومنتزهات لا يحق للعرب البناء عليها، وهي في الحقيقة مقدمة للاستيلاء عليها لتوسيع المستوطنات، فمثلاً، تم مصادرة ٥٠٠ دونم من أراضي قرية شعفاط التابعة للقدس عام ١٩٦٧، وأقيم عليها مستوطنة رامات أشكول عام ١٩٧٣، وهذا أيضاً ما حدث في أراضي جبل أبو غنيم وغيرها. — تزييف الوثائق كوسيلة للإدعاء بملكية الأراضي، وفرض السيطرة عليها بواسطة المحاكم الصهيونية. — الاستيلاء على الأراضي بحجة أمنية، وأنها ضرورية لأمن الدولة الصهيونية. — الاستيلاء على الأراضي لصالح شق الطرق بين المستوطنات، فالطريق رقم ٤٥ مثلاً احتاج شقه إلى ١٠٧٠ دونماً من أراضي قرى القدس العيسوية والطور والعيزرية وأبو ديس والسواحة الغربية. — سن قوانين وتشريعات تبيح لهم الاستيلاء على الأراضي، وقد كان لقانون « حارس أملاك الغائبين » دور كبير في مصادرة أملاك العرب الذين يعيشون خارج القدس.^{١٩٩}

ومن جهته قال السفير الشويكي إن حكومة الاحتلال الإسرائيلي قامت خلال الأشهر القليلة السابقة بتخصيص المزيد من الأموال والاستيلاء على الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية ومدينة القدس المحتلة، وهدم المنازل والإخلاء، وتدمير الممتلكات لصالح مشاريع الاستيطان في مختلف مناطق دولة فلسطين المحتلة، خاصة داخل مدينة القدس الشرقية ومحيطها، وقد شملت الممارسات الأخيرة إقرار ما يزيد عن ٥٦ خطة لبناء خمسة آلاف وحدة استيطانية خلال الأشهر الثمانية الماضية، بين كانون الثاني/يناير، وآب/أغسطس ٢٠١٧، وقد شكل هذا الجنون الاستيطاني الاستعماري، ارتفاعاً حاداً بنسبة تصل إلى ٨٥٪ إذا ما قارناه بالفترة ذاتها من العام الماضي، وكل ذلك يجري بعد قرار مجلس الأمن ٢٣٣٤ ضد الاستيطان، الذي تبناه المجلس في شهر كانون الأول/ديسمبر من العام الماضي.^{٢٠٠}

جدار الفصل العنصري في القدس :

في التاسع والعشرين من آذار عام ٢٠٠٢، بدأت القوات الإسرائيلية عملية عسكرية واسعة النطاق في الأراضي الفلسطينية أطلقت عليها اسم السور الواقعي، قامت فيها باجتياح كامل للمدن والقرى الفلسطينية واستباحتها، وارتكبت أبشع الجرائم بحق الشعب الفلسطيني في عملية أدخلت

١٩٩ جابر ، محمد محفوظ (٢٠٠٩): كتاب: الاستيطان الصهيوني في القدس ومستقبل للمستوطنات فيها، الضفة الغربية موقع فلسطيني سياسي ثقافي نشر بتاريخ 1/12/2014.

<http://wtpalestine.com/content>

٢٠٠ الشويكي، جمال (٢٠١٧) الشويكي، الاستيطان ارتفع بنسبة ٨٥٪ مقارنة بالعام الماضي، وكالة وطن للأنباء ، نشر بتاريخ ٢٠١٧/٩/١٠.

<http://www.watan.tv/news/214245.html>

إلى الإقليم المحتل مخالفاً للمواثيق والأعراف الدولية، وعلى وجه الخصوص لائحة لاهاي الرابعة لسنة ١٩٠٧، واتفاقية جنيف الرابعة لسنة ١٩٤٩م، وميثاق هيئة الأمم المتحدة لسنة ١٩٤٥م، والعهدان الدوليان لسنة ١٩٦٦م، والإعلان العالمي لحقوق الانسان لسنة ١٩٤٨م، وقرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن الدولي بشأن عدم شرعية المستوطنات وتفكيكها في المناطق المحتلة»^{٢٠٣}.

شرعن قوات الاحتلال إجراءات مصادرتها للأراضي الفلسطينية بأوامر تنفيذية من الحكومة، ومن ثم تتبع تلك المستوطنات المقامة على الأراضي الفلسطينية إلى أحكام القائد العسكري للمنطقة المحتلة، وبالرغم من معرفة دولة الاحتلال للقانون الدولي وأحكامه، إلا أن التفسيرات الخاصة لفقهاء القانون الإسرائيلي، تتناقض مع القانون الدولي وتتجاهله في نفس الوقت، وهي تراهن على حليفها الاستراتيجي الولايات المتحدة الأمريكية لفرض الرؤية الإسرائيلية، وحينما تتعارض مع القانون الدولي يرفع حق النقض الفيتو. والدليل على فوقية دولة الاحتلال على القانون الدولي أشارت المادة ٣٥ بموجب الأمر العسكري رقم ١٠٧ الصادر بتاريخ ١١ أكتوبر ١٩٦٧م أشارت إلى أن «أحكام اتفاقية جنيف الرابعة ليست ذات أفضلية على القوانين الإسرائيلية أو تعليمات القيادة العسكرية، وإن ما تتضمنه المادة ٣٥ سابقة الذكر حول مضمون اتفاقية جنيف الرابعة جاء بطريق الخطأ لذا تم إلغاء العمل بها، ولاحقاً كانت تفسيرات الحكومة الإسرائيلية أن معاهدة جنيف تدخل في إطار الاتفاقيات الدولية التعاقدية أي التي تلزم الدول الموقعة عليها فيما بينها وليست معاهدة جنيف ضمن القانون الدولي العرفي، وبذلك تراجعت الحكومة الإسرائيلية عن العمل باتفاقية دولية كانت دولة إسرائيل من الدول السباقة في العام ١٩٤٩ للتوقيع عليها وتبنيها وإقرارها»^{٢٠٤}.

وبالرغم من التعتن الإسرائيلي والاستمرار في مصادرة الأراضي والاستيطان في أراضي الدولة الفلسطينية على حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧م، إلا أنه ينتهك القانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية واتفاقات السلام الموقعة مع السلطة الوطنية الفلسطينية.

وعليه فنضد هذا الانتهاك كما يلي:

أولاً: قانون التسوية ينتهك القانون الدولي الإنساني ومواده القانونية التالية:

١. تنتهك دولة الاحتلال اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩م، والتي تعتبر المرجعية القانونية التي تنظم تواجد قوات الاحتلال في الأراضي المحتلة. وكذلك نظم القانون الدولي الإنساني ما

٢٠٣ حنا عيسى. (٢٠٠٩): تحليل قانوني: الاستيطان الإسرائيلي ضد القانون الدولي، مركز المعلومات الفلسطيني - وفا، نشر بتاريخ ٢٠٠٩/٦/٢

http://ps.wafa.www/:http://ddkGpNa516206081622addkGpN=id?aspx.page_ar/

٢٠٤ أبلاسي، تيسير. دراسة خاصة: الاستيطان والمصادرة وهدم المنازل في القدس العربي. سياسات مناقضة للقوانين الدولية، مجلة البيادر السياسي، دون تاريخ نشر، تاريخ التصفح ١ أبريل ٢٠١٧.

<http://www.bayader-al.com/readarticle.aspx?articleid=8897>



يجب على المحتل والتزاماته اتجاه الممتلكات العامة والخاصة والموارد وثروات الأراضي المحتلة، كما ينظم حدود ونطاق الاستيلاء ومصادرة الأراضي أو الانتفاع بالأموال العامة، أي أن القانون الدولي أوجد جملة من الضوابط والمعايير القانونية الواجب على المحتل احترامها والالتزام بها حال شروعه في ممارسة واستخدام ما وضع لمنفعته من حقوق حيال الأعيان العامة والخاصة في الأراضي الخاضعة لسيادته وإدارته.

٢. أوضح بروتوكول جنيف الأول المكمل للاتفاقيات جنيف الأربع حقوق قوات المحتل والتزاماته تجاه الممتلكات العامة والخاصة والمناطق والموارد الطبيعية على الصعيد الإقليمي المحتل حيث جاء نص المادة (٥٢) منه «يحظر على دولة الاحتلال أن تدمر أي ممتلكات خاصة ثابتة أو منقولة تتعلق بأفراد أو جماعات، أو بالدولة أو السلطات العامة، أو المنظمات الاجتماعية أو التعاونية، إلا إذا كانت العمليات الحربية تقتضي حتماً هذا التدمير»^{٢٠٥}.

٣. المادة (٣٢) من اتفاقية جنيف الرابعة لسنة ١٩٤٩م تنصت على ما يلي:
«لا يجوز معاقبة أي شخص محمي عن مخالفة لم يقترفها هو شخصياً، تحظر العقوبات الجماعية وبالمثل جميع تدابير التهديد أو الإرهاب.
السلب محظور.

إذا تعرنا في المادة (٣٢) من اتفاقية جنيف الرابعة نكون أمام إرهاب دولة «إسرائيلي» تجاه البلدة القديمة في القدس، حيث يمارس على مواطنيها العقوبات الجماعية والإغلاق من قبل قوات الاحتلال والمستوطنين، ويتم العبث بممتلكات المواطنين في البلدة القديمة، والتراث الفلسطيني الذي يهود ويسرق ويسلب، بل وتزرع دولة الاحتلال تاريخ مزور لها بدلاً من التاريخ الفلسطيني. وبالرغم من أن القانون الدولي حصر حق المحتل في التصرف في الإقليم الخاضع لسيطرته في حالة الضرورة الحربية لإجراء وتنفيذ لأعمال المصادرة والهدم والتخريب وأن تكون الأعمال قاصرة على قوات الاحتلال فقط وتكون محددة ومحصورة بتلبية وتغطية احتياجات ومتطلبات هذه القوات، إلا إن إسرائيل وقوات الاحتلال تستخدم تلك المبررات لأغراض استيطانية مخالفة لأحكام وقواعد القانون الدولي الإنساني. ولا بد من الجزم قانوناً بأن أعمال الاستيطان الجارية بإشراف ودعم وتمويل الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، تتناقض وتتعارض بوضوح مع نص المادة ٤٩ من اتفاقية جنيف الرابعة لسنة ١٩٤٩ وان المادة ١٤٧ من نفس الاتفاقية تعتبر الممارسات التي تتلزم مع الاستيطان كأعمال التدمير والتخريب والمصادرة بطرق تعسفية من المخالفات الجسيمة التي يعاقب عليها القانون الدولي^{٢٠٦}.

ثانياً: قانون التسوية ينتهك قرارات الشرعية الدولية:

إن الاستيطان الإسرائيلي في أراضي الضفة الغربية بشكل خاص يعد واحداً من أكثر المعضلات تهديداً للسلام، وإن سياسة إسرائيل في زرع المستوطنات تشكل عائقاً رئيسياً يقف في طريق إيجاد

٢٠٥ نص المادة (٥٣) من اتفاقية جنيف الرابعة، ١٩٤٩، ٨٥٢، ١٩٤٩ معاهدات. ص ٢٠٥.

٢٠٦ حنا عيسى، تحليل قانوني: الاستيطان الإسرائيلي ضد القانون الدولي، ٢٠٠٩/٦/٢.

حل لمشكلة القضية الفلسطينية برمتها، بإقامة المستوطنات يعتبر في القانون الدولي بفروعه «بالإضافة إلى نقل سكان الدول المحتلة إلى الإقليم المحتل» مناقضة لكل المبادئ الدولية وميثاق الأمم المتحدة^{٢٠٧}. واختلفت المواقف الدولية تجاه الاستيطان في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م والمتفحص لميثاق الأمم المتحدة يجده متضمن لسلسلة طويلة من المحظورات المفروضة على قوة الاحتلال، بحيث يحظر على المحتل توطين سكانه في الأراضي المحتلة، وهو ما أعادت التأكيد عليه العديد من قرارات الشرعية الدولية سواء قرارات مجلس الأمن الدولي أم الجمعية العمومية، وبالتالي فإن خلق الأمر الواقع بالقوة لا يمكن أن يكسب حقاً، لأن تلك القرارات رفضت الإقرار بأي صفة قانونية للاستيطان أو الضم، وطالبت بإلغاء وتفكيك المستوطنات^{٢٠٨}. وقد تبنت الأم المتحدة العديد من القرارات التي تدين سياسة الاستيطان في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧م، ونورد أهمها فيما يأتي:

- قرارات مجلس الأمن رقم ٤٤٦ لسنة ١٩٧٩ الذي أكدت أن الاستيطان ونقل السكان الإسرائيليين للأراضي الفلسطينية المحتلة غير شرعي.
- قرار رقم ٤٥٢ لسنة ١٩٧٩ بوقف الاستيطان في القدس وعدم الاعتراف بضمها.
- القرار رقم ٤٦٥ لسنة ١٩٨٠ والذي يدعو الي تفكيك المستوطنات.
- قرار الجمعية العامة بهذا الصدد حتى بداية عقد التسعينيات وما تلاه من اتفاقيات تسوية بين الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني فيما عرف باتفاقيات اوسلوا.
- قرارات الشرعية الدولية تتوالى، وقوانين الاحتلال العنصرية تزداد إصراراً على مواصلة احتلال الدولة الفلسطينية على حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧م، وكان آخر تلك القوانين مشروع قانون تسوية المستوطنات لعام ٢٠١٧م. على الرغم من أن مجلس الأمن الدولي أقر في نهاية عام ٢٠١٦م، رقم (٢٣٣٤) بشأن الاستيطان الإسرائيلي في أراضي الدولة الفلسطينية المحتلة. وجاء في نص القرار: « إن مجلس الأمن، وإذ يشير إلى قراراته ذات الصلة، بما فيها القرارات ٢٤٢ (١٩٦٧)، ٣٣٨ (١٩٧٣)، ٤٤٦ (١٩٧٩)، ٤٥٢ (١٩٧٩)، ٤٦٥ (١٩٨٠)، ٤٧٦ (١٩٨٠)، ٤٧٨ (١٩٨٠)، ١٢٩٧ (٢٠٠٢)، ١٥١٥ (٢٠٠٣)، و١٨٥٠ (٢٠٠٨)، مسترشداً ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه، ومؤكداً من جديد، في جملة أمور، عدم جواز الاستيلاء على الأراضي بالقوة»^{٢٠٩}. واستطرد القرار « وإذ يؤكد من جديد على أن جميع الأنشطة الاستيطانية الإسرائيلية في الأرض الفلسطينية المحتلة، بما فيها القدس الشرقية، غير قانونية بموجب القانون الدولي وتشكل عقبة رئيسية أمام تحقيق السلام على أساس حل

http://ps.wafa.www/ddkGpNa516206081622addkGpN=id?aspx.page_ar/ps.wafa.www//:http

- ٢٠٧ العيلة، رياض. وشاهين، أيمن. (٢٠١٠): الأبعاد السياسية والأمنية للاستيطان الإسرائيلي في القدس ووضعيتها القانونية، مجلة جامعة الأزهر - غزة، المجلد ١٢، العدد ١، ص ٩٣٢.
- ٢٠٨ مرجع سابق: العيلة، رياض. وشاهين، أيمن. ص ٩٣٤.
- ٢٠٩ نص قرار مجلس الأمن حول الاستيطان. وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية. وفا،



الدولتين، وإذ يعرب عن بالغ القلق من أن استمرار الأنشطة الاستيطانية الإسرائيلية إنما يعرض للخطر جدوى حل الدولتين على أساس حدود ١٩٦٧م «٢١٠».

ثالثاً: قانون التسوية يتناهى مع اتفاقيات السلام الإسرائيلية- الفلسطينية:

بعد التعتن الإسرائيلي وعدم دفع استحقاقات السلام، أصدرت قوانين عنصرية وشرعت بناء المستوطنات في أراضي الدولية الفلسطينية، أي أنها تجاوزت ما ورد في اتفاقيات السلام-اتفاق أوسلو.

بناءً على ما سبق، يتضح لنا بأن مشروع التسوية الإسرائيلي ينتهك القوانين والقرارات الدولية كافة ويتعارض معها، ومع ذلك تستمر إسرائيل في معارضتها للقانون الدولي وخرقه الواضح. بالرغم من مخالفة البرلمان الإسرائيلي «الكنيست» وعدم مشروعية ما يشرعه من قوانين تطبيق في أراضي الدولة الفلسطينية، فهذا حسب الاتفاقيات والأعراف الدولية غير مقبول ولا يجوز. وبالتالي حسب ما أعلنه المستشار القانوني لحكومة الاحتلال لن يدافع عن هذا القانون إذا ما أثير عدم قانونيته أمام محكمة العدل العليا الإسرائيلية، وهنا لنا وقفة من الأساس على مشروعية «المحاكم الإسرائيلية حسب تشكيلها ودرجاتها ليس لها الولاية على الأرض الفلسطينية وما هي إلى تجميل للوجه القبيح للاحتلال أمام المجتمع الدولي».

الاستنتاجات والتوصيات

بعد تحديد مفهوم مشروع قانون التسوية الإسرائيلي وطبيعته القانونية، ومن ثم تحليل أثر مشروع القانون على محافظة القدس، ومخالفة نص مشروع قانون التسوية للقانون الدولي الإنساني والقرارات الدولية واتفاقيات السلام، تستنتج الدراسة ما يلي:

أولاً: تشرع إسرائيل في برلمانها «الكنيست» قوانين تطبقها في أراضي الغير- أراضي الدولة الفلسطينية. وعليه توصي الدراسة:

١. كشف طبيعة قانون تسوية المستوطنات الإسرائيلي واستهدافه للأراضي الفلسطينية للرأي العام المحلي والدولي.

٢. فضح نصوص قانون التسوية في مؤسسات حقوق الإنسان الدولية والمؤسسات الحقوقية، بهدف عدم إقراره وتطبيقه على محافظات الضفة الغربية عموماً ومحافظة القدس خصوصاً. ثانياً: مشروع قانون التسوية الإسرائيلي يستهدف توطين المزيد من المستوطنين وشرعنه البؤر الاستيطانية في الضفة الغربية عموماً ومحافظة القدس خصوصاً.

وعليه توصي الدراسة:

١. مجابهة التشريعات الإسرائيلية التي تستهدف أراضي الدولة الفلسطينية في المؤسسات الدولية، ومطالبة دعم الدول المحبة للسلام بالضغط على إسرائيل لسحب مشروع قانون التسوية

نشر بتاريخ ٢٤ ديسمبر ٢٠١٦م.

٢١٠ نص قرار مجلس الأمن حول الاستيطان. وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية- وفا،

نشر بتاريخ ٢٤ ديسمبر ٢٠١٦م.



وعدم إقراره.

٢. شرح قانون التسوية الإسرائيلي الذي يستهدف الأراضي الفارغة وأملاك الفلسطينيين إن كانت ملكية خاصة أو أراضي زراعية لضمها لدولة الاحتلال، وبالتالي شرح القانون واستهدافه في الإعلام وعمل حملات مناصرة ضد مشروع القانون على المواقع الالكترونية و صفحات التواصل الاجتماعي وحشد الرأي العام الدولي الذي يؤدي إلى فضح ممارسات إسرائيل وشرعنتها للاستيطان في الأراضي الفلسطينية.

ثالثاً: مشروع قانون التسوية يخالف القانون الدولي الإنساني وقرارات الشرعية الدولية واتفاقيات السلام الموقعة بين إسرائيل وفلسطين.

وعليه توصي الدراسة:

١. تشكيل لجنة من فقهاء القانون الدولي الفلسطينيين مهمتها الأساسية:
 - أ. متابعة مشاريع سن قوانين الاحتلال في الأراضي الفلسطينية، وعرض انتهاكاتها للقوانين الدولية وقرارات الشرعية الدولية.
 - ب. كتابة مذكرات حول مشاريع سن القوانين الاحتلالية في الأراضي الفلسطينية ومتابعة تلك القوانين منذ بدء عرضها كمشروع مروراً بالقراءات في البرلمان الإسرائيلي «الكنيست»، وعرض تلك المذكرات للسلطة الرسمية وللدبلوماسيين الفلسطينيين في كافة دول العالم، بهدف مقاومة تلك القوانين دبلوماسياً.
 ٢. طرح مشروع قرار في الجمعية العامة أو مجلس الأمن يدين التشريعات الإسرائيلية في البرلمان الإسرائيلي «الكنيست» للأراضي الفلسطينية المحتلة، فهي أراضي فلسطينية تحت الاحتلال ولا يجوز لدولة الاحتلال تشريع قوانين تطبقها في الأراضي المحتلة.
- مقاضاة إسرائيل قانونياً لفرضها قوانين تستهدف الأرض الفلسطينية والاستيلاء عليها بالقوة العسكرية، ولمخالفتها القانون الدولي الإنساني وقرارات الشرعية الدولية واتفاقيات السلام.

دور الشباب المقدسي في انتفاضة القدس 2015

د. خالد شعبان
أ. أمانى عطا الله

الملخص :

يلاقى أبناء الشعب الفلسطيني في معظم أماكن تواجده داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة أنواعا كثيرة من السياسات والإجراءات الإسرائيلية سواء الرسمية أو غير الرسمية من الجمعيات الاستيطانية والدينية التي تهدف إلى فرض وقائع جديدة على الأرض الفلسطينية في محاولة منها لإنهاء ارتباط الفلسطينيين بأرضهم وأماكنهم المقدسة ، ولذلك شهد التاريخ الفلسطيني العديد من الهبات والانتفاضات الفلسطينية ، والتي آخرها انتفاضة القدس ٢٠١٥ والتي تميزت بدور الشباب وأعمالها الفردية ، وقد خلص الباحثان في دراستهما إلى أن استمرار حالة الجمود السياسي الفلسطيني واستمرار الهجمة الإسرائيلية المنظمة تجاه كل ما هو فلسطيني قد أدى إلى انتفاضة القدس، وقد تباين دور الشباب المقدسي فيها بين القيام بالعمل الاستشهادي إلى العمل المقاوم السلمي ، وقد استخدم الباحثان المنهج التحليلي.

المقدمة

أدى الشباب المقدسي دورا كبيرا في التصدي للاحتلال الإسرائيلي من خلال تشكيل اتحادات الطلبة والمشاركة بالنوادي والنقابات المختلفة لإبراز هويتهم القومية والوطنية وتحمل المسؤولية للحفاظ على الطابع العربي والفلسطيني للمدينة . وشارك الشباب الفلسطيني عامة والمقدسي خاصة في انتفاضة القدس ٢٠١٥ كرد فعل على سياسات الاحتلال تجاه الشعب الفلسطيني وعريضة المستوطنين ومحاولة تقسيم الأقصى زمانيا ومكانيا وشعور الشباب بأن الصراع مع هذا المحتل قد طال دون أن يكون هناك حل . فالشباب هم الفئة التي لديها الاستعداد للتضحية . وساهمت الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في دفع الشباب للانخراط في الانتفاضة حيث شعر بأن حياته معرضة للخطر وأنه لا مستقبل له خاصة أن نسبة البطالة مرتفعة في أوساط الشباب وشكلت انتفاضة القدس نقلة نوعية لدى الشباب على مستوى الوعي الوطني وأصبح الشباب هم قادة الشارع والقادة الفعليين . ومارست إسرائيل بحقهم العديد من السياسات لردعهم وابعادهم عن هدفهم في تحرير فلسطين حيث شنت حملة اعتقالات واسعة في صفوف الشباب وأبعدت عددا منهم وحظرت نشاط الجمعيات والحركات التي تساندهم كالحركة الإسلامية .

مشكلة الدراسة: قام الشباب الفلسطيني في القدس والضفة الغربية وقطاع غزة والداخل المحتل بمظاهرات فردية فالحوار الشبابي الذي يقود الانتفاضة هو تنظيم ميداني ولا يأنمر بتوجيهات

من جهة عليا أو مركزية فالشباب يواجهون بطش الشرطة الصهيونية وإرهابها التي اعتقلت المئات منهم وفيهم قاصرين وقاصرات. وتكمن مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي: ما دور الشباب في انتفاضة القدس؟ ويتفرع من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

١. ما أسباب انتفاضة القدس ٢٠١٥؟

٢. ما موقف إسرائيل من انتفاضة القدس؟

٣. ما الرؤية المستقبلية لانتفاضة القدس؟

اهداف الدراسة:

١- التعرف إلى أسباب انتفاضة القدس.

٢. بيان دور الشباب في انتفاضة القدس.

٣. إبراز موقف إسرائيل من انتفاضة القدس.

٤. توضيح الرؤية المستقبلية لانتفاضة القدس.

أهمية الدراسة:

١- سد النقص في الدراسات الأكاديمية حول انتفاضة القدس ٢٠١٥

٢- تقديم معلومات للباحثين وصناع القرار للاستفادة منها ووضع حلول لقضية القدس

حدود الدراسة: الحد الزمني: ٢٠١٥-٢٠١٦ الحد المكاني: القدس.

منهج الدراسة: المنهج الوصفي التحليلي لرصد دور الشباب وتبعه وتحليله في انتفاضة القدس

أولا / أسباب انتفاضة القدس

اندلعت انتفاضة فلسطينية جديدة ضد الاحتلال الصهيوني في تشرين الأول ٢٠١٥، أُطلق عليها لاحقاً (انتفاضة القدس) وهي الانتفاضة الفلسطينية الثالثة خلال الفترة الزمنية ما بين ١٩٨٧-٢٠١٥، وبدأت هذه الانتفاضة بعملية عسكرية قرب مستوطنة إيتمار اليهودية شرق نابلس، قُتل فيها ضابط احتياط كبير في جيش الاحتلال الصهيوني وزوجته، في ١ تشرين الأول ٢٠١٥.

تميزت الانتفاضة بموجة واسعة من المواجهات بالسلح الأبيض والحجارة.. الخ، حيث انطلقت هذه المواجهات من أحياء مدينة القدس المختلفة وفي غالبية المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية التي توجد في مناطق احتكاك مع الإسرائيليين على الطرق الرئيسية في الضفة الغربية، وكذلك غالبية المدن والبلدات الفلسطينية والأحياء الفلسطينية في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨م، وعلى الحدود الشرقية والشمالية لقطاع غزة.

١- الأسباب المباشرة:

١- ارتكاب سلسلة من الجرائم، والمجازر الاسرائيلية تجاه أبناء الشعب الفلسطيني من قتل، وحرق، وإعدام، وتعذيب واعتقال، وبدأت باختطاف الطفل محمد أبو خضير، وإحراقه حياً، ثم إحراق عائلة دوابشة على يد مجموعات متطرفة من المستوطنين

- 2- الاعتداءات المتكررة على المقدسات والمقابر الإسلامية والمسيحية باسم مجموعات «تدفيع الثمن».
 - 3- الاعتداءات العنصرية الرسمية وغير الرسمية على الكل الفلسطيني في أماكن العمل والجامعات. (الدجنى، ٢٠١٦).
 - ٤- الانقسام الفلسطيني الذي أضر بالقضية الفلسطينية وبالإنسان الفلسطيني على المستوى السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، وفقدان الأمل لدى الشباب في تأمين مستقبل لهم في ظل الانقسام الفلسطيني الذي ترك الشباب الفلسطيني في البعد عن التنظيمات، وأخذ زمام الأمور بدوافعهم ضد الانتهاكات الإسرائيلية. (عمران، ٢٠١٥).
 - 5- القوانين الطائفية (إلغاء الهوية والذاكرة الفلسطينية وفرض المناهج الصهيونية على المدارس العربية).
 - 6- عملية تهويد النقب عبر مصادرة ما تبقى من أراضي وتدمير همجي لقريّة العراقيب (فلسطينيو ٤٨ في الواجبة).
 - 7- فشل حل الدولتين ووأدها من قبل اليمين الفاشي الصهيوني نفسه.
 - 8- إقامة دولة الأبارتهيد العنصرية وبعقلية نازية صهيونية.
 - 9- حماية المسجد الأقصى من التقسيم الزماني والمكاني.
 - 10- الحفاظ على هوية فلسطيني الداخل وبقاؤه في أرضه (أحمد، ٢٠١٢، ص ٢٥٥).
 - 11- شرعنة تدمير قرية أم الحيران وعتير لإقامة مستوطنة يهودية على أنقاضها وتهويد ما تبقى من الممتلكات العربية في المدن الساحلية (الدجنى، ٢٠١٦).
- ٢- الأسباب غير المباشرة:
- ١- للقدس مكانة دينية لدى أتباع الديانات السماوية الثلاث، وعليه بدأت (إسرائيل) منذ احتلالها في عام ١٩٦٧م بعملية تهويد منظمة تستهدف المدينة المقدسة، ومنع المقدسين من دخول باحات المسجد الأقصى من خلال المخططات، والممارسات اليومية كالاقتحامات والانتهاكات المنظمة للمسجد الأقصى وللمقدسات الإسلامية والمسيحية من قبل وزراء ونواب في الكنيسة والمستوطنين والحاخامات، والحفريات تحت المسجد الأقصى وقبة الصخرة، حتى بات البناء مهدداً بالسقوط، ومنع المصلين من الوصول إلى المسجد الأقصى بفرض إجراءات وقوانين بحق المواطنين كتحديد الفئة العمرية المسموح لها بالدخول.
 - ٢- بناء الجدار الفاصل، وتوسيع الاستيطان في الضفة الغربية عامة

والقدس خاصة، والاستمرار في مصادرة مساحات واسعة من الأراضي الفلسطينية من أجل توسيع مستوطناته، وبالتالي تضيق الخناق على الوجود العربي في مدينة القدس لاستكمال بناء جدار الفصل العنصري (العيلة، ٢٠١٥، ص ٩٧).

٣- استمرار حملات التحريض والكرهية وازدياد أشكال العنصرية ضدهم من قبل الحكومة الإسرائيلية.

٤- خيبة أمل فلسطيني ٤٨ من عدم تحصيل حقوقهم المدنية من حكومة يمينية متطرفة يقودها نتنياهو وحيث يمارس بحقهم التمييز في الحقوق والخدمات المدنية ويعاملون كموطنين درجة أدنى إلى جانب الاحتقان والغضب تجاه السياسة الإسرائيلية في القدس (www.almonitor.com).

٥- الملاحقات الأمنية من قبل أجهزة الكيان بعد كل مظاهرة ومسيرة تضامن مع أهل النقب وكل الأسرى ولاسيما مع الشيخ خضر عدنان والأسير محمد علان والأسير محمد القيق حيث تم الاعتداء على المتظاهرين أمام المستشفى.

٦- محاولة منع مسيرات العودة في ذكرى النكبة.

٧- فصل المواطنين العرب عن شعبهم الفلسطيني في الأراضي المحتلة وفي اللجوء.

٨- طرح مسألة تجنيد المسيحيين ما يدل على رفض المؤسسة الصهيونية الاعتراف بالهوية الفلسطينية والتصرف على أساس أقلية تعيش في الكيان الصهيوني (<http://net.alqudsnews/>).

٩- الهجمة الاستيطانية في القدس واستمرار قتل الفلسطينيين ومحاولة إخضاعهم إلى حكم القوة العسكرية بهدف فرض إرادة المستوطنين في المسجد الأقصى وتقسيمه زمنياً ومكانياً.

١٠- المطالبة بالحقوق المدنية داخل إسرائيل (www.almonitor.com).

١١- استمرار الإفقار من المؤسسة الإسرائيلية تجاههم استمر طوال عام ٢٠١٥ حيث أن ٥٢% من الأسر تحت خط الفقر.

١٢- حالة عدم الاستقرار التي يشهدها فلسطينيو ٤٨ منذ عام النكبة لم تهدأ، ليس فقط على المستوى السياسي وإنما لعوامل أخرى، أبرزها معسكرات السكن المضغوطة بالسكان بسبب أزمة البناء (<http://ps.safa/>).

١٣- زيادة حدة الغضب والحقد والكرهية وسط الصهاينة تجاه فلسطينيو ٤٨ ويبرز ذلك من خلال التصريحات العنصرية للقادة الصهاينة التي تدعو إلى قتل الفلسطينيين وتهجيرهم عن أرضهم، وشبكات التواصل مليئة بشعارات



وتغريدات تدعو لقتل فلسطينيو ٤٨ منها شعار (الموت للعرب) وشعار (كراهية العرب ليست عنصرية وإنما هي قيم)، مما أدى إلى انعدام الشعور بالأمن والأمان لفلسطينيي ٤٨ بسبب هذه الشعارات العنصرية التي تدعو لقتلهم وتهجيرهم.

14- ملاحقة العدو الصهيوني لكثير من الشخصيات الاعتبارية في الداخل الفلسطيني لدورهم البارز في الدفاع عن المسجد الأقصى ووقوفهم في وجه المخططات الصهيونية والجرائم الإسرائيلية ضد أبناء شعبنا وأبرزهم رائد صلاح شيخ الأقصى الذي ساهم بدور كبير في الدفاع عن المسجد الأقصى وتعرض للسجن والأبعاد مرات عديدة وعزمي بشارة أبعده سلطات الاحتلال قسراً عن فلسطين دون عودة (<http://ar.ps.ftv>).

15- رفض كل المقترحات الإسرائيلية التي تهدف إلى تهجير السكان وفرض يهودية الدولة بنقل التقل السكاني في بعض المدن الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٤٨ كمناطق المثلث وأم الفحم إلى الجانب الفلسطيني وفق مشروع حل الدولتين للتخلص من أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين ومبادلتهم بالمستوطنات المتواجدة في محيط القدس والضفة الغربية وبعدها يمكن التخلص مما تبقى بسهولة تجميعهم في أماكن يمكن السيطرة عليها وممارسة كل الضغوطات حتى يجبروهم على الهجرة.

16- استمرار (إسرائيل) بضرب كافة القرارات الدولية التي صدرت بحق القضية الفلسطينية بعرض الحائط، وعدم تنفيذ القرارات، والاتفاقات التي وقعت بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، وإفشال وعرقلة جولات المفاوضات، بسبب الرفض والتعنّت الإسرائيلي تجاه المطالب، والحقوق الفلسطينية، والتي أدت إلى تعثر عملية السلام بسبب التأثير الإسرائيلي المستمر لإفشال أي قرار، وأي مشروع، وأي مبادرة تهدف إلى حل القضية الفلسطينية وفق القرارات الأممية، والمبادرة العربية للسلام، لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس. (العجلة، ٢٠١٥، ص ٩٧)

ثانيا : تطور انتفاضة القدس

١- تختلف هذه الانتفاضة عما سبقها من انتفاضات بأن المحرك الرئيسي لها هم: - الشباب والحركات الشبابية المختلفة المستقلة عن القوى والأحزاب الوطنية الفلسطينية، في كل من الضفة الفلسطينية وغزة.

- أعمال المقاومة بمبادرة فردية وليست تنظيمية.

- الإعلام الفلسطيني بكافة أشكاله منه المسموع والملفz الأرضي والفضائي والإذاعات الوطنية الفلسطينية المتعددة، التي تنقل الأحداث، بشكل مباشر سواء من الضفة الفلسطينية أم قطاع غزة، ويضاف لها المواقع الإخبارية، وشبكات واسعة من وسائل التواصل الاجتماعي التي تميزت بشكل واضح بنقل الأحداث بالصوت والصورة والتي تعمل (إسرائيل) بكل أجهزتها المتخصصة على مراقبتها بهدف إغلاقها مستخدما كل وسائل الضغط ونفوذه على المستوى الدولي وعلاقاته الاستخباراتية مع إدارة هذه الشبكات

- الجيل الذي وُلد ما بين الانتفاضتين الأخيرتين (١٩٨٧-٢٠٠٠م) هو الذي يقود في نقاط الاشتباك وميادين المواجهات بالقدس، بدرجة من التحدي والمقاومة والوعي السياسي الوطني. فالشباب الفلسطيني المنتفض والذي استلم زمام المبادرة أوصل رسالته للعالم أجمع أن (إسرائيل) لم تعد مقبولة، أكدوا بسلاحهم الأبيض أن المقاومة بجميع أشكالها ستتواصل، وأنه أصبح لزاماً على الجميع الاستجابة لاستحقاقات هذه الانتفاضة. (الكفارنة، ٢٠١٥).

٢- مراحل الانتفاضة القدس:

لقد مرت هذه الانتفاضة الفلسطينية الجديدة (انتفاضة القدس)، خلال الأيام العشر الأولى من عمرها، بعدة مراحل متداخلة مع بعضها البعض ، تمثلت بالآتي :

المرحلة الأولى: الإنذار التمهيدي المدني: تنظيم المسيرات والمظاهرات الشعبية الفلسطينية وإحراق إطارات السيارات القديمة، ووضع المتاريس الحجرية، عند مداخل المدن والبلدات الفلسطينية في الضفة الغربية لمواجهة قوات الاحتلال الصهيوني الأجنبي.

المرحلة الثانية: الرجم الحجري: عبر رشق ورجم قوات الاحتلال والمستوطنين اليهود بالحجارة، فنهض داود الفلسطيني لمواجهة جالوت اليهودي هذه المرة في زحف شعبي مقاوم.

المرحلة الثالثة: الاشتباك العسكري: وهو اشتباك عبر خلايا عسكرية فلسطينية، كما حدث بعملية ايتمار قرب نابلس، واشتملت هذه المرحلة على إطلاق الرصاص على اليهود سواء باللباس المدني (المستوطنين) أو العسكري (جيش الاحتلال الصهيوني)، وحرب السكاكين

(الطعن ضد الأعداء)، وإلقاء الزجاجات الحارقة (المولوتوف) وعمليات الدهس بالمركبات .

وتمثلت عملية حرق مراحل الانتفاضة ، بتداخل مدني وأمني، في مراحل الانتفاضة الأولى، بالسلاحين الأبيض (السكاكين)، والناري (الرشاشات)، بزخم شعبي متصاعد يوماً بعد يوم في مختلف ربوع فلسطين بجناحيها المحتل عام ١٩٤٨، وعام ١٩٦٧ . وقد بدأت هذه الانتفاضة، بالعمليات الفردية الجماعية والفعاليات الشعبية في عدة مناطق جغرافية في فلسطين الكبرى، بجهاتها الأربع، من النواة الأولى وهي المدينة المقدسة (القدس الشريف)، ومحافظات عدة في الضفة الغربية المحتلة بما فيها: نابلس والخليل وجنين وطولكرم وقلقيلية وإريحا، ورام الله وبيت لحم، وقطاع غزة، وكذلك في الساحل الفلسطيني في يافا واللد



وغيرها، وفي المثلث في أم الفحم والطيبة وغيرها، وفي الجليل في الناصرة وغيرها، والنقب في رهط . على العموم، من المتوقع أن تتطور وتمتد انتفاضة القدس لاحقا، خلال فترة قصيرة قريبة، وفقا لتواليات حسابية وهندسية، لتشمل اقتحام المستوطنات اليهودية والاستيلاء على سلاح الكثير من المستوطنين اليهود وجنود جيش الاحتلال الصهيوني وجها لوجه، في الضفة الغربية المحتلة، بالإضافة لمهاجمة الحواجز العسكرية الصهيونية عند المداخل الخارجية للمدن والمحافظات الفلسطينية، لتبدأ من حيث انتهت انتفاضة فلسطين الكبرى الثانية (انتفاضة الأقصى) بأخذ العبر والعظات من التجربة الفلسطينية السابقة في الانتفاضتين الأولى (انتفاضة الحجارة) والثانية (انتفاضة الأقصى) وتلافي السلبات (<http://www.israj.net>). وبالنسبة للخسائر البشرية الفلسطينية، فقد استشهد خلال الأيام العشرة الأولى ٧ شهداء فلسطينيين وجرح المئات ١٦٤٠ فلسطينيا، بالرصاص الحي، والرصاص المطاطي، وقنابل الغاز المدمع، والضرب المبرح لبعض المقاومين بأساليب وطرق بدائية، واعتقل العشرات من الشباب الفلسطيني وزج بهم في الزنازين والسجون الصهيونية القريبة والبعيدة عن الضفة الغربية المحتلة. وفي المقابل قتل ٥ يهود من المستوطنين منهم ضباط صهيانية وحاخامات يهود في القدس وقرب نابلس . وتشارك العديد من الفصائل الوطنية والإسلامية بمراحل الانتفاضة الفلسطينية الثالثة الجديدة، فرادى وجماعات، لتحقيق مبادئ معينة، لعل من أهمها: الحرية والتحرير والاستقلال الوطني والتخلص من التبعية الاقتصادية الفلسطينية للاقتصاد الصهيوني.

ثالثا: موقف إسرائيل من انتفاضة القدس ٢٠١٥:

- ١- قيام الحكومة الإسرائيلية بحظر الحركة الإسلامية ووقف نشاطها وفعاليتها وإغلاق مؤسساتها الاجتماعية والثقافية والخيرية وتضييق الخناق على تحركاتها بين الجماهير الفلسطينية في الداخل.
- ٢- تعرض النائب في الكنيست حنين زعبي والنائب محمد بركة للتهديد والاعتقال بسبب مواقفهم الراضية لسياسات الاحتلال (<http://ftv.ps/ar>).
- ٣- اعتقدت حكومة اليمين الصهيوني أن الأوضاع العربية والإقليمية فرصة لتسريع عملية تهويد القدس وباقي المناطق الفلسطينية وتقسيم المسجد الأقصى فشنت قواته الأمنية الهجوم على مصاطب العلم ومنعت المناسبات التي كانت تُقام في باحاته لتفريغ المسجد الأقصى من المسلمين وتسهيل اقتحامات اليهود، ومنع المصلين القادمين من مدن وقرى فلسطين ٤٨ من الوصول للمسجد الأقصى والصلاة فيه وأصدرت العشرات من أوامر منع التواجد في المسجد الأقصى والقدس بحق العديد من فلسطينيين ٤٨، كما هو حال الشيخ رائد صلاح ممنوع من القدوم إلى القدس منذ عدة أشهر (<http://alqudsnews.net>).
- ٤- إضافة قوانين عنصرية جديدة وخطيرة من قبل الكنيست أبرزها تعديل أوامر اطلاق

النار على المتظاهرين وفرض عقوبة ٢٠ عاماً على من يرمي حجراً وعقوبات مُشددة على ذويهم حتى لو لم يُصب أحد. ومرر الكنيست عام ٢٠١٥ قانون الحرمان من التأمين الوطني لمن يُشتبه به بدعم العمليات الفدائية وكلها قوانين سُنّت مع اندلاع انتفاضة القدس وهناك مئات القوانين يتم إعدادها في الكنيست منها قانون القومية اليهودية الذي يجري التحضير لاعتمادها وقانون محاربة الإرهاب (مقابلة مع جمال زحالقة).

٥- كشف مؤتمر الأمن القومي الإسرائيلي هرتسليا الذي شارك فيه عدد كبير من المسؤولين الصهاينة الكبار عن نتائج خطيرة تستهدف وجود فلسطيني ٤٨ وجاءت توصيات المؤتمر تدعو إلى استخدام التهجير تجاه فلسطيني ٤٨ إذا ما أُتيحت الظروف المناسبة، كما دعا المؤتمر الصهيوني إلى المسارعة في تضيق الخناق عليهم، وملاحقتهم بصورة يومية، وأوصى المؤتمر الصهيوني في التهويد ومصادرة الأراضي والتوسع في الاستيطان وتشجيع الهجرات اليهودية والعمل على إنشاء مناطق عازلة بين فلسطيني ٦٧ وفلسطيني ٤٨. (فلسطينيو ٤٨ في مواجهة الاستئصال). ويمكن القول أن سلطات الاحتلال تعمل على التطبيق الحرفي لقرارات مؤتمر هرتسليا من خلال ممارسة إجراءات الاستفزاز والتضييق والتحريض والقهر والتمييز ضد فلسطيني الداخل.

٦- قامت الشرطة بقمع المظاهرات بجميع الوسائل والأشكال أو تقوم بحملات اعتقال كبيرة في صفوف الشبان وتُهدد بمواصلة القبض الحديدي ضد من تُسميهم (المخلين بالنظام) (www.almonitor.com).

٧- بادر رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو لمحاولة امتصاص غضب فلسطيني الداخل بدعوتهم لعدم الانجرار وراء المتطرفين والمحرضين وتابع في بيانه نحن نعيش معكم ونؤمن بالنقاش ومن السهل للغاية فتح الخيوط التي تربط بعضنا ببعض فلا تتخذوا بذلك (<http://www.aljazeera.net>).

٨- تصاعد عمليات الإعدامات الميدانية منهم محمد أبو خلف في باب العمود بالقدس وعبدالفتاح الشريف في الخليل وكساب منعم في الداخل، وإبقاء جثامين الشهداء وإبعاد عدد منهم في ثلاثيات الاحتلال لعدة أشهر.

٩- الاعتقالات المستمرة وبالذات الأطفال القاصرين .

١٠- توسيع دائرة الاعتقالات الإدارية والإبعاد عن الأقصى والقدس .

١١- هدم منازل أهالي الشهداء والأسرى .

١٢- توسيع دائرة العقوبات الجماعية، بحيث تشمل فرض حصار مُشدد على البلدات التي يخرج منها الشهداء وسحب تصاريح العمل والعلاج من أبناء البلدة (مقابلة مع راسم عبيدات).

١٣- نتينهاو شن حملة على عرب الداخل وخيرهم أن يكونوا دولة داخل الدولة أو أن يكونوا إسرائيليين وقال لهم: «أقول ببساطة لكل من يتظاهرون ويطلقون صيحات الاستنكار ضد إسرائيل ويدعمون إقامة دولة فلسطينية ، أنتم مدعوون إلى الانتقال إلى هناك، ويدعمون إقامة دولة فلسطينية ، أنتم مدعوون إلى الانتقال إلى هناك، إلى السلطة الفلسطينية أو غزة مضيفاً أعدكم بالآ تضع دولة

إسرائيل عراقيل في طريقكم (mobile, alaqsavoice, pc).

٢- خطوات إسرائيلية لحصار الأقصى:

في أعقاب تشكيل حكومة نتياهو الأخيرة، التي سيطر المتطرفون الدينيون على ٧ وزارات فيها بنسبة ٢٨٪، زادت الدعوات منهم لتصعيد المشاريع الإسرائيلية في القدس، بما فيها المسجد الأقصى؛ باعتبار أن المؤسسات المعنية في القدس داخل الحكومة الإسرائيلية باتت في قبضتهم (الثقافة ميري ريغف، الأمن الداخلي أردان، شؤون القدس زئيف إلكن، بلدية القدس نير بركات، بالإضافة إلى المتطرف أوري أرثيل).

هذه التشكيلة الصهيونية، التي يعرف عنها العلاقة القوية بالمؤسسات الدينية الإسرائيلية الفاعلة في القدس، صاحبة مشاريع تهويد المدينة المقدسة، ترى أن الأوضاع في الدول العربية، والحالة الفلسطينية المقسمة، مناسبة لتطویر جملة من المشاريع الصهيونية داخل الأقصى ومحيطه أهمها: - بناء أكبر عدد من الكس في محيط المسجد الأقصى؛ للتأثير على المظهر التاريخي الخارجي للمسجد الأقصى (على شاكلة كنيس الخراب).

- المسّ بتركيبه البلدة القديمة ومحيطها من الناحية الديمغرافية، عبر السيطرة على مبان فيها بأي ثمن.

- ترتيب الاحتفامات للمسجد الأقصى من خلال ما يعرف بالتقسيم الزمني للمسجد الأقصى، خاصة ساعات الصباح الأولى.

- تطویر شكل الاحتفامات للمسجد الأقصى من جولات استكشافية إلى اقتحامات تعبدية دينية يومية، تزداد وتيرتها مع المناسبات الدينية (<http://www.alestqlal.com>).

- حظر المرابطين وتجريم نشاطهم. هذه الخطوة بدأت تعد لها دولة الاحتلال بشكل متسارع، يبدو أننا أمام مسألة وقت لصدور القرار من الأمن الإسرائيلي.

- منع التواجد المنظم في المسجد الأقصى ومحيطه لعدم إعاقة المشاريع الإسرائيلية في محيط الأقصى وداخله.

- تغييب مشاهد الاقتحام للمسجد الأقصى عن وسائل الإعلام؛ لعدم إحراج الجهات المشرفة على الأقصى، مما يلزم منع المرابطين من دخوله.

- حملة اعتقالات وإبعادات واسعة ومس بحراس المسجد الأقصى بشكل أوسع؛ بهدف السيطرة على حالة المنازعة في المسجد الأقصى (محمد، ٢٠١٥).

- كثف الاحتلال من اقتحاماته للمسجد الأقصى وتضييقه على المسلمين.

- أصبح يطبق سياسة التهويد في العلن.

- منع مصاطب العلم في المسجد الأقصى.

- منع المرابطات من الدخول إليه والمرابطة فيه والاعتداء عليهن.

- منع من هم دون سن الأربعين من النساء من دخول المسجد الأقصى.

(داوود، ٢٠١٥).

- الاستمرار في سياسة الاعتقالات ضد المرابطين والمرابطات في المسجد الأقصى.
- اقتحام منازل المرابطات، فأقدمت قوات الاحتلال على اقتحام منزل عائلة غزاوي في حي الثوري ببلدة سلوان شرق القدس مساء الخميس ٧/٤/٢٠١٦ وقامت باعتقال المرابطين المبعدين عن المسجد الأقصى إكرام وسمح غزاوي.
- وقامت باعتقال المرابطتين دلال الهمشلون وعائدة الصيداوي وعرضتهما على محكمة الصلح بعد اقتحام منزلهما وتفتيشها ومصادرة عدد من الأجهزة الخلوية.
- قامت شرطة الاحتلال باعتقال سناء الرحبي، ثم أفرجت عنها وإبعادها عن المسجد الأقصى لمدة ثلاثة شهور.

وتزايدت الاعتداءات الإسرائيلية على المسجد الأقصى من قِبَل المستوطنين وبعض الأسماء البارزة داخل الكنيسة الذين يؤكدون حقوقهم الدينية في الصلاة داخل المسجد، بينما بعض المنظمات مثل « حركة جبل الهيكل » التي تُصرح بأن المعابد الوثنية في الأقصى وقبة الصخرة ينبغي أن تُدمر ويُقام على أنقاضها الهيكل اليهودي الثالث.

وبحسب إحصاءات القدس الإسلامية فقد حمل عام ٢٠١٤ رقماً قياسيًّا لعدد الاقتحامات ففي ذلك العام تمكن ١١ ألف يهودي من دخول المسجد الأقصى مقارنة مع خمسة آلاف في عام ٢٠٠٩ (محمد، ٢٠١٥).

ويوضح التقرير، أن المؤسسة الصهيونية تسمح للمستوطنين بزيارة الأقصى وتمنعهم من الصلاة فيه، مضيفاً، أن المتدينين اليهود بدؤوا يستعرضون قوتهم ويترددون على اقتحام الأقصى بشكل متزايد، حيث اعتبرت أن ذلك فاقم التوتر الذي شهدته ساحات الأقصى مؤخراً وماجرى فيها من مواجهات عديدة بين المرابطات وشرطة الاحتلال.

ويبين، بأن الفلسطينيين يعتقدون بأن هذه المجموعات تطمح للسيطرة على الأقصى، "وهو ماتوكده سلوكيات بعض المنظمات مثل حركة جبل الهيكل التي تصرح بهدم الأقصى وإقامة الهيكل الثالث".
(<http://arabic.com.tlcaldirasat/>).

مما لا شك فيه أنّ الأحداث الأخيرة، أو الهيئة الشعبية الفلسطينية، فاجأت الأجهزة الأمنية الإسرائيلية، التي لم تتوقع أنّ تدلج بهذه الصورة، وفي هذا التوقيت بالذات، والأهم من هذا وذلك، أنّ السكان الفلسطينية أدخلت دولة كاملة في حالة من الرعب، الهلع والهستيريا، وتباكي قادة المخابرات الإسرائيلية على الجبهة الداخلية التي تحوّلت إلى جبهة حرب بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ، ولكنهم شدّدوا على أنّ ما يُطلقون عليها المناعة الوطنية الإسرائيلية باتت في خبر كان، مُعتبرين أنّ الجبهة الداخلية هي الخلية الأضعف في المجتمع الإسرائيلي، ويكفي في هذه العجالة الإشارة إلى أنّه بحسب التقارير الرسمية الإسرائيلية، فإنّ نسبة المسافرين في القطارات وفي الحافلات العامّة انخفض بنسبة خمسين بالمائة، لأنّ الإسرائيليين، باتوا يخشون من صعود

الفلسطيني إلى الحافلة أو القطار لتنفيذ عملية

(. <http://ps.nawa.ps>)

٣- وسائل صهيونية للتخلص من الشباب:

وبحسب تقارير فلسطينية، فقد سعت أطراف في الحكومة الإسرائيلية لتحقيق هذا الهدف عبر عدة أدوات منها:

- التهيئة الإعلامية: باستهداف وسائل الإعلام الإسرائيلية الشباب من خلال موجة تقارير مكتوبة ومرئية، بلغت في السنة الأخيرة -بحسب إحصاء مركز القدس- أكثر من ٢٦٠ تقريراً، تطور فيها الوصف من (تجمعات مشاغبة) إلى (رجال رائد صلاح)، (تنظيم حماس في الأقصى)، (جماعة هدفها العنف والتحشيد على الإرهاب)، وهذا الوصف ربط بآراء كتاب، ثم تقارير للشرطة الإسرائيلية، وختم بتقديرات أمنية حول المرابطين.

- اعتقالات في صفوف الشباب وربطها بأحداث القدس: حيث شن الأمن الإسرائيلي مئات الاعتقالات منذ عام بحق الشباب وخاصة المرابطين في المسجد الأقصى، وحاول محققو الشرطة الإسرائيلية الربط بين المرابطين والنساء والرجال بالمواجهات في المسجد الأقصى.

- اتهام الشباب بالانتماء لحركة حماس: حيث روج الأمن الإسرائيلي أن الشباب وخاصة الشباب المرابطين يتلقون أموالاً من حركة حماس أو من جهات مقربة منها، وأن حركة الرباط القائمة في الأقصى تتم برعاية منهم عبر الحركة الإسلامية الجناح الشمالي بقيادة الشيخ رائد صلاح.

- ربط دور الشباب المرابطين في الأقصى بموجة العمليات الفردية في القدس: حيث زعمت شخصيات إسرائيلية، منها "ميري ريغف" وزيرة الثقافة و"زئيف إكن" الوزير المكلف بشؤون القدس وشخصيات أخرى، أن ما يصنعه المرابطون في القدس يثير موجة من الغضب تتيح الرد من قبل شبان فلسطينيين بعمليات قتل ودهس في القدس.

رابعا / دور الشباب المقدسي

إن أقصى دور للشباب الفلسطيني في انتفاضة القدس ٢٠١٥ يعتبر معقداً إلى حد ما ، فالهبات والانتفاضات السابقة دعمتها جميع المؤسسات الرسمية وغير الرسمية الفلسطينية ، ولكن ما يميز دور الشباب في هذه الانتفاضة أنه لم يكن بتتسيق من هذه المؤسسات ، وهو ما دلت عليه وصايا الشهداء الذين دعوا في مجملهم إلى رفض الانقسام الفلسطيني ودعوتهم جميع الفصائل للدفاع عن فلسطين والدعوة الى تحريرها .

الطابع الفردي استفاد من حالة السيولة والسهولة في شروط الإعداد والتنفيذ، فهو من الجانب التقني لا يتطلب إتقان مهارات حربية وقتالية، كما لا يواجه صعوبة في توفير أدواته، وهو أيضاً من الجانب التنظيمي لا يحتاج إلا لإرادة وتصميم المنفذ. هذا دفع شريحة واسعة من الشباب والشابات إلى الانخراط في الهبة الحالية، فقد أورد التقرير الذي أعدته «يديعوت أحرونوت» في ١٦ / ٢ / ٢٠١٦ حول الوثيقة التي أعدها جيش الاحتلال الإسرائيلي و«الشاباك» والتي عرضت أمام القيادة العامة للجيش الإسرائيلي عن انتفاضة القدس الحالية، أن ١١٪ من «المهاجمين» هن فتيات، وأن



الفتاة تحتل مكانها في جولة التصعيد بشكل متزايد، وقد أصبحت المهاجمات من أمثال أشرفت قطناني وهديل الهسلمون رموزاً في الشارع الفلسطيني (Yehoshua, ٢٠١٦)، كما أفادت مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان أن عدد النساء اللواتي اعتقلن منذ بداية أحداث هذه الموجة الثورية ٦٣ معتقلة، ١٨ منهن اعتقلن بدعوى تنفيذ عمليات طعن (مؤسسة الضمير، ٢٠١٦)، الأمر الذي يُشير إلى المشاركة الكثيفة (من حيث العدد) للفتيات اللواتي أقدمن على تنفيذ عمليات طعن ودهس لجنود ومستوطنين في مناطق مختلفة من الضفة الغربية والداخل المحتل.

ولذلك فإن محاولة تفسير دور الشباب في هذه الانتفاضة من خلال النظريات التفسيرية أو النشويّة والتي تبحث في التغييرات التي تحدث على سلوك المواطنين، فإننا نلاحظ أن هناك انكاراً من الشباب الفلسطيني المقدسي بشكل عام للواقع الفلسطيني وحالة الجمود التي يعيشها على جميع المستويات وبالتالي لا يمكن تحقيق التحرير سلمياً ولكن لا بد من بذل الدماء والأرواح، ويمكننا حصر أهم نشاطات الشباب المقدسي خلال انتفاضة القدس فيما يلي:

- العمل على تحقيق التغيير من خلال رفض الأمر الواقع والدعوة لرفع الظلم والتهميش من أجل الحفاظ على الوطن وقضيته العادلة، من خلال أخذ زمام المبادرة في عملية التغيير داخل المجتمع في ظل غياب رؤية رسمية واضحة.
- محاولة إبراز جيل الشباب انفسهم من خلال مشاركتهم الفعلية في مواجهة الاحتلال أو من خلال استخدام الوسائل التكنولوجية في أعمال المقاومة.
- محاولة تنويع أعمال المقاومة والتي أكد الشباب من خلالها على اعتبارهم قوة دافعة داخل المجتمع لا يمكن لأي فصيل تجاوزها وذلك باعتبارهم مجموعة مبتكرة وليس مهمشة.
- المشاركة من خلال شبكات التواصل الاجتماعي والتي يستطيع الشباب من خلالها الاعلان عن رؤاهم الخاصة بهم، أو عن الأعمال المقاومة التي سيقومون بتنفيذها.
- المشاركة في الاحتفالات والاعتصامات الجماهيرية وخاصة في المناسبات الوطنية أو ذكرى الانطلاقات أو الايام الوطنية في تاريخ القضية الفلسطينية مثل يوم الأرض ويوم الاسير الفلسطيني.
- المشاركة في تشكيل اتحادات الطلبة والمشاركة بالنوادي والنقابات المختلفة لإبراز هويتهم القومية والوطنية وتحمل المسؤولية للحفاظ على الطابع العربي الفلسطيني للمدينة المقدسة.
- تعددت أعمال المقاومة من الشباب المقدسي سواء بالطعن أو الدهس أو اطلاق النار أو الضرب، بينما اقتصر دور الفصائل على التهنة والتعزية في منفذي العمليات.
- تعتبر الهبة الجماهيرية شبابية بالكامل فقد كان لطلاب المدارس بمستوياتها المختلفة هم الواجهة في مختلف أعمال المقاومة والتصدي لقوات الاحتلال الإسرائيلي في ظل غياب المؤسسات الرسمية وغير الرسمية حيث تدل الإحصائيات أن أكثر من ٨٠٪ من شهداء الانتفاضة وجرحاها



القدس هم من جيل الشباب .

- محاولة الشباب من خلال القيام بالتظاهرات والاعتصامات التأثير على الحياة السياسية الفلسطينية المعطلة بسبب الانقسام الفلسطيني وعدم وجود تدافع في الأجيال الأمر الذي أدى إلى تعطل الحياة السياسية.

خامسا / الرؤية المستقبلية لانتفاضة القدس :

مستقبل الانتفاضة يكتنفه الكثير من الغموض، فبينما يعلن الكثيرون عن تخوفهم من احتمال وقف الانتفاضة وإجهاضها كما حدث مع الانتفاضة الأولى والثانية، ويرى البعض أن هناك مؤشرات إضافية تدل على استمرار الانتفاضة وهو مدى تجذر الفعل المقاوم في الوجدان الشعبي الفلسطيني، والعربي.

والأحداث التي شهدتها، وما زالت تشهدا مدينة القدس والأراضي الفلسطينية، أعادت توحيد الأرض، والإنسان في فلسطين، بعد سنوات من الشلل السياسي والوطني الكامل، فالانقسام السياسي وما ترتب عليه من تمزق في النسيج المجتمعي الفلسطيني على الأصعدة كافة ، ما هي إلا غياب الرؤية المستقبلية السياسية الواضحة للدولة الفلسطينية وانتفاضتها .

يرى امطامنس شحادة مدير الأبحاث في مركز مدى الكرمل أن الداخل لن يذهب إلى الاستقرار ولن تُغلق الملفات الكبيرة فيه وهو أيضاً سيتأثر باستمرارية الأحداث بمُجمل الأراضي الفلسطينية (<http://ps.safa.ps>). هناك خوف وقلق إسرائيلي من آثار انتفاضة القدس على فلسطينيي الداخل

وينبع الخوف من خصوصية فلسطينيي الداخل وقربهم من المجتمع الصهيوني ومعرفتهم أحوال ومعايش اليهود أكثر من غيرهم من الفلسطينيين وبالتالي تحول حالة المقاومة الفردية إلى حالة منظمة جماعية وتواجه كل الدعم والمساندة من الداخل الفلسطيني وهذا ما يُورق العدو ويجعله حذراً ويخشى بداية انتفاضة قد تحدث هناك (ar/ps.ftv). ورأى الشيخ صالح لطفى القيادي

في الحركة الإسلامية ومدير مركز الدراسات المعاصرة في أم الفحم أن الانتفاضة لا تستمر إلا لعدة أشهر بسبب تدخل دول عربية وأجنبية لإيقاف الشباب من قبل القيادات السياسية بالإضافة إلى التنسيق الأمني بين السلطة وإسرائيل وعدم تحمُّس حماس للتصعيد بسبب حساباتها السياسية في الضفة والقطاع (net.aljazeera.www). وقالت حنين زعبي في ظل استمرار التصعيد في

الضفة الغربية والقدس المحتلة فإن تطور المواجهات في أراضي ٤٨ ستبقى مفتوحة على مصراعها على كل الاحتمالات (com.almonitor.www). قال باسل غطاس: «نحن في خضم معركة لم تنته، ولا يُعرف أين وكيف ستتطور الأمور، لأن هذا الأمر يعتمد على فعل الحكومة الإسرائيلية وتصرف المؤسسة الأمنية، الأمور مرشحة للاستمرار والتصعيد في ظل الاحتقان والتوتر والغضب لدى الجماهير التي لن تعود إلى المنازل وستستمر في المظاهرات الاحتجاجية، وأضاف لا أحد

يضمن مستقبلها فاحتمالات تدهور الأوضاع وسقوط شهداء على غرار هبة أكتوبر عام ٢٠٠٠ قائمة (com.almonitor.www). وقال راسم عبيدات في مقابلة معه فشلنا كقوى وأحزاب في تحويل



الاشتباك الانتفاضي إلى خيار سياسي يتجاوز أوسلو والانقسام وهذا الاشتباك الانتفاضي يسير من دون قادة وأهداف وطنية بوحدة وتغيب عنه الركائز الفكرية الأساسية والاقتصادية والاجتماعية والوطنية (مقابلة مع راسم عبيدات). وقال أيضاً: «لن تتطور الانتفاضة بسبب الضغط الأمريكي على السلطة لمنع اتساع نطاقها وشموليتها والدليل ما قالته الحكومة الإسرائيلية أن السلطة الوطنية أحبطت أكثر من ٤٠٪ من العمليات ضد الإسرائيليين (جنود ومستوطنين) وأبعد من ذلك عندما ذهب الرئيس ابو مازن بالقول بأن الأمن الفلسطيني يفتش حقائب المدارس وصادر أكثر من ٧٠ سكيمة وأوضح عبيدات أن الانتفاضة تواجه خطر الهبوط في ظل غياب القيادة الوطنية الموحدة وكثرة الانقسام (مقابلة مع راسم عبيدات). وقال صالح الخوري: «أن الانتفاضة إلى موات بسبب التعاون غير المسبوق للسلطة مع إسرائيل». (مقابلة مع صالح الخوري). أكد رجا اغبارية أن الانتفاضة مرتبطة بالظروف الراهنة وأكد أن هناك من يعرقل توسعها وزيادة نشاطها وهو الطابور الخامس الفلسطيني الذي يقوم بدور الفصل من جديد عبر أدواته داخل ال ٤٨ حفاظاً على ديمومة بقائه على صدور شعبنا (مقابلة مع رجا اغبارية). وقال حماد أبو دعابس: «أن الانتفاضة ما زالت تعاني من عدد من المتاعب أبرزها عدم وجود رؤية وطنية مشتركة توجهها وقد كان واضحاً منذ الشهر الأول لها غياب أي دور للأحزاب والقوى في توجيهها وتنظيم أدائها مما حرّمها من القدرة والتعاضد إلا بحدود المبادرات الفردية للشباب الذين نفذوا عمليات كان معظمها فدائي ومن الواضح جداً أن الانقسام المخجل لا يزال يعوق أي عمل مشترك حقيقي بين القوى على الساحة الفلسطينية ولاسيما الحركتين الكبيرتين فتح وحماس. فحركة فتح لا تخفي برنامجها القائم على المقاومة الشعبية غير المسلحة، في حين أضحت واضحة للغاية أن حركة حماس لا ترغب بأي تصعيد عسكري كون المفاوضات التركية الإسرائيلية بخصوص غزة قد وصلت وفق التصريحات التركية لمرحلة متقدمة، فيما اليسار الفلسطيني بشكل عام غير موحد ويمر بأزمات مركبة لا تجعله مؤهلاً بأي شكل من الأشكال بقيادة الشارع منفرداً. وإن كان وجوده بأي قيادة وطنية في غاية الأهمية (مقابلة مع حماد أبو دعابس). وقال محمد علان إن الانتفاضة ستستمر رغم الضغوطات التي تمارسها السلطة الوطنية وإسرائيل ولكنها ستحتاج إلى وقت لتكوين قيادة وطنية وهناك أسرى سنتتهي فترة محكوميتهم وسيخرجون وفي جمعيتهم أساليب مقاومة جديدة يمكنها لجم العدو لأن انتفاضة السكين وحدها لا تكفي فهي تحضير الشاب الفلسطيني لمقاومة السياسية العنصرية الإسرائيلية ولكنها لا يعول عليها في لجم العدو (مقابلة مع محمد علان). وعارض عفو اغبارية هذه الانتفاضة وقال: «هذه الانتفاضة لا يقف خلفها أي تنظيم سياسي فلا مستقبل لها هذا هدر لدماء الشعب الفلسطيني وإعطاء المحتل ذريعة الإعدام الميداني». (مقابلة مع عفو اغبارية).

٢- ما هي التوقعات لمستقبل الانتفاضة؟

تواجه الانتفاضة تحديات كبيرة قد تؤدي إلى إيقافها وإطفاء جذوتها؛ وهذه التحديات:

التحدي الأول:

هو تحدي الاستمرار، من خلال الصمود، واستمرار الفعاليات، والإبداع في مواجهة محاولات

إجهاضها إسرائيلياً، وإقليمياً، ودولياً، بما في ذلك قيام الإسرائيليين ببعض الإجراءات الشكلية والهامشية، التي تستهدف امتصاص زخم الانتفاضة، وتفريغها من محتواها وإطفائها.

التحدي الثاني:

هو تحدي الانتشار وهو مرتبط بقدرة الانتفاضة على الانتشار في باقي المناطق الفلسطينية، وعدم بقائها متركزة في القدس، بحيث تصبح الانتفاضة هي البيئة العامة للحياة الفلسطينية. (الشوبكي، ٢٠١٥)

التحدي الثالث:

هو الاستثمار وهو مرتبط بتحولها إلى حالة منظمة ممنهجة، بحيث تكون لها قياداتها الميدانية وتشارك فيها كافة القوى الفلسطينية، يكون لها برنامجها السياسي ومطالبها، وأهدافها؛ بشكل يقطع الطريق على استنزافها، أو انحراف بوصلتها، أو محاولة استغلالها وركوب موجتها.

التحدي الرابع:

فقدان البوصلة وهذا لا يعني أنها غير عقلانية، فاستمرار الانتفاضة الفلسطينية مرهون بوجود قيادة تعمل على تنظيم وقيادة هذه المواجهة بشكل واضح وملموس، حيث شاركت هذه الفصائل دون أن يكون هناك تمثيل رسمي (الشوبكي ، ٢٠١٥)

يمكن توسيع الانتفاضة من خلال المشاركة الفعالة لكافة الفصائل، والقوى الفلسطينية، ومن خلال: إفساح المجال للشباب المنتفض في كافة مناطق ونقاط الاحتكاك مع (إسرائيل)، كما أن هناك حاجة كبيرة لتفعيل دور وسائل الإعلام في تغطية الانتفاضة، وأنشطتها، وإيجاد بيئة عربية داعمة لها. ويجب استثمار هذه الأوضاع بشكل وطني، وتطورها لتصبح انتفاضة ضد الاحتلال وممارسته القمعية المستمرة بحق الحجر، والشجر، والإنسان، وعدم اختصار العامل الوطني والنضالي للمواجهة المحتل بثورة شعبية سلمية الهدف منها الضغط الإعلامي، والاهتمام العربي، والعالمي في ظل هذه الأحداث العربية المتردية، والانشغال الدولي بقضاياها الداخلية، والخارجية

ويرى الباحثان أن الأحداث لن تتطور فهي هبة ولن تتواصل لمدة طويلة بسبب الانقسام والحصار فالانتفاضة تعني كل المدن والقرى بحيث يتم نتبعثر قوات العدو على عدة جبهات كما حدث في الانتفاضة الأولى والثانية وهذا لم يحدث أقله في المدى المنظور. وبكل الأحوال الحقائق على الأرض هي التي يجب أن تقودنا إلى النتائج فقد استغل المحتل ما يجري من أحداث وقام بتضخيمها لتنظيم أكبر عملية بناء في المستوطنات ومصادرة الأراضي واستهداف الوجود العربي الفلسطيني في القدس. وبالرغم من أن الهيئة الحالية امتلكت أدوات جديدة وتكتيكات مختلفة ولكنها لا تمتلك أي مقومات لتحقيق نتائج سياسية أو مكتسبات وطنية في ظل حالة الانقسام الأفقي والعمودي.

٢- إنجازات انتفاضة القدس:

١- أعادت انتفاضة القدس الاعتبار البعد النضالي في الشخصية الوطنية الفلسطينية، إذ أثبتت الانتفاضة أن الشعب الفلسطيني في أماكن تواجد كافة لديه الجاهزية دفاعاً عن مقدساته،

وهو ما من شأنه أن يساهم في جسر الهوة في العلاقات الوطنية الفلسطينية، ويعزز من فرص المصالحة الداخلية، ويقرب بين الأطراف الفلسطينية المختلفة التي لا يفرق بينها المحتل عندما تحين لحظة المواجهة.

٢- أحدثت توازناً وطنياً داخلياً مهماً بين الجمهور الفلسطيني في الداخل مما قد يساهم في تعزيز العلاقات الوطنية والاجتماعية الداخلية، إذ أن الاستهداف الصهيوني لا يفرق بين فلسطيني، وآخر ولا يقف عند حدود الجغرافيا أو الفصائل أو الطبقات الاجتماعية والاقتصادية (٢٠١٦)، <http://felesteen.ps/details/news/148807>.

٣- شكلت ضربة لإسرائيل، وجاءت لتثبت فشل كل السياسات والمخططات الإسرائيلية، وخاصة في القدس، وكشفت الانتفاضة هشاشة الموقف السياسي الإسرائيلي، وهشاشة المجتمع الصهيوني وضعف ارتباطه بالأرض، ومع فقدان الأمن الشخصي للإسرائيليين، الحديث عن ضرورة الانفصال عن الفلسطينيين من جانب واحد، وعزل التجمعات الفلسطينية، حتى تلك الموجودة في أراضي عام ١٩٤٨م، وأثبت أن الارتباط الصهيوني بالأرض الفلسطينية ليس عميقاً (٢٠١٦)، <http://felesteen.ps/details/news/148807>.

٤- شكلت وحدة فلسطينية ميدانية في أماكن اندلاعها، وبتضامن كبير معها من فلسطينيي الـ ٤٨، ومن المتوقع أن تكون الممارسات الإسرائيلية عاملاً حاسماً في رفع وتيرة الانتفاضة، ومزيداً من التصعيد وبالتالي تصاعد الانتفاضة، واتساع قاعدتها الشعبية، خصوصاً إذا اندثر الانقسام وشاركت الفصائل فيها بقوة أكبر (٢٠١٦)، <http://www.qudsn.ps/article/102071>.

٥- تكبيد الاقتصاد الإسرائيلي خسائر كبيرة، هذا يؤدي إلى إثارة المزيد من الخلافات داخل المجتمع الإسرائيلي وضعت حداً للمراهنات على مشاريع التسوية، واستطاعت الإطاحة بمنظومة الأمن الجمعي والفردية الإسرائيلي (٢٠١٦)، <http://www.qudsn.ps/article/102071>.

٦- أفضلت مشروع ادعاء الاحتلال القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل.

٧- إعادة التأكيد على مركزية القضية الفلسطينية بعد انشغال الأمة عن فلسطين.

٨- إجبار (إسرائيل) على تقديم بعض التنازلات لضمان عودة الهدوء، من خلال تأكيدها أكثر من مرة على أنها لا تريد تغيير الوضع القائم في القدس، وإنهاؤها فكرة القدس الموحدة، إضافة إلى اضطراب حاخامات اليهود لإعادة إصدار فتاوى قديمة تمنع اليهود من الصلاة في المسجد الأقصى للحفاظ على سلامة المستوطنين، ووقف الاحتجاجات، والمواجهات (٢٠١٦)، <http://alquds.org>

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

١- كلما اقتربت سلطات الاحتلال الإسرائيلي من المسجد الأقصى كان رد الفلسطينيين ثورة عارمة سواء في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ أو باقي الأراضي الفلسطينية، رغم محاولات الاحتلال

- للتفرقة بين الفلسطينيين وإبعاد عرب الداخل عن القضية الفلسطينية.
- ٢- استمرار الهيات المتتالية من أجل القدس يرجع إلى تخوف الفلسطينيين متدينين وعلمانيين من مساعي الاحتلال لتقسيم الأقصى على غرار الحرم الإبراهيمي بالخليل.
 - ٣- الارتباط الوطني والروحي للشباب في الداخل بالأقصى لأنه يُشكل جزءاً من هويتهم.
 - ٤- تعود سبب الانتفاضة إلى السياسة الإسرائيلية تجاه تهويد القدس وتقسيمه «الأقصى» زمنياً ومكانياً وإلى السياسات العنصرية والتشريعات العنصرية الظالمة والاعتداءات التي تستهدف هوية فلسطينيي الداخل ومحاولة سلبهم عن شعبهم.

٥- الحراك الشبابي الذي يقود المظاهرات في الداخل هو تنظيم ميداني ولا ينتمي لأي حزب ولا يأتى بتوجيهات من جهة عليا أو مركزية.

٦- يواجه فلسطينيو ٤٨ حرياً شرسة تستهدف تهجيرهم عن أرضهم ووطنهم وهويتهم وصمودهم فقد باتوا يشكلون خطراً حقيقياً على الكيان الصهيوني كيف لا وهم حُماة المسجد الأقصى وقود انتفاضة القدس الدائم وقدموا منذ بداية الانتفاضة عشرات الشهداء ومئات الجرحى ويواصلون دعمهم ومساندتهم لهذه الانتفاضة.

٧- الحرب التي يوجهها الشباب شرسة، بل تزداد ضراوة هذه الأيام لدورهم في انتفاضة القدس وقيامهم بعدد من الفاعليات والإضرابات المؤثرة والتي جعلت العدو الصهيوني يحسب لهم ألف حساب.

٨- امتداد الانتفاضة بشكل سريع لساحة أراضي ٤٨ كان حدثاً مهماً لاسيما وأن جماهير الداخل دعمت وبشكل نوعي عمليات الطعن والدهس لأنها تؤمن بهدف واحد وهو كس الاحتلال.

٩- الأحداث في القدس أعادت القضية الفلسطينية إلى قلب الحدث في الداخل وتفاعلت الجماهير العربية في الداخل معها ودعمتها.

ثانياً التوصيات:

- ١- تشكيل قيادة وطنية موحدة للانتفاضة من القوى السياسية والاجتماعية الفلسطينية كافة.
- ٢- تحديد أدوات المقاومة واستراتيجيتها وتأكيد أهمية بقائها شعبية.
- ٣- توحيد الخطاب السياسي والإعلامي لكشف جرائم الاحتلال وممارساته.
- ٤- مطالبة المجتمع الدولي بتنفيذ القرارات الدولية كافة التي تؤدي وتدعم الحقوق الفلسطينية .

- ٥- ضرورة إنهاء الانقسام.
- ٦- ضرورة التواصل مع فلسطيني ٤٨ والتسيق معهم فقد آن الأوان لكي يكونوا شركاء في القرار كما هم شركاء في الأرض والوطن والانتماء.

٧- على فلسطينيي ٤٨ مواصلة فعاليتهم ونشاطاتهم الرافضة للسياسات الإسرائيلية التي

- نمارس في قمعهم والوقوف في وجه مخططات التهجير والطرده ومصادرة أراضيهم.
- ٨- على فلسطينيي ٤٨ الاستمرار في دعم الانتفاضة ومساندتها وحماية المسجد الأقصى والدفاع عنه.
- ٩- تفعيل دور أعضاء الكنيست العرب في مساندة المرابطين، وربط نشاطات التواجد في الأقصى بأجسام عربية مختلفة في الداخل الفلسطيني (لجنة المتابعة العربية).
- ١٠- تعزيز نشاط وزارة الأوقاف الأردنية داخل الأقصى (مراكز تحفيظ، مخيمات صيفية، دروس، رحلات دينية).
- ١١- مشاركة الحركة الإسلامية الجنوبية بشكل أوسع في نشاط شد الرحال للأقصى، بالإضافة إلى الأحزاب العربية المختلفة وعدم الاكتفاء بدور الحركة الإسلامية بقيادة الشيخ رائد صلاح.
- ١٢- تشكيل لجنة أهلية في القدس لدعم التواجد في الأقصى خلال الفترة الصباحية.
- ١٣- تفعيل الجانب الإعلامي بشكل أوسع، مع قضايا القدس والأقصى، وعدم الاكتفاء بالحالة الروتينية في التغطية، خاصة أن هذا الجانب يعاني ضعفاً كبيراً وخطيراً.
- ١٤- تحييد المسجد الأقصى عن النشاطات الحزبية الرسمية، والإبقاء على النشاط الديني التربوي الثقافي في الأقصى.
- ١٥- تشكيل قيادة وطنية موحدة للانتفاضة من كافة القوى السياسية والاجتماعية الفلسطينية.
- ١٦- أدوات واستراتيجية المقاومة، والتأكيد أهمية شعبية.
- ١٧- توحيد الخطاب السياسي والإعلامي لكشف جرائم وممارسات قوات الاحتلال.

المراجع

أولاً المقابلات:

- ١-مقابل مع جمال زحالقة عضو كنيست عربي عن حزب التجمع الوطني الديمقراطي(٢٠١٧/١/١٢).
- ٢-مقابلة مع حماد أبو دعابس رئيس الحركة الإسلامية في الشق الجنوبي(٢٠١٧/١/١٢).
- ٣- مقابلة مع راسم عبيدات مدير مؤسسة الإعلام في جمعية الشبان المسيحية في القدس(٢٠١٧/١/١٢).
- ٤-مقابلة مع رجا أغبارية عضو المكتب السياسي لحركة أبناء البلد(٢٠١٦/١٢/٢١).
- ٥-مقابلة مع صالح الخوري، خوري من مدينة سخنين(٢٠١٦/١٢/٢٤).
- ٦-مقابلة مع عفو أغبارية عضو كنيست عن حزب التجمع الديمقراطي(٢٠١٦/٢/٢٨).
- ثانياً:الرسائل العلمية:

- ١--خالد العيلة، جذر الفصل المنصري وآثاره على الضفة الغربية، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد-البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠١٥
- ثامناً: مواقع الانترنت:

١- انتفاضة «فلسطينيو الداخل».. اكتمال لمشهد الصراع، www.alestqal.com



- com، ٢٠١٥-١٠-١٥، عمر محمود،
نساعد الأحداث في الضفة يدفع فلسطيني ٤٨ إلى مواجهة مفتوحة على كل الأحداث، www.al-monitor.com، ٢٠١٢/٢٠١٥
- ٢- فلسطينيو ٤٨ بدأوا ٢٠١٥ بالوحدة وأنهوه بالانتفاضة، <http://safa.ps>،
كانون الثاني يناير ٢٠١٦، رشا بركة.
- ٣- فلسطينيو ٤٨ في مواجهة الاستئصال، <http://ftv.ps/ar>، ٢٠١٥/١٢/٢٢،
غسان مصطفى الشامي.
- ٤- فلسطينيو ٤٨ في الواجهة: القدس قدسنا والوطن وطننا، <http://alqudsnews.net>،
تشرين الأول ٢٠١٥، راغدة عسيران.
- ٥- فلسطينيو ٤٨ يرفضون تعيين أحد مجرمي هبة الأقصى مفتشاً للشرطة،
<http://safa.ps>، تموز يوليو ٢٠١٥.
- ٦- فلسطينيو الداخل مشاركة قوية في هبة الأقصى، <http://www.aljazeera.net>،
٢٠١٥/١٠/١٥.
- ٧- الشيخ صلاح: الانتفاضة عرقلت مخطط إفراغ فلسطيني ٤٨، وكالة
الصحافة الفلسطينية صفا، ١٥ كانون يناير ٢٠١٠، www.safa.com.
- ٨- نشأت ملحم وحرب الصهانية ضد فلسطيني ٤٨، إذاعة صوت الأقصى، ٢٠١١/١/١٦، alaqsavoice.pc.
- ٩- حسام الدجني، دوافع انطلاقة انتفاضة القدس، فلسطين أون لاين، ٢٠١٥، تاريخ القراءة ١٥-١٠-٢٠١٦،
<http://felesteen.ps/details/news>
- ١٠- كامل محمد عمران، تهويد مدينة القدس جوهر المشروع الصهيوني، دراسة سوسيولوجية،
٢٠١٥، تاريخ القراءة ١٥-١٠-٢٠١٦، <http://almaraka.net/spip.php?article121>
- ١١- مدينة القدس، انتفاضة القدس وعام ٢٠١٦... تحليل البيئة المحيطة وآفاق الدعم، تاريخ النشر
٢٠١٥/١٢/٢١، تاريخ القراءة ٢٠١٦/١٠/١٧، <http://alquds-online.org>
- ١٢- فلسطين أون لاين، من منجزات انتفاضة السكاكين.. صورة هزت إسرائيل، تاريخ النشر ١٨
أكتوبر، ٢٠١٥، تاريخ القراءة ١٧-١٠-٢٠١٦، <http://felesteen.ps/details/news>، ١٤٨٨٠٧
- ١٣- فلسطين قدس الإخبارية، موقع إسرائيلي: انتفاضة السكاكين حققت جملة من الإنجازات
الإستراتيجية، تاريخ النشر ٧/١٠/٢٠١٦، تاريخ القراءة ١٧/١٠/٢٠١٦، <http://www.qudsn.ps/article>
١٠٢٠٧١
- ١٤- فلسطين قدس الإخبارية، موقع إسرائيلي: انتفاضة السكاكين حققت جملة من الإنجازات
الإستراتيجية، تاريخ النشر ٧/١٠/٢٠١٦، تاريخ القراءة ١٧/١٠/٢٠١٦، <http://www.qudsn.ps/article>
١٠٢٠٧١

- ١٥-ناصر عزات الكفارنة، الانتفاضة مستمرة : ما بين العنف الشوري والسجلات، تاريخ النشر ٢٠١٥، تاريخ القراءة ١٥-١٠-٢٠١٦، <http://www.nedalshabi.ps/?p=٦٨٨٨٢> -١٦
- ٢٢-الحركة الاسلامية داخل الخط الاخضر٢٢/١٠/٢٠١٥www.aljazeera.net.
فلسطينيو ٤٨ في مواجهة الاستئصال، <http://ftv.ps/ar>، ٢٢/١٢/٢٠١٥، غسان مصطفى الشامي.
- ٣٤- فلسطينيو الداخل مشاركة قوية في هبة الأقصى، <http://www.aljazeera.net>، ١٥/١٠/٢٠١٥.
- ٣٥- قيود من لهب تحاول كسر إرادة أسيرات انتفاضة القدس، فلسطين نت، ٥/٨/٢٠١٦، <http://palestine.paldf.net/news>
- مركز حقوقي: الاحتلال الإسرائيلي اعتقل ٢١٥ فلسطينية منذ بداية انتفاضة القدس، الرهان، ١٣/٦/٢٠١٦، <http://www.elzmannews.com/mt>، print=y&١١٤٠٨
- ٣٦- ٣٩ - مرابطات الأقصى.. أشعلن الانتفاضة وواصلن الرباط (تقرير)، المركز الفلسطيني للإعلام، <https://www.palinfo.com/print>، ١٥/١٠/٢٠١٥.
- ٤٠- مرابطات الأقصى حارسات على تخوم الحرم، مركز اللغات والترجمة، <http://tlcaldirasat.com/arabic>.
- ٤١- مقدسيات جُبلن على حياة المطاردة من أجل الأقصى، الاستقلال، ٢٠/١٠/٢٠١٤، <http://www.alestqal.com/ar/index.php?act=Show&id=٢٨٠٧> and the westbank page٣ , ١٩٨٨ , Indiana Universty press)
- المرباطات رأس مال الأقصى والمدافعات عنه، موقع إذاعة صوت الأقصى، <http://www.١٤٢٥٣٥=alaqsavoice.ps/arabic/?action=detail&id>
- إتحاد الإذاعة والتلفزيونات الإسلامية: ١٤ صحيفة تعرضت للاعتداء والاصابة منذ بداية انتفاضة القدس، موقع العهد الإخباري، <http://www.alahednews.com.lb>.
- ٤٢ انتفاضة القدس (الانتفاضة الفلسطينية الثالثة) ٢٠١٥ بين النظرية والتطبيق، شبكة الاسراء والمعراج، ١٧/٧/٢٠١٦، <http://www.israj.net/?p=١١٢٠٩>.
- ٤٣- الجزء الثاني: المرأة الفلسطينية والانتفاضات ١٩٨٨-٢٠١٥، أخبارك، ٢٠/١٠/٢٠١٥، <http://akhbarek.com/society>، ٢٠١٥-١٩٨٨/٢٠/١٠/٢٠١٥

تداعيات الاستيطان الإسرائيلي على مستقبل مدينة القدس والموقف الفلسطيني لمقاومته

م. عدنان فضل الهندي

الملخص

إن فكرة الاستيطان في فلسطين، بدأت تلوح في الأفق، بعد ظهور حركة الإصلاح الديني على يد مارتن لوتر في أوروبا، حيث بدأ أصحاب المذهب البروتستانتي الجديد بالترويج لفكرة أن اليهود ليسوا جزءاً من النسيج الحضاري الغربي، لهم ما لهم من الحقوق وعليهم ما عليهم من الواجبات، وإنما هم شعب الله المختار، حسبما ورد في التوراة المحرفة، وأن وطنهم المقدس فلسطين، يجب أن يعودوا إليه، وكانت أولى الدعوات لتحقيق هذه الفكرة ما قام به التاجر الدنماركي أوليجربولي عام ١٦٩٥، الذي أعد خطة لتوطين اليهود في فلسطين، وقام بتسليمها إلى ملوك أوروبا في ذلك الوقت، وفي عام ١٧٩٩ كان الإمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت أول زعيم دولة يقترح إنشاء دولة يهودية في فلسطين في أثناء حملته الشهيرة على مصر وسوريا. ولكن يرجع تاريخ الاستيطان الإسرائيلي الفعلي في مدينة القدس إلى سنة ١٨٥٠م حيث أقيم حي «يمين موشيه» في منطقة جورا العناب، ليكون نواة لأحياء يهودية تُقام خارج الأسوار في اتجاه الجنوب الغربي والشمال الغربي والغرب، ثم أقيم حي «مئاه شعاريم» في منطقة المصراة، و«ماهور حايم» في المسكوبية سنة ١٨٥٨م.

وتهدف هذه الدراسة إلى معرفة تاريخ الاستيطان الإسرائيلي لمدينة القدس وتداعياته وإبراز الإجراءات الإسرائيلية لتهويد مدينة القدس ودور السلطة والتنظيمات المؤسسات المدنية والشعب الفلسطيني للتصدي للإجراءات ولهذه الهجمة الاستيطانية، وتهتم الدراسة بتزويد المختصين بالمعلومات اللازمة عن مخاطر الاستيطان، وكيفية التصدي لها. حيث يهدف البحث إلى:

- ١- إعطاء نبذة تاريخية عن الاستيطان الإسرائيلي في القدس وتداعياته والإجراءات الإسرائيلية لتهويدها وطمس هويتها العربية والإسلامية
- ٢- بيان دور السلطة والتنظيمات الفلسطينية ومؤسسات المجتمع المدني في محاربة الاستيطان ومقاومته الإسرائيلي في القدس والإجراءات الإسرائيلية لتهويدها.

وسيتم تقسيم البحث إلى ثلاثة محاور:

المحور الأول: نبذة تاريخية عن الاستيطان في مدينة القدس.

المحور الثاني: الإجراءات الإسرائيلية للاستيطان في مدينة القدس.

المحور الثالث: دور السلطة والتنظيمات الفلسطينية ومؤسسات المجتمع المدني في محاربة الاستيطان الإسرائيلي في القدس.



The repercussions of Israeli settlement on the future of Jerusalem And the Palestinian position to resist

Abstract

The idea of settling in Palestine began to loom, following the emergence of the movement of religious reform by Martin Luther in Europe, where the proponents of the new Protestant doctrine began to promote the idea that the Jews are not part of the Western civilized fabric, they have their rights and duties, But they are the people of God chosen, according to the distorted Torah, and that their Holy Land Palestine, should be returned to him, and was the first calls to achieve this idea was done by the Danish merchant Olegrboli in 1695, which prepared a plan for the resettlement of Jews in Palestine, and handed over to the kings of Europe At that time, in 1799 it was an amber Frenchman Napoleon Bonaparte was the first country leader to propose the establishment of a Jewish state in Palestine during his famous campaign against Egypt and Syria.

But Bacon is because the actual Israeli settlement date in the city of Jerusalem to the year 1850 where it was “the right hand of Moshe” neighborhood of Jouret jujube area, to be the nucleus of a Jewish neighborhood built outside the walls in the direction of the south-west-west, west and north, and then held “Miah Shearim” neighborhood in Almasserarh area and “sanctioned Habim” Almsquibh in the year 1858.

This study aims to know the Israeli settlement of Jerusalem and its implications and to highlight the Israeli measures to Judaize the city of Jerusalem and the role of power and organizations of civil institutions and the Palestinian people to address the actions the date of this settlement attack and is interested in the study to provide professionals with the necessary information about the settlement risk, and how to address them. Where research aims to:

1. Give a brief history of Israeli settlement in Jerusalem and its implications



and procedures Alasraialh to Judaize it and obliterate the Arab and Islamic identity

2. Statement on the role of the Palestinian Authority and the organizations and institutions of civil society in pluteaceae Israeli Mquaomhalastaitan in Jerusalem and the Israeli measures to Judaize it.

It will be divided into three areas:

First: History of the settlement in the city of Jerusalem.

Second: Israeli Craat to Judaize the city of Jerusalem.

Third: the role of the Palestinian Authority and the organizations and institutions of civil society in pluteaceae Israeli Mquaomhalastaitan in Jerusalem.

خطة الدراسة

المقدمة:

لم تحظ مدينة من المدن ولا مصرٌ من الأمصار في العالم كله بما حظيت به مدينة القدس من المكانة العالية في نفوس كل أجناس البشر، فمدينة القدس من أقدم مدن العالم، هدمت وأعيد بناؤها أكثر من ١٨ مرة في التاريخ، ولذا تحتل قضية القدس مكانة مرموقة في نفوس العرب والمسلمين عبر التاريخ فهي تشكل أولى القبلتين وفيها ثالث الحرمين الشريفين، وهي تجسد التاريخ العربي والإسلامي العريق الذي يتمثل في كل اثر وموقع من آثارها وأماكنها التاريخية . ويعتبر الاستيطان الإسرائيلي هو التطبيق العملي للفكر الاستراتيجي الاسرائيلي الذي انتهج فلسفة أساسها الاستيلاء على الأرض الفلسطينية، بعد طرد سكانها الفلسطينيين بشتى الوسائل بحجج دعاؤ دينية وتاريخية باطلة، وترويج مقولة «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»، وجلب أعداداً كبيرة من شتات اليهود من مختلف أنحاء العالم، وإحلالهم بدلاً من العرب الفلسطينيين، بهدف إقامة دولة على المنطقة العربية، لما تلعبه فلسطين من أهمية استراتيجية في هذه البقعة من العالم.

وتعد قضية الاستيطان الإسرائيلي في القدس في طليعة القضايا المهمة في مجال القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي ، وتشكل هذه القضية ميداناً واسعاً للدراسة والتحليل ، وتعدد الأبعاد والجوانب التي يمكن بحثها في هذا المجال ، وسوف تركز هذه الدراسة على موقف الشرعية الدولية من عمليات الإستيطان .

وتم تناول موضوع الاستيطان الإسرائيلي في القدس، لبيان مدى خطورته حيث يتم استعراض نبذة عن تاريخه، والإجراءات التي اتخذتها إسرائيل لتسريع عملية الاستيطان، ودور السلطة والتنظيمات الفلسطينية ومؤسسات المجتمع المدني في محاربة الاستيطان ومقاومته الإسرائيلي في القدس.

مشكلة الدراسة:

يعتبر الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس أخطر استيطان في فلسطين نظراً لأهمية المدينة التاريخية والجغرافية والدينية مما جعلها من أكثر المدن عرضة لأطماع الصهاينة، وتكمن مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي الآتي:

ما هي مخاطر الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس ويتفرع من السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية:

- ١- ما هو تاريخ بدء الاستيطان الإسرائيلي لمدينة القدس؟
- ٢- ما هي الإجراءات الإسرائيلية للاستيطان في مدينة القدس؟
- ٣- ما دور السلطة والتنظيمات الفلسطينية ومؤسسات المجتمع المدني في محاربة ومقاومة الاستيطان الإسرائيلي في القدس ؟

أهداف الدراسة:

- ١- إعطاء نبذة تاريخية عن الاستيطان الإسرائيلي في القدس والاجراءات الإسرائيلية لتهوديها

وطمس هويتها العربية والإسلامية

٢- دور السلطة والتنظيمات الفلسطينية ومؤسسات المجتمع المدني في محاربة ومقاومة الاستيطان الإسرائيلي في القدس والإجراءات الإسرائيلية لتهويدها.
أهمية الدراسة:

1- تزويد السياسيين والباحثين بالمعلومات اللازمة عن أخطار الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس وكيفية مقاومته.

٢- تزويد المكتبة العربية بالمعلومات اللازمة عن الاستيطان الإسرائيلي لمدينة القدس.
حدود الدراسة:

الحد المكاني:

تدور الدراسة في إطارها المكاني في مدينة القدس من فلسطين.

الحد الزمني:

تمتد الدراسة من بدء الاستيطان الإسرائيلي حتى ٢٠١٧/٦/٣٠.

منهج الدراسة :

تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي في هذه الدراسة:

المنهج التاريخي: استخدمت الدراسة المنهج التاريخي من خلال رصد تاريخ الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس.

المنهج الوصفي التحليلي: واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحديد بدء تاريخ الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس وتحليله وتحديد الإجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس وطمس معالمها ودور السلطة والتنظيمات الفلسطينية ومؤسسات المجتمع المدني في محاربة الاستيطان الإسرائيلي في القدس.

المقدمة:

تأتى مدينة القدس في المقام الأول في المخططات الصهيونية، وهي قمة أطماعها الأولى ونقطة ارتكازها، كما أخذت إسرائيل في سياسة التهويد لمدينة القدس الفعلية باتخاذها خطوات عملية جادة، منها ما قام به الزعماء الإسرائيليون من تصريحات تبين ماهية الضم منذ إعلان الدولة اليهودية عام ١٩٤٨م. ومن أبرز تلك المخططات إعلان القدس المحتلة عام ١٩٤٨م عاصمة لإسرائيل في ١٢/١/١٩٤٨م، ونقلت إليها مقر الحكومة الإسرائيلية، كما أصدرت قانون الغائبين في ٢١/٣/١٩٥٠م، والذي يبيح للمواطن الإسرائيلي حرية التصرف في الممتلكات والأراضي العربية باعتبار كل مواطن عربي غادر الأرض أو غاب عنها منذ ١٩٤٨/٩/١ لا يحق له العودة إلى مدينة القدس، كما قامت بإتباع المدينة إداريا إلى سلطات الحكم العسكري الإسرائيلي منذ يونيو ١٩٦٧م، حيث قامت بإلغاء القوانين الأردنية التي كان معمولا بها هذا إلى جانب العديد من الممارسات الإسرائيلية على السكان العرب من مصادرة الأراضي والأحياء وإعلان الضم من الناحية السياسية لإسرائيل يجعل القدس عاصمة أبدية لها منذ ٣٠/٧/١٩٨٠م (فتوح، ٢٠١٠/١١/٠٥، <http://www.wata.cc>).

ومن خلال البحث في ملف القدس منذ الاحتلال الإسرائيلي للمناطق العربية في ٥ يونيو ١٩٦٧م حتى وقتنا الحاضر أخذت الممارسات الإسرائيلية تزداد بوضوح في القدس الأمر، الذي يؤكد الاستمرار في تلك السياسة العدوانية نحو الأرض والشعب على حد سواء، وكذلك تركيز المؤسسات اليهودية على اختلاف أشكالها وأنواعها وألوانها على تصوير احتلال مدينة القدس على أنه بداية مرحلة الخلاص للشعب اليهودي، فعملوا منذ احتلالها على تهويدها وذلك بمزاحمة سكانها المسلمين بجلب الآلاف من العائلات اليهودية داخلها وأحاطتها بالعديد من المستعمرات اليهودية وتوطينهم (١٦/١٢/٢٠١٤، <https://www.tasnimnews.com>).

المحور الأول: نبذة تاريخية عن الاستيطان في مدينة القدس:

يرجع تاريخ الاستيطان الإسرائيلي الفعلي في عام ١٨٢٧، بدأت رحلات عملية لإقامة أحياء يهودية في القدس. كان من نتيجتها شراء أول قطعة أرض عام ١٨٥٥ وأقيم عليها أول حي سكني خارج أسوار القدس سنة ١٨٥٧ عرف باسم حي (مشكانوت شعنا نيم وعرف فيما بعد بيمين موسى). وفي السنوات الممتدة بين عامي ١٨٤٢ و ١٨٩٧، أقيمت أحياء وكُنُس عدة، وبُنيت ٢٧ مستوطنة في منطقة القدس وما حولها، وفي عام ١٨٥٠م أقيم حي «يمين موشيه» في منطقة جورة العناب، ليكون نواة لأحياء يهودية تُقام خارج الأسوار في اتجاه الجنوب الغربي والشمال الغربي والغرب، ثم أقيم حي «مناه شعاريم» في منطقة المصراة، و«ماقور حابيم» في المسكوبية سنة ١٨٥٨م.

منها ما تم اقامتها بالخداع عام ١٨٥٩، إذ قيل وقتها إن المنشآت لبناء مستشفى، لكن بُنيت أحياء يهودية على امتداد الطرق المؤدية إلى بوابات المدينة الغربية والشمالية والجنوبية، وجرى ذلك تحايلاً على القانون وبمساعدة من القنصل البريطاني في القدس، فلم تدخل القوات البريطانية مدينة القدس في ١١ كانون الأول ١٩١٧، إلا وكانت المرحلة الثانية قد نُفِذت، لمحاصرة القدس وتحقيق الأكتية اليهودية فيها. وهكذا شكّلت المدينة المقدسة هدفاً استيطانياً مركزياً عند الحركة

الصهيونية منذ المرحلة الأولى، حيث أخذت عملية الاستيطان شكل التسلّل بدوافع دينية واقتصادية وسياسية في أثناء الحكم العثماني ليشكل هذا التسلّل مرتكزاً للغزوة الصهيونية، وفي أثناء الاحتلال البريطاني الذي توطأ بشكل لا لبس فيه مع الحركة الصهيونية فسمّح بالهجرة بأوسع أشكالها وأعطى الوجود اليهودي تسهيلات مبرمجة هيأت لقيام الكيان الصهيوني (عمران، ٢٠١٥/٠٣/١٤، <http://almaraka.net>).

مر الاستيطان الإسرائيلي بخمس مراحل، ومراحل الاستيطان الإسرائيلي هي: المرحلة الأولى «التمهيدية»: بدأت منذ انعقاد مؤتمر لندن عام ١٨٤٠ بعد هزيمة محمد علي، واستمرت حتى عام ١٨٨٢، وكانت هذه المرحلة البدايات الأولى للنشاط الاستيطاني اليهودي في القدس، إلا أن مشاريع هذه المرحلة لم تلق النجاح المطلوب بسبب عزوف اليهود أنفسهم عن الهجرة إلى فلسطين وخاصة إلى القدس، والتوجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية أو الانخراط في مجتمعاتهم، ومن أبرز نشاط هذه المرحلة اللورد شافتسبوري، واللورد بالمرستون، ومونتفيوري. (الريماوي، ٢٠٠٥، ص ١٠٧). المرحلة الثانية: بدأت يوصول أولى الهجرات اليهودية المنظمة عام ١٨٨٢ واستمرت حتى بداية الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٢٠، واتصفت في بدايتها بافتقارها إلى التخطيط، وفي هذه المرحلة بدأ الاستيطان الفعلي في فلسطين وخاصة القدس، وشهدت الموجات الأولى والثانية من الهجرة اليهودية إلى فلسطين خصوصاً من أوروبا الشرقية وروسيا، ومن أبرز نشاط هذه المرحلة لورنس أوليفانت، وروتشليد، وهرتزل، وفي هذه المرحلة بدأت المؤتمرات الصهيونية العالمية وأسست المنظمة الصهيونية العالمية.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الانتداب البريطاني على فلسطين، وفي هذه المرحلة تم تكثيف عمليات استملاك اليهود للأراضي الفلسطينية، وبناء القدس الجديدة (القدس الغربية)، وتدفق الهجرة اليهودية، حيث شهدت هذه المرحلة الموجات الثالثة والرابعة والخامسة. المرحلة الرابعة: وبدأت منذ إعلان قيام دولة إسرائيل وحتى عام ١٩٦٧، وفيها تمكنت إسرائيل من الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية وتوافد المهاجرين اليهود، وتوسيع مدينة القدس الغربية باتجاه الغرب (عبد الرحمن، ٢٠٠٧/٠٣/٢٦، <https://www.palinfo.com>).

المرحلة الخامسة:

لقد سعت «إسرائيل» بعد حرب ١٩٦٧ واحتلال كامب مدينة القدس، إلى استكمال مخططها الاستيطاني الهادف للسيطرة الكاملة على مدينة القدس، وعملت على تحقيق ذلك من خلال توسيع ما يسمى بحدود القدس شرقاً وشمالاً، وذلك بضم مستوطنة «معاليه أدوميم» التي يقطنها حوالي ٢٥ ألف مستوطن، كمستوطنة رئيسية من الشرق، إضافة إلى المستوطنات العسكرية الصغيرة مثل «عنتوت، ميشور، أدوميم، كدار، كفعات بنيامين» من الجهة الشرقية، «والنبي يعقوب، كفعات زئيف، والتلة الفرنسية، كفعات حدشا، كفعات هاردار» من الشمال، كتلة غوش عتصيون التي تتكون من مستوطنات: ألون شيفوت، كفار عتصيون، مجدال عوزا، نايف دانيال، جبعوت، بات عايس، روش تسوديم، بيتار عيليت، كتلة موديعين، كتلة الكتل الاستيطانية شمال غرب القدس والتي تضم كفعات

زئيف، جفعوت حدشاه، هارادام، وهارشموئيل.

ومن أهم التجمعات الإستيطانية داخل الحدود الموسعة لمدينة القدس الحي اليهودي داخل أسوار البلدة القديمة: الذي أقيم على أنقاض حارة الشرف عام ١٩٦٨م، نيفي يعقوب التي تقع شمال مدينة القدس، راموت التي تأسست عام ١٩٧٢م، جيلو أكبر المستوطنات الواقعة في الجزء الجنوبي الغربي من مدينة القدس، تأسست عام ١٩٧٢م، وتلبوت الشرقية التي أقيمت عام ١٩٧٤م، علوت دفنا التي تبلغ مساحتها ١٢٨٩ دونم، الجامعة العبرية التي أقيمت عام ١٩٢٤م على أراضي قرية العيسوية، ريخس شعفاط «رامات شلومو التي» تبلغ مساحة مخططها الهيكلي ١١٩٨ دونم، رامات اشكول وجبعات همفتار التي تبلغ مساحتها حوالي ٣٩٧ دونماً، مستعمرتا بسغات زئيف، بسغات عومر التي أقيمت هاتان المستعمرتان على مساحة ٣٨٠٠ دونماً من أراضي قرى بيت حنينا، حزما، عناتا، عطرورت «منطقة صناعية» وتبلغ مساحتها حوالي ١٢٠٠ دونم، جبعات هماتوس وتبلغ مساحتها حوالي ١٧٠ دونم، مستعمرة جبل أبو غنيم (هارحماء) وتبلغ مساحتها ٢٠٥٨ دونماً، التلة الفرنسية وأقيمت على أراضي قريتي «لفتا وشعفاط»، مشروع مامبلا «قرية داود» و أقيمت على مساحة ١٣٠ دونم.

ونتيجة لوجود هذه الكتل الاستيطانية، إضافة إلى إجراءات أخرى تقوم بها السلطات الإسرائيلية، فإن التجمعات السكانية الفلسطينية في القدس ستتحول إلى مناطق معزولة عن بعضها البعض (غيتوات) مقابل تواصل استيطاني يهودي (٢٠١٣/٠٣/٣٠، <http://www.wafainfo.ps>).

ومن هنا نرى أن المخطط الصهيوني والاستعماري ضد فلسطين وخصوصاً مدينة القدس، قد بدأ منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر، ولكن بدايته الفعلية قد بدأت في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وازدادت وتيرة الاستيطان بعد الانتداب البريطاني لفلسطين وإعطاء وعد بلفور لليهود سنة ١٩١٧م.

المحور الثاني: الإجراءات الإسرائيلية للاستيطان في مدينة القدس

أخذت الممارسات الإسرائيلية تزداد بوضوح في القدس الأمر، الذي يؤكد الاستمرار في تلك السياسة العدوانية نحو الأرض والشعب على حد سواء، وكذلك تركيز المؤسسات اليهودية على اختلاف أشكالها وأنواعها وألوانها على تصوير احتلال مدينة القدس على أنه بداية مرحلة الخلاص للشعب اليهودي، فعملوا منذ احتلالها على تهويدها وذلك بمزاحمة سكانها المسلمين بجلب وتوطين الآلاف من العائلات اليهودية داخلها و أحاطتها بالعديد من المستعمرات اليهودية (فتوح، ٢٠١٠/١١/٠٥، <http://www.wata.cc>).

واتخذت إسرائيلية عدة إجراءات تساعدها على الاستيطان في القدس ومنها:

أولاً: الاجراءات القانونية:

قامت (إسرائيل) بسن عدة قوانين تساعد على الاستيطان بالقدس أهمها:

١- بتاريخ ١٩٦٧/٦/٧٨م، أصدرت الحكومة قراراً بضم القدس الشرقية بعد احتلالها لباقي فلسطين إلى القدس الغربية (أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٨، ص ١٠٣)، وأصدرت مرسوماً بشأن



سريان قانون الدولة (٥٧٠٨ - ١٩٤٨م) وقضائها وإداراتها على مساحة تبلغ ٦٩,٩٩٠ دونماً، تضم كل القدس القديمة، ومناطق واسعة محيطة بها، تمتد من صور باهر في الجنوب، إلى مطار قلنديا في الشمال.

٢- بتاريخ ٢٧/٦/١٩٦٧م، أصدرت التعديل الجديد لقانون البلديات رقم ٦ لسنة ٥٧٢٧-١٩٦٧م، يسمح للوزير بحسب تقديره ودون إجراء أي تحقيق أن يصدر إعلاناً يوسع فيه منطقة اختصاص بلدية ما، بواسطة ضم مساحة تحددت في مرسوم صادر.

٣- بتاريخ ٣٠/٧/١٩٨٠م، أصدرت بشكل استثنائي قانوناً جديداً عرف باسم «قانون أساسي». أقر بأن القدس عاصمة إسرائيل ٥٨٤١ - ١٩٨٠م. الذي تقدمت بهذا النائب، «غيثولا كوهين»، عضو الكنيست عن حزب الليكود. (عفانة، ٢٠١١).

ثانياً: الاستيلاء على الأراضي وإقامة المستوطنات:

عند بدء الإنتداب البريطاني لفلسطين كانت الملكية اليهودية في القدس ٤,٣ من مجموع مساحة القدس، وعند إقامة دولة إسرائيل كانت ٤٪ فقط في البلدة القديمة، و ١٤٪ فقط من أراضي القدس الغربية، وبعد احتلال إسرائيل لباقي القدس اعتبرت نفسها مالكة لجميع الأراضي، استناداً لشعار أرض إسرائيل، وتستطيع أن تصدر أي جزء وتتسبب عليه المستوطنات الإسرائيلية، مما أدى إلى قضم أراضي المقدسيين وأجزاء أخرى من الضفة وضمها للقدس الكبرى التي تحاول لأن تطبعها بالطابع اليهودي (أكاديمية الملكة المغربية، ١٩٩٨، ص ١١٥).

سعت إسرائيل خلال العقود الماضية إلى استكمال مخططاتها الاستيطانية الهادفة للسيطرة الكاملة على مدينة القدس، حيث عمل على تحقيق ذلك من خلال توسيع ما يسمى بحدود القدس شرقاً وشمالاً، وذلك بضم مستوطنة معاليه أدوميم التي يقطنها حوالي ٢٠ ألف نسمة، كمستوطنة رئيسية من الشرق، إضافة إلى المستوطنات العسكرية الصغيرة مثل «عنتوت، ميشور، أدوميم، كدار، كفا ت بنيامين» من الجهة الشرقية، «وكخاف يعقوب، كفعات زئيف، كفعات حدشا، كفعات هاردار» من الشمال. مما أدى إلى مضاعفة عدد المستوطنين وفي نفس الوقت قللت نسبة السكان العرب الفلسطينيين الذين يشكلون ثلث سكان القدس أي حوالي ٢٢٠ ألف نسمة بما فيها الجزء المضموم ٢٨٠ ألف نسمة، مع العلم أن عدد المستوطنين في القدس الشرقية، (٢٠١٣/٠٣/٣٠، <http://www.wafainfo.ps>).

ومن الجدير ذكره أن عدد المستوطنات في القدس حسب إحصائيات مركز أبحاث الأراضي ٢٩ مستوطنة، ١٤ منها في الجزء المضموم من القدس أي ما يسمى بحدود القدس الشرقية، وتنتشر هذه المستوطنات في لواء القدس على شكل تجمعات استيطانية مكثفة تتخذ الشكل الدائري حول المدينة وضواحيها ممثلة بمراكز استيطانية كبيرة المساحة. ويشار أيضاً إلى أن حدود البلدية (القدس الغربية) تم بشكل رسمي توسيعها ولكنة عملياً تم الاستيلاء على ٧٢ كم مربعاً بقرارات مختلفة وبتقبيد التمدد العمراني في القدس وتحويل المناطق إلى مستوطنات يهودية كما حدث مع جبل أبو غنيم (تقرير، ٢٠١٦، <http://alqudsnews.net>).

- واتخذت إسرائيل عدة إجراءات للإستيلاء على الأراضي في القدس وضواحيها وهي:
- ١- مصادرة آلاف الدونمات من الأراضي التابعة للقرى التي أقيمت عليها المستوطنات.
 - ٢- تطويق التجمعات السكانية الفلسطينية والحد من توسعها.
 - ٣- تهديد بعض التجمعات السكانية الفلسطينية بالإزالة.
 - ٤- إبقاء فلسطيني القدس وضواحيها العزل في حالة خوف ورعب دائمين، من خلال الاعتداءات المتكررة عليهم من قبل المستوطنين المدججين بالسلاح.
 - ٥- عزل مدينة القدس وضواحيها عن محيطها الفلسطيني في الشمال والجنوب.
 - ٦- تشويه النمط العمراني الرائع للقدس العتيقة والقرى الفلسطينية المحيطة.
- (http://www.aljazeera.net، ٢٠٠٥/٠١/١٠).
- ٧- تتبع إسرائيل سياسية دمج المناطق اليهودية والمستوطنات المجاورة للقدس الشرقية إلى مناطق النفوذ الإسرائيلية
- ٨- جدار الفصل في شقه المتعلق بالقدس، الذي يهدف إلى إلحاق المزيد من السيطرة على القدس العربية وتسريع حركة المستوطنين وتشجيعهم على السكن في المستوطنات ضمن منطقة القدس، حيث سيكون تأثير الجدار الفاصل في القدس هو الأشد والأكثر أهمية.
- (http://www.mediapal.org، ٢٠١٦، خضر).
- ومن هنا نرى أن إسرائيل قد عمدت إلى اتخاذ إجراءات قانونية وسن قوانين، تساعد على الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية في مدينة القدس وخارجها، وتحولها إلى مستوطنات إسرائيلية أو متزهات عامة بغرض التضييق على الفلسطينيين في مدينة القدس للرحيل عنها.

ثالثاً: الإجراءات ضد السكان الفلسطينيين:

- لجأت إسرائيل منذ اليوم الأول لاحتلالها القدس الشرقية إلى وضع سياسة سكانية مجحفة بحق الفلسطينيين، «اعتمدت على مواقف الحكومات الإسرائيلية المتلاحقة والتي وضعت أسسها حكومة حزب العمل منذ عام ١٩٦٧ منطلقاً من مبدأ تحجيم وتقليص عدد الفلسطينيين في القدس بما لا يزيد على ٢٤٪ من النسبة العامة لسكان القدس بشطريها» ١١. فشكلت وزارة الداخلية الإسرائيلية عام ١٩٩٢ لجنة للتحقيق في ضم أراضٍ تقع شرقي المدينة، وأكدت هذه اللجنة إبقاء النسب السكانية التي حددت عام ١٩٦٧، وبناء على نفس التقرير الذي قدمته لجنة «كبرسكي» لوزارة الداخلية فإن نسبة اليهود في القدس ستصل إلى ٧٧٪ من الحجم العام للسكان في عام ٢٠٢٠، وذلك بالعمل على زيادة عدد المستوطنين اليهود داخل حدود البلدية جنباً إلى جنب مع زيادة الاستيطان في المستوطنات المحيطة بالمدينة التي تقع خارج حدودها الحالية (أبو عامر، ٢٠٠٩، http://alresalah.ps/ar).
- اتبعت سلطات الاحتلال مجموعة من الإجراءات ضد السكان العرب بهدف تقليص تنامي أهمها:
- ١- تهجير الفلسطينيين وسحب الهويات منهم، من أجل خلق واقع جديد يكون فيه اليهود

النسبة الغالبة في مدينة القدس. (فبراير/٢٠١٦، <https://ar.wikipedia.org>).

٢- صدور قرار الحكومة الإسرائيلية بقانون أملاك الغائبين ومصادرة أراضي كل من المنطقة لمدة معلومة عن طريق إدارة أملاك الغائبين وحرمان من كانوا غائبين بحكم التجارة أو العمل أو التعليم مخالفة بذلك المادة (٣) من الميثاق العالمي لحقوق الإنسان وخلافا لقرار هيئة الأمم المتحدة رقم ١٩٤ عام ١٩٤٨م والذي يعني بعودة جميع اللاجئين لأراضيهم.

٣- بناء المستوطنات الصهيونية حول مدينة القدس بشكل دائري، وضمها إلى المدينة لتكثيف الوجود اليهودي لإعطاء صبغة يهودية للمنطقة، فهذا الطوق يشمل كل من المستوطنات التالية: «هار حوما» جبل أبو غنيم، «معاليه أدوميم» - أراضي أبو ديس، «بزغات زئيف» أراضي حزما وبيت حنيئا، «نفي يعقوب» على أراضي بيت حنيئا وضاحية البريد، «جبعات زئيف» على أراضي الجيب ويبدو، «ريخيس شفاط» على أراضي شعفاط. (عيسى، ٢٠١٤/٦/٤، <https://www.nablustv.net>

٤- عمليات الترحيل التي كانت تتم علنا وبصورة خفية لأصحاب المكانة المبارزة والقادة الوطنيين والدينيين والمفكرين الفلسطينيين منهم على سبيل المثال روجي الخطيب عمدة القدس والشيوخ عبد الحميد رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، هذا إلى جانب آلاف الفلسطينيين العاديين الذين تعرضوا لعمليات الترحيل.

(فتوح، ٢٠١٠/١١/٥، <http://www.wafa.cc>).

٥- تحديد حجم وأماكن رخص البناء، وفق سياسة تجميد البناء العربي داخل الحدود البلدية، ولضمان ذلك ماطلت في إعداد مخططات هيكلية للمدينة والتي بدونها لا يسمح قانونيا بالبناء. لكن في عام ١٩٧٠ وبموجب خارطة هيكلية جزئية شملت البلدية القديمة والمناطق المحاذية مثل الطور ووادي الجوز، وسلوان، والثوري، رأس العمود والمنطقة الجنوبية. أعطيت لأول مرة منذ الاحتلال رخص تسمح للعرب بالبناء ولم يزد عدد هذه الرخص عن ٥٠ رخصة فقط، وأمام الضغط الناتج عن هذه السياسة اضطرت البلدية إلى إحداث تغيير راديكالي عام ١٩٧١ ومنحت العرب نحو ٤٠٠ رخصة مقابل ٧٠٠٠ رخصة منحت لإقامة شقق سكنية للمستوطنين اليهود في القسم الشرقي من المدينة (وفا، <http://info.wafa.ps>).

٦- عدم السماح بارتضاع المباني العربية في القدس الشرقية لأكثر من طابقين أو ثلاثة وهذا يحد من إمكانيات التوسع العمراني العمودي. وهذا أدى إلى نقص متزايد في إعداد الشقق المتاحة لسكان العرب داخل حدود البلدية، فلم يكن هناك مفر سوى البحث عن مساكن خارج الحدود البلدية، والضواحي المجاورة للمدينة، أو في المدن الأخرى، مثل رام الله والبيرة، وهكذا فإن هذا الاتجاه يحقق بصورة غير مباشرة أحد أهداف إسرائيل في مسألة التهويد. (<http://www.mediapal.org>).

ومن الواضح أن إسرائيل قد اتخذت عدة إجراءات، منها القانونية، والاستيلاء على الأراضي

الفلسطينية في القدس بحجج مختلفة، كمتنزهات عامة أو أملاك غائبين، والعمل على تهجير السكان المقدسين من القدس إلى خارج حدود مدينة القدس أو المدن الفلسطينية الأخرى، والتخطيط لبلدية للقدس الكبرى التي تضم القدس بشطريها والأراضي المحاذية لها خصوصاً من أراضي ١٩٦٧.

المحور الثالث: دور السلطة والتنظيمات الفلسطينية ومؤسسات المجتمع المدني في محاربة الاستيطان الإسرائيلي في القدس:

أثارت الاجراءات الإسرائيلية في القدس ردود فعل فلسطينية، داخل القدس وخارجها من الكل الفلسطيني، سواء السلطة الفلسطينية، او على مستوى التنظيمات الفلسطينية جمعاء، سواء تنظيمات منظمة التحرير الفلسطينية، أو التنظيمات خارجها، والمؤسسات الأهلية، نظراً للمكانة التي تمتع بها القدس عند الأمتين العربية والإسلامية عموماً، وعند الفلسطينيين خصوصاً، ولأن الاجراءات التي اتخذتها الحكومة الإسرائيلية تعتبر شديدة الخطورة، على مستقبل القدس وطمس هويتها الفلسطينية والعربية والإسلامية، كان لابد من مواجهة هذه الاجراءات الخطيرة بكل السبل الممكنة (قاسمية، ١٩٧٩، ص٦٩).

وعملية فصل القدس عن محيطها الفلسطيني، لم تكن بالأمر الجديد على الشعب الفلسطيني بل سبقه القرار ١٨١ الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام ١٩٤٧، والمعروف باسم قرار التقسيم، عندما نص على تدويل القدس ووضعها تحت إشراف الأمم المتحدة.

وأمام إصرار الشعب الفلسطيني على النضال من أجل دولته المستقلة، بعاصمتها القدس الشرقية، ادعى زعماء إسرائيل أن التاريخ لم يشهد قيام دولة للفلسطينيين، أو كانت القدس عاصمتهم، وبالتالي لا يحق لهم، من وجهة نظرهم، المطالبة بمدينة القدس.

وفلسطين من دون القدس، بالنسبة للفلسطينيين، لا معنى لها لا وطنياً ولا دينياً ولا أخلاقياً. ومع كل الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل بحق القدس الشرقية منذ العام ١٩٦٧ «إلا أنها حافظت على استقلالها في الكثير من القطاعات. كما أن هذه السياسة (الإسرائيلية) لم تساهم في وحدة القدس، ولا في تقريب السكان بعضهم إلى بعض، بل بالعكس تماماً، ازدادت الهوية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتعليمية بين شطري المدينة وازدادت التطلعات السياسية والوطنية أكثر بكثير لدى الفلسطينيين من تلك التي كانت قائمة عقب عام ١٩٦٧»، (٢٠١٦، <http://www.shuun.ps>).

ورغم كل الاجراءات الإسرائيلية في مدينة القدس إلا أنها لم تنجح بالحصول على الاعتراف الدولي باحتلالها للقدس بشطريها الغربي منذ ١٩٤٨ أو الشرقي بعد حرب ١٩٦٧، والاعتراف بها كعاصمة للدولة اليهودية، بل تمسك عواصم العالم بأن القدس وفقاً للقرارات الدولية لها وضع خاص، ولم تنقل سوى عدد محدود من الدول سفاراته للقدس، ثم عادت هذه الدول لنقل سفاراتها لتل أبيب مرة أخرى، وفي آب أغسطس ٢٠٠٦ أفضلت آخر دولتين سفارتيهما بالقدس، وهما كوستاريكا والسلفادور (عزام، ٢٠١٠، ص١٢٢).

وكان للفلسطينيين وما زال دوراً مهماً في تحديد مستقبل القدس، منها المواقف الرسمية، والفصائلية، والمنظمات الأهلية والشعبية، وسنتاول في هذا المحور هذه المواقف بالتفصيل :

أولاً: الدور الفلسطيني الرسمي (موقف منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية وحركة فتح):

كان الموقف الفلسطيني الرسمي (موقف منظمة التحرير الفلسطينية) والتي تمثلها حركة فتح حيث هي المسيطر عليها حتى مطلع التسعينيات يتمثل بضرورة عودة (إسرائيل) إلى حدود عام ١٩٦٧ بما فيها القدس الشرقية، ولكن في مقاضات أوصلوا كان للمفاوض الفلسطيني ثلاثة مواقف وهي:

١- طالب المفاوض الفلسطيني باستعادة كامل القدس، حيث إنها حزة من الأراضي الفلسطينية التي احتلت عام ١٩٦٧ والعود إلى حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧.

٢- طالب المفاوض الفلسطيني أن يتم مناقشة موضوع القدس في مفاوضات متعددة اقليمية ودولية، تضم دولاً عربية، وليست فلسطينية - إسرائيلية فقط، وأن يتم وإخلاؤها من المستوطنين.

٣- وافق المفاوض الفلسطيني في اتفاقية أوصلو على تأجيل بحث وضع القدس في المرحلة الانتقالية كما وموضوع اللاجئين الفلسطينيين والحدود، وتأجيلها لمرحلة الحل النهائي، على أن يتوقف الاستيطان الإسرائيلي فيها (عزام، ٢٠١٠، ص ١٢٣).

وفي حديث لـ«النشرة»، يؤكد محافظ القدس **عدنان الحسيني** أن هناك معادلة في القدس يزداد فيها عنف وضغط الاحتلال، ومقاومة فلسطينية بأسلة مشرفة من المقدسين الذي يواجهون الاعتداءات بنفس الحجم المقاوم في شوارع وأحياء مدينة القدس المحتلة. ولا يحمل المحافظ مسؤولية التقصير لما تتعرض له القدس للسلطة الفلسطينية بل للأمة العربية والإسلامية التي يجب عليها ألا تقف مكتوفة الأيدي أمام غطرسة إسرائيل في المدينة، وأن تدعمها السيل المتاحة كافة. ويقول: «معركة القدس أكبر من السلطة ولا نستطيع أن نحملها المسؤولية كاملة، فهي معركة الأمة والسلطة تحاول أن تدعمها الطرق المتاحة كافة في إطار الامكانيات المتاحة». (فروانة، ٢٠١٣/٥/٢٣، <http://www.saidatv.t>).

وفي مقابلة مع الأخ حنا عيسى عضو المجلس الثوري لحركة فتح وأمين عام المقدسات الإسلامية والمسيحية عن دور السلطة الفلسطينية في محاربة الاستيطان الإسرائيلي لمدينة القدس قال: « أن السلطة الفلسطينية وهي المنبثقة عن منظمة التحرير الفلسطينية الاستيطان الإسرائيلي في القدس الشرقية حث أنها عاصمة للدولة الفلسطينية، وأن هناك العديد من قرارات مجلس الأمن الدولي كالقرار ٢٤٢، والذي ينص على الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي التي احتلتها في حرب ١٩٦٧ ومنها القدس الشرقية، وحيث إن مندوب الولايات المتحدة الأمريكية في الأمم المتحدة قال حرفياً في ١٤/٥/١٩٦٧ أن القدس الشرقية جزء لا يتجزأ من الأراضي الفلسطينية المحتلة، وأن هناك قراراً لمجلس الأمن الدولي رقم «٢٣٢٤» في ٢٣/١٢/٢٠١٦ اعتبر أن الاستيطان الإسرائيلي لمدينة القدس غير شرعي وغير قانوني، وهو ما تتمسك به حركة فتح والسلطة الفلسطينية، وموقف منظمة التحرير الفلسطينية الرسمي، وموقف باقي الفصائل الفلسطينية الوطنية والإسلامية»

ومما سبق يتضح أن السلطة الفلسطينية قد وافقت على تقاسم فلسطين التاريخية، بين الفلسطينيين



واليهود، وإقامة دولتين عليها، إحداهما فلسطينية والأخرى إسرائيلية القائمة فعلياً، مع تأكيد الانسحاب الإسرائيلي من كل القدس الشرقية، وإخلاء جميع المستوطنات المقامة على أراضيها، وأن تكون القدس الشرقية عاصمة للدولة الفلسطينية،
ثانياً: دور حركة حماس:

كان موقف حركة حماس واضحاً منذ البداية أن القدس عاصمة للدولة الفلسطينية من النهر إلى البحر ومن رأس الناقورة إلى حدود سيناء. وتلخص موقف حماس من القدس في مقابلة مع خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس عن سؤال طرحه أحمد منصور ببرنامجه بلا حدود وهو «عن موقف حماس من قضية القدس، وما الذي تملكون فعله وأنتم ليس بيدكم قرار، وإنما القرار الآن تجاه الدول العربية أو تجاه السلطة الفلسطينية التي تتحرك في هذا الإطار؟»

حيث أجاب قائلاً: «أن القدس في قلب كل عربي ومسلم، منها عرج بالرسول صلى الله عليه وسلم، هذه القدس التي تعيش في وجداننا، واللي الله سبحانه وتعالى جعل.. وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم واضح في ذلك، بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، الطائفة المنصورة. هذه القدس الآن هي عنوان الصراع، وواجب الأمة أن تتخذ من القدس منطلقاً لصراعها مع هذا العدو، حين نجد الصهيانة يتشبثون، ولا يقبلون إلا أن تكون القدس لهم وخاصة المسجد الأقصى الذين يسمونه (جبل الهيكل) الآن يستهدفونه بالهدم وبناء الهيكل، ويريدون أن يدخلوا في أنفاقه، هذا الموقف الصهيوني يفرض على الأمة العربية والإسلامية مسؤولية كبيرة أن تتوحد من أجل القدس، أن ترفع شعار القدس. والمطلوب من الدول العربية، خاصة بمبادرة سعودية مصرية سورية أن يدعوا إلى لقاء عربي وإسلامي، ويبحثوا كيف نستعيد القدس؟ ويطرحوا أن هذه مسؤولية عربية وإسلامية، وعلى الأقل يطلقون العنان لجهد الشعوب خاصة الشعب الفلسطيني، حركة حماس، القوى المجاهدة، نضالات الشعوب، وأنا واثق أننا مستعدون وقادرون -إن شاء الله- على استعادة القدس. هذا هو شأننا، وبدون ذلك، أمة من دون القدس لا مستقبل لها، أمة لا تستحق الحياة، بكل صراحة أمة تفرط في القدس أمام هؤلاء الصهيانة المجرمين أمة بلا تاريخ. (مقابلة أجراها أحمد منصور مع خالد مشعل، ٢٠٠٠/٨/٣٠، <http://www.aljazeera.net>).

وفي سؤال آخر طرحه أحمد منصور وهو «أبو ديس جزء من القدس، وهناك تبادل للأراضي سوف يتم، وهذا ما هو متاح الآن، لماذا لا تقبلون بما هو متاح حتى تستعيد الأمة قوتها وتقاتلون فيما بعد وتستردون ما بقي؟» أجاب خالد مشعل: «فلسطين والقدس ليست مجرد بضاعة نأخذ جزءاً مقابل جزء، هذه أرض، هذه قيم، هذا دين، هذه عقيدة، هذا تاريخ!! ثم نأتي بعد ذلك لنفرط في القدس أو نقبل بضعة (أشبار) هنا أو هناك!! لا.. القدس شرقيها، وغربيها. ولعلمك القدس الغربية فيها أحياء عربية عديدة مثل البقعة (التحتة) و(الفوقة) و(الطالبية) وغيرها.. هذه كلها لنا، والأصل أن نتمسك بها فلا عربي ولا مسلم، لا مسؤول ولا فرد مخول أن يساوم على القدس. وظيفتنا كمرب ومسلمين أن نسعى إلى حشد استراتيجي من أجل القدس». (مقابلة أجراها أحمد منصور مع خالد مشعل، ٢٠٠٠/٨/٣٠، <http://www.aljazeera.net>).



وفي مقابلة مع الأستاذ الدكتور أحمد أبو حلبية مدير دائرة القدس في حركة حماس ومقرر لجنة القدس في المجلس التشريعي عن دور حركة حماس في مقاومة الاستيطان الإسرائيلي لمدينة القدس بتاريخ ٢٠١٧/٥/٢٢ قال: «إن حماس كغيرها من فصائل العمل الفلسطيني تشارك في الرباط في المسجد الأقصى المبارك لمواجهة المقتحمين الصهاينة، وكذلك مواجهة المخططات الصهيونية في مدينة القدس لمصادرة الأراضي وهدم المنازل وما إلى ذلك، والعمل على مساعدة جمهورنا المقدسي هناك من أجل الاستمرار في صموده، وأن حماس لها دور كبير مع الفصائل الفلسطينية في هذا السياق وفي دهم أهلنا بداخل المدينة المقدسة، ويشارك في هذه الجهود الرجال والنساء وعائلات وأولاد. (مقابلة مع أ.د. أبو حلبية، أحمد مدير دائرة القدس بحركة حماس ومقرر لجنة القدس بالتشريعي بتاريخ ٢٠١٧/٥/٢٢).

من الواضح أن موقف حماس يتلخص بعدم الاعتراف بإسرائيل، وأن جميع المستوطنات هي غير شرعية، ويجب مقاومتها بكل الوسائل والطرق، وأن وجود إسرائيل غير شرعي أيضاً، وأن القدس كل القدس بشرطها هو عاصمة للدولة الفلسطينية، التي ستقام على كل أراضي فلسطين.

ثالثاً: دور حركة الجهاد:

كان لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين دورٌ في محاربة الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس، كما لباقي حركات المقاومة الفلسطينية، واتخذ هذا الدور أشكالاً مختلفة.

ففي مقابلة مع الأستاذ خضر حبيب عضو المكتب السياسي لحركة الجهاد الإسلامي بتاريخ ٢٠١٧/٥/٢٤ عن دور حركته في مقاومة الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس قال: «إن الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس الذي امتد من شرقها إلى غربها، ومن جنوبها إلى شمالها، على حساب حقوق شعبنا الفلسطيني، فممركتنا مع هذا الاحتلال جزء من دور الحركة في مقاومة الاستيطان، وحركة الجهاد الإسلامي جنباً إلى جنب مع كل الفصائل وشعبنا الفلسطيني تعمل على محاربة هذا الاستيطان، وهو مرفوض وغير شرعي من وجهة حركة الجهاد الإسلامي، ويجب اقتلاع المستوطنين من أرضنا وإرجاع هذه الأرض إلى أصحابها الأصليين، وهو شعبنا الفلسطيني، ولا تتنازل عن ذرة من تراب أرض فلسطين التاريخية، لأن هذه الاستيطان سيزول بزوال هذا الاحتلال، فحركة الجهاد الإسلامي كان لها دورٌ كبيرٌ في محاربة الاستيطان في كل فلسطين وخاصة في مدينة القدس، عبر عمليات اقتحام المستوطنات»، وفي سؤال عن دور حركة الجهاد الإسلامي في دعم صمود أهلنا في مدينة القدس، أجاب: «إن أهلنا في القدس يحتاجون إلى كل عمليات الدعم، وحركة الجهاد الإسلامي تقوم بالدعم السياسي والمعنوي لهم، بكل مناسبة تسير المسيرات، وتقوم بالفعاليات من أجل مناصرة أهلنا في القدس، ودعمها لهذه المدينة المقدسة المستهدفة التي عمد العدو الصهيوني على طمس معالمها الإسلامية وتهويدها، وستعمل بكل جهدها مع باقي الفصائل الفلسطينية من أجل جلاء هذا العدو عن المدينة المقدسة. (مقابلة مع الأستاذ حبيب، خضر عضو المكتب السياسي لحركة الجهاد الإسلامي بتاريخ ٢٠١٧/٥/٢٤).

من الواضح أن موقف حركة الجهاد الإسلامي يتوافق مع موقف حركة حماس، من حيث إن القدس



كلها بشطريها عاصمة للدولة الفلسطينية، التي ستقام على كل فلسطين، وأن الاستيطان غير شرعي ويجب مقاومته بكل الطرق، وعدم الاعتراف بدولة إسرائيل لأنها كيان غير شرعي، قامت على تقتيل الشعب وتشريده الفلسطيني من أراضيه.

رابعاً: دور الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين:

كان للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين دوراً في محاربة الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس، كما لباقي حركات المقاومة الفلسطينية، وتمثل هذا الدور في أشكال مختلفة.

ففي مقابلة مع أحد الأسرى المحررين من محافظة، في صفقة وفاء الأحرار القدس سامر أبو سير وهو عضو بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بتاريخ ٢٠١٧/٥/١٨، وسؤاله عن دور الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وموقفها من مقاومة الاستيطان الإسرائيلي في المدينة المقدسة ومحيطها قال: « إنَّ القدس تشكل رقماً صعباً في القضية الفلسطينية، وأنها في مركز الاهتمام بالنسبة للجبهة الشعبية سواء على المستوى العام أم المستوى التنظيمي، وبعد احتلال ما تبقى من الأرض الفلسطينية في حرب عام ١٩٦٧، وضمتها للقدس الغربية وأعلنتها عاصمة لدولة إسرائيل، رأت أن يكون النضال في داخل القدس لأسباب عديدة، حماية القدس من الاستيطان والتهويد، ومما تمر به من المؤامرات والدسائس على المستويات المختلفة، من طرد السكان المقدسين منها بالطرق المختلفة، ومحاولة أسرلتهم بمنحهم الهويات الزرقاء، ولكن بحقوق أقل من الإسرائيليين وعرب الداخل، وحيث إن اتفاقية أسلو أتاحت لإسرائيل أن تحقق إنجازات كبيرة بتهويد القدس، لأنها أخرجت قضية القدس واللجان والحدود للمرحلة النهائية في المفاوضات، فشعر المواطن المقدسي أنه بعزلة أمام الحالة التي كانت قبل أسلو على المستوى الوطني، فأصبح يشعر باللامبالاة، وأن السلطة ليست مسؤولة عنه، ولا يعرف لمن يتبع هو، هل الأردن أم السلطة أم التنظيمات، وكان للجبهة الشعبية دوراً مهماً من خلال العمليات العسكرية في القدس والمشاركة في انتفاضة القدس من خلال عناصرها دون اعلان عن انتمائهم لها، ولأن تكون رافعة للمحافظة على مدينة القدس، والأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية من التهويد ومقاومة الاستيطان، ومما يدل على ذلك وجود عدد معقول من الشهداء في انتفاضة القدس الحالية ممن ينتمون للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وأنه حسب مقولة الرفيق جورج حبش أنه لا يجب أن نخسر المعركة الثقافية مع الاحتلال، وهي معركة ايماننا المطلق بأن فلسطين والقدس حق لنا، وأن لا يتزعزع هذا الايمان ببقينا مكلقاً مهما خسرنا من معارك أخرى. (مقابلة مع الأسير المحرر سامر أبو سير، من الجبهة الشعبية بصفقة وفاء الأحرار وتمت بتاريخ ٢٠١٧/٥/١٨).

من الواضح أن موقف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ستطابق مع كل من حركة الجهاد الإسلامي وحركة حماس، من حيث أنه يجب مقاومة الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس بكل الوسائل والطرق المتاحة.

خامساً: دور حزب الشعب الفلسطيني :

كان لحزب الشعب الفلسطيني في فلسطين دور في محاربة الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس،



كما لباقي حركات المقاومة الفلسطينية، وتمثل هذا الدور بعدة أشكال مختلفة. ففي مقابلة مع الأستاذ وليد العوضي القيادي في حزب الشعب الفلسطيني عن دور الحزب في محاربة الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس قال: « إنَّ الاستيطان ومصادرة الأراضي واقامة جدار الضم والفصل العنصري ومحاولات التهويد، أبرز المظاهر المباشرة للاحتلال الإسرائيلي، ويتنافى مع قواعد الشرعية الدولية، بالإضافة إلى الفتوى القانونية لمحكمة العدل الدولية في لاهاي الخاصة بالجدار. ويأتي استمرار الاستيطان تكريساً لرؤية الحركة الصهيونية التي تعمل على الاستيلاء على أوسع مساحة من الأرض وطرد أكبر عدد من السكان، ولهذا فقد تنامي الاستيطان تحت غطاء المفاوضات والعملية السلمية أضعاف أضعاف لذلك فإن حزب الشعب وبالعلاقة مع القوى الأخرى يعمل لتأكيد أن إنهاء الاحتلال للأراضي الفلسطينية، ويشترط كذلك إنهاء جميع مظاهره الاستيطانية. إن النضال ضد الاستيطان والتوسع، وجدار الضم العنصري، هو نضال استراتيجي ضد جوهر المشروع الصهيوني القائم على ابتلاع الأراضي والسيطرة على مصادر المياه، حيث يمثل وقف الاستيطان بصورة كاملة مدخلاً لأية مفاوضات جدية للسلام مع إسرائيل. النضال من أجل التصدي لبناء جدار الضم العنصري والعمل على إزالته، وكذلك لحملات الاستيطان ومصادرة الأراضي ويعمل مع القوى الوطنية الأخرى على تنظيم أوسع أشكال الكفاح الجماهيري لمواجهة من خلال خطة وطنية موحدة تدمج بين مهام الجماهير الكفاحية في الدفاع عن الأراضي، ومهام زارعتها وتشجيرها، ودعم صمود أصحاب الأراضي وتعزيز قدرتهم على مواجهة الممارسات الإسرائيلية. وأن الكفاح بالتعاون مع القوى والهيئات الوطنية الأخرى، من أجل تنظيم الجماهير في لجان شعبية لمقاومة الجدار، والدفاع عن الأراضي، ويسعى إلى توسيع هذه اللجان وتوحيدها في إطار خطة وطنية موحدة لتصعيد المقاومة الشعبية في مواجهة الاحتلال والاستيطان. (مقابلة مع الأخ وليد العوضي القيادي في حزب الشعب الفلسطيني بتاريخ ٢٨/٠٥/٢٠١٧).

من الواضح أن موقف حزب الشعب الفلسطيني يتماثل مع موقف السلطة الفلسطينية، بأن القدس الشرقية يجب أن تكون عاصمة الدولة الفلسطينية وأن الاستيطان فيها غير شرعي ويجب إزالته. سادساً: دور مؤسسات المجتمع المدني في مواجهة الاستيطان الإسرائيلي في القدس: لمؤسسات المجتمع المدني خصوصاً في القدس دور بارز في مواجهة الإجراءات الإسرائيلية في القدس، حيث إنَّ خصوصية الوضع القائم في القدس وحراجه الموقف، يتطلب برنامجاً يجعل من فلسطينيي القدس العامل الرئيسي في تطوير وسائلهم الخاصة بمقاومة الإجراءات الإسرائيلية لتهويد مدينتهم، التي تعمل على طردهم من أرضهم ومصادرة ممتلكاتهم وإحلال المستوطنين اليهود بدلاً منهم، ففي القدس فإن الحارة أو القرية التي أصبحت بفعل قرار ضم القدس حياً من أحياء القدس، تبدو الحل الأنسب لإعادة إحياء مشاعر الانتماء، ولدينا مثل واضح في تجربة لجنة الدفاع عن حي سلوان التي قادت معركة معمة ضد مصادرة البيوت عام ١٩٩١، وخارج القدس تحرية بيت ساحور التي خاضت حكمة يحتذى به للامتناع عن دفع الضرائب خلال الانتفاضة الأولى، وحركة أهل قرية الخضر للدفاع عن أراضيهم.

ومن الممكن أن تلعب مجالس الأحياء دوراً مهماً في مقاومة الاجراءات الإسرائيلية بأن تكون منبراً لأهالي الحارة ودعم مبادرات محلية مختلفة، واتخاذ ما يناسب الحي من إجراءات لمقاومة التهويد الإسرائيلي، ثم تدمج الاستراتيجيات المحلية للحارة، ضمن استراتيجية بكلالمدينة وما يتبع لها من قرى وأحياء ومناطق، والتي من الممكن أن تكون أساس لتطوير سياسة فلسطينية لتتمة المدينة، يتضمن عناصر للدفاع عن الأرض والمكان في المدينة ليمنع عملية سرقة الأراضي. وتحتاج هذه السياسة لحملة اعلامية وشعبية كبيرة وتنسق حول شعار «القدس مدينتنا» يكون من بين اهدافها التوضيح للرأي. (عبد الجواد، ١٩٩٨، ص ٣٦٦-٣٦٩).

في مقابلة عبر الفيس مع الأستاذ الدكتور أسامة أبو نحل أستاذ العلوم السياسية بجامعة الأزهر عن دور الجامعات الفلسطينية في مقاومة الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس قال: « دور الجامعات الفلسطينية في تبيان خطورة الاحتلال الإسرائيلي لمدينة القدس - بيان البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي فيما يخص أرض فلسطين ومدينة القدس تحديداً - أن تعمل الجامعات على بيان خطورة الاستيطان في المدينة المقدسة - أن توضح للطلبة خطورة المشروع التهويدي لمدينة القدس، وما سترتب عليه من فقدان الفلسطينيين لحقهم التاريخي فيها. (مقابلة مع أ. د. أبو نحل، أسامة أستاذ العلوم السياسية بجامعة الأزهر عبر الفيس بوك بتاريخ ٢٢/٥/٢٠١٧).

أما في مقابلة مع الأستاذ الدكتور وليد المدلل رئيس قسم العلوم السياسية بالجامعة الإسلامية عن دور الجامعات الفلسطينية في تحديد مستقبل القدس فقال: « إن الجامعات الفلسطينية مقصرة في موضوع القدس، فهو يأتي بشكل هامشي في مقررات الجامعات الفلسطينية، وأنه ليس هناك مراكز أبحاث متخصصة تبحث في موضوع القدس، وما تواجهه هذه المدينة من تحديات، وفي مقدمتها الاستيطان الإسرائيلي، وأن بعض الجامعات لديها مقرر واحد فقط عن القدس، تدرسه ممكن أن يكون عن التاريخ القديم أو الحديث لمدينة القدس، وأنه حسب علمه ليس هنالك مقرر يدرس يتناول التحديات التي تواجه المدينة، والآثار الكارثية التي ترتبت على هذه التحديات سواء الاستيطان أو التهويد أو مصادرة الأراضي، ولهذا لا نستطيع أن نتحدث عن دور تقوم به هذه المؤسسات عدا عن بعض الأشخاص الذين يعملون بهذه المؤسسات، كـ بعض الأبحاث على سبيل المثال وهو لا يأتي ضمن سياق منظم، ولذا لا أعتقد أن هناك جهد منظم في هذا الموضوع، وتستطيع الجامعات أن تلعب دوراً في هذا المجال بحكم أنها مراكز للمعرفة والتطوير ولديها الكثير من أصحاب الاختصاص، ومن يلعب هذا الدور عبارة عن أفراد موجودين في هذه الجامعات، ولكن ليس من فلسفة هذه الجامعات أن تلعب دوراً في هذه المهمة. (مقابلة مع أ. د. المدلل، وليد رئيس قسم العلوم السياسية بالجامعة الإسلامية بوك بتاريخ ٢٢/٥/٢٠١٧).

وفي مقابلة مع الاستاذ حسام أبو النصر رئيس مجلس بيت القدس للدراسات والبحوث الفلسطينية عن اسهامات بيت القدس في فضح سياسات الاستيطان في مدينة القدس قال: «أهم دور لعبته المؤسسات الوطنية في محاربة الاستيطان دعم عمليات المقاطعة لمتوجاتها من خلال حركة بي دي اس، والتي أدت الى خسائر فادحة في اقتصاد المستوطنات وأدى الى اتخاذ قرارات من قبل دول أوروبية



وغربية باتجاه مقاطعة المستوطنات وإصدار قرارات دولية تدين الاستيطان في القدس ، وهذا أدى لتراجع اقتصادي حقيقي للمستوطنات ، إلا أن السياسة الاسرائيلية تولى اهتماماً دائماً باستمرار المستوطنات وتخصص ميزانيات ضخمة لمحاصرة القدس ، من خلال ضم الكتل الاستيطانية لمدينة القدس منها معالي ادوميم ، ضمن مشروع القدس الكبرى الاستعماري ، ومخطط ٢٠٢٠ ، ٢٠٣٠ ، فبتالي كل جهود المؤسسات الفلسطينية مازالت لا ترتقي لوقف هذه المخططات الاسرائيلية التي تعمل على تهويد المدينة ، ولكن المحاولات مستمرة لفضح هذه الممارسات دولياً لكن على الأرض جرافات الاحتلال تعمل كل يوم ، وتقوم بمصادرة مزيد من الاراضي والبيوت لصالح المستوطنين وتشتري ما تشتريه ، كل ذلك سببه غياب الدعم العربي والدولي الرسمي للمؤسسات الوطنية التي تعمل على حماية القدس ، وان وجد الدعم يقتصر على الجانب الثقافى والمعنوي ولا يتجاوز ذلك بتغيرات وتأثيرات مباشرة تغير من واقع المدينة والسكان وتحسن ظروف معيشتهم وتسهم في عملية صمودهم ضد هذه الآلة الاستعمارية . (مقابلة مع أبو النصر، حسام، رئيس مجلس بيت القدس للدراسات والبحوث الفلسطينية بتاريخ ٢٠١٧/٦/٨).

من الواضح أن دور مؤسسات المجتمع المدني في مواجهة الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس قد انقسم إلى جزأين، موقف المؤسسات في القدس، وهو الدور العملي والأكبر في مواجهة الاستيطان، ودور المؤسسات خارج القدس، والذي يقتصر على تنظيم المؤتمرات والندوات والورش والمعارض، لتوضيح مخاطر الاستيطان في مدينة القدس.

سابعاً: دور الإعلام الفلسطيني في مواجهة الاستيطان الإسرائيلي في القدس:

للإعلام الفلسطيني دور مهم في مواجهة تهويد القدس، حيث يقوم بتكوين الرأي العام عن طريق التنوير والتأثير، وبيان الاجراءات الإسرائيلية لتهويد المدينة المقدسة وكيفية مواجهة هذه الاجراءات، سواء كان هذا الإهلام مقروءاً، أو مسموعاً، أو مرئياً، أو الصحافة الإلكترونية، وأيضاً وسائل التواصل الاجتماعي التي تعتبر من أهم وسائل الإعلام حالياً وأسرعها وأوفرها وأكثرها تأثيراً على المجتمع، حيث إن الوسائل التقليدية الأخرى تتعرض للإغلاق من قوات الاحتلال الإسرائيلي، أو للمصادرة.

ومن أجل أبرز دور الإعلام الفلسطيني في مواجهة التهويد الإسرائيلي للمدينة المقدسة، يتوجب الإعداد التقني للكفاءات العاملة في مجال الإعلام، وعقد دورات متخصصة في النشر الإلكتروني، والعمل على استقلالية الأجهزة التحريرية والأنتاجية لوسائل الإعلام، وأن يكون لها البنية الداخلية المعلوماتية ومتابعتها لوسائل الإعلام الإسرائيلية لتنفيذ كل ما تنشره هذه الوسائل من أكاذيب وادعاءات وتزييف الحقائق بأحقية اليهود في القدس، وبث روح المواجهة لدى الشعب الفلسطيني والمقدسي خاصة. والعمل على نشر الحقائق وتوضيحها للشعب الفلسطيني والعالم.

من الواضح أن دور الإعلام الفلسطيني في مواجهة الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس، قد اقتصر على توضيح مخاطر الاستيطان الإسرائيلي في مدينة القدس، وعلى مستقبل المدينة.

الخاتمة:



مما لاشك فيه أن الصراع على مدينة القدس بين الفلسطينيين والصهاينة هو صراع معقد وطويل وهو بالأساس صراع عرقي وديني وسياسي فهو صراع عرقي بين عرقين من أبناء النبي إبراهيم عليه السلام، أبناء إسماعيل عليه السلام وأبناء يعقوب عليه السلام وصراع ديني بين المسلمين واليهود الذين يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار حسب التحريفات التي قام بها أحبارهم بعد وفاة النبي موسى عليه السلام وصراع سياسي بين أبناء شعب فلسطين والصهاينة الذين زرعهم الغرب لحماية مصالحهم بالمنطقة العربية لأهميتها الاقتصادية والجغرافية ولاستغلال مواردها، وأن دور السلطة والتظيمات الفلسطينية في محاربة الاستيطان الإسرائيلي لمدينة القدس قد كان موحداً من أنه غير شرعي، وأنه يهدد مدينة القدس بتحويلها إلى مدينة ذات أغلبية يهودية.

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج أهمها:

- 1- يرجع تاريخ الاستيطان الإسرائيلي الفعلي في عام ١٨٢٧، حيث كانت البدايات الأولى للاستيطان الصهيوني في القدس عام ١٨٥٥ حيث تم شراء أول قطعة أرض أقيم عليها أول حي سكني خارج أسوار القدس سنة ١٨٥٧ عرف باسم حي (مشكانوت شعنا نيم، وعرف فيما بعد بيمين موسى).
- 2- لم يتوقف النشاط الاستيطاني الصهيوني و لو للحظة في مدينة القدس.
- 3- إن إسرائيل استخدمت طرقاً وأدوات متعددة للاستيطان في مدينة القدس ومحاصرتها للمدينة والإنسان المقدسي، منها إحاطة القدس بسلسلة من المستوطنات ومصادرة الأراضي والعمل على تفرغ القدس من سكانها الأصليين وإحلال المستوطنين بدلاً منهم عن طريق زيادة تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والصحية وسحب الهويات والتميز العنصري.
- 4- إن الانقسام الفلسطيني يعمل لصالح إسرائيل وعلى الشعب الفلسطيني إعادة لحمته للتصدي للهجمة الاستيطانية الصهيونية الشرسة وأن يقوم أغنياء الشعب الفلسطيني بمساندة أهالي القدس بصمودهم عن طريق الدعم المالي والمعنوي والاعلامي.
- 5- دعوة الأطراف الفلسطينية للاتفاق ونبذ الفرقة، وتشكيل موقف وطني موحد من أجل المحافظة على عروبة القدس.

ثانياً: التوصيات:

توصلت الدراسة إلى العديد من التوصيات أهمها:

- 1- الرفض التام لجميع الاجراءات التعسفية التي تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي في مدينة القدس لأنه لا يجوز تغيير الوضغ القانوني والسياسي لمدينة القدس حسب القوانين الدولية فالقدس أرض محتلة حسب القرار ٢٤٤ لعام ١٩٦٧م.
- 2- تأكيد الدور المركزي لمدينة القدس في الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية الفلسطينية،



- وتعزيز هذا الدور بما يخدم الهدف المنشود للقدس كعاصمة للدولة الفلسطينية القادمة.
- ٣- تشكيل مجلس من قبل شخصيات مقدسية لإدارة شؤون المقدسين، والدفاع عن حقوقهم، ومن أجل تكريس حقائق فلسطينية على الأرض مقابل الحقائق الإسرائيلية، وتنفيذ السياسة الفلسطينية في القدس.
- ٤- إنشاء هيئة تمويلية أو مصرف إنمائي للتغلب على نقص التمويل وهو أحد المشاكل الرئيسية التي تواجه المؤسسات الفلسطينية في القدس الشرقية. والمساعدة في تمويل تطوير قطاع الإسكان، وتوفير الحوافز لتشجيع الاستثمار والمساعدة في إنعاش القطاع التجاري. وينبغي للقطاع الخاص الفلسطيني والمصارف الفلسطينية داخل فلسطين وخارجها أن تضطلع بمسؤولياتها، وأن تكون جزءاً من المصرف الإنمائي المقترح.
- ٥- أن يقوم المجتمع المدني الفلسطيني، ولا سيما حركة مقاطعة إسرائيل بسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها، فبذلك يضطلع بدور حيوي في استهداف المخططات التي أعدتها إسرائيل للسياحة والتكنولوجيا المتقدمة في القدس، وذلك من خلال حملات مقاطعة المؤسسات الأكاديمية والثقافية الإسرائيلية والشركات المتورطة في تهويد القدس.
- ٦- الحفاظ على الهوية الدينية والثقافية للمدينة؛ من خلال حماية المقدسات وصيانتها، وحماية العقارات والأماكن المقدسية، خاصة في البلدة القديمة ومحيطها.



المراجع

المقابلات:

- ١- مقابلة أجراها أحمد منصور مع خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس عن مستقبل حركة حماس السياسي والعسكري، بتاريخ ٢٠/٨/٢٠٠٠، <http://www.aljazeera.net>
- ٢- مقابلة مع أحد الأخوة الأسرى المحررين من الجبهة الشعبية بصفقة وفاء الأحرار وتمت بتاريخ ١٨/٥/٢٠١٧.
- ٣- مقابلة مع أ.د. أبو نحل، أسامة أستاذ العلوم السياسية بجامعة الأزهر عبر الفيس بوك بتاريخ ٢٢/٥/٢٠١٧.
- ٤- مقابلة مع أ.د. أبو حلبية، أحمد مدير دائرة القدس بحركة حماس ومقرر لجنة القدس بالتشريعي بتاريخ ٢٢/٥/٢٠١٧.
- ٥- مقابلة مع أ.د. المدلل، وليد رئيس قسم العلوم السياسية بالجامعة الإسلامية بتاريخ ٢٣/٥/٢٠١٧.
- ٦- مقابلة مع الأستاذ حبيب، خضر عضو المكتب السياسي لحركة الجهاد الإسلامي بتاريخ ٢٤/٥/٢٠١٧.
- ٧- مقابلة مع الأخ وليد العوضي القيادي في حزب الشعب الفلسطيني بتاريخ ٢٨/٥/٢٠١٧.
- ٨- مقابلة مع الأخ مأمون سويدان مستشار الرئيس لشؤون الشباب بتاريخ ٢٧/٥/٢٠١٧.
- ٩- مقابلة مع أبو النصر، حسام، رئيس مجلس بيت القدس للدراسات والبحوث الفلسطينية بتاريخ ٨/٦/٢٠١٧.

الكتب العربية:

- ١- الريملاوي، أحمد يوسف (٢٠٠٥): المسار التاريخي للنضال الوطني لبقيسطيني خلال القرن العشرين، الإتحاد العام للمتأني والصحفيين الفلسطينيين، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٥/٢، ط١، ص١٠٧.

التقارير

- ١- د. فتوح، سليمان محيي الدين سليمان: سياسة التهويد الإسرائيلية لمدينة القدس منذ عام ١٩٦٧م حتى وقتنا الحاضر، وانا الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب، ٢٠١٠/١١/٠٥، <http://www.wata.cc>.

الرسائل العلمية

- ١- أ.د. عمران، كامل محمد (٢٠١٥): تهويد مدينة القدس جوهر المشروع الصهيوني (دراسة سوسيولوجية)، المعركة، ١٤/٣/٢٠١٥، <http://www.alma3raka.net>. «دراسة»
- ٢- عزم، أحمد جميل (٢٠١٠): القدس دراسات في التاريخ والسياسة، الفصل الثالث، مستقبل القدس وعملية التسوية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١
المجلات والدوريات:

- ١- عفانة، رائد (٢٠١١): السياسات الإسرائيلية تجاه القدس، مجلة رؤية، العدد (٩).
المؤتمرات والندوات
- ١- ندوة القدس، أنقطة قطيعة أم مكان التقاء؟ أكاديمية المملكة المغربية، الجزء الأول، المملكة المغربية، الرباط، دورة نوفمبر ١٩٩٨.
مواقع الأنترنت:
- ١- قبله المسلمين الأولى في حصار الصهانية الطامعين، وكالة تسنيم الدولية للأنباء،
١٢/١٢/٢٠١٤، <https://www.tasnimnews.com>
- ٢- د. عبد الرحمن، أسعد (٢٠٠٧)، لا صهيونية بدون استيطان، ٢٦/٠٣/٢٠٠٧، <https://www.palinfo.com>
- ٣- وسائل تهويد مدينة القدس، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية «وفا»، ٣٠/٠٣/٢٠١٣،
<http://www.wafainfo.ps>
- ٤- تهويد القدس، ويكيبيديا، <https://ar.wikipedia.org>
- ٥- تقرير «إسرائيلي»: تهويد القدس بالإستيطان، وكالة القدس للأنباء، ٥/٥/٢٠١٦، <http://alqudsnews.net>
- ٦- تهويد القدس، وفا، ٣٠/٥/٢٠١٥، <http://www.wafainfo.ps>
- ٧- عملية تهويد القدس، الجزيرة نت، ١٠/٠١/٢٠٠٥، <http://www.aljazeera.net>
- ٨- خضر، عماد (٢٠١٦)، القدس بين براثن الاحتلال ويؤر الاستيطان، شبكة فلسطين للدراسات والاعلام، <http://www.mediapal.org>
- ٩- د. أبو عامر، عدنان (٢٠٠٩): قراءة في السياسة الإسرائيلية تجاه مدينة القدس، الرسالة نت،
<http://alresalah.ps/ar>
- ١٠- الخطوات اليهودية لتهويد القدس، بقلم الدكتور حنا عيسى - استاذ القانون الدولي،
٤/٦/٢٠١٤، <https://www.nablustv.net>
- ١١- فروانة، محمد (٢٠١٣)، القدس بين «تقصير» السلطة و«مقاومة» المقدسيين، ٢٣/٥/٢٠١٣،
<http://www.saidatv.t>



الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
١	ملخص الدراسة
٢	Abstract
٣	خطة الدراسة
٥	المقدمة
٥	المحور الأول: نبذة تاريخية عن الاستيطان في مدينة القدس
٧	المحور الثاني: الاجراءات الإسرائيلية للاستيطان في مدينة القدس
١١	المحور الثالث: دور السلطة والتنظيمات الفلسطينية ومؤسسات المجتمع المدني في محاربة الاستيطان الإسرائيلي في القدس
١٩	الخاتمة
١٩	النتائج والتوصيات
١٩	النتائج
١٩	التوصيات
٢١	المراجع
٢٣	الفهرس



التحولات الإقليمية في المشهد العربي وتأثيرها على قضية القدس

إعداد الباحث/ أ. منصور كريم

مدير الدراسات في مركز رؤية للدراسات الاستراتيجية

ملخص البحث

تناولت هذه الدراسة أبرز التحولات في البيئة الإقليمية والعربية، عقب انطلاقة ثورات الربيع العربي، وانعكاساتها على القضية الفلسطينية بشكل عام وقضية القدس بشكل خاص، فقد أدت التحولات في المشهد السياسي الإقليمي والعربي لوضع أصبحت دولة الاحتلال الإسرائيلي تشعر فيه بالراحة، نظراً لمستوى العلاقات والتنسيق السري والعلني مع بعض الدول العربية، بعد أن طرحت إسرائيل نفسها لبعض الدول العربية كحليف استراتيجي في مواجهة الجماعات الإسلامية من جانب التمدد الإيراني من جانب آخر.

وركزت الدراسة على طبيعة العلاقات الإسرائيلية العربية، وانعكاساتها على الحقوق الوطنية الفلسطينية، التي تطورت بشكل ملحوظ خلال الفترة الأخيرة، وانعكاساتها على القضية الفلسطينية والحقوق الوطنية الفلسطيني، وعلى مدينة القدس بشكل خاص، التي تشهد حالة غير مسبوقة من الإجراءات الإسرائيلية بهدف تهويدها وإفراغ سكانها منها، وحاولت توضيح رؤية الأحزاب والقوى السياسية الإسرائيلية للتسوية السياسية ووضع القدس، في ضوء التحولات في البيئة الإقليمية والعربية، التي أفرزت ما بات يعرف بالحل الإقليمي.

وتأتي أهمية الدراسة أنها عالجت العلاقة التفاعلية بين التحولات الإقليمية بعد الربيع العربي والقضية الفلسطينية، فرغم صغر مساحة فلسطين إلا أنها تؤثر وتتأثر بما يجري بالمحيط الجغرافي العربي والإقليمي، فلم تعد القضية الفلسطينية قضية العرب الأولى، فقد أدت الأحداث والتطورات الأمنية والسياسية على الساحة العربية، إلى تراجع الدعم والتأييد العربي للقضية الفلسطينية وللمقدسات الإسلامية والمسيحية في مدينة القدس، مما ساعد الحكومة الإسرائيلية على محاولة تغيير الواقع السياسي والديني والديمقراطي في مدينة القدس، مستغلة انشغال العرب بقضاياهم الداخلية، وقد توصلت الدراسة لمجموعة من النتائج التوصيات، أهمها:

- شهدت المنطقة العربية تحولات عميقة بعد انطلاقة الربيع، فقد ترك الربيع العربي تأثيراً عميقاً على الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة، فقد تأثرت به كل دول المنطقة، بما فيها إسرائيل، إلا أن إسرائيل حاولت تسخير هذه التطورات لخدمة أهدافها التوسعية، عبر الاندماج في المكونات السياسية والثقافية للمنطقة.



- تعتبر مدينة القدس الأكثر تأثراً بالتحويلات الإقليمية العميقة التي حاولت الحكومة الإسرائيلية الاستفادة من انشغال العرب بقضاياهم الداخلية بهدف تعزيز سياسة الاستيطانية، حيث شكلت هذه السياسة منعطفاً بارزاً لجهة تغيير معالم القدس، في محاولة لفرض واقع يهودي جديد، يطمس المعالم العربية في المدينة، يصعب الفكك منه في حال تمت مفاوضات مستقبلية.
 - سمعت إسرائيل للاستفادة من التحويلات الإقليمية في المشهد العربي والإقليمي، بما يعزز عملية تهويد القدس وزيادة عدد المستوطنين فيها، وطرد سكانها وتغيير الوضع القائم في المسجد الأقصى المبارك.
- كما توصي الدراسة بضرورة تحمل الفصائل الفلسطينية والكل الوطني مسؤولياته التاريخية والسياسية والأخلاقية، والتوحد في مواجهة هذه المشاريع التصفية، عبر العمل على ضرورة إنهاء الانقسام، واستعادة الوحدة الوطنية، بهدف التصدي الجدي لهذه الحلول التي تستهدف الحقوق والمقدسات الفلسطينية.



مقدمة

أحدثت التحولات الاستراتيجية في البيئة الإقليمية التي حدثت خلال السنوات الماضية في المشهد السياسي العربي، عقب انطلاقة الحراك الشعبي العربي «الربيع العربي»، تأثيراً عميقاً على الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة، فقد تأثرت به كل دول المنطقة، بما فيها إسرائيل، إلا أن إسرائيل حاولت تسخير هذه التطورات لخدمة أهدافها التوسعية والاستفادة من هذه الأحداث لتنفيذ مشروعاتها السياسية، بهدف أن تصبح دولة محورية في المنطقة. وأدت التطورات الحاصلة في منطقة الشرق الأوسط بشكل عام، والمنطقة العربية بشكل خاص إلى وضع تشعر فيه إسرائيل بالأريحية نظراً للتغيرات التي حدثت في البيئة الاستراتيجية خلال السنوات التي أعقبت الربيع العربي، والتي أدت لسقوط أنظمة وانهار دول، وما نتج عن ذلك من انتشار للجماعات المسلحة، وبرز الصراع المذهبي بين السعودية وإيران، مما ساعد إسرائيل على أن تطرح نفسها كحليف استراتيجي لبعض الدول العربية مقابل التحالف الإيراني، الأمر الذي انعكس بشكل سلبي على القضية الفلسطينية، وعلى الحقوق الوطنية الفلسطينية، لذلك سوف تحاول هذه الدراسة بحث العلاقة بين التطورات السياسية والأمنية الحاصلة في المشهد العربي وتأثير ذلك على الأوضاع في مدينة القدس التي حاولت الحكومة الإسرائيلية استغلال انشغال العرب بقضاياهم الداخلية لتثبيت حقائق جديدة على الأرض، عبر فرض تقسيم زمني ومكاني في المسح الأقصى المبارك. وقد عملت الحكومة الإسرائيلية على تصعيد الاستيطان في القدس والاستفادة من حالة انشغال العرب بقضاياهم الداخلية، عبر سياسة تهويد القدس، وهدم المباني ومصادرة الأراضي وفرض حقائق جديدة على الأرض، في ظل غياب للبعد العربي والإسلامي بسبب تداعيات التحولات في البيئة الإقليمية والعربية، فكل المؤشرات تؤكد أن «الربيع العربي» أو الحراك الشعبي العربي قد أحدث مجموعة من التحولات الاستراتيجية في بنية النظام السياسي، حيث أدت هذه الظاهرة لتداعيات خطيرة على أمن المنطقة العربية واستقرارها، بسبب محاولة القوى الغربية الاستفادة منها وتجبييرها لخدمة مصالحها، وإقامة مشروع الشرق الأوسط الكبير، الذي يقوم على أساس دمج إسرائيل في المكون السياسي والثقافي لشعوب المنطقة، فجاء ذلك على حساب الاهتمام العربي بالقضية الفلسطينية، وبرز صراع جديد غير الصراع العربي الإسرائيلي، هذا الصراع يقوم على أساس طائفي ومذهبي وعرقي، الأمر الذي صب لصالح الاستراتيجية الإسرائيلية التي حاولت منذ زمن تعزيز النعرات الطائفية والمذهبية بهدف تفتيت المنطقة العربية لسهولة اختراقها.

مشكلة الدراسة

أدت التحولات في البيئة الإقليمية العربية لوضع أصبحت تشعر فيه دولة الكيان الإسرائيلي بالأريحية، في ظل انتشار حالة عدم الاستقرار السياسي والأمني، مما أدى إلى أن طرح إسرائيل نفسها كحليف لبعض الدول العربية، على حساب الحقوق الوطنية الفلسطينية بشكل عام ومدينة القدس بشكل خاص، حيث حاولت إسرائيل استغلال انشغال العرب بقضاياهم الداخلية بهدف



فرض حقائق جديدة على الأرض، بإحداث تقسيم مكاني وزماني في المسجد الأقصى والإسراع في تهويد مدينة القدس من أجل تهجير سكانها وتثبيت حقائق على الأرض تؤخذ في الاعتبار خلال أي مفاوضات قادمة للحل السياسي، وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن تساؤل رئيس، مفادة، ما أثر التحولات في البيئة الإقليمية على مدينة القدس؟

ويتفرع من هذا التساؤل مجموعة من التساؤلات الفرعية:

١. ما هي أبرز التحولات في البيئة الإقليمية والعربية؟
٢. كيف استغلت إسرائيل هذه التحولات لصالحها؟
٣. ما هو واقع العلاقات العربية والإسرائيلية في ضوء هذه التحولات؟
٤. ما هي تداعيات التحولات الإقليمية والعربية على مدينة القدس والمقدسات فيها؟

أهداف الدراسة

تحاول الدراسة تحقيق مجموعة من الأهداف، ومنها:

- معرفة أبرز التحولات في البيئة الإقليمية وتأثيرها على الحقوق الفلسطينية.
- تحليل وتوضيح تداعيات التحولات الإقليمية على مدينة القدس.
- دراسة كيفية استفادة إسرائيل من التحولات الإقليمية بما يعزز الاستيطان في القدس.
- معرفة مستقبل المدينة المقدسة في ظل التحولات الإقليمية والعربية السياسات الإسرائيلية المتبعة.

أهمية الدراسة

تتبع أهمية هذه الدراسة، كونها

- تبين أهم مظاهر التحولات في البيئة الإقليمية والعربية وكيفية استفادة إسرائيل منها.
- توضح السياسات الإسرائيلية المنهجية تجاه مدينة القدس، والأماكن المقدس فيها.
- تساعد الباحثين والطلاب المهتمين بقضايا الصراع العربي الإسرائيلي والقضية الفلسطينية .
- توضح مخاطر التحولات في البيئة العربية تجاه العلاقة مع إسرائيل على حقوق الشعب الفلسطيني .
- منهجية الدراسة
- المنهج التاريخي: للتأصيل والبحث عن العلاقات العربية الإسرائيلية، وانعكاساتها على القضية الفلسطينية.
- المنهج الوصفي التحليلي: وهو أسلوب من أساليب التحليل المركز على معلومات كافية ودقيقة وموضوعية عن ظاهرة أو موضوع محدد، أو فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية بما ينسجم مع المعطيات الفعلية

للظاهرة (٢١١). وسوف تستخدم الدراسة هذا المنهج لوصف أبرز مظاهر التحول في البيئة الإقليمية وتحليلها ، وكيفية استفادة إسرائيل منها .
 منهج تحليل المضمون: وذلك لتحليل مضمون البرامج السياسية والتصريحات التي يطلقها قادة الاحتلال الإسرائيلي حول علاقة إسرائيل ببعض الدول العربية، وتداعيات ذلك على الحقوق الوطنية الفلسطينية ومدينة القدس .
 حدود الدراسة- الحدود الزمني
 تبدأ فترة الدراسة منذ عام ٢٠١٠م، وهو العام الذي شهد انطلاق الحراك الشعبي العربي «الربيع العربي»، وتنتهي حدود الدراسة في عام ٢٠١٦، وهو العام الذي شهد محاولات إسرائيلية لتقسيم المسجد الأقصى على مستوى المكان والزمان، بين المسلمين واليهود .
 - الحدود المكاني: تتحدد حدود هذه الدراسة في فلسطين والمحيط الجغرافي العربي والإقليمي

المحور الأول: إسرائيل والتحويلات الإقليمية

شهدت المنطقة العربية تحولات عميقة بعد انطلاق الربيع، فقد ترك الربيع العربي تأثيراً عميقاً على الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة، فقد تأثرت به كل دول المنطقة، بما فيها إسرائيل، إلا أن إسرائيل حاولت تسخير هذه التطورات لخدمة أهدافها التوسعية والاستفادة من هذه الأحداث لتنفيذ مشروعها السياسي وإيجاد الحدود الآمنة، عبر الاندماج في المكونات السياسية والثقافية للمنطقة .

أولاً: تأثير الربيع العربي على دول المنطقة

أحدث «الربيع العربي» أو الحراك الشعبي العربي مجموعة من التحويلات الاستراتيجية في بنية النظام السياسي العربي مما انعكس بشكل إيجابي على الأمن القومي الإسرائيلي، حيث أدت هذه الظاهرة لتداعيات خطيرة على أمن المنطقة العربية واستقرارها ، بسبب محاولة القوى الغربية الاستفادة منها وتسييرها لخدمة مصالحها، وإقامة مشروع الشرق الأوسط الكبير، الذي يقوم على أساس دمج إسرائيل في المكون السياسي والثقافي لشعوب المنطقة، فجاء ذلك على حساب الاهتمام العربي بالقضية الفلسطينية، وسمح ب بروز صراع جديد غير الصراع العربي الإسرائيلي، هذا الصراع يقوم على أساس طائفي ومذهبي وعرقي الأمر الذي صب لصالح الاستراتيجية الإسرائيلية التي حاولت منذ زمن تعزيز النعرات الطائفية والمذهبية بهدف تفتيت المنطقة العربية لسهولة اختراقها، وهذا ما أكده تقرير الأمن القومي الإسرائيلي الذي أعده معهد بحوث الأمن القومي الإسرائيلي برئاسة عاموس يدلين، رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية الأسبق (أمان) عام ٢٠١٦ .

٢١١ - دويدري، رجاء، وحيد: البحث العلمي: أساسياته النظرية وممارسته العملية، دار الفكر، دمشق: ٢٠٠٠، ص ١٨٥ .



وقد راقبت إسرائيل الأحداث في المنطقة العربية، بعين القلق، وأسرعت إلى دراسة السيناريوهات المستقبلية، لتحديد شكل علاقاتها في مرحلة ما بعد الثورات، مع محيطها العربي، وكان يتلخص الموقف الإسرائيلي في بداية الأحداث مجمله في عدة اتجاهات، الأول: يعتقد بوجود مخاطر حقيقية على الأمن القومي الإسرائيلي جراء الثورات العربية. الثاني: أنه لا شيء جوهري سيتغير ويكون له تداعيات على إسرائيل، وأن الأمور ستمضي وفقاً للتقديرات الإسرائيلية الموضوعية. الثالث: وجود بعض المخاطر على إسرائيل، ولكنه يستبعد أن تظهر آثارها على المدى القريب، إلا أن الاتجاه الغالب في إسرائيل، يرى أن الثورات العربية ستكون لها تداعيات أمنية واستراتيجية على إسرائيل، بعضها سيكون في المدى القصير، في حين ستظهر آثار بعضها الآخر على المدى البعيد^(٣١٢).

ويمكن رصد الاتجاهات التالية في الخطاب الإعلامي، والتحركات الدبلوماسية الإسرائيلية في أثناء اندلاع الثورات العربية عامة والمصرية خاصة، وفي أعقابها، والتي كانت موجهة بالأساس للرأي العام وللحكومات في الغرب، ومنها التخويف من عدم الاستقرار في المنطقة بعد نجاح الثورة المصرية وسقوط النظام المصري، والتحذير من مخاطر عدم الاستقرار على دول المنطقة، وعلى المصالح الغربية فيها. والتأكيد على أن الديمقراطية هي في مصلحة إسرائيل من حيث المبدأ، ولكن مع التخويف من أن «جهات متطرفة» كالأخوان المسلمين قد تستغل الديمقراطية لفرض الاستبداد والانفراد بالسلطة، وهو ما يضر بالمصالح الغربية في المنطقة. تذكير الغرب بأن الأحداث الجارية في مصر وغيرها من الدول العربية، تثبت أن إسرائيل هي الحليف الوحيد للغرب في المنطقة^(٣١٣).

وكان قلق الطبقة الحاكمة في إسرائيل والنخب المرتبطة بها، من أن الثورات العربية ستنتهي بسيطرة الإسلاميين بهدف بشكل أساسي إلى بلورة انطباع مفاده أن العرب لا يستحقون الديمقراطية، ويشير إلى أن أي نظام حكم ديموقراطي نيابي سيسمح حتماً لكل القوى الاجتماعية بالتعبير عن نفسها، وضمن ذلك القوى المتدينة، مستذكراً حقيقة أن الإدارة الأمريكية السابقة كانت مرتبطة بشكل كبير بالأصوليين البروتستانت الذين هم في نفس الوقت أوثق حلفاء إسرائيل في الولايات المتحدة^(٣١٤).

ودعت النخب الفكرية في إسرائيل إلى استخلاص الاستنتاجات الموضوعية مما حدث في مصر، بدلاً من إثارة المخاوف من وصول الإسلاميين للحكم، وعلى رأس هذه الاستنتاجات التسليم بأن الرأي العام العربي لم يعد مستعداً لمنح ثقة غير محدودة لقيادته على المستوى الحزبي، الاقتصادي أو السياسي، حيث إن هذا جمهور يرى نفسه متساوي القيمة - وإن لم يكن متساوي القوة - مع الجمهور في الدول الغربية. يشدد الكاتب الإسرائيلي حجاجي العاد على أن التحذير الإسرائيلي من إمكانية وصول الإسلاميين للحكم، والزعم بأن العرب سيتجهون حتماً للدكتاتورية ينطوي على أبعاد

٢١٢ فهمي، طارق: «الرؤية الإسرائيلية للثورات العربية»، مجلة الديمقراطية، مصر -

الأهرام، مجموعة ١٢، ٤٦٤، ٢٠١٢، ص ١٠١.

٢١٣ الهندي، عليان، «القراءة الإسرائيلية للثورات العربية»، شؤون فلسطينية، فلسطين،

المجلد/ العدد ٢٤٧، ٢٠١٢، ص ١٥٧ -

٢١٤ المرجع السابق، ص ١٥٨.



عنصرية. ويرى العاد أن لسان حال النخب الحاكمة والمعلقين في إسرائيل، وتحديدًا المستشرقين، يقول: «الديمقراطية كبيرة على العرب»، فالإسرائيليون - في نظره - لا يريدون أن يسلموا بأن العرب يقدرّون على إدارة شؤونهم بشكل ديمقراطي».

كما أن التخوف الأكبر كان من قوة الجيش المصري، الذي ربما سيتحول إلى أداة بيد «المتطرفين» حسب وجهة النظر الإسرائيلية، بعد أن تم تقييد هذا الجيش طيلة فترة النظام السابق. وفقدان الثقة بإمكانية استمرار إدارة الوضع على الحدود المصرية الإسرائيلية، بنفس الأسلوب الذي كان عليه خلال العقود الثلاثة الماضية، والتخوف من تقليص الضمانات التي كان يقدمها النظام المصري السابق لإحكام الحصار على قطاع غزة ومنع تهريب الأسلحة إليه، وهو ما قد يستدعي إعادة الجيش الإسرائيلي لاحتلال الشريط الحدودي المعروف بـ «ممر صلاح الدين» بين قطاع غزة وسيناء. الزيادة المتوقعة في حجم الإنفاق على الدفاع والتسليح، لمواجهة التغييرات الاستراتيجية بعد سقوط النظام المصري، حيث تشير المصادر الإسرائيلية إلى أن النظام المصري كان يتبنى سياسة ملتزمة تجاه معاهدة كامب ديفيد، وهو ما أدى إلى خفض موازنة الدفاع الإسرائيلية خلال المرحلة السابقة من ٢٠٪ إلى ٩٪ من إجمالي الناتج المحلي. القلق من نتائج الصراع بين «القوى الديمقراطية وقوى الإسلام الراديكالي» على قيادة مصر إلى ما بعد الثورة، حسب قول رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، الذي أبدى تخوفه من حسم هذا الصراع لصالح سيطرة الإسلاميين على الحكم في القاهرة^(٣١٥).

مع احتمال عودة الخطر إلى الجبهة الجنوبية المترامية الأطراف مما يعني ليس فقط تخفيف ضغطها واستنفارها على الجبهات الأخرى والشمالية تحديدًا، وإنما إعادة نشر الجيش وتوسيع الذراع البرية، وإعادة تدريبه على القتال على عدة جبهات بعد أن اكتفى بالتدريب على جبهة واحدة خلال الثلاثين عام الماضية وهذا يتطلب تخصيص مبالغ مالية طائلة، والأمران غير متوفرين حيث لا ميزانيات ولا حتى جنود لشهرهم بعدما تحول «جيش الشعب» إلى «جيش نصف الشعب» وربما يتحول إلى «جيش ربع الشعب» في العقود القادمة، حسب التعبير الساخر لإيهود باراك. الخوف من التحول التدريجي لمصر، لتصبح دولة إقليمية قوية على النمط التركي، وهو ما يضع إسرائيل في مواجهة محور إقليمي يضم إيران وتركيا ومصر. تضيق الهامش الذي كانت تتحرك فيه السياسة الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة، في ظل التوقعات بنشوء حكومات مختلفة في بعض الدول العربية، يكون للرأي العام الشعبي دور أكبر في تشكيل سياساتها، بالإضافة للقلق من استمرار حالة عدم الاستقرار في المنطقة العربية، حيث أكد عدد من المسؤولين الإسرائيليين، أن الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط هو أهم من الديمقراطية بالنسبة لإسرائيل. والقلق من انتقال عدوى الثورات إلى الأردن ومناطق السلطة الفلسطينية، وهو ما سيؤدي في حال حدوثه إلى تداعيات خطيرة على الأمن

٣١٥ فهمي، طارق: «الرؤية الإسرائيلية للثورات العربية»، مجلة الديمقراطية، مصر - الأهرام، مجموعة ١٢، ٤٦٤، ص ١٠٢-١٠٤



الإسرائيلي (٣١٦).

ويعود السبب الأول للقلق الإسرائيلي في بداية الأحداث في المنطقة العربية عقب انطلاقة الحراك الشبابي العربي، هو من الخوف من زيادة عزلة إسرائيل في المنطقة، بعد أن خسرت حليفها الاستراتيجي بعد انهيار حكم مبارك. رؤية الحكومة الإسرائيلية أن الوضع بعد الثورات العربية سيكون له تداعيات إقليمية واسعة، وقد يؤدي على المدى القريب أو المتوسط إلى انهيار الأنظمة الحليفة للولايات المتحدة وصعود الأنظمة وتقويتها المعادية لها، والنتيجة إقليم جديد مختلف غير خاضع للهيمنة الأمريكية التي تصب في مصلحة إسرائيل وأمنها أيضاً. الهواجس من قيام انتفاضة فلسطينية ثالثة، على غرار الانتفاضة الأولى، في الضفة الغربية وداخل الخط الأخضر، ولكن مع اكتساب زخم جديد من الثورات العربية، ومع مواكبة إعلامية كبيرة توفرها الفضائيات التي لم تكن موجودة إبان سنوات الانتفاضة الأولى. أيضاً تخشى إسرائيل من ظهور تحديات أمنية أخرى في حال تقلص مستوى التنسيق الأمني بين مصر وإسرائيل الأمر الذي سيجعل سيناء منطقت أمنية رخوة ويزيد من عمليات تهريب السلاح إلى غزة وتعاضم نسبة المتسللين من العمال الأجانب من مصر إلى إسرائيل، وهي الظاهرة التي باتت تمثل قنبلة ديمغرافية الأمر الذي دفع حكومة نتياهو لبناء جدار عازل بين مصر وإسرائيل (٣١٧).

لا شك أن إسرائيل كانت تشعر بالقلق مع انطلاقة الحراك الشعبي العربي، أو ما كان يطلق عليه ثورات الربيع العربي، نظراً لتخوفها من سيطرة الإسلاميين على الحكم، ولكن سرعان ما تبدد هذا الخوف مع التحولات التي حدثت في المشهد العربي، عقب انحصار الظاهرة، وحالة الفوضى التي اجتاحت المنطقة، التي ساعدتها في التخلص من أنظمة وجيوش كانت تعتبرها مصدر تهديد.

ثانياً: انعكاس التحولات الإقليمية على إسرائيل

بعد مرور أكثر من خمس سنوات على انطلاقة الحراك الشعبي العربي، الذي أدى لتحولات عميقة في البيئة الإقليمية المحيطة بإسرائيل، حاول عن معهد بحوث الأمن القومي الإسرائيلي التابع لجامعة تل أبيب، رصد أبرز التحولات في البيئة الإقليمية المحيطة «بالدولة العبرية» ولا سيما الأزمة السورية والأزمة اليمنية والبرنامج النووي الإيراني، ورصد ملامح الفكر الوقائي الإسرائيلي وتحدد نهج عملها سياسياً وعسكرياً ودبلوماسياً واقتصادياً في السنوات الخمس المقبلة، عبر تقرير الأمن القومي الإسرائيلي الذي صدر بداية عام ٢٠١٦م ووضع التقرير توصيات بشأن الاستراتيجية التي ينبغي العمل عليها في السنوات الخمس المقبلة.

وركز التقرير على الفترة الزمنية التي بدأت عام ٢٠١١ وصولاً إلى الفترة الحالية، أي خمس السنوات الفاصلة في تاريخ المنطقة بالكامل، وما لها من تأثيرات على الوضع الإقليمي لإسرائيل. حيث يعتبر العنوان العريض لخلاصة هذه الفترة الزمنية هو «ضعف الدول العربية المحورية إلى

٢١٦ فهمي، طارق: «الرؤية الإسرائيلية للثورات العربية»، مجلة الديمقراطية، مصر - الأهرام، مجموعة ١٢، ٤٦٤، ص ١٠٤-١٠٦.
٢١٧ المرجع السابق، ص ١١٠-١١٢.



درجة التفكك» ودخول الشرق الأوسط في مجموعة من الإشكاليات المعقدة، واتسامه بالعنف وحروب الوكالة والتدخل المباشر للقوى العالمية. وأكد التقرير أنه بمرور خمسة أعوام على بدء الاضطرابات الإقليمية الدراماتيكية جديدة الصنع وغير المتوقعة، وغير المحددة المعالم في الوطن العربي، فإنّ التوقيت الحقيقي، الذي تفككت خلاله دول وسقطت أنظمة واندلعت حروب ولم لم ينته بعد، ولفقت في الوقت عينه إلى أنه من الواضح أنّ هذا هو الواقع الذي سيُرافقنا في المستقبل القريب^(٢١٨).

فمع اندلاع الثورات العربية في كانون الأول ٢٠١٠م واجهت اسرائيل ثلاثة تحديات أساسية على المستوى الإقليمي، أولاً: الملف النووي الإيراني، ثانياً: مواجهة التغيرات السياسية والاستراتيجية المتسارعة في البيئة الإقليمية، وبخاصة في دول الجوار، ثالثاً: إدارة الصراع مع الفلسطينيين في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية، حيث عملت إسرائيل ولا تزال، على الاستفادة من انشغال العالم العربي بنفسه، لتعزيز مواقعها الاقليمي على المدى القصير والبعيد^(٢١٩). فالمنطقة دخلت خلال السنوات الماضية في مجموعة من الصراعات المتنوعة كان أولها: الصراع الاجتماعي الاقتصادي الذي أشعل الربيع العربي، والذي قاده شباب محبطون أغلقت في وجوههم جميع السبل وشعروا أنهم لا يستطيعون تحقيق تطلعاتهم، فهذه الأحداث التي بدأت منذ أنّ خرج هؤلاء الشباب إلى ميادين أبعدتهم أكثر عن الهدف المرجو منه. أما الصراع الثاني: وهو الصراع الطائفي بين السنة والشيعية حول الهيمنة الإقليمية، حيث تموضعت جبهة سنية مناهرة ومتنازعة تضمنت العربية السعودية وتركيا ومصر والأردن ودول الخليج، ضدّ الهيمنة المتنامية للمحور الشيعي بقيادة إيران، بالإضافة للصراع ضد عناصر الجهاد السلفي وهم القاعدة والدولة الإسلامية داعش.

لذلك أوضح تقرير الأمن القومي الإسرائيلي، أنّ الديناميكية والصراعات متعددة الاتجاهات تضع تحديات من الوزن الثقيل، وإلى جانب فرص كثيرة لتصميم بيئة استراتيجية من نوع آخر. وأشار التقرير إلى أنّ السياسة الإسرائيلية كيّفت نفسها مع التغيرات المتواترة، ولاسيما من خلال تعزيز مكونات الدفاع والامتناع عن التدخل ما أمكن ذلك، وأكد التقرير أن إسرائيل ظلت ثابتة عند قدرتها على بناء روافع تأثير على الأقل في محيطها الاستراتيجي القريب، وهي مستمرة في البناء على منطقيات ومعطيات وقواعد لم تعد سارية المفعول، لذلك يرى التقرير أن التحدي والفرصة الأكثر أهمية بالنسبة لإسرائيل في العام القريب هما اعتماد طرق تفكير مستحدثة والفهم أنّها تعيش ذروة معركة مصيرية لرسم معالم وجه الشرق الأوسط الجديد، وفي الوقت نفسه مكانها ومكانتها والحاجة إلى بلورة مفهوم يفتش عن الفرص وتطوير مزيج جديد من الأدوات والوسائل

٢١٨ - لمزيد من المعلومات، أنظر: ملخص تقرير الأمن القومي الإسرائيلي (الفرص

والتحديات)، ترجمة مركز رؤية للدراسات السياسية والاستراتيجية، غزة فلسطين، ٢٠١٦، ص ١

٢١٩ - مصطفي، مهند، إسرائيل والبيئة الإقليمية التحولات الاستراتيجية والحالة الفلسطينية، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية (مسارات) رام الله فلسطين ٢٠١٦، ص ٢٧

متعددة المجالات، بهدف تحقيق الأمن القومي والأمن الإسرائيلي^(٣٢٠). فالرؤية الإسرائيلية كانت ترى أن لهذه التطورات انعكاسات كبيرة عليها، لذلك عملت على تضايف التدايعات السلبية، عبر محاولة استغلال هذه التطورات والتحويلات الاستراتيجية بما يخدم المصلحة الإسرائيلية، بهدف إيجاد موقع لها في البيئة الإقليمية الجديدة، وفرض الأمر الواقع في الضفة الغربية عبر سياسة الاستيطان بضم مناطق منها للسيادة الإسرائيلية بشكل رسمي، وذلك من خلال تعزيز علاقتها الإقليمية مع الدول العربية التي تصنفها «معتدلة» عبر الدخول من بوابة المصالح الآنية التي فرضها الواقع، وأيضاً من خلال تعزيز علاقتها مع دول مؤثرة في الجوار العربي مثل تركيا واليونان والهند ودول القارة الأفريقية^(٣٢١).

ومن جانب آخر رأى البروفيسور «شموئيل ساندلر»، عميد كلية العلوم الاجتماعية بجامعة «بار إيلان»، والأستاذ الزائر في المدرسة اللاهوتية اليهودية بنيويورك، على التبعات المتوقعة للربيع العربي على إسرائيل، بوصفه له بأنه «زلزال إقليمي»، لأنه أثر على السياسة الداخلية والخارجية الإسرائيلية، معتمداً على الربط النظري لتحليل التفاعل بينهما، نتيجة للانتفاضات الشعبية، وصولاً لفحص تأثير «الربيع العربي» على الرأي العام الإسرائيلي، مشيراً إلى أن الحكومة الإسرائيلية بزعامه «بنيامين نتيناهو» تعاملت مع الثورات العربية كمن أبحر عبر مياه غير مستقرة في الشرق الأوسط، بفعل الظروف غير المواتية في الداخل والخارج. وهو نفسه، ما ذهب إليه محرر الكتاب البروفيسور «أفرايم عنبار» الذي تناول عبر جملة من النقاط الأساسية الآثار الكبيرة للربيع العربي على الأمن القومي الإسرائيلي، والمتمثلة في: إضعاف الدول العربية الحليفة لإسرائيل، التغيرات في موازين القوى في المنطقة لغير صالح إسرائيل، والانسحاب الأميركي الواضح من المنطقة، ثم يركز على المخاوف الجديدة التي تهدد الأمن القومي الإسرائيلي، من بينها تصاعد مخاطر التغيير السريع والمفاجآت الاستراتيجية، وزيادة النشاط المسلح المعادي، وانخفاض الردع الأمني، وتزايد العزلة الإقليمية، والتهديد النووي الإيراني، مقترحاً جملة من النقاط لإبداء استجابة إسرائيل لهذه التهديدات، بما في ذلك توسيع الجيش لمكانته، وزيادة الاستثمار في البحث والتطوير، وإقامة حدود يمكن الدفاع عنها، وتشكيل تحالفات إقليمية جديدة، والحفاظ على علاقتها الخاصة مع الولايات المتحدة^(٣٢٢).

كما قسم التقرير الأمن القومي الإسرائيلي الصادر في ٢٠١٦م القوى الإقليمية المتصارعة إلى أربعة

٣٢٠ - أبو كريم، منصور، البعد الإقليمي في تقرير الأمن القومي الإسرائيلي، ورقة عمل في مؤتمر قراءة في تقرير الأمن القومي الإسرائيلي (فرص وتحديات) مركز رؤية للدراسات الاستراتيجية، ٢٠١٦، ص ٤/٣

٣٢١ - مصطفى، مهدي، إسرائيل والبيئة الإقليمية التحويلات الاستراتيجية والحالة الفلسطينية، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية (مسارات) رام الله فلسطين ٢٠١٦، ص ٢٧

٣٢٢ أبو عامر، عدنان، الربيع العربي وإسرائيل، الجزيرة نت، <http://www.aljazeera.net/>



محاور رئيسية، بينها تناقضات سياسية وفكرية، وبينهم أيضاً بعض المصالح، بهدف تحديد وضعية إسرائيل من هذه القوى، وكيفية الاستفادة من هذا الوضع على المدى القريب والبعيد، المحور الأول والأكثر تماسكا أسماه التقرير «محور المقاومة» الذي تقوده إيران، ولهذا المحور ثلاثة أبعاد رئيسية: البعد السياسي، الذي تطمح من خلاله إيران لتصبح دولة رائدة في المنطقة، بحيث يصبح لديها النفوذ المهيمن على جميع أنحاء المنطقة. المحور الثاني هو الدول السنوية البراغماتية بقيادة المملكة العربية السعودية، ويكافح هذا المحور ضد أبعاد ثلاثة: فالسعودية تكافح ضد إيران على الزعامة الإقليمية، خاصة في منطقة الخليج، وضد الشكل المتطرف السعودي الجهاديين السلفيين. وضد جماعات الاسلام السياسي (الإخوان المسلمين)، يتميز هذا المحور بعلاقات فضفاضة وضمنية بينهما تغيير باستمرار، عكس المحور الأول المتناسك، ويخوض هذا المحور صراع على السلطة مع الحركات المتشددة، وإيران. والمحور الثالث الاسلام السياسي وعلى رأسه جماعة الإخوان المسلمين، وهي الحركة التي نشأت في مصر في الثلاثينات، وأصبحت قوة إسلامية كبيرة بكل المنطقة ولديها اتصالات بقيادة الولايات المتحدة وعلاقات مع قطر وتركيا. والمحور الرابع والأخير هو الحركة السلفية الجهادية، التي تعمل في كل منطقة العالم العربي والإسلامي. ويمثل هذا المحور تنظيم داعش الذي له تواجد في كثير من مناطق المنطقة، ويسعى حسب التقرير لإقامه دولة اسلامية، وهذا المحور يخوض صراع ضد المحور الأول والثاني، وضد التواجد الدولي في المنطقة (٢٢٢).

ورأى التقرير أن الازدواجية في البيئة الاستراتيجية المحيطة بإسرائيل تتطلب تعزيز عناصر الدفاع وعدم التدخل، مما يتوجب على إسرائيل في السنوات القادمة اعتماد طرق التفكير الاستراتيجية للتعامل مع البيئة الاقليمية، من خلال فهم دقيق لطبيعة منطقة الشرق الأوسط، في موقعها ومكانتها، والحاجة إلى صياغة مفهوم جديد يتم من خلاله البحث عن الفرص وتطوير مزيج جديد من الأدوات والجهد. فالمبدأ الأكثر أهمية في تشكيل أجندة إقليمية لتعزيز أمن إسرائيل، ينطلق من فهم أن هناك علاقة وثيقة بين التطورات الميدانية واتجاهات القوى الإقليمية. ولذلك، يجب على إسرائيل بناء علاقات مع الذين يقرون لها بدور مهم في تشكيل وتحقيق الاستقرار في المنطقة، ولتحقيق لهذه الغاية يجب على إسرائيل مد جسور التعاون مع الجزيرة العربية.

وخلص التقرير إلى الأزمة الحالية كشفت أزمة الدولة الوطنية والنظام السياسي في المنطقة وكشفت عن ضعف الهوية الوطنية تدريجياً، واعتبرها فسيفساء مخفي الهويات البدائية، وعلى رأسها الانتماء الديني أو العرقي والعشائري. وأكد أن هذه الهويات تعتبر أنظمة بديلة لمختلف هيكل الدولة الوطنية في الشرق الأوسط، وأن الحدود السياسية القائمة في وإطار «الدولة الوطنية» في المنطقة لن تكون هي نفسها في المستقبل. وأن عملية التجزئة في سوريا والعراق وليبيا واليمن ستتوج في نظام سياسي جديد (فدرالي) يمكن أن تحتوي على الهويات الدينية والعرقية لسكان المنطقة. لذلك

٢٢٢ - أنظر: تقرير الامن القومي الإسرائيلي، معهد الامن القومي الإسرائيلي، جامعة تل ابيب، ترجمة مركز رؤية للدراسات الاستراتيجية، غزة فلسطين ٢٠١٦، ص ١٠:٩

يتوجب على إسرائيل إقامة علاقات سرية وعملانية مع كل المكونات السياسية والثقافية استعداداً للنظام الفدرالي، فالنموذج الاتحادي في الشرق الأوسط، قد يكون جسراً بين الدول العربية وإرادة المجتمع الدولي للحفاظ على سلامة أراضي الدولة، ورغبة المجموعات العرقية للحفاظ على الاستقلال الحكم الذاتي الثقافي والسياسي، لذلك، يجب على إسرائيل الاستعداد لسيناريوهات التفكك وانهيار النظام القائم، من خلال تحسين الروابط والعلاقات مع المجموعات العرقية الغير معادية لإسرائيل، حيث أن الأقلية الكردية والدروز وغيرهم. فطبيعة الترتيبات المتبلورة في المنطقة قد تؤثر على الوضع الأمني والاستراتيجي لإسرائيل، وبالتالي يتوجب توسيع العلاقات والتعاون مع الجماعات والمجتمعات المحلية، بهدف تحسين الوضع السياسي لإسرائيل في المنطقة، وتعزيز التعاون الاستراتيجي لها في الشرق الأوسط (٢٢٤).

خدمت التطورات الأمنية والسياسية في منطقة الشرق الأوسط إسرائيل إلى أبعد الحدود، فإسرائيل استطاعت الاستفادة من التحولات في البيئة الإقليمية والعربية، بهدف تعزيز أمنها، عبر الولوج لنظام الإقليمي العربي من خلال الاستفادة من حالة الصراع والتفكك التي تشهدها المنطقة العربية، بعد الحراك الشعبي العربي، والتي أدت لانهيار دول وسقوط أنظمة، مما سمح لإسرائيل بالتمدد في العلاقات السياسية والأمنية مع بعض الدول العربية، على حساب الحقوق الفلسطينية. فالصراع الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط، أصبح على أساس الهوية، وليس على أساس المصالح الجيوسياسية فقط كما كان في السابق.

ثالثاً: علاقات إسرائيل الإقليمية والعربية

شهدت العلاقات العربية الإسرائيلية منحى خطيراً بعد موجه الحراك الشعبي العربي التي أدت لسقوط أنظمة سياسية كانت تعتبر محورية في المنطقة، ودخول أنظمة أخرى في آتون الحرب الأهلية، مما سمح لإسرائيل بالتوسع والانتشار، خاصة في ظل تنامي حالة الصراع الطائفي والمذهبي بين دول الخليج وعلى رأسها السعودية وإيران، مما حدا بإسرائيل أن تطرح نفسها كحليف استراتيجي لهذه الدول في مواجهة الإرهاب والتمدد الإيراني في المنطقة العربية.

اعتبرت المؤسسة الأمنية الإسرائيلية أن الثورات العربية تؤدي إلى تغيرات جوهرية لصالحها، مع انسداد الطريق على المسار السياسي في المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية، وما يمكن أن يتطور على صعيد العلاقات بين إسرائيل وإدارة أوباما، إذ استطاعت أن تتنزه الفرصة لتحقيق إنجازات ومكاسب لصالحها، فالأحداث الداخلية التي تعصف بالعالم العربي وتغيرات أنظمة الحكم، هي تغيرات جزئية في مبنى أنظمة الحكم في العالم العربي، ومن المحتمل أن تؤثر في المدى القريب والبعيد على السياسات الداخلية في العالم العربي، وأن تحدث تحركاً في السياسة الخارجية لعدد من الدول العربية.

٢٢٤ أنظر: تقرير الأمن القومي الإسرائيلي، معهد الامن القومي الإسرائيلي، جامعة تل ابيب، ترجمة مركز رؤية للدراسات الاستراتيجية، غزة فلسطين ٢٠١٦، ص ٣٣:٣٢

فقد استفادت إسرائيل كثيراً من الصراع الإقليمي بين السعودية وإيران، فقد أدى صعود نجم السعودية في منطقة الخليج لصدها أي محاولة لتغيير الأنظمة في دولها، هو دور مفيد للغاية لإسرائيل، من منطلق أن السعودية تتبع سياسة التصدي لإيران بكل ثمن، وبدعم من الغرب بطبيعة الحال، دون الإعلان عن ذلك^(٢٢٥)، فهذا الوضع تجد إسرائيل نفسها فيه قادرة على المناورة في شرق أوسط متغيرة ومتقلب، وتجد نفسها قادرة على تجميد مقصود للعملية السلمية، وقادرة أيضاً على الاستمرار في تصوير المشروع النووي الإيراني بأنه أكبر خطر في التاريخ على إسرائيل ذاتها وعلى العالم أجمع، وأن الربيع العربي لا يشكل خطراً عليها في الظروف الراهنة التي يعيشها العالم العربي، فانشغال العرب بقضاياهم، وفي مقدمتها إعادة تشكيل أنظمة الحكم التي سقطت، وإعادة بناء منظومتها الداخلية، يوفر لإسرائيل فرصاً مؤقتة للتحرك بحرية أكثر، إلا أن مصر بعد سقوط مبارك اتجهت نحو القضية الفلسطينية بصورة إيجابية ومغايرة لما تريده إسرائيل^(٢٢٦).

ويندرج ظهور إسرائيل بهذا المظهر «القلق» على خلفية نيران الثورات العربية في قائمة تسويق الثورات العربية بأنها ليست مطلباً للحرية بقدر كونها فوضى في العالم العربي، وتشكل خطراً على إسرائيل، هذا يجعل دول الغرب والولايات المتحدة تقوم بتوفير كل دعم ومساعدة للحفاظ على هذا الكيان الذي تم صنعه وفقاً لأجندة غربية منذ قرابة ستة عقود ليكون رافعة لتحقيق مصالحه وإبقاء حالة التمزيق في العالم العربي، من هنا يمكننا إدراك، سعي إسرائيل عبر أدواتها الإعلامية وقتواتها الدبلوماسية إلى تصوير الثورات العربية بأنها «خريف إسلامي»^(٢٢٧)، مستفيدة من صورة «الإسلام الإرهابي» الذي كونه وابتدعته وسوقته الإدارة الأمريكية من أيام بوش الأب ثم الابن، وجرت معها الدول الأوروبية وغيرها، ووسط هذا الخريف تعلن إسرائيل أنها في حالة قلق وخوف وفضع شديد على وجودها، ويرتبط هذا الأمر بقوة تصعيد إسرائيلي وأمريكي للملف الإيراني، وإبقائه حاضراً بقوة ونفاذ على سطح المناقشات السياسية والإعلامية العالمية، ففي ظل الخوف والرعب التي تدعيها إسرائيل في موجات الثورات العربية، تجد إيران نفسها زعيمة في الشرق الأوسط، وهذا الخطر الآخر الذي تدعيه إسرائيل على وجودها، لذا إسرائيل تحاول أن تستفيد من كل الظروف والبيئات السياسية المحتمدة في الشرق الأوسط، فهي تحاول أن تثير فزاعة (إسلاميو فوبيا)، والثورات العربية، والملف الإيراني وتوظف كل ذلك في خدمة مصالحها.

٢٢٥ يعتقد شأؤول بناي أن السعودية شريكة في هذه الحرب حماية لمصالحها، فالخطر الإيراني مشترك لإسرائيل وللسعودية.

شأؤول بناي: «الحرب الباردة في الشرق الأوسط» إيران إسرائيل»، موقع عبري ممكن التفكير، مترجم، تاريخ النشر: ١٤ نوفمبر ٢٠١٤، على الرابط التالي:

<https://translate.google.ps/translate?hl=ar&sl=iw&u=http://canthink.co.il/&prev=search>

٢٢٦ منصور، جوني: «أثر الثورات العربية على عملية السلام في الشرق الأوسط، المرجع السابق، ص ٥٥.

٢٢٧ أطلق الجنرال إيال ايزنبرغ قائد الجبهة الداخلية في إسرائيل، مصطلح خريف إسلامي راديكالي، على الربيع العربي مدعيًا أن حرباً إقليمية شاملة وضرروس ستحل على المنطقة.



جهات أمنية في دول تريطنا بها علاقة سلام جيدة، متقدمة، وتنجح في إنقاذ حياة الكثيرين»^{٢٢٩}.

المحور الثاني: انعكاس التحولات الإقليمية على القضية الفلسطينية

حاولت إسرائيل استغلال التحولات العميقة التي أحدثتها تطورات الأوضاع الأمنية والسياسية في المنطقة، بهدف تصميم الخارطة الجيوسياسية الجديدة في الشرق الأوسط، بما يعزز مصالحها، السياسية على حساب الحقوق الفلسطينية، عبر إقامة علاقات طبيعية مع الدول العربية، بغض النظر عن تحقيق السلام أو حل القضية الفلسطينية.

أولاً: التطورات الإقليمية والقضية الفلسطينية

لا شك أن التحولات في البيئة الإقليمية قد القت بظلالها على الصراع العربي الإسرائيلي، وخاصة على القضية الفلسطينية، بسبب تشابك العلاقة الفلسطينية والإسرائيلية، والتأثير المباشر لأي حدث عربي أو إقليمي على القضية الفلسطينية، حيث شهدت المنطقة العربية خلال السنوات الأخيرة اضطراباً في ملامح النظام الإقليمي من جراء التحول البنائي الذي أحدثته الثورات العربية على المنطقة، وقد أكسبت تلك الأحداث إسرائيل مجموعة من الفرص التي ساعدتها على التقدم نحو الولوج في عملية تطبيع مع العالم العربي عبر بوابات خلفية. وفي غضون ذلك، تبقى حالة التقارب العربي الإسرائيلي، التي تتمركز حول عدد من القضايا ذات الاهتمامات المشتركة، واجهةً للمشهد الجيوسياسي بالمنطقة خلال المستقبل القريب. لكن تلك العملية لا تضمن قبول الوجود الإسرائيلي بمنطقة الشرق الأوسط أو استمرار الروابط التطبيعية بينها وبين دول المنطقة. وتحاول إسرائيل تصوير القضية الفلسطينية بأنها ليست ذات صلة بأمور التطبيع، في أعقاب تزايد فرص التعاون الاستراتيجي مع الدول العربية. بيد أن غياب الحلول للصراع الإسرائيلي المستمر مع الفلسطينيين، سوف يبقى حجر العثرة الذي يعوق أي تطور في العلاقات مع الدول العربية.

ولعل ما يميز القضية الفلسطينية عن غيرها من قضايا التحرر المماثلة لها هو أن أصحابها الذين تتسبب إليهم سياسياً وجغرافياً لا يملكون وحدهم منفردين اتخاذ قرارات مصيرية بخصوصها في مواجهة الطرف الآخر في الصراع دون تدخل إحدى إرادتين أخريين فرضتهما الجغرافيا والتاريخ والعقيدة والمصلحة المشتركة. هاتان الإرادتان تمثلان دائرتي العروبة والإسلام بصرف النظر عن تداخلهما أو عن تعددية الكيانات والجماعات والفواعل التي تنطلق من إحدى هاتين الدائرتين. إن ما يعطي هاتين الدائرتين مصداقية التأثير وحمية التدخل هو أن تأثير أي منهما لا يتجلى في شكل مؤثر دخيل يمثل إرادة خارجية تعبر عن مصالح تتناقض مع مصالح الفلسطينيين، بل يجد له استجابة فلسطينية مكملة بسبب امتداد كلتا الدائرتين في المكونات الاجتماعية والثقافية والسياسية والعقيدية للفلسطينيين أنفسهم، بحيث لا يمكن تصور أي تشكل للإرادة الفلسطينية أو تبلور لأي مشروع وطني فلسطيني دون أن يكون لهاتين الدائرتين امتداد عضوي وتأثير على هذا الشكل

٢٢٩ للمرة الأولى: رئيس الشاباك سابقا يكشف عن أمور كثيرة ويؤكد: «التسيق الأمني»

يخدم أمن إسرائيل فعلاً، وكالة أمد للإعلام، على الرابط التالي: <https://www.amad.ps/>

١٦٧٨٠٠=ar/?Action=Details&ID

والتبلور^(٣٣٠).

وقد حاولت السياسة الإسرائيلية في تعاملها مع أي ملف في العالم العربي وملف الثورات العربية خاصة إلى تفتيت وتمزيق العالم العربي على الصعيد السياسي والديني، المذهبي، والطائفي، والأثني، وتطبيق هذه السياسة أو الرؤية مع الخطط الأمريكي. في الوقت نفسه تعمل آلة الإعلام الإسرائيلية إلى تلميع وجه إسرائيل كونها الديمقراطية الواحدة والوحيدة في الشرق الأوسط، وأنها بفعل نظامها السياسي تثبت الاستقرار فيها أكثر من أي دولة عربية وعلى رأسها مصر التي انهار فيها نظام مبارك، الذي كان يعتبر نظاماً مستقراً إلى يوم واحد قبل سقوطه وانهاره^(٣٣١). هذه السياسة تسعى إلى بناء قوى مضادة للثورات في العالم العربي بدعم إسرائيلي مباشر أو غير مباشر، أي أن إسرائيل تعمل على تأجيج الصراعات والخلافات الطائفية والمذهبية في كل بلد عربي، هذا ما تفعله بقوة في الملف السوري، فإثارة المارد الطائفي يخلق توتراً بين أبناء الطوائف، وفي ذات الوقت يحدث شرخاً اجتماعياً سرعان ما يتحول إلى سياسي وعسكري، هذا وتتناغم السياسة الإسرائيلية مع السياسة الأمريكية المعتمدة التمزيق وتكوين كيانات جديدة متصارعة فيما بينها. لهذا فإن الثورات العربية وفرت لإسرائيل فضاء من التحرك بحرية لتحقيق مكاسب سياسية على

٢٣٠ - السنوسي، صالح، القضية الفلسطينية في زمن الربيع العربي، الجزيرة نت، ٢٠١٤، على الرابط <http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/٨٢%D٩%A٤%D٩%A٧%D٨%/٢٩/١/٢٠١٤/>

٢٣١ هناك عشرات بل مئات من الوثائق التي تم نشرها منذ أعوام مضت، وخاصة ما عرف بوثائق ويكليكس ٢٠١١، ولكن أشهرها وثيقة رالف بيتر «إعادة هيكلة خريطة الشرق الأوسط»، في وثائق مختارة في تفتيت الوطن العربي، سلسلة دراسات ووثائقية ١، صادرة عن حزب البعث العربي الاشتراكي ٢٠٠٩، ويقترح تقرير بيتر أن يتم تقويض أركان دول وإعادة رسم كيانات لدول جديدة وابتعاث أخرى من العدم.



الصعيد الدولي، ومكاسب إقليمية على صعيد الشرق الأوسط، وعلى الصعيد الداخلي بتثبيت نظام الحكم فيها، والظهور بكونها دولة قوية سياسياً ومستقرة اقتصادياً واجتماعياً، وأنها وفرت وتوفير لمواطنيها كافة احتياجاتهم في منظومة حياتية متكاملة^(٣٣٢). وقد انعكست الثورات العربية (الربيع العربي) على التوجهات الإسرائيلية نحو المسألة الفلسطينية، فمع اندلاع الثورات العربية، قدمت إسرائيل انطباعاً للعالم نحو نيتها التقدم في مسار التسوية، تحت ضغط التطورات الحاصلة في المشهد العربي، وضبابية البيئة الإقليمية عقد شعرت إسرائيل في بداية الأمر أن هذه التطورات والاحداث سوف تضر بمكانة إسرائيل الإقليمية «مرحلة الصدمة»، إلا أنها تراجعت لاحقاً عن هذا الوجه «العلمي المراءغ» إلى توجه يهدف لإبقاء الوضع على ما هو عليه، رغم محاولات السلطة الفلسطينية لإعادة تدويل القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة^(٣٣٣).

وعقب ذلك سعت إسرائيل إلى تعظيم الاستفادة من التطورات البيئية الإقليمية، فقد عملت على اتخاذ موقع لها وسط الموقف الإقليمي شديد السيولة الذي تسبب فيه وقوع كثير من جيرانها فريسة للاضطراب الداخلي، فضلاً عن حلحلة الوضع الجيوسياسي الناتج عن التناقض السعودي الإيراني وكذلك تزايد حالة الصلف الروسي في مواجهة الانسحاب الأميركي الملاحظ. وفي هذا السياق، تبرز إسرائيل باعتبارها أكثر المستفيدين من اضطراب النظام الإقليمي في أعقاب الثورات العربية. فعلى الرغم من حالة الفوضى التي تنتشر في كثير من البلدان المجاورة لإسرائيل، فمن المؤكد أن ثمة مجموعة من العناصر المرتبطة بالنموذج الإقليمي الحالي التي تستفيد منها إسرائيل من الناحية الأمنية.

فقد انزلت أقدام إيران ووكلاؤها بالمنطقة، أبرزهم حزب الله، في وحل عدد من الحروب الإقليمية. أما إسرائيل، فقد تسبب عزمها وقدرتها المؤكدة على استخدام القوة الحربية بسوريا للدفاع عن مصالحها؛ في مزيد من حالة الهدوء الذي فرضته بطول حدودها. وفي غضون ذلك، تشكل حالة التفتت التي تعاني منها كيانات الدول الوطنية التقليدية، التي أنتجت في الأساس عبر سلسلة من النظم السياسية بدءاً من اتفاقية سايكس بيكو، مقدمة لآفاق التحالفات الإسرائيلية الجديدة مع مجموعات الأقليات مثل الأكراد والدروز^(٣٣٤).

فمنذ انحصار ظاهرة الإسلام السياسي، وانتشار حالة عدم الاستقرار السياسي والأمني في المنطقة العربية، تبنت إسرائيل خطاباً مغايراً للتعامل مع المسألة الفلسطينية، وذلك نابع من تغيرات البيئة

٢٣٢ منصور، جوني: «أثر الثورات العربية على عملية السلام في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص ٦٣.

٢٣٣ - مصطفى، مهند، إسرائيل والبيئة الإقليمية التحولات الاستراتيجية والمسألة الفلسطينية، مرجع سابق ص ٧٣.

٢٣٤ Zeynep Coskun, **Israel and the Palestinian issue in light of the troubled regional system after Arab Spring** <http://sharqforum.org/٢٣/٠٨/٢٠١٦/%D%A%YD%A%٩%D%A%٩D%AB%٦D%A%٩A%D%AA%٩>

الإقليمية بالأساس، فهي تصرح بأن أي تسوية للصراع مع الفلسطينيين يجب أن يكون عبر بوابة العالم العربي، كجزء من تسوية إقليمية عربية تساهم في حل المسألة الفلسطينية، والوصول لتسوية سياسية مع الشعب الفلسطيني، حيث إن إسرائيل تبنت رؤية جاءت انعكاس للأحداث الجارية في المنطقة العربية، تقوم على أساس مبدأ تطبيع العلاقات مع العالم العربي كمدخل لتسوية القضية الفلسطينية (٢٣٥).

وترى إسرائيل إنه من خلال النموذج الحالي، ليس ثمَّ من يمكنه تحدي قدرة إسرائيل على الإبقاء على الوضع الحالي، فيما يتعلق بمسألة الأراضي الفلسطينية، أو من يمكنه فرض تكاليف باهظة عليها في حال استمرار الاحتلال. فقد فاقمت حالة التنافس بين اللاعبين الإقليميين من حالة الفرقة في الداخل الفلسطيني، كما أعاقت القرار الفلسطيني. فالصراعات العنيفة في سوريا والعراق وليبيا واليمن- على سبيل المثال لا الحصر- جمعت أجندات السياسات الأجنبية لقادة العالم، مما يعني أن كثيرين يرون أن القضية الفلسطينية ذات تبعات استراتيجية أقل مما كانت عليه بالنسبة للشرق الأوسط. وطالما وصف نتنياهو دولته إسرائيل بأنها شريك أساسي للحكومات العربية في قضايا محاربة الإرهاب والإسلام الأصولي وإيران، وهم الخصوم الثلاثة الذين يخلط دائماً بينهم. فعلى سبيل المثال، في مارس/ آذار ٢٠١٦، أوضح نتنياهو أن «الدول المختلفة تتفهم أن إسرائيل ليست عدوة العالم العربي، بل إنها شريكته في الصراع المشترك ضد عناصر الإسلام الأصولي»، ويمكن أن يُنظر إلى تصنيف مجلس التعاون الخليجي لحزب الله بأنه جماعة إرهابية في مارس/ آذار ٢٠١٦، على أنه تصديق للاعتقاد القائل إن إسرائيل يمكنها أن تتشارك الاهتمامات مع العالم السني ضد إيران وكلاهما (٢٣٦).

وعززت الزيارات الأخيرة لإسرائيل التي قام بها عدد من المبعوثين السعوديين البارزين ووزير الخارجية المصري، سامح شكري، من ذلك الاعتقاد، إذ أنهم ناقشوا خلالها احتمالية تحقيق سلام إقليمي، ولاسيما أن الفكرة التي توحى بأن توسع الدور الإقليمي في عملية السلام قد يتسبب في حل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، بدت جاذبة لوزيرة خارجية الاتحاد الأوروبي «فيدريكا موغيريني» والقادة الأوروبيين الآخرين. إلا أنه ينبغي على أوروبا أن تحذر من الجهود الإسرائيلية لخداعهم من أجل الوصول إلى عملية ذات نهاية مفتوحة مرة أخرى بمساعدة مصر، ولا يخفى على أحد أن كليهما يبدو أنه يستخدم تلك العملية باعتبارها حيلة لتحقيق مصالح شخصية أكثر من كونه يسعى ورائها من أجل تحقيق اتفاقية سلام ممكنة مع الفلسطينيين (٢٣٧).

٢٣٥ مصطفى، مهند، إسرائيل والبيئة الإقليمية التحولات الاستراتيجية والمسألة الفلسطينية، مرجع سابق ص٧٤

Zeynep Coskun, **Israel and the Palestinian issue in light of the troubled** ٢٣٦

%D%A%AV%DAX/٢٢/٠٨/٢٠١٦/**regional system after Arab Spring** , <http://sharqforum.org>

A٩%AA%DAX%D٩XB%DAXA٢%D٩%٨٤

٢٣٧ Zeynep Coskun, Israel and the Palestinian Issue in light of the troubled regional system

مبدأ دولتين قوميتين للشعبين، وأن تسوية كهذه تستند إلى الحفاظ الشديد على الاحتياجات الأمنية لدولة إسرائيل وإنهاء الصراع الإسرائيلي - العربي. ووضع «المعسكر الصهيوني شروطاً لتسوية كهذه وهي: دولة فلسطينية منزوعة السلاح، الحفاظ على الكتل الاستيطانية تحت سيادة إسرائيل، وتعزيز القدس ومكانتها كعاصمة أبدية لدولة إسرائيل، وضمان الحرية الدينية والوصول إلى الأماكن المقدسة لكافة الديانات، إلى جانب الحفاظ على السيادة الإسرائيلية. حل قضية اللاجئين الفلسطينيين من خلال إقامة دولة فلسطينية وليس في إسرائيل (٢٣٩).

ومن جهة أخرى يطرح يائير لبيد رئيس حزب «بيش عتيد» رؤية تقوم على تحميل الفلسطينيين مسؤولية إفشال عملية السلام، فهو يرى أن الفلسطينيين رفضوا مرة تلو الأخرى يد إسرائيل الممدودة للسلام، في حين يرى حزب العمل بزعامة هرتسوغ أن حل الدولتين لم يعد ممكناً في ظل هذه الظروف (الفلسطينية والإقليمية) وينطلق كما اليمن من حل المسألة الفلسطينية يجب أن يكون جزءاً تسوية إقليمية واسعة يجب أن تتم بين إسرائيل والعالم العربي «المتعادل» بمعنى أنه لا يمكن تسوية الصراع من خلال مفاوضات مباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية، وإنما في إطار صفقة شاملة (٢٤٠).

فبدلاً من اتفاق مع الفلسطينيين يقترح حزب العمل «راعي عملية السلام» استمرار البحث عن حلول تتمثل بتسويات إقليمية حقيقية ودائمة، وتسوية كهذه ستشكل رداً لمواجهة مجمل التهديدات، لكن خلال لقائه مع وزير الخارجية الأميركي، جون كيري، في روما عام ٢٠١٦، تراجع قليلاً عن فشل حل الدولتين، واستعرض رئيس حزب العمل، - المتهم بأنه ينسخ سياسات اليمين ويقلد أداءه-، خطة هدفها الانفصال عن الفلسطينيين في الضفة الغربية. واعتبر أن «خطة الانفصال» هي الطريق الوحيدة للتحرك في المنطقة والتقدم نحو رؤية الدولتين في المستقبل. مواطنوننا يُفتلون، ونحن ملزمون بتنفيذ خطوات انفصال «وادي» أنه مؤمن بحل الدولتين. وأضاف هرتسوغ أن «على الأميركيين الدفع لعقد المؤتمر الأمني الإقليمي بمشاركة الدول العربية المعتدلة، وأكد لوزير الخارجية الأميركي السابق «جون كيري» أن عقد مؤتمر إقليمي كهذا يشكل خطوة هامة لمحاربة الإرهاب الإسلامي المتطرف الذي يهدد العالم الغربي كله ودول الشرق الأوسط خصوصاً. وتقضي «خطة» هرتسوغ باستكمال بناء الجدار الفاصل حول الكتل الاستيطانية، وفصل القرى الفلسطينية عن القدس (أي عن البلدة القديمة ومحيطها) ومنح حرية مدنية للفلسطينيين، وذلك من أجل تهدئة الوضع. ويرفض هرتسوغ رؤية أسباب الهبة الشعبية الفلسطينية الحالية، وقال خلال مؤتمر عقده «معهد أبحاث الأمن القومي» في جامعة تل أبيب، قبل أسبوعين، إنه «قبل أن نتحدث عن السلام،

٣٣٩ دراسة بعنوان: برامج الأحزاب الإسرائيلية: مفاوضات الفلسطينيين لعبة لمنع

السلام، موقع الكرامة برس، ٢٠١٦، على الرابط، <http://www.karamapress.com/arabic/Index>

١٦٧٥٧٢=php?Action=PrintNews&ID

٢٤٠ مصطفى، مهند، إسرائيل والبيئة الإقليمية التحولات الاستراتيجية والمسألة الفلسطينية،

مرجع سابق ص ٧٧

ينبغي تحقيق الأمن الآن. سنعزز الأمن بواسطة خطة الانفصال. إنني أريد الانفصال عن أكبر عدد من الفلسطينيين، وبأسرع ما يمكن. نحن هنا وهم هناك (٢٤١).

وهكذا يتضح أن التحولات في البيئة العربية الإقليمية، انعكست على الرؤية الإسرائيلية لعملية السلام، وانعكست على رؤية الأحزاب الإسرائيلية للحل، حيث إن معظم الأحزاب القوي الإسرائيلية، أصبحت ترى في الحل الإقليمي القائم على فكرة تبادل الأراضي والتطبيق قبل الوصول لسلام، هي الأساس العملي لإعادة إحياء عملية السلام من جديد، وهذا بكل تأكيد له تداعيات وتأثير على الحقوق الوطنية الفلسطينية، خاصة في ظل انشغال العرب بقضاياهم الداخلية والاستراتيجية الأمريكية الجديدة.

المحور الثالث:

أثر التحولات الإقليمية والعربية على مدينة القدس والمقدسات.

كانت ولا تزال مدينة القدس هدفاً استراتيجياً للحركة الصهيونية بكل أحزابها وطوائفها، من أجل السيطرة عليها عبر سياسة ثابتة وممنهجة، تقوم على أساس تعزيز الاستيطان الديني فيها، من قبل الحركات والأحزاب اليهودية، لذلك وضعت اللبنة الأولى للمشروع الاستيطاني التوسعي في مدينة القدس، فقد سعت إسرائيل للاستفادة من التحولات الإقليمية في المشهد العربي والإقليمي، بما يعزز عملية تهويد القدس وزيادة عدد المستوطنين فيها، وطرح سكانها وتغيير الوضع القائم في المسجد الأقصى المبارك.

أولاً: السياسة الإسرائيلية تجاه القدس قبل التطورات الإقليمية

يمثل الاستعمار الاستيطاني ولا يزال منطلقاً مركزياً للعمل الصهيوني، إذ تم اعتماده سبيلاً لتجسيد المشروع الصهيوني في فلسطين، فالصهيونية حولت اليهودية من ديانة روحية شأنها شأن باقي الديانات إلى رابطة قومية عنصرية، وطرحت «المسألة القومية» حلاً لليهود، يقوم على أساس بناء دولة قومية، لذلك كانت فكرة إسرائيل الكبرى التي شكلت فكر القوى اليمينية المتطرفة حجر الأساس التي بنيت عليه خطط الاستيطان في فلسطين، وخاصة بمدينة القدس^{٢٤٢}. فقد عارضت الأحزاب الدينية قيام دولة فلسطينية، وأية سيادة أجنبية غربي نهر الأردن، وأن إسرائيل وحدها ستكون موجودة بين نهر الأردن والبحر المتوسط، ورفضت عودة اللاجئين، والانسحاب من الجولان، كما طالبت بإلغاء قرار تجميد عمليات الاستيطان، والعمل على تعزيز الاستيطان وعدم إزاحة أية مستوطنة يهودية من مكانها، وضمان أمن المستوطنين، وأكدت التمسك بالقدس كعاصمة موحدة

٢٤١ دراسة بعنوان: برامج الأحزاب الإسرائيلية: مفاوضات الفلسطينيين لعبة لمنع

السلام، موقع الكرامة برس، ٢٠١٦، على الرابط، <http://www.karamapress.com/arabic/Index>

١٦٧٥٧٢?php?Action=PrintNews&ID

٢٤٢ الرفاتي، إيد، الاستيطان في فكر الأحزاب الدينية الصهيونية في إسرائيل وأثره على عملية التسوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة فلسطين، ٢٠١٣م، ص ٢١

أبدية للدولة، ونادت بالعمل على تكثيف عمليات البناء في المدينة وضواحيها. أما الحركات الصهيونية الدينية المتطرفة «غوش إيمونيم، وكأخ»، فتدعو إلى ترحيل الفلسطينيين وقتلهم، وممارسة أي أعمال عنف تؤدي إلى طردهم من «أرض إسرائيل»، وأدى الجدل في أوساط حزب المفدال حول اتفاقيات السلام مع الفلسطينيين إلى انشقاق الحزب وخروج النائب المتشدد حنان بوارت وانضمامه إلى حزب الاتحاد القومي برئاسة بيني بيغن، والجدير بالذكر أن حزب المفدال قد اعترف باتفاقية أوسلو كأمر واقع رغم عدم رضاه التام عنها^(٢٤٣).

وتشكّل مدينة القدس رمزية الصراع العربي الصهيوني ومحوره ومكوّنه الحضاري والسياسي في آن، واستمرار سياسة التهويد على أرض القدس وسكانها وأماكنها المقدسة منذ احتلال القسم الغربي من المدينة في حرب عام ١٩٤٨، واستكمال احتلال القدس عام ١٩٦٧ لا يجعل مجالاً للشك في الإجماع اليهودي من الموقف في القدس الذي يحمل مفردات: مصادرة الأرض، بناء المستوطنات، وتهجير الفلسطينيين من موطنهم في القدس، وإحلال المستوطنين اليهود مكان العرب، وإزالة معالمها العربية والإسلامية وإفقادها طابعها الديني والحضاري. ودأبت سلطات الاحتلال «الإسرائيلي»، على امتداد سنوات الاحتلال على العمل على تحقيق هدفها الاستراتيجي، بالسيطرة على مدينة القدس، واعتبارها عاصمة أبدية وموحدة لإسرائيل، ومنع إعادة تقسيمها، وبالتالي عدم تمكين الشعب الفلسطيني من تحقيق حلمه الوطني في جعلها عاصمة لدولته العتيدة^(٢٤٤). وترى أحدث الدراسات الإسرائيلية أن القدس لها المركز الديني والسياسي الأهم لدى «الشعب اليهودي» على مر العصور، وأن اشتقاق الحركة الصهيونية اسم من اسم صهيون، وهو اسم آخر للمدينة في المصادر الدينية اليهودية، وتتمثل أهمية القدس لدى اليهود والأحزاب اليمينية الإسرائيلية من كونها^(٢٤٥):

- وجود ما يسمى «بجبل الهيكل» مكان الحرم القدسي الشريف، وهو المكان الأكثر قداسة لدى «اليهود» حسب الدراسات الإسرائيلية.
- الصلة بين اليهود والقدس ليست مقتصرة على «جبل الهيكل» فقط، فكل المدينة القديمة مقدسة بكاملها.

وكانت مدينة القدس الأكثر تأثراً بسياسات الحكومة الإسرائيلية حيث شكلت هذه السياسة منعطفاً بارزاً لجهة تغيير معالم القدس، في محاولة لفرض واقع يهودي جديد، يطمس المعالم العربية في المدينة، يصعب الفكك منه في حال تمت مفاوضات مستقبلية، فمنذ اللحظة الأولى لاحتلال إسرائيل مدينة القدس، باشرت بعمليات مصادرة الأراضي وهدم البيوت وتهجير السكان، وإقامة المستوطنات

٢٤٣ ماضي، سليم، مرجع سابق ص ٥٢

٢٤٤ حماد، عبد القادر، عطية، تأثير النشاط الاستيطاني على القطاع السياحي في مدينة

القدس، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية وفا، ٢٠١١، على الرابط التالي: <https://goo.gl/1l1r7Z>

[1l1r7Z](https://goo.gl/1l1r7Z)

٢٤٥ ابراهيم، بلال، صالح، الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية وأثره على التنمية السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، نابلس فلسطين، ٢٠١٠، ص ٣٥



داخل الشطر الشرقي من القدس وحولها تمهيدا لعزلها عن باقي المناطق العربية المجاورة^{٢٤٦}. تركت المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المقدسية مجموعة من الآثار الاجتماعية تمثلت في التحدي الكبير لمشاعر المسلمين في القدس، على اعتبار أن القدس هي وقف إسلامي سلبها اليهود من أجل تهويدها، وطرد أهلها منها^(٢٤٧). فقد تعدد خلال السنوات الماضية محاولات اقتحام المسجد الأقصى، وإقامة الشعائر الدينية اليهودية فيه، ومنع رفع الأذان، وتقسيم وزماني ومكان فيه، مما أثار مشاعر الشعب الفلسطيني، الأمر الذي أدى لانطلاق انتفاضة القدس المباركة. بالإضافة لخطر ما يقوم به المستوطنين من اعتداءات يومية على المقدسين العرب، لأنهم يرون أن ليس للعرب أية حقوق سياسية أو قومية في المدينة، بل يطالب المستوطنون بطرد المقدسين من ديارهم إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن بل يرفضون مجاورتهم في المدينة حيث أصدر رئيس الحاخاميين السفرديم الشرقيين مردخاي إلياهو فتوى تنص على تحريم بيع الشقق لغير اليهود^{٢٤٨}. وتفيداً لهذه السياسة قامت إسرائيل بهدم حي المغاربة الإسلامي داخل أسوار البلدة القديمة بأكمله وأسكنت بدلا منهم يهوداً. كما طردت أعداداً كبيرة من المقدسين في حي الباشورة، وحي باب السلسلة، بل هدمت عدداً من المساجد والزوايا والتكايا والمدارس الدينية وجميعها ذات مكانة دينية وتاريخية.

إضافة إلى إحكام الإغلاق على مدينة القدس لفرض حقائق جديدة على أرض الواقع في عاصمة الدولة الفلسطينية المرتقبة، إلى جانب خلق حقائق ديمغرافية جديدة جراء إجبار المواطنين الفلسطينيين على الهجرة القسرية من المدينة المقدسة، وتحويلها إلى مدينة خالية من الفلسطينيين، وقطع التواصل بين الفلسطينيين وتاريخهم الديني والتاريخي، وخلق وقائع جديدة تحول دون إقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف^(٢٤٩).

وفي ظل التجاوز الذي ظهر في المبادرات السياسية والهادفة حقيقة إلى تصفية القضية الفلسطينية، منذ أواسل ١٩٩٢ حتى خريطة الطريق ٢٠٠٢، لفكرة إزالة الاستيطان واستبدالها بمفاهيم وتوجهات جديدة مثل وقف الاستيطان، ومنع توسيع الاستيطان، وإزالة البؤر الاستيطانية، والسماح ببناء طرق التفاقية واسعة لخدمة المستوطنات والربط بينه وكذلك ضم المستوطنات إلى الكيان الإسرائيلي،

٢٤٦ العلية، رياض، وشاهين، أيمن، الأبعاد السياسية والأمنية للاستيطان الإسرائيلي في القدس ووضعيتها القانونية، مجلة جامعة الأزهر، المجلد ١٢، العدد رقم ١، غزة فلسطين، ٢٠١٠، ص ٩١٥

٢٤٧ الجندي، سليم، ١٩٨٦: سياسة الكيان الصهيوني الاستيطانية وأثارها على الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة، مجلة شؤون عربية، العدد ٤٨، ديسمبر ص ٨٧.

٢٤٨ الدقاق، إبراهيم، ١٩٨٨: السياسة الاستيطانية الإسرائيلية وانعكاساتها على قضية الإسكان الفلسطيني في الأراضي المحتلة، مجلة المستقبل العربي بمصر، العدد ١٠٧، ٤ - ٢٩.

٢٤٩ إبراهيم، بلال، محمد، الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية وأثره على التنمية السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، ٢٠١٠، ص

ناهيك عن نشر فلسفة المستوطنات الأمنية والسياسية والتفريق بينها، وفكرة التفريق بين الكتل الاستيطانية، والمستوطنات المتفرقة والمعزولة، حيث تتجاوز هذه التوجهات والمفاهيم الخطورة التي تشكلها عملية الاستيطان على مستقبل الشعب الفلسطيني ودولته المستقلة، وبالتالي تبرز أهمية التمسك بفكرة إزالة الاستيطان كما هي إزالة الاحتلال بوصفه مظهراً من مظاهره^(٢٥٠).

كما أن وجود هذه المستوطنات لا يبشر بالأمان، ما دام الاستقرار مهدداً باستمرار الاستيطان ويهدد الكيان الفلسطيني بالشرذمة والتجزئة؛ لأن السيطرة الإسرائيلية على الطرق والمعابر التي تربط بين المحافظات الفلسطينية، تجعلها تحت رحمة المستوطنين الذين باستطاعتهم إغلاقها متى شاؤوا. إن وجود المستوطنات قرب المدن الفلسطينية يجعلها مدناً حدودية تستطيع إسرائيل متى شاءت إغلاقها، أو ضربها؛ كما حدث خلال انتفاضة الأقصى عندما قصفت مدن نابلس ورام الله وبيت جالا والخليل وجنين، وهذا يعني تهديداً أمنياً لكيان الدولة الفلسطينية؛ وبالتالي تهديد لجوهر السيادة الفلسطينية. إن تمتع هذه المستوطنات بالحماية الأمنية يتطلب وجوداً عسكرياً إسرائيلياً لحمايتها، وهذا يعني وجود دولة داخل دولة، مما ينعكس على الأمن الوطني للدولة الفلسطينية؛ لذا، فإن أحد أبرز أهداف المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية، التركيز على تحييد هذا التهويد الاستيطاني برفض أي اقتراحات بضم المناطق الاستيطانية لإسرائيل، أو تحويلها لجيوب سيادية في وسط الدولة الفلسطينية (٢٥١).

من أهم نتائج سياسة الاستيطان الإسرائيلي في القدس، فقدان أجزاء واسعة من الأراضي الفلسطينية عبر المصادرة والإغلاق ووضع اليد وتقييد البناء. إن نسبة الأراضي المتاحة البناء عليها في منطقة الـ ٨٪ من أراضي هذه المنطقة الحد من التواصل بين مدينة القدس والمحيط العمراني الجنوبي لمحافظة رام الله والبيرة، والتواصل العمراني الشمالي لمحافظة بيت لحم^(٢٥٢) ما ترتب على ذلك من تقليص المساحة الممنوحة العرب من أجل حرية الحركة والنمو السكاني فيها^(٢٥٣). ومن تلك الآثار إقامة المصانع اليهودية في تلك المستوطنات المعتمدة على الأيدي العربية وعدم السماح ببناء مصانع في التجمعات السكانية العربية^(٢٥٤).

ثانياً: السياسة الإسرائيلية تجاه القدس بعد التطورات الإقليمية

- ٢٥٠ معتوق، ازدهار، الاستيطان الصهيوني وآثاره التدميرية على الشعب الفلسطيني، مجلة الوحدة الإسلامية، السنة الثالثة عشر - العدد ١٤٩ - ٢٠١٤ م، ص ٢٤
- ٢٥١ المصدر السابق، ص ٢٥
- ٢٥٢ الجهاز المركزي للإحصاء، المستعمرات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية، التقرير الإحصائي السنوي ٢٠١١، رام الله ٢٠١١، ص ٣٢
- ٢٥٣ الدقاق، إبراهيم، السياسة الاستيطانية الإسرائيلية وانعكاساتها على قضية الإسكان الفلسطيني في الأراضي المحتلة، مجلة المستقبل العربي، القاهرة ١٩٨٨، العدد ١٠٧، ٤ - ٢٩.
- ٢٥٤ قبطة، محمد أمير، المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة» رسالة دكتوراه منشورة، دار المنارة، غزة، فلسطين، ٢٠٠٨، ص ٢٨٩.



لقد حاولت إسرائيل الاستفادة من التحولات الإقليمية وانشغال العرب بقضاهم الداخلية والصراع الطائفي من أجل تثبيت حقائق جديدة على من خلال سياسة الاستيطان والتهويد في مدينة القدس المحتلة بهدف خلق أغلبية يهودية داخل القدس بشقيها الشرقي والغربي، السيطرة على الوجود السكاني الفلسطيني في المدينة، والتحكم في نموه، بحيث لا يتجاوز ٢٧٪ من مجموع السكان للمدينة بشقيها. ولتحقيق هذين الهدفين، المرتبطين بالهدف الاستراتيجي العام السابق عملت «إسرائيل» على ثلاثة محاور^(٢٥٥):

أ- إنشاء حلقة المستعمرات الاستيطانية الخارجية التي تحيط بمدينة القدس لمحاصرتها وعزلها عن بقية أجزاء الضفة، وتضمن ٢٠ مستوطنة تشكل أكثر من ١٠٪ من مساحة الضفة الغربية، وتعتبر جزءاً مما يسمى (القدس الكبرى) ومن هذه المستوطنات: معاليه أدوميم شرقاً، وراموت غرباً، وجبعات زئيف شمالاً وجيلو جنوباً.

ب- إنشاء الحلقة الداخلية من المستوطنات التي تهدف إلى تجريف وعزل التجمعات الفلسطينية داخل مدينة القدس الشرقية، وضرب أي تواصل معماري أو سكاني بينها، بحيث تصبح مجموعة من الأحياء الصغيرة المنعزلة بعضها عن بعض، فيسهل التحكم بها والسيطرة عليها، وقد أقيمت المستعمرات على أراضي بيت حنينا، النبي صموئيل، شعفاط، الشيخ جراح، بيت صفافا، وادي الجوز، صور باهر، سلوان، وأم طوبى. ومن هذه المستوطنات: ماونت سكوبيس، وراموت أشكول، وشرق تليوت، وعطروت، والتلة الفرنسية.

ت- وخلق تجمع استيطاني يهودي يحيط بالحرم القدسي الشريف، وخلق تواصل واتصال ما بين هذا التجمع الاستيطاني وبلدات الطور وسلوان ورأس العامود ومنطقة الجامعة العبرية ومستشفى هداسا، وذلك من خلال ربط الحي اليهودي وساحة المبكى وباب السلسة، وعقبة الخالدية وطريق الواد، وطريق الهوسبيس مع تلك المناطق.

وأدت التحولات التطورات الإقليمية واستمرار الانقسام الفلسطيني إلى مربع آخر من مربعات العبث والضياع، يخطو الصهاينة خطوة أخرى نحو تهويد المسجد الأقصى المبارك تحت سمع وبصر العرب والمسلمين، وبخلاف ما كانت عليه الأمور في السابق فإن مخططات تهويد المسجد الأقصى أصبحت واضحة المعالم، ولم يعد العمل على تطبيقها يقتصر على جماعات يهودية هامشية، بل إن جهات رسمية حكومية إسرائيلية أصبحت تتادي علناً وبشكل صريح بتقسيم المسجد الأقصى بين اليهود والمسلمين، على غرار ما هو عليه الحال في المسجد الإبراهيمي في الخليل.

نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي سيلفان شالوم ووزير التهديدات الاستراتيجية موشيه يعلون كانا

٢٥٥ حماد، عبد القادر، تأثير النشاط الاستيطاني على القطاع السياحي في مدينة القدس،

وكالة الأنباء والمعلومات وفا، ٢٠١١، على الرابط: <https://YbXvOg/gl.goo/>

واضحين تماماً عندما اعتبراً أنه لا يوجد أي مانع من استتساخ تجربة المسجد الإبراهيمي في المسجد الأقصى^(٢٥٦).

حول الاحتلال الإسرائيلي فكرة السيطرة على المسجد الأقصى إلى بث أفكار تمهد لتهويده، من قبيل أفكار التقسيم المكاني والزمني بين المسلمين واليهود، فتغيرت سياسة الاعتداء من مجرد اقتحام المسجد الأقصى وإيذاء المرابطين والمعتكفين داخله، إلى الاقتحام لتمهيد نشر فكرة التقسيم الزمني للمسجد وساحاته بين الفلسطينيين والإسرائيليين، ليكون المسجد ملكاً للمسلمين أوقات الصلاة فقط وما عادها فهي أوقات المستوطنين للتواجد داخل ساحاته، كخطوة استباقية للتقسيم المكاني للمسجد الأقصى، فيما يعتبر فلسطينيون أن هدف التقسيم الزمني والمكاني الأساسي يتمثل في تغيير النهج المتبع من الاحتلال من الاعتداء على المسجد الأقصى إلى الاعتداء على هوية المسجد الأقصى.

تلا تلك المحاولات في ترويج ونشر مثل هذه الأفكار لبيسط السيطرة بشكل مشروع على المسجد الأقصى، حديث حزب الليكود الإسرائيلي مطلع العام الجاري حول فرضية تطبيق تلك الفكرة في التقسيم حال نجاحه في فرض سيطرته على المسجد الأقصى وذلك من خلال الاقتحامات المتكررة له، وافترض الحزب أنه سينجح في فرض فكرة التقسيم الزمني عنوةً تليها خطوة أخرى لفرض التقسيم المكاني بكثرة اقتحام المستوطنين للمسجد الأقصى، وقال الحزب آنذاك إنه حال اتمامه تلك الخطوات كما رتب لها، فإنه سينجح في بناء الهيكل الثالث مكان قبة الصخرة بمعاونة دولية ومحلية، وذلك وفق حسابات الحزب ومخططاتهم الحاكم في إسرائيل الذي يتزعمه بنيامين نتنياهو، الذي حصد أغلبية المقاعد في الانتخابات التشريعية في مارس/آذار الماضي بزخم الدعوة إلى بناء هذا الهيكل^(٢٥٧).

وعلى الرغم من التكتّم الشديد على المخطط الصهيوني الرسمي الهادف إلى تهويد المسجد الأقصى ومنع المسلمين من الصلاة فيه، فإن الممارسات الصهيونية على الأرض تدل على أن هذا المخطط يشتمل على عدة مراحل، تتم على النحو التالي^(٢٥٨):

١- جعل تواجد اليهود ولا سيما المتطرفين في المسجد الأقصى مسألةً اعتيادية من خلال السماح لأكبر عدد منهم باقتحام المسجد والتجوال فيه تحت حماية رجال الشرطة الإسرائيلية، ومواجهة أي محاولة للتصدي لهم بيد من حديد.

٢٥٦ النعامي، صالح، تقسيم المسجد الأقصى.. تمهيدا لتهويده، موقع المجد الأمني، على الرابط التالي: <https://goo.gl/WRPCBK>

٢٥٧ الحديدي، شيماء، التقسيم المكاني والزمني للمسجد الأقصى الذي تريده إسرائيل، ساسة بوست، على الرابط التالي: <https://goo.gl/dXqMae>

٢٥٨ النعامي، صالح، تقسيم المسجد الأقصى.. تمهيدا لتهويده، موقع المجد الأمني، على الرابط التالي: <https://WRPCBK/goo://>



- ٢- محاولة جلب أكبر عدد من اليهود للمشاركة في اقتحام «الأقصى»، وجعل عمليات الاقتحام تتم في أوقات متقاربة، وقد كان من اللافت مؤخرًا كثرة المؤتمرات التي تعقدها الجماعات اليهودية المتطرفة لبحث سبل تهويد «الأقصى».
- ٣- تغيير الوضع القائم في «الأقصى» والذي كان سائدًا منذ العام ١٩٦٧ من خلال ممارسة الضغوط على الحاخامية الكبرى في إسرائيل لتغيير الفتوى التي أصدرتها بعيد احتلال القدس خلال حرب الأيام الستة والتي حظرت بموجبها على اليهود الصلاة في المسجد الأقصى.
- ٤- طرح الساسة والنخب الفكرية اليهودية اقتراحات علنية لطردهم الفلسطينيين من المسجد الأقصى تمهيدًا لبناء الهيكل وتهويد المكان بشكل نهائي.

كامل أن مشروع تقسيم المسجد الأقصى بين المسلمين وإسرائيل يحمل شقين وهما، التقسيم الزمني والتقسيم المكاني، وكانت إسرائيل قد بدأتها بشكل عملي بالفعل، أما الأول فيعني تخصيص أوقات معينة لدخول المسلمين المسجد الأقصى وأخرى لدخول اليهود، ويقتضي منه اقتسام ساعات اليوم وأيام الأسبوع والسنة بين اليهود والمسلمين، ومن خلاله يرى الجانب الإسرائيلي أنه يستوجب على المسلمون على مغادرة الأقصى من الساعة ٠٧:٣٠ حتى ١١:٠٠ صباحًا، وفي فترة الظهيرة من الساعة ١:٣٠ حتى ٢:٣٠، وفترة الثالثة بعد العصر، لتخصيص هذا الوقت لليهود بحجة أنه لا صلاة للمسلمين في هذا الوقت ليتم السماح لليهود بأداء ثلاث صلوات في اليوم داخله، كما يتم تخصيص المسجد الأقصى لليهود خلال أعيادهم، والتي يقارب مجموع أعدادها نحو ١٠٠ يوم في السنة، إضافة إلى أيام السبت طوال السنة، كما يحظر رفع الأذان خلال الأعياد اليهودية^(٣٥٩).

أما التقسيم المكاني فيعني تخصيص أماكن بعينها في المسجد الأقصى لكل من الطرفين، إذ يهدف إلى تخصيص أجزاء ومساحات من المسجد الأقصى يقطعها الكيان الإسرائيلي ليحولها لكنائس يهودية لأداء صلواتهم فيها، وقام الاحتلال خلال الفترات السابقة بتصويغ طرق ومسارات خاصة لهم للتمهيد للتقسيم المكاني، ويشمل التقسيم المكاني كذلك بسط السيطرة بالقوة على جميع الساحات الخارجية للمسجد الأقصى أما الأماكن المسقوفة مثل مصلى قبة الصخرة والمصلى المرواني فتكون للمسلمين، ويشمل هذا التقسيم مخططات لبناء الكنيس اليهودي والهيكل، فلم تعد تخفى تلك المطامع، بل بات التصريح بها أمرًا عاديًا وحققًا مشروعًا كما يرى الجانب الإسرائيلي^(٣٦٠).

٣٥٩ الحديدي، شيماء، التقسيم المكاني والزمني للمسجد الأقصى الذي تريده إسرائيل، ساسة بوست، على الرابط التالي: <https://dXqMae/gl.goo/>

٣٦٠ المرجع السابق



خاتمة

سعت الحكومة الإسرائيلية للاستفادة من التطورات والتحويلات الإقليمية بهدف دفع العرب لتقديم تنازلات لا يعتزم الفلسطينيون أنفسهم تقديمها، سواء فيما يتعلق بالحدود أو بالهوية اليهودية لدولة إسرائيل. وفي ذات الوقت، لا ترى إسرائيل حاجة حقيقية لتقديم تنازلات مريرة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية لكي تحصل من الدول الإقليمية على ما تمتلكه بالفعل، أو ما يمكن الحصول عليه في حالة استمرار الديناميكيات الحالية. وفي محاولة لوصف كيف أن التحول في التحالفات الإقليمية قد يمهّد الطريق أمام اتفاقية سلام دائم مع الفلسطينيين، يحاول نتنياهو ترسيخ فكرة أن عدم تطبيع العلاقات ينبغي أن تكون عاقبة اتفاق السلام مع الفلسطينيين. وأمام هذه المعطيات التحويلات في البيئة الإقليمية التي سمحت لإسرائيل بنسج علاقات شبه طبيعية مع بعض الدول العربية، في إطار الحل الإقليمي الذي يشكل تهديد حقيقي على الحقوق الوطنية الفلسطينية، وفي مقدمتها حقه التاريخي في أرضه ومقدساته، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج التوصيات، كان أهمها ما يلي:

أولاً: النتائج

- شهدت المنطقة العربية تحولات عميقة بعد انطلاقة الربيع، فقد ترك الربيع العربي تأثيراً عميقاً على الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة، فقد تأثرت به كل دول المنطقة، بما فيها إسرائيل، إلا أن إسرائيل حاولت تسخير هذه التطورات لخدمة أهدافها التوسعية، عبر الاندماج في المكونات السياسية والثقافية للمنطقة.
- مع اندلاع الثورات العربية في كانون الأول ٢٠١٢م واجهت إسرائيل مجموعة من التحديات تمثلت في مواجهة الملف النووي الإيراني، ومواجهة التغيرات السياسية والاستراتيجية المتسارعة في البيئة الإقليمية، وبخاصة في دول الجوار، وإدارة الصراع مع الفلسطينيين في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية، حيث عملت إسرائيل ولا تزال، على الاستفادة من انشغال العالم العرب بأنفسهم، لتعزيز مواقعها الإقليمية وتثبيت حقائق جديدة في الضفة والقدس.
- عملت إسرائيل على الاستعداد لسيناريوهات تصكك النظام السياسي القائم (الدولة الوطنية) وإقامة نظام اتحادي، عبر تحسين الروابط والعلاقات مع المجموعات العرقية غير المعادية لإسرائيل، مثل الأقلية الكردية والدروز وغيرهم، بهدف تحسين الوضع السياسي لإسرائيل في المنطقة، وتعزيز التعاون الاستراتيجي لها في الشرق الأوسط على المدى البعيد.
- استفادت إسرائيل كثيراً من الصراع الإقليمي بين السعودية وإيران في المنطقة، فقد طرحت نفسها حليف استراتيجي للدول العربية في مواجهة إيران والجماعات الإرهابية، مما عزز دور إسرائيل الإقليمي، فهذا الوضع وجدت إسرائيل نفسها فيه قادرة على المناورة في شرق أوسط متغيرة ومتقلب، ووجدت نفسها أيضاً قادرة على تجميد مقصود للعملية السلمية، وقادرة أيضاً على الاستمرار في تصوير المشروع النووي الإيراني بأنه أكبر خطر في التاريخ على إسرائيل ذاتها وعلى العالم أجمع، وأن الربيع العربي لا يشكل خطراً عليها في الظروف الراهنة التي يعيشها العالم العربي.



- أدت التحولات الإقليمية وانشغال العرب بقضاياهم من جهة، والسياسات الإسرائيلية نحو التكيف مع هذه المتغيرات من جهة ثانية، فرصة لإسرائيل لإعادة بلورة استراتيجية إقليمية تسعى من خلالها لتهميش الموضوع الفلسطيني، عبر تعزيز علاقاتها مع بعض الدول العربية، بإقامة علاقات حسن جوار بغض النظر عن حل القضية الفلسطينية.
 - حاولت إسرائيل تصوير القضية الفلسطينية بأنها ليست ذات صلة بأمور التطبيع، في أعقاب تزايد فرص التعاون الاستراتيجي بين إسرائيل وبعض الدول العربية، رغم ذلك فإن غياب الحلول للصراع الإسرائيلي المستمر مع الفلسطينيين، سوف يبقى حجر العثرة الذي يعوق أي تطور في العلاقات مع الدول العربية.
 - أصبح الحل الإقليمي للقضية الفلسطينية نقطة التقاء جميع القوى السياسية في إسرائيلي، فقد انعكست التحولات الإقليمية في البيئة العربية على رؤية الأحزاب والقوى السياسية الإسرائيلي من القضية الفلسطينية، فخلال السنوات الماضية التي أعقبت الثورات العربية ظهرت عدة تصورات إسرائيلية للتعامل مع القضية الفلسطينية، وفق منظور الحل الإقليمي، الذي أصبحت كل القوى السياسية الإسرائيلية تتادي به لحل القضية الفلسطينية.
 - تعتبر مدينة القدس الأكثر تأثراً بالتحولات الإقليمية العميقة التي حاولت الحكومة الإسرائيلية الاستفادة من انشغال العرب بقضاياهم الداخلية بهدف تعزيز سياسة الاستيطانية، حيث شكلت هذه السياسة منعطفاً بارزاً لجهة تغيير معالم القدس، في محاولة لفرض واقع يهودي جديد، يطمس المعالم العربية في المدينة، يصعب الفكك منه في حال تمت مفاوضات مستقبلية.
 - سعت إسرائيل للاستفادة من التحولات الإقليمية في المشهد العربي والإقليمي، بما يعزز عملية تهويد القدس وزيادة عدد المستوطنين فيها، وطرد سكانها وتغيير الوضع القائم في المسجد الأقصى المبارك.
- ثانياً: التوصيات
- يتوجب على الكل الفلسطيني؛ منظمة التحرير الفلسطينية والفصائل والقوى السياسية والاجتماعية، تحمل مسؤوليتها التاريخية والسياسية والأخلاقية، والتوحد في مواجهة هذه المشاريع التصفية.
 - العمل على ضرورة إنهاء الانقسام الأسود، واستعادة الوحدة الوطنية، بهدف التصدي الجدي لهذه الحلول التي تستهدف الحقوق الوطنية الفلسطينية.
 - التمسك بمنظمة التحرير الفلسطينية، البيت الجامع لكل الوطني، والعمل على سرعة تطوير وتفعيل مؤسساتها عبر عقد جلسة للمجلس الوطني وانتخاب هيئات قيادية جديدة.
 - ضرورة رفض كل القوى السياسية والاجتماعية لمشاريع الحل الإقليمي، التي تستهدف تسوية الصراع العربي الإسرائيلي والقضية الفلسطينية على حساب حقوقنا المشروعة.
 - دعوة جامعة الدول العربية بتأكيد مبادئ عملية والسلام، ومنها مبدأ الأرض مقابل السلام، ورفض الحلول الإقليمية، ودعوة الدول العربية بضرورة عدم إقامة أي علاقات سياسية أو

دبلوماسية، إلا بعد التزام إسرائيل.

- تقديم أنواع الدعم المالي والاقتصادي والاجتماعي لمدينة القدس، من أجل تعزيز صمود المواطنين المقدسين والحد من تأثير الإجراءات الإسرائيلية بحق المدينة المقدسة.

المراجع والصادر

أولاً: الكتب

- دويدري، رجاء، وحيد: البحث العلمي: أساسياته النظرية وممارسته العملية، دار الفكر، دمشق: ٢٠٠٢م.
- مصطفى، مهند، إسرائيل والبيئة الإقليمية التحولات الاستراتيجية والحالة الفلسطينية، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية (مسارات) رام الله فلسطين ٢٠١٢م.
- ثانياً الرسائل العلمية
- ابراهيم، بلال، صالح، الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية وأثره على التنمية السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، نابلس فلسطين، ٢٠١٢م.
- ابراهيم، بلال، محمد، الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية وأثره على التنمية السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، ٢٠١٢م.
- قيطة، محمد أمير، المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة» رسالة دكتوراه منشورة، دار المنارة، غزة، فلسطين، ٨٠٠٢م.
- الرفاتي، إيداد، الاستيطان في فكر الأحزاب الدينية الصهيونية في إسرائيل وأثره على عملية التسوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة فلسطين، ٢٠١٢م.
- ماضي، سليم، عبد السلام، حزب البيت اليهودي وأثره على الحياة السياسية في إسرائيل، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة فلسطين، ٢٠١٢م.

ثالثاً: الدراسات والتقارير

- أبو كريم، منصور، البعد الإقليمي في تقرير الأمن القومي الإسرائيلي، ورقة عمل في مؤتمر قراءة في تقرير الامن القومي الإسرائيلي (فرص وتحديات) مركز رؤية للدراسات الاستراتيجية، ٢٠١٢.
- أنظر: تقرير الامن القومي الإسرائيلي، معهد الامن القومي الإسرائيلي، جامعة تل ابيب، ترجمة مركز رؤية للدراسات الاستراتيجية، غزة فلسطين ٢٠١٢، ص ٩:١٠.
- الجهاز المركزي للإحصاء، المستعمرات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية، التقرير الإحصائي السنوي ١١٠٢، رام الله ١١٠٢، ص ٢٣.
- دراسة بعنوان: برامج الأحزاب الإسرائيلية: مفاوضات الفلسطينيين لعبة لمنع السلام، موقع الكرامة برس، ٢٠١٢، على الرابط، www.ptth.sserpamarak.com/cibara/xedni.

٢٧٥٧٦١=DI&sweNtnirP=noitcA?php

- ملخص تقرير الأمن القومي الإسرائيلي (الفرص والتحديات)، ترجمة مركز رؤية للدراسات السياسية والاستراتيجية، غزة فلسطين، ٦١٠٢.
- منصور، جوني، معجم الإعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار) رام الله فلسطين، ٩٠٠٢.
- رابعاً: المجالات والصحف
- الجندي، سليم، سياسة الكيان الصهيوني الاستيطانية وآثارها على الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة، مجلة شؤون عربية، العدد ٨٤، ٦٨٩١.
- الدقاق، إبراهيم، السياسة الاستيطانية الإسرائيلية وانعكاساتها على قضية الإسكان الفلسطيني في الأراضي المحتلة، مجلة المستقبل العربي، العدد ٧٠١، القاهرة ٨٨٩١.
- العلية، رياض، وشاهين، أيمن، الأبعاد السياسية والأمنية للاستيطان الإسرائيلي في القدس ووضعيتها القانونية، مجلة جامعة الأزهر، المجلد ٢١، العدد رقم ١، غزة فلسطين، ٠١٠٢.
- فهمي، طارق: «الرؤية الإسرائيلية للثورات العربية»، مجلة الديمقراطية، مصر- الأهرام، مجموعة ٢١، ٦٤ع، ٢١٠٢.
- معتوق، ازدهار، الاستيطان الصهيوني وآثاره التدميرية على الشعب الفلسطيني، مجلة الوحدة الإسلامية، السنة الثالثة عشر - العدد ٩٤١ - ٤١٠٢ م.
- الهندي، عليان، «القراءة الإسرائيلية للثورات العربية»، شؤون فلسطينية، فلسطين، المجلد/ العدد ٧٤٢، ٢١٠٢.
- خامساً: مواقع الأنترنت
- أبو عامر، عدنان، الربيع العربي وإسرائيل، الجزيرة نت، على الرابط التالي: <http://sptth.ayyvnLk/lg.oog>
- السنوسي، صالح، القضية الفلسطينية في زمن الربيع العربي، الجزيرة نت، ٤١٠٢، على الرابط التالي: <http://sptth.gvNYBS/lg.oog>
- شاؤول يناي: «الحرب الباردة في الشرق الأوسط» إيران إسرائيل، موقع عبري ممكن التفكير، مترجم، تاريخ النشر: ٤١ نوفمبر ٤١٠٢، على الرابط التالي:
- <http://psth=u&wi=ls&ra=lh?etalsnart/sp.elgoog.etalsnart//:psth>
hcras=verp&/li.oc.knihtnac
- كسانيا سبطلوفة، العلاقات الإسرائيلية - العربية ما بعد الربيع العربي، موقع المصدر الإسرائيلي، ٢١٠٢، على الرابط التالي: <http://JUDDNr/lg.oog//:psth>



- حماد، عبد القادر، تأثير النشاط الاستيطاني على القطاع السياحي في مدينة القدس، وكالة الأنباء والمعلومات وفا، ١١٠٢، على الرابط: gOvXbY/lg.oog/://:spthh
- النعامي، صالح، تقسيم المسجد الأقصى.. تمهيدا لتهويده، موقع المجد الأمني، على الرابط التالي: KBCPRW/lg.oog/://:spthh
- الحديدي، شيماء، التقسيم المكاني والزمني للمسجد الأقصى الذي تريده إسرائيل، ساسة بوست، على الرابط التالي: eaMqXd/lg.oog/://:spthh

المراجع الأجنبية

- delbuort.eht.fo.thgil.ni.eussi.naintiselaP.eht.dna.learsl,nuksoC.penyeZ
%AD%/32/80/6102/gro.murofgrahs/://:ptth.gnirpS.barA.refta.metsys.lanoiger
 . 9A%AD%A8%D%6B%AD%28%D%48%D%7A



رؤية إسلامية لنهاية الاحتلال الإسرائيلي لبيت المقدس

د. جبر خضير البيتاوي

أستاذ الأدب الوسيط المساعد - قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة النجاح الوطنية

رؤية إسلامية لنهاية الإسرائيلي لبيت المقدس

إعداد: الدكتور جبر خضير البيتاوي

تقوم هذه الدراسة على التعرف إلى الرؤية الإسلامية لمستقبل بيت المقدس، والبحث حول التوجه الإسلامي في النبوءات حول ما ذكر في القرآن الكريم والسنة النبوية والموروث الإسلامي، وفي مؤلفات المسلمين التراثية والمعاصرة.

وفي خضم هذا الصراع العنيف بين الدولة العبرية والغرب الأمريكي من جانب والفلسطينيين والعرب والمسلمين من جانب آخر. سننظر في هذه الدراسة على حقيقة الصراع الحالي، والقادم بين هذين الطرفين.

كذلك ما إذا كان هذا الصراع سياسياً أو دينياً. ومعرفة جذوره ومحاولة دحض حقيقة الطرف الإسرائيلي باحتلال الأرض المقدسة، وامتلاكها، ووعد الرب المزعوم له، إضافة إلى دراسة الواقع السياسي والاجتماعي والديني للقدس خاصة وفلسطين عامة.

كما أن هذا البحث محاولة جادة للتعرف على حقيقة هذا الصراع هل، هو بين الفلسطينيين والإسرائيليين فقط وكما يحاول بعض الساسة تصويره؟

كذلك التعرف إلى نقاط الضعف والقوة التي يمتلكها طرفي الصراع، وإلى أين تتجه الأمور السلمية والعسكرية حول هذا الصراع؟

وهل مستقبل بيت المقدس يصير لصالح الطرف الإسرائيلي أم الطرف الفلسطيني؟

وماذا عن التصور الإسلامي لمستقبل للقدس وفلسطين؟

وماذا عن الرؤية الإسلامية لنهاية الإسرائيلي لبيت المقدس؟

مقدمة.

لا يخفى على أحد أن الصراع المرير على أرض فلسطين اشتباك شرس وعنيف ومحتدم، يدرك ذلك كل المهتمين بالشأن الفلسطيني قديماً وحديثاً وأنه بين قوى وإمبراطوريات كانت ترى ما زالت في الاستيلاء على القدس وفلسطين غاية طموحاتها.

هذا الواقع الخطير الذي تعيشه القضية الفلسطينية والذي بدأ منذ قرن من الزمن. وتحديداً حينما هُزمت الدولة العثمانية وانهار نفوذها على الأقاليم والبلدان العربية والإسلامية في نهاية الحرب العالمية الأولى.



وأدى ببريطانيا بالاستيلاء على فلسطين والقدس عام ١٩١٧م. وما تبعه من تسهيلها لهجرات اليهود إلى فلسطين ودعمها لهم حتى تمكنوا من احتلال معظم أراضي فلسطين عام ١٩٤٨م وطرد أكثر من مليون من أهلها الفلسطينيين الشرعيين. بعدها تمكن اليهود من احتلال القدس والضفة الغربية إثر هزيمة حزيران عام ١٩٦٧م. وكذلك سيناء وقطاع غزة والجولان بعدها. والسؤال المهم الذي يجب أن أطرحه هل سكت الفلسطينيون عن هذا الإسرائيلي الفاشم؟

فهناك أناس من الساسة الفلسطينيين والعرب يشرعون للحل السلمي وقبول ما يُعرض على الفلسطينيين، تمثل ذلك في الاتفاقيات الفلسطينية والإسرائيلية: أوسلو، وواشنطن، وواي ريفر، وشرم الشيخ المعروف بالحكم الذاتي. والذي على أثره تم إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية على أجزاء من مدن الضفة الغربية وغزة والذي بدأ عام ١٩٩٣م. ودخول منظمة التحرير الفلسطينية وقيادتها إلى داخل الأرض المحتلة، وانحسر معظم نشاطها فيها. وهناك طرف آخر يرى فشل الحل السلمي، ولا بد من مقاومة هذا، وتبني طريق المقاومة والجهاد ضد المحتل.

لم تعان بلدٌ ولا دولة العدوان منذ تاريخها الطويل كما عانت فلسطين عامّة والقدس خاصّة. منذ أنشأها العرب الكنعانيون اليوسيون قبل ستة آلاف سنة، وبنوا المدن والبلدات الفلسطينية، وجعلوها مسكناً لهم.

والقدس غزاها الفرس واحتلوها منذ ٥٣٩ ق.م وتمكن الإسكندر المقدوني من هزيمتهم عام ٣٣٣ ق.م.

وبعد احتلالها الرومان عام ٦٣ ق.م، وبقيت تحت أيديهم حتى فتحها العرب والمسلمون سنة ١٥هـ/ بقيادة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ولقد دام حكم العرب والمسلمين ثلاثة عشر قرناً حتى تمكن الفرنج الصليبيون من الاستيلاء على القدس وفلسطين عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، إلى أن استطاع المسلمون استرجاعها عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، بقيادة القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي.

ولم يتمكن اليهود حديثاً من احتلالها حتى عام ١٩٤٨م وذلك بمساعدة الغرب وعلى رأسهم بريطانيا، وأمريكا، وكذلك تمكنهم من احتلال القدس عام ١٩٦٧ كما أسلفنا.

وسنناقش في هذا البحث جملة من القضايا التي يركز عليها:

دحض ادعاء الحق الديني والتاريخي لليهود في فلسطين

إن أهم مرتكزات الحق العربي والإسلامي لفلسطين، وفهم الرؤية المستقبلية لها تكمن في دحض هذا الحق اليهودي لفلسطين. أقام اليهود دولتهم المسمى «إسرائيل» على ادعاء الحق القومي والديني لأرض فلسطين والقدس. فمن الملاحظ أن تصريحات المسؤولين منذ قيام الدولة العبرية تستند إلى ارتباط ديني وتاريخي أكثر مما تعتمد على أسس واقعية وقانونية.



وفي ذلك يقول إسحق شامير عن جابوتسكي: «كان جابوتسكي يؤمن كذلك بضرورة تحقيق أغلبية يهودية بدولة يهودية في الأرض الإسرائيلية الشاملة المذكورة بالإنجيل، وكان يؤمن كذلك بأن ذلك لن يتحقق إلا من خلال الشجاعة والعمل والخيال، وسمي ذلك بالنضال الحديدي عن كفاح وعدم الإنحراف أو قبول تسوية مخالفة للأهداف الجوهرية وكان يؤمن من أعماقه بحقيقة وجود الدولة اليهودية».

وكان يفهم ويقبل معارضة العرب لتلك الأغلبية اليهودية على إسرائيل، ولكنه، مقتنع بأن الشعب اليهودي أحق بتلك الأرض. وقال: إن العرب سيتعايشون تدريجياً مع تلك الدولة اليهودية» ٢٦١ . ومن خلال هذا النص نفهم أن مؤسسي الدولة اليهودية كانوا يؤمنون ما زالوا بأن أرض فلسطين هي أرض إسرائيلية والمستندة على مفهوم ديني كما يزعمون. كذلك فإن هؤلاء المؤسسين أمثال شامير وجابوتسكي يؤمنون بأن الشعب اليهودي له الحق وحده بأرض فلسطين. وقد خطط اليهود ومن ساندتهم من الغرب الأمريكي بأن زعماء العرب سيقبلون تدريجياً بتلك الدولة. ولكن هل قبلت شعوب العرب والمسلمين عامة، وأهل فلسطين خاصة بتلك الدولة؟ الجواب عن ذلك بالنفي.

إن ارتباك اليهود كان واضحاً وجلياً في منشأ دولتهم في هل يجب أن تكون في فلسطين أو الأرجنتين؟ كما يقول ثيودور-هيرتزل: «فقد كان الخيار الأول لهم الأرجنتين، فتعتبر طبيعتها إحدى البلدان الغنية في العالم، وذات أرض شاسعة مع عدد ضئيل من السكان ومناخ معتدل. ولكن تسلسل اليهود الحالي أثار نقمة كبيرة لهذا عدلنا عنها إلى فلسطين». ففلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا ينسى. إن هذا الاسم وحده يمكنه أن يشكّل دعوة تجمع تحتها قلوب شعبنا» ٢٦٢. لهذا جعلوا من الأساطير التوراتية ستاراً وقاسماً مشتركاً لجميع اليهود في أصقاع الأرض. فهم يعتبرون أن عهد بني إسرائيل مرتبط بإبراهيم عليه السلام الذي وُعد بالأرض المباركة كما يزعمون: وُعد أبونا إبراهيم بالأرض المباركة، لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ٢٦٣. وقال الرب: إسرائيل ابني البكر ٢٦٤ .

لقد زعم اليهود أنهم ورثة سيدنا إبراهيم، مع أنهم كانوا يكفرون بالأنبياء، بل لم يكونوا يعتبرونهم أنبياء يوحى إليهم من الله تعالى، بل يتحدثون عنهم حكماً وملوكاً، يشربون الخمر ويزنون، ويسفكون الدماء، ويعبدون الأصنام، ولا شك في أن ذلك يتناقض تماماً مع وضع الأنبياء وعصمتهم الذين أرسلهم الله تعالى هداية للبشرية ورحمة الله من أجل عبادة الله.

بل لا نجد في العهد القديم أي حديث عن هؤلاء الأبناء الأنبياء، يفهم أنهم كانوا على دين التوحيد، ودين الله تعالى، ولا أنهم كانوا يدعون إلى ذلك، فإبراهيم عليه السلام يكذب ويعقوب عليه السلام

٢٦١ إسحق شامير، مذكراتي، ص ١٧.

٢٦٢ ثيودور هرتزل، الدولة اليهودية ص ٢٤

٢٦٣ (سفر التكوين، ص ١٥)

٢٦٤ (سفر الخروج، ص ٢٢).

قد صارع الله ٢٦٥. بل إن القرآن الكريم يقرر بأن الرسول محمد (ص) والمسلمين هم أحق بوراثه إبراهيم وأبنائه الأنبياء. قال تعالى: «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا معه» ٢٦٦.

كذلك نجد القرآن العظيم يذكر أن عهد إبراهيم لا يناله الظلمة قال تعالى: «وإذا ابتلى إبراهيم بكلمات فاتمهّن قال إنني جاعلك للناس إماماً، قال ومن ذريتي، قال: لا ينال عهدي الظالمين» ٢٦٧. كذلك فإن الله تعالى ينفي أن يكون إبراهيم يهودياً أو نصرانياً، فاليهودية والنصرانية جاءت بعده قال تعالى: «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين» ٢٦٨. كما عاش اليهود طيلة حياتهم في فوضى شاملة لكون طبيعتهم مرتحلة، وكانوا يسمون العبرانيين، ويعبرون الأرض.

ومن مظاهر فوضى اليهود في تاريخهم أنهم يريدون ملوكاً تحكمهم لا أنبياء من الله. فعنادهم وكفرهم بالأنبياء واضح من تاريخهم كما أسلفنا.

وهنا نجد أن النبي صموئيل لم يستطع أن يقودهم فما كان منهم إلا أن طلبوا منه أن يسأل الله تعالى بأن يبعث لهم ملكاً قال تعالى: «ألم تر إلى الملأ من إسرائيل من بعد موسى، إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله» ٢٦٩.

إن أكثر علماء الآثار رفضوا الرواية التاريخية لحق اليهود التاريخي في فلسطين يقول ه. فريس (H. Frese): إن جزءاً كبيراً من التاريخ التوراتي كان من إنتاج فترة التهجير الحديثة. وإنها اعتمدت في سورها لبعض القصص على الأساطير، ولذلك لا يوجد ثقة في الروايات التاريخية.

وكذلك ما رآه العالم الأثري سوغين (Sougeen)، إذ يرى بأن ما يعتبر تاريخ المملكة المتحدة الإسرائيلية ما هو إلا قصص تعتمد على الأدب الشعبي، وأنها ليست تاريخاً يعتمد عليه». وهذا ما يراه هيوز (Hughes) إذ نراه يقول: «إن التسلسل الزمني في سفري القضاة وصموئيل هو خيال محض اخترعه اليهود في المنفى لكي يمدونا بمشروع فارغ عمره ألف سنة، يغطي تاريخ وجود إسرائيل في أرض كنعان، وهو ما ذكره طومسون (Towmson) في كتابه: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي:

«لا يعدو تصور تاريخ إسرائيل القديم كما ورد في القسم الأكبر من التوراة العبرية أن يكون قصة خيالية وهو بمنزلة اختلاق للتاريخ» ٢٧٠.

لهذا نرى أن الرؤية الإسلامية لمستقبل بيت المقدس تركز على الحق العربي الإسلامي في القدس وفلسطين.

٢٦٥	هشام أبو حاكمة. الأساطير الإسرائيلية، ص ٤.
٢٦٦	سورة آل عمران، آية ٦٨.
٢٦٧	سورة البقرة، آية ١٢٤.
٢٦٨	سورة الرعد، آية ٦٧.
٢٦٩	سورة البقرة، آية ٢٤٦.
٢٧٠	هشام حاكمة: الأساطير الإسرائيلية، ص ٤٨.

أ. الحق الديني:

إن الإسلام هو الوارث لما قبله من الشرائع السماوية، وإنه الإسلام هو دين كل الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: «أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي، قالوا: نعبد إلهك، وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً، ونحن له مسلمون»^{٢٧١}.

وبهذا التقرير الإلهي، فإن المسلمين هم الوارثون الحقيقيون للأنبياء جميعاً، بما فيهم الأنبياء الذين بعثهم الله من بني إسرائيل ومنهم موسى عليه السلام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم النبي (ص) المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، فقال: فأنا أحق بموسى منكم، فصامه وأمر المسلمين بصيامه»^{٢٧٢}.

وبهذه الحقائق الناصعة يحتج المسلمون، وإلى هذه البراهين يستندون في تقرير إسلامية فلسطين، منذ أول رسالة إلى هذه الأرض، وحتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً^{٢٧٣}. كما أن القرآن الكريم ينفي صلة اليهود بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بما فيهم يعقوب عليه الصلاة والسلام وباسمه سمي اليهود دولتهم الحالية.

ب. الحق التاريخي:

يستند هذا الحق إلى الوجود العربي والإسلامي في القدس وفلسطين الذي بدأ مع وجود القدس مدينة، وبقيّة المدن والبلدات الأخرى ولم ينقطع هذا الوجود العربي منذ ٤ آلاف عام قبل ميلاد السيد المسيح وحتى يومنا هذا.

وقد أطلق اليبوسيون الكنعانيون العرب على مدينتهم القدس التي أسموها ييوس، حيث سكنوها وبنوها. وأول من بناها سالم اليبوسي قبل ٢٠٠٠ عام قبل ميلاد السيد المسيح وخطها تخطيطاً عمرانياً ملكها اليبوسي ملكي صادق الذي كان محبباً للسلام فأطلق عليها اسم أورشالم أو أورسالم، أي مدينة السلام.

وهؤلاء ينحدرون من القبائل الكنعانية العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى فلسطين قبل أربعة آلاف سنة ق.م، وبنوا المدن والبلدات الفلسطينية المعروفة حالياً مثل: نابلس، وأريحا وعسقلان ويافا وغزة وعكا وغيرها، والتي تعتبر أقدم المدن في العالم وأقاموا فيها مدنيات وحضارات كنعانية. وتدل جميع الدراسات العلمية والأثرية أنّ سكان فلسطين منذ هذا التاريخ وما بعده كانوا من الكنعانيين العرب.

أمّا وجود العبرانيين واحتلالهم لبعض المناطق الفلسطينية فإنّه يبدو ك لحظة قصيرة في تاريخ الوجود العربي، ويعتبر مروراً عابراً مثل غيره من الغزوات العسكرية التي مرّت وانتهت آثارها على

٢٧١ سورة البقرة، آية ١٣٢.

٢٧٢ صحيح البخاري، ٣٠٦/٢.

٢٧٣ جاسر العناني، القدس، ص ١٩.

القدس وفلسطين، وبقيت محتفظة بوجهها العربي والإسلامي رغم العاديات.

فشل النظام العربي في تحرير القدس وفلسطين

لقد فشلت أنظمة العرب والمسلمين في مجمل الحياة العسكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتمثل ذلك في ضياع فلسطين واحتلالها من قبل اليهود. وعدم قدرتها على بلورة رؤية استراتيجية سياسية تعيد حقوق شعب فلسطين المهذورة، لا سيما بعد مجيء السلطة الفلسطينية إلى أرض فلسطين عام ١٩٩٣م.

قد أدى ذلك إلى إحلال أحزاب وجماعات إسلامية مقاومة للاحتلال الغربي والأمريكي واليهودي لبلدان العرب والمسلمين بدلاً من هذه الأنظمة التي أنهت دورها الدفاع عن الأوطان وإعادة حقوقهم المفتصبة، ناهيك عن الفساد السياسي الذي أصبح سمة لهذه الأنظمة، وفي ذلك يصور أحد الساسة العرب والذي خاض تجربة مريرة كان أحد شهودها في هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧م، وهو سعد جمعة الذي كان رئيس وزراء الأردن في أثناء حرب حزيران فيقول في وصف حال تلك الأنظمة: «لقد كثر الذباحون بعد أن زيفت حقيقتها، وشوّت هويتها المهارة الفكرية، وأبناء الأفاعي من كل منحوب ومعطوب، يشغلون الناس عن الأصالة بالعمالة... وعن الفضيلة بالرديلة، وعن الجهاد بالهروب والقعود، إنهم نقابات الفساد والمؤامرة، هم القادة الخائبون والساسة المنافقون، والمفكرون المزيّفون، وهم رقيق الحكام الذين يطبلون للذل ويرقصون على أشلاء الأمة، ويفرحون لضياع الأرض وتشرد الأهل»^{٢٧٤}.

ويبدو جلياً أن أصحاب هذه الرؤية المستقبلية بدؤوا يضعون لبنات ثابتة في مقاومة أعداء الأمة. ويعملون لتطبيق استراتيجية إسلامية، وتصور ينطلق من القرآن والسنة النبوية والموروث التراثي الذي يرى بأن بيت المقدس هي وقف إسلامي وعقيدة كل المسلمين، وبأنه لا يجوز التنازل على أي جزء من أرض فلسطين التاريخية. كما أنهم يبنون هذا التصور على أن القدس وفلسطين هي وعد الله في وراثتها للمسلمين. فهناك رابط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى. قال تعالى: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله، لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير»^{٢٧٥}.

كذلك فشل العملية التفاوضية بين الوفد الفلسطيني والوفد الإسرائيلي، ومنذ مؤتمر مدريد عام ١٩٩١م وحتى الآن يعود إلى غياب مشروع فلسطيني رسمي يركز على البعد المستقبلي الديني والتاريخي لقضية فلسطين، قد أوصلها إلى هذا المأزق الخطير.

إن قيام انتفاضة الأقصى المباركة عام ٢٠٠٠م، التي أكدت أنّ صمود الشعب الفلسطيني الأسطوري قد أجبر السياسيين والمفكرين بمراجعة شاملة لمسيرة الصراع مع الإسرائيلي. أمّا إطلاق مصطلح بيت المقدس على القدس وفلسطين فهي تسمية إسلامية، فهناك مسميات كثيرة عليها منها: الأرض المباركة، والإسراء والمعراج، وأرض الأنبياء والمرسلين، وأرض الأولياء والصالحين، وأرض المعجزات

٢٧٤ سعد جمعة، أبناء الأفاعي، ص ٦.

٢٧٥ سورة الإسراء، آية ١.

والكرامات والأرض المطهرة والأرض المقدسة، وفلسطين وغيرها. لكن بيت المقدس هو الاسم الأكثر شيوعاً للقدس وفلسطين في المصادر العربية والإسلامية.

وفي ذلك ورد حديث للرسول محمد (ص) يقول فيه: «يا معاذ، ستفتح عليكم الشام من العريش إلى الفرات رجالها ونساؤها مرابطون إلى يوم القيامة فمن اختار ساحلاً من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو في رباطٍ إلى يوم القيامة»^{٣٦}. فبيت المقدس أرض الرباط الذي حث الرسول أهلها على التمسك وعدم التفريط بها.

انتفاضة الأقصى

لقد شكلت انتفاضة الأقصى المباركة التي اندلعت في الأراضي الفلسطينية المحتلة انطلاقةً من المسجد الأقصى منذ التاسع والعشرين من أيلول ٢٠٠٠م، بعد محاولة شارون تدينس حرمة المسجد الأقصى نقطة تحوّل وغيّرت خريطة الأحداث الرئيسة في فلسطين والمنطقة، ومهدت لعودة الشعب العربي الفلسطيني إلى مكانه الحقيقي، وميدانه الأساس في مقاومة ومقارعتة بكل الوسائل لتحرير الأرض، بعدما راهن بعضهم أنّ هذا الشعب المعطاء قد ترهلت قواه واستكانت عزمته وارتضى تسوية مذلة لحلّ قضيته العادلة.

كما كان انتقال شعلة هذه الانتفاضة وتأججها خارج حدود الضفة الغربية وقطاع غزة وتحركها السريع إلى انتفاضة الجماهير الفلسطينية في الأراضي الفلسطينية المحتلة في العام ١٩٤٨م مفاجئاً لحكام إسرائيل ومن يساعدها من دول الغرب الأمريكي وغيرها من حيث عنفها وشدتها وحجم التضحيات التي قدمتها جماهيرنا فسقط عشرات الشهداء والجرحى، وعمت هذه الانتفاضة معظم المدن والقرى الفلسطينية داخل الخط الأخضر، فالتحمت تلك الجماهير مع جماهير الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧، على الرغم من اشتعال قوات أنواع القوة والبطش كافة^{٣٧}.

وقد وحدت هذه الانتفاضة الجماهير الفلسطينية في داخل فلسطين وأصبح الشعب الفلسطيني تحت سقف احتلال واحد، وتحت سياط والاضطهاد والتمييز العنصري الصهيوني، وتوجه لمقاومة هذا بكل الوسائل المتاحة. وكان تحرك هذه الانتفاضة إلى العمليات العسكرية وخاصة العمليات الاستشهادية التي أدت إلى قتل أكثر من ألف يهودي وجرح أكثر من عشرة آلاف انعطافاً وتغييراً مذهلاً في شكل الصراع.

فهذا العدد الكبير من القتلى والجرحى كان صاعقة على الإسرائيلي فلم يسقط هذا العدد من القتلى في حروب الدولة العبرية مع الجيوش العربية طيلة هذه الحروب. صحيح أنّ الشعب الفلسطيني قدّم أكثر من أربعة آلاف شهيد وأكثر من خمسين ألف جريح، لكن بدأ هناك تقارب في نسبة القتلى بين الشعب الفلسطيني والإسرائيلي.

كذلك فإن هذه الانتفاضة قد شكّلت تحولاً خطيراً في بنية المجتمع الإسرائيلي، فإضافة للعدد الكبير من القتلى والجرحى العمق الإسرائيلي في تل أبيب، والقدس، وحيفا، وبتانيا، أدت هذه

٢٧٦ الهيئتي، مجمع الزواتر، ٤١١/٩.

٢٧٧ أحمد القاسم، انتفاضة الأقصى، ص ٣٤.

الانتفاضة إلى هجرة عكسية من الإسرائيليين، فأدت إلى هجرة مئات الآلاف من الإسرائيليين من أصحاب العقول العلميّة من أكاديميين، وأطباء، ومهندسين وعلماء.

بروز المشروع الإسلامي النهضوي وانتفاضة الأقصى

نستطيع أن نقول إنّ انتفاضة الأقصى المباركة قد غيرت من معادلة الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، بل غيرت من معادلة الصراع العربي والإسلامي ضد المشروع الغربي الأمريكي الإسرائيلي في المنطقة.

ومن هنا فهناك تغيير في شكل الصراع كما أسلفنا وأصبح يأخذ طابعاً حضارياً وعقائدياً. مما أدى إلى ظهور استراتيجية جديدة في المنطقة العربية والعالم، هذه الاستراتيجية هي المشروع الإسلامي الحضاري الكبير ضد المشروع الغربي الأمريكي الإسرائيلي. هذا المشروع يقوم على أساس بلورة عمل جهادي شامل لم يعد يقتصر على فلسطين وحدها بل انتقل هذا الصراع إلى خارجها، وبوصلة هذا المشروع تحرير القدس وفلسطين ورفض الهيمنة الغربيّة الأمريكية على المنطقة العربيّة منذ أكثر من قرن أي منذ نهاية الدّولة العثمانية.

مما يشكل رؤية إسلامية لمستقبل القدس وفلسطين بل تغيير في خريطة ميزان القوى العالمية. إن انتفاضة الأقصى كانت بداية ظهور هذا المشروع بل نجاحه؛ فمن المظاهر الأخرى الذي يركز عليها وتبدو ملامحه في تغيير معادلة هذا الصراع لصالح العرب والمسلمين والفلسطينيين انهيار الحلم الإسرائيلي الكبير من النيل إلى الفرات.

الثورات العربية:

لقد أسهمت انتفاضة الشعب الفلسطيني ضد الإسرائيلي في توعية الشعوب العربية المقموعة والمقهورة من الأنظمة الفاسدة والمستبدة، فأدركت تلك الشعوب أن هذه الأنظمة القائمة لشعوبها لا تريد الخير لها، وفوق ذلك تمنع الشعوب من نصرة الشعب الفلسطيني المظلوم من محتليه.

بدأت الثورات العربية في تونس عام ٢٠١٠م ضد حكام العرب الذين ولاهم علينا أعداؤنا من أجهزة الاستخبارات للقوى العالمية الكبرى، من أجل إقصاء الإسلام عن اتخاذ القرارات، وبذلك تم تغريب الأمة وإبعادها عن مساعدة الشعب الفلسطيني ونصرته، فكانت التضحية بالنفس التي قام بها بوعزيزي بمثابة الشرارة التي أوقدت الثورة في تونس الشعبية، لتنتشر في كل مدن تونس وريفها.^{٣٧٨} واستطاعت تلك الثورات الشعبية إنهاء حكم زين العابدين بن علي الذي حكم البلاد بالاستبداد مدة ثلاثة وعشرين عاماً.

وتبع رحيل ابن علي سلسلة من الاحتجاجات والانتفاضات، والمظاهرات الحاشدة في تونس ومصر وليبيا، وإنهاء حكم علي بن عبد الله صالح في اليمن. وانطلقت محاولات الإصلاحات الدستورية في المغرب والأردن وغيرها لمحاولة احتواء هذه الثورات العربية أو السيطرة عليها في معظم الأقطار العربية.

٣٧٨ د. محمد زغلول النجار، ما بعد ربيع الثورات العربية، ص ٥.

وكان واضحاً حتى الآن أن هذه الثورات ديناميات جديدة في المنطقة، وإن حادثة بوعزيزي لم تكن إلا بمثابة الشرارة التي أطلقت مارذ الشعوب العربية من عقالها ليبدأ عصر جديد يعيد الاعتبار إلى شعوبنا العربية لتقود نفسها بعيداً عن هيمنة الغرب الأمريكي - الإسرائيلي.^{٢٧٩}

لقد بدا للمراقب أن الثورات العربية تحمل في طياتها تحولاً كبيراً في عقلية الإنسان العربي الذي أدرك أن هذه الثورات هي التي ستعيد له العزة والكرامة والحرية التي أفقدته إياها هذه الأنظمة التي سعت للقضاء على روح الإنسان العربي لتبقيه ذليلاً خاضعاً ليقبل بواقعه المرير.

فقامت هذه الثورات لتعيد له كيانه المهدور، وإنسانيته المسلوقة، فحي حين بدأت دول إسلامية بالنهوض مثل تركيا وإيران وماليزيا في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، لهذا أدركت تلك الشعوب العربية أن عليها أن تتفض وتثور على الواقع الفاسد والمختلف، مع ما تملكه تلك البلدان من إمكانيات عظيمة للنهوض والتطور، إذ وجدت من يقوم بقيادتها.

وها هي الثورات العربية اليوم تعيش حالة من التغيير والنهوض، رغم ظهور قوى داخلية وخارجية تحاول منع تلك الشعوب من أن تملك زمام أمورها، ولكن الواقع يثبت أن الشعوب بدأت تعرف طريقها في الثورة والتغيير لصالحها.

وما نلحظه اليوم من أحداث في الساحة الفلسطينية مثل انتفاضة الأقصى ودفاع أهل القدس عنه خاصة ومعهم أهل فلسطين وما واكبها من مسيرات في بلاد العرب والمسلمين ضد ممارسات الإسرائيلي ومنعه من الاستيلاء على المسجد الأقصى إلا مظهر من مظاهر الصحوة الفلسطينية والعربية والإسلامية.

بداية انهيار الدولة اليهودية

لقد استطاعت انتفاضة الأقصى المباركة أن تؤكد عقم مشاريع التسوية مع الدولة العبرية، وزيف الوعود الإسرائيلية بالسلام، وإعادة الحقوق لأهلها.

كما أنها شكلت شعوراً عاماً بعجز إسرائيلي واضح أمام الانتفاضة وعملياتها. فالقلق دائم من عمل مقاوم هنا أو هناك والحل مفقود. لأن سلطات الأمن الإسرائيلية غير قادرة على إيقاف أي هجوم ومواجهة من شخص يطلب الموت.

كذلك استطاعت أن تضرب المشروع السياسي الإسرائيلي في عمقه وقلبه وفكره، ففشلت كل محاولات الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة في القضاء على الانتفاضة. إضافة إلى فشل المجتمع الإسرائيلي وقادته في إيجاد مشروع سياسي موحد.^{٢٨٠}

لقد بدأ المشروع الصهيوني في الانكماش والضعف، ومن مظاهره فشل شارون في قمع الانتفاضة ورضوخه وانسحابه من قطاع غزة كاملاً، ومن أربع مستوطنات في شمال الضفة الغربية والتي شكلت العمود الفقري للعمل النضالي في الجهاد والمقاومة ضد المحتل.

٢٧٩ يوسف الصوراني، و د. رياردو لاريمونت، ص ٢١٣.

٢٨٠ (خالد شعبان وآخرون، أثر الانتفاضة على الكيان الصهيوني، ص ١٦).

ويرز مشروع جهادي مكون من الأحزاب الفلسطينية التي تتبنى الجهاد والمقاومة من حماس والجهاد وسرايا القدس، وألوية الناصر صلاح الدين، وكتائب الأقصى وغيرها، وبدأت كل هذه الجماعات ترفع رايات إسلامية مكتوباً عليها لا إله إلا الله، محمد رسول الله. وكان من أبرز المظاهر الإسلامية المظاهرات والمسيرات الجماهيرية والجنائزية والتي بدأت تطلق أناشيد وهتافات إسلامية:

الله أكبر يا بلادي دم الشهيد بنادي
يا شهيد ارتاح ارتاح واحنا نواصل الكفاح
باب الأقصى من حديد وما بيفتحوا إلا الشهيد
على القدس رايعين شهداء بالملايين
يا عمر بن الخطاب جايين شيخ الشباب
يا خالد بن الوليد جايين عاريس جديد

هجوم القاعدة على نيويورك وواشنطن وأحداث ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٢
كما أنّ هذه الإستراتيجية الإسلامية انتقلت إلى خارج فلسطين فأدت إلى ظهور عمليات عسكرية خارج الوطن العربي والإسلامي. ونعني بذلك هجوم القاعدة على أمريكا في ١١ أيلول عام ٢٠٠١م، التي سماها الشيخ أسامة بن لادن غزوة نيويورك وواشنطن.

ولأول مرة في التاريخ استطاع تسعة عشر من أفراد القاعدة التخطيط والوصول إلى أهم معالم الدولة الأمريكية ونعني بذلك تدمير المركز التجاري الدولي في نيويورك عصب الاقتصاد الأمريكي وتدمير أجزاء كبيرة من وزارة الدفاع الأمريكية في واشنطن. وأدى إلى وقوع خسائر كبيرة وآلاف القتلى والجرحى من الأمريكان وغيرهم.

ولقد صرح أحد أفراد المجموعة أنهم قاموا بهذه العملية الاستشهادية انتقاماً من أمريكا التي تدعم الدولة العبرية تتأثر لدماء الشعب الفلسطيني التي سفكها اليهود في فلسطين.

ومن هنا تبلورت مجموعات جهادية في فلسطين والعراق تهدف إلى محاربة المحتلين الغربيين والأمريكان وكذلك مقاومة الإسرائيلي، مما أدى إلى خلخلة التفكير الغربي هذا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والمتمثل بزرع الكيان الإسرائيلي في فلسطين، وفي عمق جسم الوطن العربي والإسلامي، ولذا بدأ انقسام خطير في العقلية الغربية عن جدوى وجود الدولة اليهودية التي أصبحت عبثاً على الغرب.

لقد نجحت القاعدة في جرّ أمريكا والغرب إلى ساحات مقاومة وجهاد خطط لها المجاهدون في العراق وأفغانستان فبدلاً من قيام دول الغرب الأمريكي في البحث عن أسباب قيام حركة جهادية إسلامية جديدة وقوية والتي كان من أسباب الإسرائيلي للقدس وفلسطين وقيام اليهود منذ ستين عاماً بأعمال وحشية ضد الشعب الفلسطيني تمثلت بالمذابح والمجازر وتدمير ألف قرية فلسطينية وتشريد أكثر من سبعة ملايين فلسطيني من بيوتهم وقراهم ومدنهم. وزرع المئات من المستوطنات. لجأت أمريكا إلى احتلال أفغانستان والعراق وهو عمل أقل ما يقال عنه بالمتهور والمتسرع في المفهوم

الإستراتيجية وها هي أمريكا والغرب يحصدان نتائجها المرعبة.

فشل أمريكا في احتلال أفغانستان

أدرك الساسة الغربيون أن ما حدث من هجوم القاعدة التي تبنت المشروع الإسلامي الكبير المرتكز على حتمية هزيمة إسرائيل وأمريكا وتحرير القدس وفلسطين، وانتصار الإسلام وقيام دولة إسلامية عالمية كان تحولاً خطيراً في شكل الصراع مع العرب والمسلمين.

ولما كانت أفغانستان قاعدة مهمّة في انطلاق هذا المشروع، والتي تقودها حركة طالبان الإسلامية بقيادة الملا محمد عمر، والمتحالفة مع القاعدة بقيادة الشيخ أسامة بن لادن تصوّرت دول الغرب الأمريكي بقيادة أمريكا المتضرر الأكبر من هذا المشروع أنه لا بد من القضاء عليها. فأرسلت قوات كبيرة من الأساطيل الجوية والبرية والبحرية، وبدأت الهجوم الكاسح على أفغانستان سنة ٢٠٠٢م، أي بعد سنة من الهجوم على أمريكا. ومع مضي أكثر من سبع سنوات على الحرب هناك، إلا أن أمريكا لم تستطع أن ترسخ أقدامها هناك.

فالمقاومة الإسلامية الأفغانية عنيفة، وتحقق انتصارات كبيرة. ولا أدل على ذلك من أن أمريكا ومعها حلف الناتو، والمتعاونين معها من الأفغان لم تستطع الصمود حتى في كابول عاصمة أفغانستان، والتي تتعرض بين الفينة والأخرى لهجمات كبيرة ونوعيّة.

والذي يدل على قرب هزيمة حلف الناتو بقيادة أمريكا في أفغانستان تصريحات المسؤولين الغربيين وآخرهم تصريح أمين عام حلف الناتو الذي أكد بعد زيارته الأولى لكابول باستحالة الانتصار العسكري ضد طالبان.

إنّ انتصارات حركة طالبان والحزب الإسلامي ومعها القاعدة يبرهن على فشل الغربي لأفغانستان مما يهدد لانتصار المشروع الإسلاميّ الجهاديّ ضد المحتلّين.

فشل دول الغرب الأمريكي في العراق

لقد تصوّرت أمريكا بأن حربيها ضد العراق ستكون أسهل من أفغانستان فقامت بإرسال جيوش جرارة ومعها أساطيل من الطائرات والبوارج والعتاد سنة ٢٠٠٣م. وظنّت بأن دخولها السريع إلى بغداد عاصمة الرشيد، ستهي فصلاً من أعدائها ممثلاً بالنظام العراقي بقيادة الرئيس صدام حسين الذي هبّ الشعب العراقي للمقاومة والجهاد عبّر تسليح معظم الشعب وتدريبه على كافة الأسلحة.

وشارك أمريكا في هذه الحرب أكثر من ثلاثين دولة أوروبية وغير أوروبية على أمل الانتصار على المسلمين في جبهة العراق، رغم وجود تعاون أحزاب ومجموعات من العراقيين وتحالفهم معها، لكن وبعد مضي أكثر من خمس سنوات بدأت الدّول المشاركة تهرب من العراق نتيجة لشرسة المقاومة وآخر هؤلاء المنهزمين بريطانيا الحليف الأكبر في حروبها ضد المسلمين في العصر الحديث.

أما القوات الأمريكية فقد بدأت تسحب تدريجياً نتيجة للخسائر الكبيرة في الأفراد والعتاد، كما أن ادعائها في حروبها أنها تريد تطبيق شعارات الحرية والعدالة للعراق وأفغانستان قد فشلت، وبدأت الحقائق على أرض الواقع تظهر، فقد قتل أكثر من مليون عراقي، وشرّد أكثر من ستة ملايين من

ديارهم وأرضهم، لكن المقاومة الإسلامية العراقية كانت أكبر الراحين فقد أوقعت خسائر كبيرة في المحتلين، فيفعلها كانت هذه الانسحابات.

إن المقاومة الإسلامية في العراق قد أثبتت أنها المحرك الأكبر في الأحداث هناك، وأن زرع الأمريكي للفتن بين الطوائف والمذاهب والأعراق، لا سيما بين السنة والشيعة، قد فشل كذلك، مما يؤكد على انتصار آخر للمشروع الإسلامي الجهادي والمقاوم في الأمة.

إن دول الغرب الأمريكي تدرك أنها تخوض الآن معارك آخر الزمان ضد الغرب والمسلمين الذين بدءوا، بالنهوض وأن المجاهدين والمقاومين في أفغانستان والعراق ولبنان وفلسطين يدركون كذلك أنها معارك الإسلام الأخيرة ضد أعدائه، وهي ما تسمى بالأحداث الشريفة حروب الفتن والملاحم وعلامات الساعة الكبرى.

لقد استعملت دول الغرب الأمريكي مصطلحات كثيرة في معاركها ضد المسلمين. مثل الحرب ضد الإرهاب، والتطرف، والشرق الأوسط الجديد، وقبل ذلك النظام العالمي الجديد، هذه الفوضى الجديدة، وليس النظام الجديد وانقلب السحر على الساحر وسقطت كل الشعارات الخادعة.

وأدركت شعوب العرب والمسلمين خديعة الغرب الأمريكي لها. ولما كانت كل الشرائع والقوانين الدولية تجيز لكل شعب ومقاومة المحتل، فالتفت تلك الجماهير حول مشروع الجهاد والمجاهدين في الأمة.

ويدا ذلك جلياً، مما يقرب الزمن للانتصار الكبير للعرب والمسلمين ضد المشروع الغربي الأمريكي الإسرائيلي.

انتصار حزب الله على إسرائيل

كانت هزيمة الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان المحتل في أيار ٢٠٠٠م، رغم احتلال زاد عن عشرين عاماً؛ نتيجة شدة وعنق المقاومة اللبنانية بقيادة الشيخ حسن نصر الله. فلأول مرة تخرج الدولة العبرية من أراضٍ عربية محتلة رغماً عنها، ودون مفاوضات، صحيح أن إسرائيل خرجت من سيناء نتيجة هزيمتها في حرب تشرين عام ١٩٧٣م ولكن بعد مفاوضات طويلة. فخرجت الدولة العبرية من لبنان مهزومة، أمام قوة وضربات حزب الله.

ثم أرادت إسرائيل إعادة هيبتها لجيشها وشعبها أمام هذه الهزيمة النكراء، فشنت هجوماً كبيراً ضد حزب الله في الجنوب اللبناني في تموز ٢٠٠٦م. وكانت معركة شرسة استمرت ثلاثة وثلاثين يوماً أجبرت إسرائيل على الانسحاب دون أن تحقق شيئاً من أهدافها، وعد هذا انتصاراً لحزب الله ضد المشروع الغربي الجديد.

فشل إسرائيل في حربها ضد غزة.

أرادت الدولة العبرية تحقيق انتصار ساحق على قطاع غزة بعد استيلاء حركة حماس على غزة في حزيران ٢٠٠٧م، فقامت بحرب ضد غزة، استعملت كل قوتها العسكرية من طائرات وسفن



ومدفعية وصواريخ فقتلت أكثر من ألف وخمسمائة وجرحت أكثر من خمسة آلاف، ودمرت الآلاف من المساكن والأبنية مدة اثنين وعشرين يوماً.

لكن المقاومة كانت عنيفة وبأسلة فصمدت نتيجة لتعاقد مجموعات المقاومة والجهاد، من كتائب القسام وسرايا القدس، وألوية الناصر الدين، وكتائب شهداء الأقصى وغيرها، وتلاحم الشعب مع المقاومة. مما أرغم الجيش الإسرائيلي على الانسحاب ولم يحقق شيئاً من أهدافه، المتمثلة في إعادة الجندي الإسرائيلي، الأسير ووقف إطلاق الصواريخ، وإزالة حركة حماس والقضاء على الجماعات الجهادية.

مما عدّه جميع الخبراء والسياسيين نكسة جديدة للدولة العبرية، وملحمة وانتصاراً جديداً لمشروع الجهاد والمقاومة في فلسطين وخارجها.

والذي يدل على ذلك قيام المسيرات الجماهيرية والحشودات المليونية في بلاد العرب والمسلمين التي كانت مسانداً قوياً للمشروع الجهادي في أمة العرب والمسلمين.

رؤية القرآن الكريم

وهذا المشروع الإسلامي النهضوي، ينطلق من القرآن والسنة والموروث الحضاري بحتمية انتصار الإسلام والمسلمين على أعدائهم.

فالقرآن الكريم هو المحفز للقائمين على هذا المشروع، فإلله تعالى قد وعد المسلمين بالنصر والتمكين والسيادة، قال تعالى: « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتض لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ».^{٢٨١}

هذا هو الاستخلاف الذي أراد الله، وهو قيام الخلافة الراشدة، وعدهم الله أن يستخلفهم كما يقول سيد قطب: « ليحققوا المنهج الذي أراد الله، ويقروا العدل الذي أراد الله، ويسيروا بالبشرية خطوات على طريق الكمال المقدر لها يوم أنشأها الله، ووعدهم الله أن يستخلفهم في الأرض، وأن يجعل دينهم الإسلام الذي ارتضى لهم هو الذي يهيمن على الأرض، وديننا أمرنا بالإصلاح، ويأمر بالعدل، ويأمر بالاستعلاء على شهوات الأرض ».^{٢٨٢}

فالأمة تنتظر وتقيم خلافة الله حينما تعدّ العدة، وتجاهد الأعداء وتوكل أمرها إلى الله، عند ذلك يأتي النصر والفرج. فإلله هو القائل: « نريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض، وجعلهم أئمة، ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض ».^{٢٨٣}

كما أن سورة الإسراء تحدّثت عن وعد الله القادم بنصرة هذا الدين وإقامة الخلافة، قال تعالى: « فإذا جاء وعد الآخرة، ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علو

٢٨١ سورة النور، آية ٥٥.

٢٨٢ سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، ١١٩/٥.

٢٨٣ سورة القصص، آية ٦.

تتبعاً». ٢٨٤

فنصر الإسلام وعد الله الآخر، ليسوء المسلمون وجه الإسرائيلي لأنه سيكون عذاب الخزي، وهزيمة إسرائيل الوشيك لأنها قامت على ظلم الشعب الفلسطيني خاصة، والعرب عامة، فاعلت المجازر والمذابح، ولكنها لم تفلح ولن تفلح في القضاء عليه، قال تعالى: «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد».^{٢٨٥}

نبوءات الأحاديث الشريفة في تحرير القدس وفلسطين من اليهود.

حينما نقرأ الأحاديث الشريفة في كتب السنة يستوقفنا باب الفتن والملاحم وعلامات الساعة الكبرى.

وهذه الأحاديث تعطي بشري للمستضعفين والمحرومين من شعب فلسطين المسلم والشعوب العربية والإسلامية المستضعفة بان الله سينصر هذا الدين بعز عزيز، وذو ذليل.

فالخلافة الراشدة هي أمل الأمة المقهورة من الأعداء الأبعد والأقارب، والفجر المنتظر، كما بشر الرسول محمد (ص): بأنه ستكون خلافة راشدة في آخر الزمان بعد الحكم الجبري الظالم، فقال: «تكون فيكم بنوة ما شاء الله لها أن تكون ثم يرفعها الله، ثم تكون خلافة راشدة ما شاء الله لها أن تكون ثم يرفعها، ثم يكون ملكاً وراثياً ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها، ثم يكون ملكاً جبرياً ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله. ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة».^{٢٨٦}

ظهور الخلافة الراشدة الموعودة، وعاصمتها بيت المقدس

كما أن أمة الإسلام على أعتاب خلافة راشدة بقيادة المهدي المنتظر الذي يأتي حكمه بعد الحكم الجبري الظالم، يقول الرسول (ص): «سيكون بعدي خلفاء، ومن بعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة، ثم يخرج المهدي من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً».^{٢٨٧}

وقد بين الرسول (ص) أن الخلافة الراشدة، خلافة المهدي الموعودة تأتي في أيام الفتن العظام والبلايا، وقيام خلافته وعاصمتها بيت المقدس. وهي خلافة عادلة تعم الأرض، تقام بعد الظلم والطغيان الذي يسود بلاد المسلمين والعالم. وفي ذلك يقول الرسول محمد (ص): «يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من يدي هذه إلى رأسك».^{٢٨٨}

وحتى تعلم أمة الإسلام أن هذه الأيام العصيبة، والفتن والخطوب هي تمحيص لأهل الإيمان، وسيتبعها فرج وانتصار كبير وقيام الخلافة الراشدة بقيادة المهدي. يقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: «ينزل يأتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم، لم يُسمع بلاء أشد منه، حتى

٢٨٤ سورة الإسراء، آية ٧.

٢٨٥ سورة غافر، آية ٥١.

٢٨٦ الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٨٨/٥.

٢٨٧ السلمى، عقد الدرر، ص ١٦.

٢٨٨ الهندي، كنز العمال، ١٥٧/١٤، والحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين.



تضييق عنهم الأرض بما رحبت، وحتى يملأ الأرض جوراً وظلماً، لا يجد المؤمن ملجأ يلجأ إليه من الظلم، فيبعث الله رجلاً من أمته وهو (المهدي) فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض. لا توفر الأرض شيئاً من بورها إلا أخرجته، ولا السماء شيئاً من قطرها إلا حبته، يعيش فيه سبع سنين أو تسعاً، وينزل بيت المقدس^{٢٨٩}.

وقتال اليهود والإنصار عليهم بشرى سيدنا محمد (ص) القائل: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا، أنتم شرقي النهر، وهم غربيه، حتى يقول الشجر والحجر، يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي تعال فأقتله إلا شجر الغرقد، فإنها منهم»^{٢٩٠}.

المؤلفات التراثية والحديثة

لم يؤلف عن مدينة كما ألف عن القدس، ولم تبحث قضية كما بحث قضية فلسطين. ولكنني سأتناول بالتحليل المؤلفات التي تناولت فضائل بيت المقدس وعلامات الساعة الكبرى عند المسلمين، ومبشرات قرب ظهور المهدي، وقيام الخلافة الراشدة ببيت المقدس. من ذلك، فضائل بيت المقدس لأبي المعالي إبراهيم المقدسي (ت ٤٩٢هـ/١٠٩٩م)، وفضائل القدس لإبن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، وأتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى، للمنهاجي السيد (ت ٨١٣هـ/١٤١٠م)، والأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، لمجير الدين الحنبلي (ت ٩٢٧هـ/١٢٣٩م)، وغيرها الكثير.

أما الكتب التي تتحدث عن الفتن والملاحم وعلامات الساعة الكبرى فهي كثيرة ومتنوعة، وكلها تتحدث عن معارك آخر الزمان والفتن المصاحبة والزلازل، وأن أمة الإسلام على موعد ظهور الإمام المخلص المهدي المنتظر، وذكر صفاته وانتصاراته على الأعداء وقيام الخلافة الراشدة في بيت المقدس من خلال ذكر أحاديث شريفة. ولقد عددت أكثر من مائة منها.

وكتاب الفتن لابن نعيم وفيه يذكر أحاديث الفتن واملاحم، وصفة المهدي. وكتاب عقد الدرر في أخبار المنتظر، للسلمي (من علماء القرن السابع الهجري، وفيه يذكر أحاديث عن المهدي المنتظر. والعرف الوردي في أخبار المهدي المنتظر، للسيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٦) يورد أحاديث عن المهدي وميزاته. وكتاب الإشاعة لأشراط الساعة، للبرزنجي (ت ١٠١٣هـ/١٦٠٤) وفيه يذكر علامات الساعة الكبرى ويتحدث عن المهدي وعيسى بن مريم والدجال.

وحديثاً ظهرت عشرات المؤلفات التي تتناول بالدراسة والتحليل بداية الملاحم، ونهاية إسرائيل وتحرير القدس وفلسطين، وقرب ظهور المهدي وبيعته، وقيام الخلافة الراشدة وعاصمتها بيت المقدس، منها:

- كتاب البيان النبوي بدمار إسرائيل الوشيك وتحرير الأقصى، لمؤلفه الدكتور فاروق الدسوقي، صدر سنة ١٩٩٧. وفيه تناول بالتحليل زوال دولة إسرائيل، وتحرير المسلمين للمسجد الأقصى الوشيك، وإعادة الخلافة الإسلامية الراشدة.

٢٨٩ السيوطي، العرف الوردي في أخبار المهدي، ص، ٦٧.

٢٩٠ صحيح مسلم، ٤٥/١٨.

- كتاب «المهدي المنتظر على الأبواب، للكاتب محمد داود عيسى، صدر سنة ١٩٩٧. قام بالتحليل الواقع، ووارد قرب ظهور المهدي، وقيام الخلافة الرّاشدة في بيت المقدس.
- كتاب معركة هر مجدون آخر بيان يا أمة الإسلام، لمؤلفه محمد أمين جمال الدين، صدر سنة ٢٠٠٣، فقد تحدث عن معركة هر مجدون بين المسلمين وأعدائهم.
- كتاب يوم الغضب، انتفاضة رجب، قراءة تفسيرية للتوراة. نبوءات التوراة، للدكتور سفر الحوالي، صدر سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، فقد تناول واقع انتفاضة الأقصى وربطها بقراءة تحليلية في نبوءات التوراة عن نهاية دولة إسرائيل وانتصار المسلمين.
- كتاب أتى أمر الله فلا تستعجلوه. من بابل إلى بيت المقدس لمؤلفه الدكتور خالد الحلوي، صدر سنة ٢٠٠٥م. فقد تحدث عن نبوءات القرآن الكريم وإستنتاجاته عن قرب ظهور المهدي والخلافة الرّاشدة.
- كتاب شمس نور الإسلام، للشيخ أحمد المهدي، صدر سنة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. فقد تناول فيه بشائر انتصارات الإسلام والمسلمين وتحضير المسلمين لتطبيق الخلافة الرّاشدة الموعودة بقيادة المهدي وعاصمتها بيت المقدس.
- كتاب المهدي المنتظر، والخلافة الرّاشدة الثّانية، لمؤلفه محمد الشويكي، صدر سنة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. فهي دراسة لحقيقة المهدي المنتظر وقيادته للخلافة الرّاشدة التي ستعم الأرض.



الخلاصة:

وبعد، فإن الرؤية الإسلامية لمستقبل بيت المقدس هي المشروع الإسلامي النهضوي الذي يسير عليه المخلصون من هذه الأمة وواقع يعيشه الغُير منها، ومنهج ينطلقون منه في التعامل مع قضية فلسطين وإنهاء الإسرائيلي لبيت المقدس فهذا البحث أكد ما يلي:

١. إن أرض بيت المقدس وفلسطين أرض إسلامية عربية فلسطينية ارتبطت مع الإنسان الفلسطيني منذ أن بني مدنها وبلداتها.
٢. على الفلسطينيين والعرب والمسلمين جميعاً توحيد جهودهم لتطبيق هذه الإستراتيجية والرؤية الإسلامية لإقامة دولة الخلافة الراشدة وعاصمتها بيت المقدس.
٣. إن الذي يميز هذا المشروع وهذه الرؤية فشل اتفاقيات السلام المزعوم بين الفلسطينيين وأطراف عربية من جهة والدولة العبرية من جهة أخرى في إعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.
٤. إن سبيل تحرير القدس وفلسطين والأراضي العربية المحتلة ثبت أنها لا يمكن أن يتم إلا بالمقاومة والجهد ضد المحتلين.
٥. كذلك فشل دول الغرب الأمريكي في تطبيق قرارات الأمم المتحدة على الجانب الإسرائيلي أكد أنها هذه الدول منحازة للطرف المعتدي الإسرائيلي.
٦. إن العمل على تحرير القدس وفلسطين واجب على كل العرب والمسلمين، فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وأرض الأنبياء والأولياء.
٧. إن إقامة دولة الإسلام دولة الخلافة الراشدة بقيادة المهدي وعد ريباني وبشرى الرسول محمد (ص) وهو اليوم واقع يعيشه الصادقون والمخلصون من أبناء هذه الأمة الذين يقارعون المحتل العاصب في فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان، وهم يتطلعون للغد المشرق الذي تلوح بشائره في الأفق.



مصادر البحث ومراجعته:

- القرآن الكريم.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧هـ/١٠٢١م) فضائل بيت المقدس، تحقيق جبرائيل جبور، (بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩).
- أحمد المهدي، كتاب شمس نور الإسلام، ط١، (بيت المقدس: إصدارات ومطبوعات دولة الخلافة الراشدة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧).
- أحمد محمد القاسم، انتفاضة الأقصى، ط٢، (القدس: دت، ٢٠٠١).
- اسحاق شامير، مذكرات اسحاق شامير، (دمشق، دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ/١٩٠٥).
- البخاري الإمام، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، حققه عبد العزيز بن باز، (القاهرة: دار الفكر، ١٤١١هـ/١٩٩١).
- التوراة، سفر التكوين.
- جاسر علي العناني، القدس: سيناريوهات مستقبلية، (عمان: أمانة عمان الكبرى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤).
- الحاكم، النيسابوري محمد بن عبد الله (٤٠٥هـ/١٠١٤م) (المستدرك على الصحيحين، بيروت: دار الكتاب العربي (دت) ع.ج.
- سفر الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، يوم الغضب، هل بدأ بانتفاضة رجب، قراءة تفسيرية نبوءات التوراة عن نهاية دولة إسرائيل، (السعودية: دون مطبعة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١).

وعد بلفور

واسقاطاته على الاستيطان اليهودي في القدس

الباحث

محمد ذياب أبو صالح

المقدمة

يعتبر الاستيطان الإسرائيلي في فلسطين بعامة وفي القدس بخاصة من أخطر الأسلحة التي ينشعبها الكيان الصهيوني في الأراضي الفلسطينية المحتلة ، فعلى الرغم من التعبئة التي يبثها الإعلام الصهيوني في الفكر اليهود في أنحاء العالم بخصوص تكريس الاستيطان وزرعه في هذه الديار ومع سرعة الوتيرة التي يقوم بها أف أن هذا الكيان يوقن يقينا تاما بأنه يبني على أرض ليست له وأنه إلى زوال يوما ما ، حيث إن العالم بأسره ينكر ويرفض هذا الإجراء كونه غير شرعي لكن هذا الكيان ماضي في غروره وجذوة نصره وعدم الالتفات إلى ما يجري حوله والدعوات التي تطالبه بوقف وتيرة الاستيطان ، ومع ما يقوم به في القدس ومحاولة تفريغ هذه المدينة من سكانها العرب وبناء المتوطنات داخل هذه المدينة وإحاطتها بالعديد من الجدر الاستيطانية فإن لهذا الإجراء نهاية .

تمشيا مع سياسة جامعة النجاح التي عقدت وتعددت المؤتمرات السنوية بخصوص القدس وما يجري فيها فإن الشكر موصول لهذه الجامعة بما تقوم به من جهد عظيم في هذا الشأن ومع الذكرى المئوية الأولى والتي تصادف الثاني من شهر نوزمير الحالي فإن هذه الجامعة تعمل على إيقاظ الضمير العربي والعالمي في هذه المناسبة وأن الفلسطينيين لم ولن ينسوا وطنهم مهما ادلهمت بهم الخطوب وتوالت عليهم الأحداث ، ولن يفرطوا بقدسهم ومقدساتهم .

من هذا المنطلق الفكري العظيم وبناء على المؤتمر المنوي عقده في جامعة النجاح الوطنية فقد قمت بإعداد هذا البحث متوخيا الدقة والأمانة العلمية وقسمت هذا البحث إلى فصول ومباحث بدءا من تاريخ الاستيطان الصهيوني في القدس مرورا بالعصور المتلاحقة إلى حرب حزيران عام ١٩٦٧م والإجراءات الإسرائيلية في القدس وزرعها بالمتوطنات الصهيونية لتكون لهم لقمة سائغة يصعب إعادتها لما كانت عليه تكريسا للاحتلال الصهيوني لها وتنفيذ مخططاتهم التي زرعوها في عقول الصهاينة منذ زمن بعيد لا قدر الله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفصل الأول

المبحث الأول

الاستيطان لغة: استيطان [مفرد]:

١ - مصدر استوطن.

٢ - حالة استقرار الكائن الدخيل في الموطن الجديد «تنتشر ظاهرة الاستيطان في الأراضي المحتلة»-

استيطان المستعمرين الغزاة، سياسة الاستيطان: التوطن في أرض محتلة.

الاستيطان اصطلاحاً: استيطان [مفرد] : ١ - مصدر استوطن . ٢ - حالة استقرار الكائن الدخيل في

الموطن الجديد تنتشر ظاهرة الاستيطان في الأراضي المحتلة ٢٩١ كما هو الحال في استيطان اليهود في

فلسطين وإحلالهم مكان أهلها الأصليين

تاريخ الاستيطان الصهيوني في القدس

« نشأت النواة الأولى لمدينة القدس على (تل أوفيل) المطل على قرية سلوان، حيث اختير هذا الموقع لأسباب أمنية، وساعدت عين سلوان في توفير المياه للسكان، وهجرت هذه النواة إلى مكان آخر هو (جبل زيتا) ومرتفع موريا الذي تقع عليه قبة الصخرة المشرفة، وأحيطت المدينة بالأسوار، ثم بدأت بالتقلص حتى بنى السلطان العثماني (سليمان القانوني) السور الحالي محددًا حدود القدس القديمة جغرافياً بعد أن كان سورها يمتد شمالاً حتى وصل في مرحلة من المراحل إلى منطقة المسجد المعروف (مسجد سعد وسعيد) وفي عام ١٨٦٣ م نشأت أول بلدية في القدس. وفي منتصف القرن التاسع عشر بدأت الأحياء اليهودية تظهر طابع هذه الحدود، لتبدأ في رسم الحدود السياسية لمدينة القدس .

لم يترك اليهود فرصة إلا اغتتموها من أجل تثبيت تواجد لهم في القدس، فجزر زعماء الحركات الصهيونية محاولات يائسة منذ أمد بعيد، وحاولوا بجميع الأساليب الوصول إلى القدس، « فكان منتفيوري ١٨٥٠م على رأس أولئك اليهود الذين حاولوا الاستيطان في القدس بالذات وعرف فيما بعد باسم حي « يمين موشي » الذي أصبح نواة للجزء اليهودي من المدينة الذي شيد خارج سورها، ثم أقيم حي (مئة شعاريم) في منطقة المصراة، و(ماقور حايم) المسكوبية في عام ١٨٥٨م^(٣٩٢) وكان تدخل القنصل البريطاني في الأمر فاتحة لتدخلات عديدة مماثلة في المستقبل وإشارة للدور الذي قدر لبريطانيا أن تلعبه في دعم الكيان الصهيوني في فلسطين وحمائته، خلال الحكم البريطاني، وجاءت إقامة ذلك الحي بمثابة وضع حجر الأساس لأحياء مماثلة، حيث قام يهود القدس حتى سنة ١٨٩٢م بإنشاء ثمانية أحياء سكن أخرى في الناحية نفسها من المدينة أقيم جزء منها بمساعدة صندوق مالي (مزكيرت موشي - ذكرى موسى) الذي أسس تخليداً لذكرى منتفيوري وترأسه ميخل

٢٩١ - معجم اللغة العربية المعاصرة

٢٩٢ () خوري، جريس سعد، عدنان مسلم، موسى درويش، القدس دراسات فلسطينية إسلامية مسيحية، ط 1 القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراث في الأرض المقدسة، 1996م مقال، خليل التفكجي، ص 360.

بينس». (٢٩٢)

المستعمرات اليهودية في فلسطين في هذه الفترة.

أنشأت جمعية الأليانس اليهودية أول مستعمرة لها عام ١٨٧٠، وأنشأت اليوشفين ٢٠ مستعمرة زراعية سكنها ٧٢٠ عائلة يهودية وكان عدد سكانها حوالي ٦٠٠٠ نسمة. « ذكر جاسترو في كتابه، الذي نشره في عام ١٩١٩م أنه يوجد حالياً أربعون مستعمرة يسكنها عشرة آلاف نسمة، ولما كان جاسترو يقول إن عدد السكان اليهود ٨٠٠٠٠ نسمة فالنسبة لسكان المستعمرات لدية تبلغ ١٢٥٪.

إن نسبة ما تملكه اليهود حتى الحرب الكبرى، وبالتالي حتى وعد بلفور (إذ لم تكن هناك عمليات بيع أو شراء للأراضي في الحرب) لا تبلغ أكثر من ١٥٪ من مجموع أراضي فلسطين. وما دامت الأراضي المستغلة للزراعة تبلغ نصف ما تملكه اليهود، فهذا يدل على أنهم كانوا يزرعون أقل من ١٪ من مساحة فلسطين. (٢٩٤) فما ينطبق على فلسطين ينطبق على القدس.

عقدت الاتفاقيات بين تلك الدول المتنافسة حتى لا تستأثر واحدة منها بحصص الأسد من أملاك الدولة العثمانية، فكان التنافس على أشد ما يكون بين بريطانيا وفرنسا وروسيا وألمانيا وحتى أمريكا التي بدأت تتطلع للانطلاق خارج حدودها والاستحواذ على مصالح لها في بلاد الشرق العربي والإسلامي. (٢٩٥)

السلطان عبد الحميد وموقفه من الاستيطان الصهيوني.

كان السلطان عبد الحميد من أشهر السلاطين والزعماء الذين قدموا في عصرهم لفلسطين خدمة كبرى، ولم يرضخ ولا بأي حال من الأحوال ولا بأي شكل من أشكال التهديد تارة أو الإغراء أخرى لمطالب الصهيونية العالمية، ولا لإغراءاتها التي عرضها عليه هرتزل (٢٩٦) من دعم مادي ومعنوي لهذه الدولة التي شارفت على الانهيار بسبب سوء الوضع المالي والتردي الاقتصادي، فكان موقفه ثابتاً يعتز به على مدى التاريخ، وأنه آثر أن يعمل المبضع في جسمه على أن يفرط بذرة واحدة من ثرى هذه البلاد التي بذل من أجلها المسلمون دماءهم. وقد اتخذ السلطان لمنع تنفيذ هذه المخططات كل الوسائل الممكنة، من إصدار تشريعات وقوانين وإجراءات إدارية وسياسية تحول دون وصول هؤلاء المستعمرين إلى أهدافهم، وكان من أولى الخطوات المهمة بنفسه على منع تغلغل النفوذ الاستعماري والصهيوني في فلسطين، بعد أن زاد النشاط في هذا الاتجاه. إن هذا النشاط كما يرى « هو غارت

٢٩٢ () مصدر سبق ذكره ص 97.

٢٩٤ () بيان نويهض الحوت، سبق ذكره، ص 411.

٢٩٥ () ألفتشه، رفيق شاكر- السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين، الخليل : دار المستقبل 1997 م، ص 81.

٢٩٦ () من أقوال السلطان عبد الحميد الماثورة بشأن فلسطين (انصحوا الدكتور هرتزل : لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي. لقد مقاتل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم، إذا مزقت إمبراطوريتي فلعلهم يستطيعون أن ذاك بأن يأخذوا فلسطين بلا من. ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولاً في جثتنا) إنني أخبرهم أن عليهم أن يستبعدوا فكرة إنشاء دولة في فلسطين لأنني لا زلت أكبر أعدائهم.

« أحد المختصين في أمور الشرق الأوسط خلال الحرب الأولى - إن الاستيطان - هو الذي » دفع السلطان عبد الحميد عام ١٨٨٧م إلى جعل القدس سنجقا مستقلا عن ولاية دمشق ومتصرفية لها اتصال مباشر بالباب العالي».

كانت فلسطين في ظل الحكم العثماني تابعة لأقسام الشام الإدارية، وكانت الشام وقتذاك تتألف من خمس ولايات، أما فلسطين فكانت تقسم كوحدة إدارية إلى منطقتي الشمال والجنوب حيث كانت في الجنوب متصرفية القدس المستقلة، وتشمل أفضية: القدس، يافا، غزة، الخليل، بئر السبع، وتخضع مباشرة إلى الحكومة في الآستانة».

كان السلطان عبد الحميد الثاني يعرف مدى فساد الإدارة الحكومية، وانتشار الرشوة والمحسوبية عند كبار الموظفين، ولذلك كان يحرص على الدوام اختيار الموظفين الأكفاء المخلصين لتعيينهم متصرفين على سنجق القدس، حتى لا يقعوا فريسة إغراءات قناصل الدول الأجنبية، فيغضوا النظر عن دخول اليهود إلى فلسطين وشراء الأراضي الحكومية لهم.

على إثر المذابح التي ارتكبتها روسيا القيصرية ضد اليهود وإخراجهم من أراضيها، توجه قسم منهم صوب فلسطين، وعندما أحس السلطان أن سيل الهجرة قد بدأ يتدفق إلى فلسطين أرسل في ٢٩ حزيران ١٨٨٢م رسالة إلى متصرف القدس يطلب فيها أن يمنع اليهود الذين يحملون الجنسيات الروسية والرومانية والبلغارية من الدخول إلى القدس» (٣٩٧).

لاحظ السلطان عبد الحميد مدى التغلغل اليهودي في القنصليات الأجنبية التي أخذت ترعى مصالحهم، وتغطي على هجرتهم إلى فلسطين، فأتخذ الإجراءات التالية:

١. قام بإصدار التشريعات وسن القوانين التي تمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وأنه لا يسمح لهم بالدخول إليها أو الإقامة فيها إلا كزوار أو حجاج وحدد مدة الزيارة بثلاثة أشهر.
٢. عين متصرفاً^(٣٩٨) مستقيماً وحازماً على القدس يطبق سياسة الباب العالي ويقف حائلاً أمام المد الصهيوني.

٣. في عام ١٨٨٧م وجه السلطان عبد الحميد أمراً إلى متصرف القدس ويافا بأنه لا يسمح لليهود بالدخول إلى فلسطين إلا حجاجاً أو زواراً على أن يدفع الواحد منهم ٥٠ ليرة تركية لقاء تعهده بمغادرة البلاد خلال ٣١ يوماً.

٤. عمد السلطان عبد الحميد إلى إبلاغ قناصل الدول التي ترعى مصالح اليهود، بأنه منزعج من الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومكوث اليهود فيها بعد انتهاء مدة التصريح الممنوح لهم.

٥. في عام ١٨٨٢م أصدر السلطان عبد الحميد قانوناً يمنع فيه اليهود الزائرين فلسطين تصريحاً للزيارة لأكثر من ثلاثة أشهر، على أن يصدر التصريح من السفارة العثمانية في البلاد التي يأتي منها اليهود.

٦. نتيجة لشدة الضغط الأجنبي على الحكومة التركية، وتهريب أعداد كبيرة إلى فلسطين

٢٩٧ () المصدر السابق - ص 165.

٢٩٨ () كان اسم هذا المتصرف رؤوف باشا 1876 م - 1888 م.



عن طريق القنصليات الأجنبية، فقد أوفد السلطان عبد الحميد شخصية صارمة متصرفاً على القدس وهو « توفيق باشا » مما تسبب في ثني اليهود عن الاقتراب خلال هذه الفترة إلى نواحي القدس وتوجهوا صوب الشمال.

٧. في عام ١٨٩٨ م أصدر السلطان عبد الحميد قانوناً جديداً يمنع فيه اليهود من التوجه إلى القدس.

٨. في عام ١٨٩١ تجاوب الباب العالي مع مطالب وجهاء القدس بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين وشرائهم الأراضي.

٩. في عام ١٩٠١م وعلى إثر ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين عن طريق القنصليات الأجنبية وتمشياً مع رغبة أهل البلاد الفلسطينيين الذين لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذا الغول القادم، فقد صدر أمر بمنع فيه دخول اليهود إلى فلسطين، إلا إذا كان سيغادر خلال ثلاثة أشهر من قدومه إليها.

المبحث الثاني

القدس في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٧م - ١٩٤٧م

وصلت الأوضاع في نهاية العهد التركي إلى مرحلة لا تطاق على جميع الصعد، فالدولة العثمانية قد ناوشتها أطماع الغرب والشرق، واصطلح المؤرخون على تسميتها في هذه الفترة بالرجل المريض، فأصبحت أملاكها بانتظار نهب الدول الاستعمارية، ودب الفساد الإداري والمالي والاقتصادي في جسم هذه الدولة المترامية الأطراف

بيد أن سوء النوايا التي كانت لدى الإنجليز، فقد بدؤوا إرضاء العرب أولاً، لوقوفهم بجانبهم ضد الأتراك ووعدهم بالحرية، لكن جميع هذه الوعود ذهبت أدراج الرياح، وذابت على بحر من الجليد، فتمخض عن هذا الموقف ذلك الجشع الاستعماري الذي تكشّف فيما بعد عن أمرين هامين ألا وهما:

أولاً: اتفاقية (سيكس بيكو) التي قسّمت الوطن العربي بين بريطانيا وفرنسا.

ثانياً: وعد بلفور الذي منح اليهود الحق لمن ليس له حق في فلسطين.

الغزاة على مشارف القدس:

عندما تولى لويد جورج في كانون الأول ١٩١٦م رئاسة الوزراء وأرثر بلفور وزارة الخارجية، وكانا من الصهاينة البارزين، اعتبرت الاجتماعات غير الرسمية بين الصهاينة وبين المسؤولين البريطانيين بمثابة مفاوضات جدية أدت بالنتيجة إلى التزام بريطانيا بتحقيق حلم الصهيونية، في إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين، وقد عجل في إعلان السياسة البريطانية بشأن فلسطين حدثان

١. دخول أميركا الحرب في نيسان سنة ١٩١٧م.

٢. إقبال الشبان اليهود في روسيا إثر ثورة شباط الروسية ١٩١٧م على الانخراط في صفوف الحزب الشيوعي (البلشفي) بقيادة لينين، الذي وقف ضد استمرار روسيا في الحرب مما دفع

الجنرال ماكديونف قائد المخابرات البريطانية، إلى طلب الإسراع في إعلان فلسطين وطناً قومياً لليهود، لكي يتجه الشباب اليهودي نحو العقيدة الصهيونية الرجعية الموالية للاستعمار عوضاً عن الانخراط في الأحزاب الثورية المعادية لبريطانيا.

التصريحات البلفورية“ ..

٣. “كثير من الفلسطينيين يعتقدون أن تصريح بلفور هو الأول ”بريطانيا“، وهذا غير صحيح، فهناك تصريحات بلفورية بريطانية مبكرة تعود لعام ١٨٤١، وكثير من العرب يعتقد أن تصريح بلفور هو الأول ”غريباً“، وهذا غير صحيح، فهناك تصريحات بلفورية فرنسية تعود لعام ١٧٩٩، وتصريحات بلفورية سبقت تصريح بلفور الشهير كالمانيّة والروسية. وكثير من المراجع التاريخية والمؤرخين العرب يبدأ قصة الصهيونية من هيرتزل، لكن هذا غير صحيح، فالصهيونية المسيحية سبقت الصهيونية اليهودية الحديثة“. تم استهداف تحويل فلسطين لوطن لليهود الصهاينة، منذ مئتي عام، وأن الأمر لم يبدأ مع تصريح بلفور، بل إن أوائل المستوطنين الصهاينة يأتون إلى فلسطين عام ١٨٦٠، وهناك هجرة ممنهجة لصهاينة يهود امتدت من ١٨٨٢ إلى ١٩١٤، قبل الحرب العالمية الأولى وقبل تصريح بلفور أسست العديد من المستوطنات لكنها هجرت بحيث أنها لم تسكن من قبل اليهود لعد نضجها كما يدعون كما أن الدور الأمريكي المسيحي الصهيوني على مستوى البيت الأبيض منذ ١٨٩٠، والدور الأمريكي الرسمي في اعتماد تصريح بلفور عام ١٩١٧ نصاً، وهو أمر مغيب في الكتب التاريخية العربية والفلسطينية، وحتى البريطانية والأمريكية. حيث قام وليم بلاكستون بإنجاز كتاب بعنوان إسرائيل ماضٍ وحاضر ومستقبلاً ودعا لمؤتمر وقع على عريضة من قبل ٤٠٠ شخصية تدعو لقيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين التاريخية .

٤. ناقش قيصر ألمانيا فيلهيلم الثاني السلطان العثماني لقيام وطن قومي لليهود في فلسطين
٥. عام ١٩٠٣ طالب وزير الخارجية الروسي بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وفي نفس العام طالب رئيس وزراء بريطانيا لتوطين اليهود في كينيا.
٦. ١٩١٧م ظهرت دعوات غربية لإقامة دولة يهودية في فلسطين تخدم الفكرة اللاهوتية لتأسيس مملكة الرب وعودة المسيح المنتظر .
٧. كما أنه في عام ١٩١٧م ظهرت دعوات من فرنسا وعلى لسان وزير الخارجية حيث بعث برسالة إلى الحكومة البريطانية للمساعدة في إعادة اليهود إلى فلسطين .
٨. ٢ نوفمبر ١٩١٧م بعث آرثر بلفور برسالة إلى وزير الخارجية البريطاني ليونيد روتشيلد يدعو فيها صراحة إلى قيام وطن قومي لليهود في فلسطين وقد باركه الفاتيكان وكذلك الرئيس الأمريكي^{٢٩٩}.

وعد بلفور المشثوم



تضمنت شهادة الزواج غير المقدس بين بريطانيا والصهيونية صيغة رسالة بعث بها آرثر بلفور وزير الخارجية البريطاني الذي عمل بحماس لصالح الصهيونية، إلى اللورد روتشيلد الثري الصهيوني المعروف رسالة فيما يلي نصها:

« إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل أفضل مساعيها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يسمح بأي إجراء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها المجتمعات غير اليهودية، القائمة في فلسطين، ولا بالحقوق أو بالمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى»^(٣٠٠)

ويعتبر وعد بلفور من أغرب الوثائق الدولية في التاريخ، إذ منحت بموجبه دولة استعمارية أرضا لا تملكها (فلسطين) إلى جماعة لا تستحقها (الصهاينة) على حساب من يملكها ويستحقها (الشعب العربي الفلسطيني)، مما أدى إلى اغتصاب وطن، وتشريد شعب بكاملة على نحو لا سابق له في التاريخ، ومما يسترعي الانتباه أن بريطانيا أقدمت على هذه الجريمة قبل أن تصل جيوشها إلى القدس، بل في الوقت الذي كانت تتقدم فيه الجيوش بفضل مساعدة «حلفائها» العرب ويفضل تضحيات شعب فلسطين الذي كان يناضل في سبيل الحرية والاستقلال.^(٣٠١)

كان رد فعل العرب على وعد بلفور عنيفا، حيث كتب الكولونيل ديديس الذي كان تابعا للبعثة العسكرية المصرية تقريراً قال فيه « إن نبأ تصريح بلفور فيما يتعلق بفلسطين جديد على القدس. وقد أحدث قدراً غير ضئيل من المخاوف بين العناصر التي بلغني أنها تحاول مقابليتي، وفي غضون الأسبوع نفسه، رفع ديديس تقريراً يصف فيه توتر العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين نتيجة للتصريح، وقال إن المستعمرين اليهود يعلنون عن رغبتهم بأن يصبحوا في حالة اكتفاء ذاتي دون حاجة إلى اليد العاملة العربية، ويلاحظ كذلك من حين لآخر ظهور بالعداء للعرب يبادلهم هؤلاء مثله.^(٣٠٢)

زاد هذا الشعور في الآونة الأخيرة حدّة، كما هو معلوم بسبب إعلان وعد بلفور، هذا الوعد قد واجه معارضة من أهل البلاد على السواء مسيحيين ومسلمين.

للقدس أهمية خاصة في الميزان الاستراتيجي ومعركة فاصلة بين المتحاربين، فقد تبع الإنجليز الجيوش التركية حتى ضواحي مدينة القدس، فانسحب الأتراك من مواقعهم، وتوجه قسم منهم شمالاً صوب نابلس والقسم الآخر إلى جهة الشرق صوب أريحا.

الفكر الغربي وأثره في الفكر الاستيطاني الصهيوني

بعد قيام الثورة الفرنسية في الغرب عام ١٧٨٩ م نشأت في الغرب الأوروبي نزعة إلى التحرر التي نادى بتطبيقه في جميع نواحي الحياة ولجميع الشعوب والأمم، وكان من نتيجة بروز هذا الفكر

٣٠٠ () زيتي، أكرم، القضية الفلسطينية، عمان، دار الجيل للنشر والتوزيع والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 1986م، ص 49.

٣٠١ () ألكيالي، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، ط1، عمان : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990، ص 83.

٣٠٢ () الدياغ، المصدر نفسه ص 176 .

الدعوة إلى تحطيم نظام « الجيتو » الصهيوني الذي كان يعيش فيه اليهود في أنحاء متفرقة من أوروبا

نظراً لأن المذهب البروتستانتي يؤمن بالمهدين القديم (التوراة) والعهد الجديد (الإنجيل) وأن اليهود يستقون مبادئهم من العهد القديم (التوراة) فقد كان له أثر واضح في تعاليم البروتستانت الذين ساندوا الفكر اليهودي، القائل بأنهم (شعب الله المختار) وأن فلسطين هي أرض الميعاد بالنسبة لهم، فعملوا على ترسيخ هذه الفكرة لدى هذه الطائفة ودعموا الفكر الصهيوني المناادي بهذه المبادئ.

التقت المصالح السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية والمصالح المشتركة بين جميع الأطراف

وصبت في مصلحة واحدة، ووجدت ضالتها في فلسطين، حيث كان الفكر الغربي منذ البدايات يعمل

على تهويد فلسطين.

فرنسا والاستيطان اليهودي في فلسطين:

حيث كانت فرنسا من أول الدول التي سعت إلى تحقيقه حيث وجه (نابليون بونابرت)

نداءه الأول في تموز

سنة ١٧٩٨م لاستعمار الشرق، وليحول دون التمدد البريطاني في هذه البلاد، فقد حث اليهود على التوجه إلى القدس وإعادة بناء (هيكلهم المزعوم) حيث خاطبهم بتسميتهم (الورثة الشرعيين لفلسطين) لقاء التفاهم حوله ومساعدتهم له في غزو فلسطين، وبهذا تكون دعوة نابليون أول دعوة دقت باب الاستيطان الصهيوني في فلسطين.

بريطانيا والاستيطان اليهودي في فلسطين

كان الصراع العسكري بين فرنسا وبريطانيا، ويحشد كل من هاتين الدولتين قواته صوب الشرق من أجل بسط نفوذه وسيطرته على فلسطين وتنفيذ أهدافه ومخططاته الاستعمارية.

كان يحول أمام بريطانيا في هذه الحقبة المطامع الفرنسية والألمانية في هذه البلاد، بيد أنها لجأت إلى ربط طموحاتها بطموحات وأحلام اليهود، فعملت على كسب ودهم وتمنيهم بفلسطين.

كان من أبرز المتشجعين لهذا المشروع (اللورد شافتزبري) (١٨٠١م-١٨٨٥م) الذي نادى بإنشاء مستوطنات لليهود في فلسطين، وقدم مشروعاً بعنوان « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » وطالب الحكومة البريطانية بتبني إعادة اليهود على فلسطين معتمداً في أفكاره على ما جاء في التوراة.

أخذت الدول الاستعمارية في التسابق على فتح قنوات لها في القدس، مدعية كل منها بحماية طائفة من طوائف النصارى، وفي عام ١٨٢٨م أصدرت الحكومة البريطانية مرسوماً تبنت فيه منح

اليهود حق الحماية في فلسطين، على الرغم من المساعي الحثيثة التي قامت بها بريطانيا مع الحكومة العثمانية، لإقناعها بضرورة السماح لليهود بالاستيطان في فلسطين، للاستفادة من ثرواتهم المالية، بيد أن الحكومة العثمانية رفضت هذا العرض.

ألمانيا والاستيطان اليهودي:

سعت ألمانيا عندما قدم ملك بروسيا (ويلهلم الثالث) سنة ١٨٤٠م مبادرة لوضع فلسطين تحت الحماية البروسية، لكنها فشلت بسبب رفض المستشار النمساوي مترنيخ لهذه المبادرة، وتم فتح أول قنصلية لبروسيا في القدس سنة ١٨٤٠م ومنحت الحماية لكل يهودي يريد اللجوء إليها.

أمريكا والاستيطان اليهودي في فلسطين

لعبت أمريكا دوراً هاماً في تشجيع الحركة الصهيونية للاستيطان في فلسطين، وكان على رأس هذه الحملة (وليم بلاكستون) الذي كان متعصباً للفكرة الصهيونية المنادية بجعل فلسطين، وطناً لليهود، ونشط في هذا المضمار بالكتابات هو وغيره من القادة الأمريكيين الذين كانوا ينادون بجعل فلسطين وطناً لليهود.

علاوة على الدول الاستعمارية الغربية التي كانت تعمل جادة على منح اليهود حق الاستيطان في فلسطين، نشط اليهود في هذا الاتجاه كونهم وجدوا ضالته، وتوفرت لهم الأجواء المناسبة في الغرب، فشكوا المؤسسات والجمعيات التي أخذت تتادي وتعمل ليل نهار بجميع الإمكانيات المادية والإعلامية على إنشاء وطن لليهود في فلسطين وتشجيع الهجرة إلى هذه البلاد، فتم تأسيس جمعية الأليانس (التحالف اليهودي العالمي سنة ١٨٦٠م وجمعية الاستيطان اليهودي التي أخذت تنشر الوعي بين اليهود خاصة في الشرق الأوسط لتثقيف اليهود على التوجه إلى فلسطين، كما نشأت جمعية البيلو وجمعية أحياء صهيون وغيرها من الجمعيات والمؤسسات الصهيونية في أنحاء العالم من أجل إقناع اليهود بالهجرة إلى فلسطين وما زال العمل جارياً حتى أيامنا هذه.

في عام ١٨٩٧م برزت الفكرة الصهيونية التي عقدت مؤتمرها في بال بسويسرا، حيث ظهر الزعيم الصهيوني ثيودور هرتزل، وقد اجتمع في هذا المؤتمر حوالي ٢٠٠ شخصية صهيونية من أرجاء الدنيا، ودعا صراحة إلى إقامة وطن لليهود في فلسطين، وقد تم إنشاء « صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار » الذي يهدف إلى دعم مشاريع الهجرة والاستيطان في فلسطين، وجاء بعد إنشاء هذا الصندوق، إنشاء العديد من الصناديق والمؤسسات الصهيونية الداعمة إلى نفس الفكرة.

المستعمرات اليهودية في فلسطين في هذه الفترة

أنشأت جمعية الأليانس اليهودية أول مستعمرة لها عام ١٨٧٠، وأنشأت اليوشفين ٢٠ مستعمرة زراعية سكنها ٧٢٠ عائلة يهودية وكان عدد سكانها حوالي ٦٠٠٠ نسمة.

« ذكر جاسترو في كتابه، الذي نشره في عام ١٩١٩م أنه يوجد حالياً أربعون مستعمرة يسكنها عشرة آلاف نسمة، ولما كان جاسترو يقول إن عدد السكان اليهود ٨٠٠٠٠ نسمة فالتسوية لسكان المستعمرات لدية تبلغ ١٢٥٪.



إن نسبة ما تملكه اليهود حتى الحرب الكبرى، وبالتالي حتى وعد بلفور (إذ لم تكن هناك عمليات بيع أو شراء للأراضي في الحرب) لا تبلغ أكثر من ١٥ ٪ من مجموع أراضي فلسطين. وما دامت الأراضي المستغلة للزراعة تبلغ نصف ما تملك اليهود، فهذا يدل على أنهم كانوا يزرعون أقل من ١ ٪ من مساحة فلسطين.^(٢٠٣) فما ينطبق على فلسطين ينطبق على القدس.

القدس في الفكر الصهيوني

شكلت النصوص التوراتية في الفكر الصهيوني الأساس، إلى تبني المقولة (الحق التاريخي)، وأرض الميعاد، وأن الله قد أعطاهم أرض فلسطين، والقدس معتمدين على المقولة الشائعة بينهم (شعب الله المختار) معتمدين على بعض النصوص التوراتية، التي خلقت وهماً عقدياً في أفكارهم، ومن الجدير بالذكر أن اليهود قد أشربوا التنغي بالقدس كثيراً واعتمدوا في مقولتهم الموروثة « شلت يميني إن نسيك يا اورشليم» سواء كان ذلك في صلواتهم، أو ختان أطفالهم، أو في خلواتهم، وقد أصبح هذا القول هاجسهم، حتى زعماء اليهود تبنوا هذا الفكر، وأخذوا يرددونه على ألسنتهم، حيث يقول بن غوريون أول رئيس دولة لإسرائيل « لا معنى لفلسطين بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل ». ومن هذا المنطلق فإن الفكر الصهيوني يسعى إلى السيطرة على القدس أولاً، وعلى إعادة بناء الهيكل (لا قدر الله) مكان المسجد الأقصى المبارك، وهم يعملون ليل نهار على إنجاز هذا المشروع ويعدون العدة لهذه الغاية، وها هم اليوم قد استطاعوا بكل مكر ودهاء من احتلال بقية القدس، وبدؤوا ينفذون فعلاً مخططاتهم على أرض الواقع ووصلوا إلى مرحلة متقدمة، كل ذلك والتقاعس العربي والخذلان الإسلامي والدعم الغربي وعلى رأسه أمريكا يعملون ليل نهار على تنفيذ مخططاتهم التي لا قدر الله لها أن تحدث.

٢٠٣ () بيان نويهض الحوت، سبق ذكره، ص 411..



المبحث الثاني

مراحل الاستيطان اليهودي في القدس

لم يكن ارتباط اليهود بفلسطين حتى مطلع القرن التاسع عشر سوى ارتباط ديني أو عاطفي لا سيّما في الأماكن المقدسة، ولم يكن توجههم إلى هذه البلاد له أثر في نفوس جميع أبناء الطائفة اليهودية في العالم، إذ لم يزد عدد اليهود حتى القرن التاسع عشر عن ألفي نسمة. إن الذي غذى فكرة هجرة اليهود إلى فلسطين هي الدول الاستعمارية الطامعة في أملاك الدولة العثمانية (الرجل المريض) حسب تعبيرهم، حيث سارعت هذه الدول مع بزوغ الثورة الصناعية والتفتح على مصادر المواد الخام خاصة البترول في الشرق العربي، فقد وجدت هذه الدول ضالتها في الكيان اليهودي، الذي يمكنه أن يحافظ على المصالح الاستعمارية لتكون لهم دولة تمثل رأس الحرية في جسم الوطن العربي الكبير، كما قامت هذه الدول بفتح القنصليات في القدس وأشرقت هذه القنصليات على رعاية العنصر اليهودي في هذه البلاد، وقد مر الاستيطان اليهودي في القدس على ثلاث مراحل.

الاستيطان من مطلع القرن التاسع عشر حتى عام ١٩١٧ م.

يعود تاريخ هذه المرحلة إلى عهد حكم إبراهيم بن محمد علي باشا لفلسطين عام ١٨٢١م - ١٨٤٠م، حيث عملت الحكومتان الاستعماريتان فرنسا وبريطانيا على تشجيع الهجرة اليهودية والاستيطان اليهودي في فلسطين، وقد تعدى هذا الشأن إلى مرحلة استئجار ٢٠٠ قرية من قرى الجليل لليهود لتأهيل هذه القرى للزراعة الحديث.

فكما ورد سابقا بأن السير موسى منتفيوري طلب إلى السلطات العثمانية شراء قطعة أرض غرب جنوب المدينة المقدسة لإيواء بعض من اليهود البائسين فيها، وتم له ذلك، فكان أول حي يهودي في القدس سمي بحي (مشكانوت شنائم).

أقيم فيما بعد أحياء استيطانية يهودية خارج أسوار القدس مثل (معسكر إسرائيل) عام ١٨٦٧ م... توالى الأحياء اليهودية في الأزدباد سنة تلو أخرى، وامتدت هذه الأحياء اليهودية الاستيطانية من الجهة الشمالية والشمالية الغربية للقدس.

أدرك أبناء القدس خطورة الوضع حيث تقدموا بشكوى إلى الصدر الأعظم في الأستانة عام ١٨٩١م « يعبرون في هذه الشكوى عن تخوفهم من وصول أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود، ويطالبون بمنع اليهود من الدخول إلى فلسطين، وقد تجاوزت الأستانة مع مطالب أبناء بيت المقدس فأمرت متصرف القدس بمنع تسرب الأراضي الأميرية، وعدم بيع الأراضي في متصرفية القدس لليهود. بعد انعقاد مؤتمر بال في سويسرا عام ١٨٩٧م، تضاعفت جهود اليهود في تأسيس المؤسسات المالية، وبنوك وصناديق جمع التبرعات لصالح الحركة الصهيونية، فبعدما كانت أملاك اليهود خارج القدس ٦٩٤ دونما عام ١٨٦٠ م أصبحت ٤١٣٠ دونما عام ١٩١٨م. بعد أن تم ضم المستوطنات خارج السور إلى بلدية القدس، المرحلة الثانية، من ١٩١٨م حتى نهاية الحكم البريطاني لفلسطين.

على إثر دخول القوات البريطانية للقدس عام ١٩١٧م بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، كان



للحكومة البريطانية أكبر الأثر في تشجيع الهجرة اليهودية والاستيطان إلى هذه البلاد، فبمجرد دخول الجنرال البريطاني (النبوي) القدس، طلب من مهندس الإسكندرية « مالكين » الحضور إلى القدس فقسم المدينة إلى أربعة مناطق، البلدة القديمة وأسوارها، المنطقة المحيطة بالبلدة القديمة، والقدس الشرقية، والقدس والغربية.

أما المخطط الثاني لحدود بلدية القدس فقد وضع في عام ١٩٤٦ م بقصد توسيع منطقة خدماتها، غير أن التوسع تركّز أيضاً على القسم الغربي حتى يمكن استيعاب وضم الأحياء اليهودية الجديدة، التي بقيت خارج منطقة التنظيم لعام ١٩٢١ م وفي الجزء الشرقي، أضيفت قرية سلوان من الناحية الجنوبية، ووادي الجوز، وبلغت مساحة المخطط ١١٩، ٢٠ دونماً توزعت ملكية أراضيها كما يلي:

١	أمالك عربية	٤٠%
٢	أمالك يهودية	٢٦ و ١٢%
٣	أمالك مسيحية	١٣ و ٨٦%
٤	أمالك حكومية وبلدية	٢ و ٩%
٥	طرق وسكك حديدية	١٧ و ١٢%
	المجموع	١٠٠% (٨)

اعتبرت الحكومة البريطانية أن القدس الغربية هي منطقة تطوير، فلم يسمح بالبناء خارج أسوار القدس، ولكنها كانت سخية في منح اليهود ألف دونم من أراضي مدينة القدس، وفي مدينة القدس (ضمن حدود البلدية في ذلك الوقت) ازداد عدد السكان اليهود من ٢٤١٠٠ إلى ٥٢٨٠٠ نسمة، كما تم إنشاء عدد من المستوطنات الزراعية حول القدس الكيبوتسات.

كان من أهم العوامل التي شجعت تدفق الاستيطان اليهودي في القدس في هذه الحقبة، هو وعد بلفور الذي أعطى امتيازات هائلة لليهود في هذه البلاد، ولم تخرج بريطانيا من هذه البلاد عام ١٩٤٨ م، إلا بعد أن تم تأمين الكيان اليهودي بشكل كامل أرضاً وشعباً وحكومةً.

وفي المحصلة فإنه يجدر بي أن أجمل أهداف الوجود البريطاني في فلسطين كما أورده الدكتور أحمد العلمي في كتابه «الاجتياح البريطاني لفلسطين».

« مما لا شك فيه أن الوجود البريطاني في فلسطين هو احتلال بكل ما تحمله الكلمة من معاني. فشعب فلسطين لم يطلب من بريطانيا الحضور ولا بريطانيا جاءت إلى المنطقة بدوافع إنسانية أو خدمة للعدالة، إن الوجود البريطاني في فلسطين هو احتلال أجنبي للبلاد بكل قسوته وظلمه. إن الذي اتفق مع بريطانيا هو الشريف حسين شريف مكة، فهو الذي أراد استقلال العرب عن الحكم التركي، واستبداله بملكية له ولأسرته فيما بعد، وقد حصل الاتفاق مع بريطانيا عبر مراسلات ولقاءات يقوم بموجب ذلك العرب بمساعدة القوات البريطانية في دحر الوجود التركي. أما مصالح بريطانيا في هذه الاتفاقية، فقد كان يتعدى مضمون الحرب العالمية الأولى، فتركيا كانت

متحالفة مع الألمان، ودحر تركيا سوف يقلل من القوة العسكرية المواجهة للحلفاء، وإخراج تركيا من الحرب سيؤدي إلى أن تنفرد ألمانيا بالحرب، وبذلك يتم تطويقها والقضاء عليها. وفيما عدا رغبة بريطانيا في إخراج تركيا من الحرب كانت لها أطماع أخرى، فالمراسلات التي كانت قائمة بينها وبين الشريف حسين أعطته وعوداً زائفة كانت بريطانيا تخفي وراءها أطماعاً أخرى.

لم تكتف المخططات البريطانية، بذلك بل راحت لتسلخ فلسطين عن العالم العربي وتهيئ البلاد للاستيطان اليهودي، فخلال المباحثات أيضاً مع الشريف حسين، أعطت بريطانيا وعد بلفور الذي ينص على إنشاء كيان لليهود في فلسطين. (٣٠٤)

المبحث الثالث

الإجراءات الإسرائيلية الفورية في القدس

قامت إسرائيل بعد اجتياحها لمدينة القدس عام ١٩٦٧م على الفور باتخاذ الإجراءات العملية على أرض الواقع، ولم تعط فرصة للقرارات الدولية، أو تستجيب للمطالب العالمية أو النداءات من جميع الجهات، بل أصرت على تنفيذ رغبتها ففي ٩ حزيران أصدرت أمراً عسكرياً يقضي بإخلاء جميع سكان حارة المغاربة المحاذي لحائط البراق استعداداً لتدمير هذا الحي، ولم يعط السكان فرصة لإخلاء منازلهم أو جلب أمتعتهم.

في ١١ حزيران قامت الآليات الإسرائيلية بتدمير ١٣٥ منزلاً على ما فيها، وأصبح انقراضاً، فنجاً من أهله من نجا، ودمر على رؤوس من لم يستطع الهروب منه، وهذا باعتراف قائد سلاح الهندسة الإسرائيلي «إيتان بن موشيه» ودققت الجثث تحت الأنقاض. ونزعت ملكية حوالي ٢٠٠ عائلة وهجر منه حوالي أربعة آلاف مواطن مقدسي خارج مدينة القدس، وأن معظم منازل الحي وقفية تعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي.

أما الإجراءات الإسرائيلية الأخرى التي حدثت في القدس في أثناء الاجتياح، فقد كان من ضمنه تدمير مسجدي البراق والأفضل في حي المغاربة، بالإضافة إلى نسف مصنع البلاستيك الذي كان يعمل فيه حوالي ٢٠٠ عامل قرب حي الأرمن.

قامت القوات الإسرائيلية بتدمير ٢٤ منزلاً في أنحاء المدينة بحجة أعمال المقاومة.

في ١٤ حزيران قامت القوات الإسرائيلية بنسف ١٤ منزلاً بحجة توسيع حائط البراق.

قامت القوات الإسرائيلية بخطة مبرمجة، تم على أثرها ترحيل حوالي ٢٠٠٠٠ مواطن من داخل مدينة القدس إلى الأردن، بالإضافة إلى طرد حوالي ٦٠٠٠٠ مواطن من منطقة القدس خارج البلاد. وهناك إجراءات إسرائيلية أخرى، تضمنت تعزيز سيطرة اليهود على المدينة من خلال مصادرة أراضي وعقارات، داخل أسوار المدينة القديمة، شملت ٥٩٥ منزلاً ضمت ١٠٤٨ شقة سكنية و٤٧٣ محلاً تجارياً، وخمسة مساجد، والزواوية الفخرية، وأبي مدين الغوث، وأربعة مدارس، وسوف أثرياً يطلق عليه سوق الباشورة، وشارع باب السلسلة التجاري.

« ونحن الآن نجني ثمار هذه الأحداث المريعة، وأشد هذه الثمار مرارة: محاولة إسرائيل « تهويد القدس » العربية الإسلامية، وفق مخطط معلوم، ونهج مرسوم، وعلى مرأى ومسمع أكثر من مائتين وخمسين مليوناً من العرب، ووراءهم أكثر من مليار من المسلمين، وعلى الرغم من قرارات الأمم المتحدة، ومجلس الأمن الدولي، وبمساندة وتأييد من أمريكا القوة الوحيدة، والمتألهة في العالم اليوم. (٣٠٥)»

القوانين والتشريعات الإسرائيلية لفرض واقع جديد في القدس لتوسيع حركة الاستيطان
قانون ضم القدس إدارياً وقضائياً:

من المعلوم أن إسرائيل احتلت القدس بكاملها، وتجاوزت جميع الخطوط الحمراء دولياً، واتخذت قرارها الجائر بضم القدس إليها، واعتبارها عاصمة دولة إسرائيل، ففي ٢٨ حزيران ١٩٦٧م، وبعد مداوات عديدة جرت بين الساسة الإسرائيليين، فقد صدر مرسوم بضم القدس الشرقية، لتكون القدس الكبرى حيث تبع هذا الضم مناطق كل من: صور باهر، والشيخ جراح، ومطار قلنديا، وشعفاط، وجبل المكبر، وبذلك يصبح مساحة القدس مع المناطق التي أضيفت إليها ١٠٨ كم بعدما كانت ٥٣٧ كم سابقاً أي بعد حرب حزيران ١٩٦٧م

القوانين المتعلقة بمصادرة الأراضي.

من عادة إسرائيل أن تستعمل القوانين التي تناسب أطماعها، فتارة تستعمل القانون العثماني وأخرى تستعمل القانون الإنجليزي أو القانون الأردني، وإن أفلست، فإنها تصدر أوامر عسكرية. كل ذلك من أجل مصلحتها فقط، وما يتناسب وأهواء السياسة الإسرائيلية المتمثلة بسحب الأراضي من أصحابها واستملاكها لغايات الاستيطان، أو المصادرة. وهذا ما جرى بالفعل في الضفة الغربية بشكل عام والقدس بشكل خاص، وقد اعتمدت إسرائيل أولاً قوانين قديمة لمصادرة الأراضي وهي:-

١- قانون المصادرة للأغراض العامة لسنة ١٩٤٣ م

استغلت إسرائيل القانون الأردني، الذي كان سائداً بحيث فسرتة كما يحلو لها، وذلك بمصادرة الأرض للغايات العامة، حيث استغلت إسرائيل هذا القانون من وجهتها وقامت بمصادرة ١١٦ دونماً داخل أسوار المدينة المقدسة لغاية بناء وحدات سكنية لليهود.

كما صادرت ١١٦٨٠ دونماً من أراضي القدس عام ١٩٨٠ م من أجل بناء مستوطنات حول مدينة القدس، ففي هذا القانون تستعمل إسرائيل سلاحاً له حدان، أولاً الاستيلاء على أراضي الفلسطينيين المقدسين بالقوة، والأمر الثاني سياسة التهجير المبرمجة.

٢- قوانين أنظمة الطوارئ والأمن العام عام ١٩٤٥م

استثمرت إسرائيل مجموعة من التشريعات التي وضعتها الحكومة البريطانية الاستعمارية والتي تنص على حق الحكومة، أو وزير الدفاع، أو الموظف المسئول، استخدام هذه الأنظمة لإغلاق مناطق لغايات الأمن أو للتدريب العسكري، ويمنع أصحابها من الدخول إليها، وهذا ما حدث فعلاً داخل



القدس، عندما أصدر القائد العسكرية للمنطقة الوسطي، أمراً بتاريخ ١٩٦٩/٦/٢٠ بمصادرة عقارات ومحال تجارية في البلدة القديمة من القدس، كما تم إغلاق العديد من الأراضي التي تحيط بمدينة القدس لأغراض التدريب العسكري أو بحجج أمنية.

القوانين التي شرعتها إسرائيل بعد عام ١٩٦٧م لتعزيز سيطرتها على الأرض
قانون أملاك الغائبين:

صدر بهذا الشأن قانونان أحدهما عام ١٩٥٠ وجاء القانون الأوسع والأشمل، الذي صدر في عام ١٩٦٧م، والذي ينص على اعتبار كل من لم يتم تسجيله بعد إصدار هذا القانون بيومين غائباً، وبهذا حولت جميع ممتلكات الغائبين إلى حارس أملاك الغائبين، والذي يحق له التصرف في هذه الأملاك سواء كان ذلك بالبيع أو الإغلاق أو تحويله إلى الدولة، من أجل بناء مستوطنات عليها أو غير ذلك. قانون التعويضات:

يعتبر هذا القانون مكملاً لقانون أملاك الغائبين الذي تصرفت به إسرائيل على هواها، بحيث تعرضت لانتقادات دولية لمصادرة أملاك الغائبين، بعد إصدار هذا القانون، أخذت إسرائيل بالفعل بتصفية أملاك الغائبين، أي أنها بعد أن تم لها تسجيل المواطنين المقدسيين عام ١٩٦٧م، ولم يعودوا يسكنون في القدس بسبب الإجراءات الإسرائيلية لمن لم يحمل الهوية الزرقاء (الإسرائيلية)، ولم يعد هناك مجال لهم بالعودة إلى أملاكهم، فقد قامت السلطات الإسرائيلية بعرض تعويضات لهؤلاء الأشخاص، واستلام ما يخصهم من أثمان أملاكهم، لكن العرب الفلسطينيين أبو ورفضوا هذه الفكرة من أساسها، ولم يتقدم أحد لاستلام أي تعويض تقرره إسرائيل، وهذا يعني خلع المواطنة عن الفلسطيني المقدسي، وحرمانه من العيش في بلده الذي غادره تحت ظروف الحرب.

قانون أراضي الدولة المسجلة:

أدى الفراغ الذي كان نتيجة للحرب إلى إخراج الحكم الأردني من الضفة الغربية والقدس، مما أتاح لإسرائيل الفرصة للاستيلاء على جميع العقارات والأملاك والأراضي التي كانت مسجلة باسم حكومة المملكة الأردنية الهاشمية، واعتبرتها أراضي دولة، واستغلتها لمصلحة الاستيطان .

قانون إعادة اليهود لعقاراتهم بتاريخ ١٩٦٧/٨/٢٣م

قامت الحكومة الإسرائيلي وبقرار من الكنيست الإسرائيلي، بإصدار قانون ينص على إعادة الأملاك اليهود التي كانت تديرها الحكومة الأردنية، حيث أنشئت دائرة مستقلة تحت مسمى « حارس أملاك العدو » قامت بتعيينه للحفاظ على أملاك اليهود وإدارتها، وعلى الجانب الآخر فإن إسرائيل لم تقم بنفس العمل بل استباحت كل أملاك الغائبين بل والحاضرين، في سبيل تنفيذ مخططاتها وتوسعاتها الاستيطانية.

إعلان أراضي غير مسجلة على أنها أراضي دولة

باشرت الحكومة الأردنية، مسح وتسجيل الأراضي قبل عام ١٩٦٧م، ولم تكتمل إجراءات التسجيل، وهذا يعني أن ثلثي أراضي الضفة الغربية، لم تكن مسجلة حيث اندلعت الحرب، ولم يتم ذلك، فعمدت الحكومة الإسرائيلية على اعتبار أن هذه الأراضي أراضي دولة، لم يتم تسجيلها، وهذه

الأراضي هي:

(أ) أراضي الموات (الصخرية)

في عام ١٩٢١م أصدر الحكومة البريطانية المستعمرة لفلسطين، قانون أرض الموات، الذي ينص على أن كل من يفلح أرضاً تبعد أكثر من ٥٢ كم من منطقة سكنه عليه المبادرة بتسجيل هذه الأرض في سجل الطابو، ومن لم يتم بهذا الإجراء فتعتبر أرضه ملكاً للدولة ومصادرتها. تبنت إسرائيل هذا القانون البريطاني، كما تبنت القانون الأردني سابقاً، بالاستيلاء على الأرض لصالحها، فعمدت إلى تسجيل هذه الأراضي باسمها وقد أصبحت مساحات واسعة من أراضي القرى المحيطة بمدينة القدس، ملكاً لدولة إسرائيل بحسب هذا القانون.

(ب) الأراضي الميري

الأراضي الميرية، هي الأراضي الصالحة للزراعة، ويحق لمن يقوم بزراعتها أن يطالب بتملكها، وإذا لم يزرعها لمدة ثلاث سنوات ويتركها بوراً تعتبر في حل من أمرها. استغلت إسرائيل هذا النظام، فعمدت إلى مصادرة مساحات شاسعة من الأرض غير المزروعة بحجة أنها أراضي ميري، حيث صدر قانون في سنة ١٩٨٢م بهذا الخصوص وما زاد الطين بلة، أن الحكومة الإسرائيلية أصدرت قراراً بعدم زراعة الأرض بالفاكهة، إلا بعد أخذ ترخيص من الحكومة، وهيئات أن تعطي الحكومة الإسرائيلية ترخيصاً لهذا الشأن، كما أنها أصدرت قراراً آخر يمنع زراعة الخضروات، إلا بإذنها مما يعني هذا زيادة رقعة الأرض الميري (غير المستغلة) لتصبح بعدئذ ملكاً للحكومة الإسرائيلية.

(ج) الأرض المتروكة

وهي الأرض التي كانت مخصصة للاستخدامات العامة، كالطرق والأحراش والأرض المشاع، وقد قامت الحكومة الإسرائيلية بوضع اليد عليها باعتبارها أرضاً غير مستغلة.

(د) الخرائط الهيكلية

ولمزيد من سلب الأراضي وسحبها من تحت أقدام أهلها، وتحويلها إلى الكيان الصهيوني، عمدت الحكومة الإسرائيلية إلى وضع خطط وخرائط هيكلية للأحياء والقرى العربية، ليسهل عليها مصادرة كميات أكبر من هذه الأراضي وبأسلوب مصبوغ بطابع حضاري، وكأنها تسلب أراضي الفلسطينيين على استحياء، بعد كل ما قامت به من نهب وسلب واستغلال، سواء كان ذلك في القدس أو في غيرها من الأراضي الفلسطينية.

ويمكنني أن أضيف إلى هذا المجال نقاطاً هامة وهي:

١. الطرق الالتفافية: وقد قامت إسرائيل بتجريف مساحات شاسعة من الأراضي في الضفة الغربية والقدس، وتحويلها إلى طرق التفافية.
٢. الجدار العازل: وأخيراً، قامت الحكومة الإسرائيلية بتنفيذ خطة بناء الجدار العازل، الذي ضم عشرات آلاف الدونمات من أراضي المواطنين، سواء كان ذلك في القدس أو في أنحاء متفرقة من الضفة الغربية.



٣. أماكن البيوت المنسوفة، فقد نهجت السياسة الإسرائيلية نهجاً إجرامياً، بحث أنه تقوم بتدمير ونسف بيت كل من يشارك في عمليات المقاومة المشروع ضد الإحتلال.
٤. عدم إعطاء التسهيلات للبناء العربي ضمن حدود بلدية القدس، فأصبحت المساكن لا تكفي سكانها، مما دعا المواطنين إلى تقديم التراخيص اللازمة من أجل البناء، بيد أن الحكومة الإسرائيلية رفضت وبكل صلف هذه المطالب، حيث قدم للقدس وحدها ١٢ مخططاً عاماً للنواحي الفلسطينية الذي قدم منذ عشر سنوات.
٥. الحدائق والغابات والمحميات: اقتطع جزء كبير من أراضي مدينة القدس، وهذا ما حدث بالفعل في ضواحي المدينة المقدسة والقرى والأحياء المحيطة بها كما هو الحال في أراضي قرية شعفاط، فقد صودرت أراضي هذه القرية البالغ مساحتها ١٣٩٨ دونماً عام ١٩٧٠م وحولت إلى منطقة خضراء وأطلق عليها اسم غابة راموت.
٦. عزل المدينة عن التواصل الجغرافي والديموغرافي والسياسي والاجتماعي للضفة الغربية، وبهذا فقد أدى هذا الإجراء إلى عدم التواصل السكاني، مما أدى إلى نزوح أعداد خارج حدود المدينة المقدسة .
٧. الخدمات الاجتماعية، إن المتأمل لهذه الخدمات يجد أنه ليس لمصلحة أبناء المدينة المقدسة العرب، بل الأمر أبعد من ذلك، أي لإظهار أن الحكومة الإسرائيلية ترعى الديمقراطية وتعمل على مساواة المواطنين بالعدل !
٨. تقليص مساحات المخططات الهيكلية للضواحي والقرى المحيطة بالقدس هذا ما حدث بالفعل في أراضي قريتي العيسوية وشعفاط ، أما أراضي العيسوية فقد اختصرت مساحتها إلى ٦٦٦ دونماً حسب المخطط الذي وضعته الحكومة الإسرائيلية ويحمل رقم ٢٣١٦، وإذا عدنا إلى الوراء وفي عهد الإنجليز تحديداً، فقد كان مساحة أراضي هذه القرية ١٠٤١٧ دونماً، فالتفحص لهذا الإجراء يرى مدى الجريمة التي حاقت بأراضي هذه القرية، والتي تقلصت عشرات المرات، بدل أن تتوسع بنسبة لعدد السكان، وكل هذه الإجراءات من أجل توسيع الاستيطان الإسرائيلي في ضواحي القدس، والعمل على خنق هذه المدينة بالطرق التي يراها الإحتلال تتناسب وطموحاته وجشعه. أما بالنسبة إلى قرية شعفاط فقد أقيمت على أراضيها مستوطنة «ريخس شعفاط» فبدل أن تتوسع قرية شعفاط على حساب أراضيها لزيادة عدد السكان المحليين، ولكثرة الوافدين إليها والسكن فيها من أبناء الضفة الغربية، ممن لا يحملون الهوية الزرقاء، لقريهم من مراكز عملهم، فقد ضيق الخناق على هذه القرية، ولم يسمح لأصحابها بالتوسع العمراني وقد استغل الإسرائيليون أراضيهم وحولوها إلى مواقع استيطانية، وكذلك الحال بالنسبة أراضي هذه القرية الواقعة إلى الشمال منها، فقد وضعوا على رأس التلة إشارة لبناء مستوطنة باسم علمون.
٩. الخنق الاقتصادي: من المعلوم أن القدس يعتمد سكانها على الوافدين إليها من أنحاء الضفة الغربية أو من أنحاء المعمورة، للتبرك بالأمكان المقدسة، فقد أدى إجراء العزل عن الضفة إلى خنقها الاقتصادي والتضييق على أهلها ليكون سبباً في نزوح أهلها عنها من أجل العيش، كما أن

السلطات الإسرائيلية عمدت إلى تجفيف منابع السياحة الخارجية، ويقوم الإذلاء السياحيون بتوجيه السياح الأجانب إلى الجانب الغربي من القدس ويحذرونهم من الشراء من تجار القدس القديمة ويصفونهم بالإرهابيين أو اللصوص، أو غير ذلك من أفاضل التي لا تليق بمقامهم، مما يسبب في تضيق الخناق على المقدسين ليرحلوا عن بلدهم.

كما أن ضريبة الأرنونا من الإجراءات التي ساهمت في زيادة الضغط على المواطنين العرب في القدس، والأرنونا هي الضريبة التي تجبى من السكان والتجار العرب على أساس مساحة الأبنية والمحلات التجارية، مقابل تقديم الخدمات لهم وهذا مما تسبب في إثقال كاهل المواطنين والتجار الذين لم يعد دخلهم كما كان سابقاً، فحجبت السلطات الإسرائيلية دخول أبناء الضفة عن القدس، إذن أليست هذه عملية تفرغ الأرض من أصحابها الشرعيين، وتهجيرهم بل وترحيلهم عنها لتصير لقمة سائغة لليهود الحاقدين^{١٩}.

كما أنه كان من الإجراءات الجائرة بحق هذه المدينة المقدسة، قرار إسرائيل الصادر بتاريخ ٣٠ تموز ١٩٨٠م بأغلبية ٦٩ صوتاً ضد ١٥ صوتاً، وامتناع أو غياب عدد من أعضاء الكنيست باعتبار القدس عاصمة لدولة إسرائيل.

استمرت إسرائيل في تنفيذ مخططاتها الكاملة، لتغيير معالم القدس العربية، فتمت عمليات هدم البيوت العربية على نطاق واسع وإجلاء السكان العرب والاستيلاء على الأراضي التي يمتلكونها وإقامة أحياء جديدة في ضواحي القدس، في حين ترى الهيئات العربية أن مثل هذه الإجراءات تمثل خرقاً لكل القوانين الدولية وقرارات الأمم المتحدة، ولذلك سارعت في تقديم الشكايات إلى الأردن على أساس أنه الدولة صاحبة السيادة على القدس العربية التي تشكل جزءاً منها.

ولم يكن أمام الأردن من سبيل، سوى اللجوء إلى الأمم المتحدة فاتخذ مجلس الأمن في ٢٧ مايو ١٩٦٨م القرار رقم ٢٥٢ اعتبر فيه جميع الإجراءات التشريعية والإدارية، وكذلك الأعمال التي قامت بها إسرائيل بما في ذلك مصادرة الأراضي والممتلكات التي تهدف إلى تغيير الوضع الشرعي لمدينة القدس لاغية، كما دعا القرار إسرائيل إلى إلغاء جميع الإجراءات التي اتخذتها، والامتناع فوراً عن اتخاذ أي عمل جديد من شأنه تغيير وضع القدس، وطلب إلى الأمين العام تقديم تقرير إلى مجلس الأمن عن تنفيذ هذا القرار.

قدم الأمين العام التقرير المطلوب رقم ٩١٢٩ - س أوضح فيه عدم حدوث أي تغيير في موقف إسرائيل، ورأى الأردن إزاء ذلك أن يتقدم بشكوى أخرى إلى مجلس الأمن، فاجتمع يوم ٣٠ يونيو ١٩٦٩م حيث اتخذ في ٢ يوليو القرار رقم ٢٦٧ (١٩) الذي ندد فيه بجميع الإجراءات التي اتخذت لتغيير وضع القدس، وأكد أن جميع الإجراءات التشريعية والإدارية باطلة ولا يعتمد بها، وألح على إسرائيل مرة أخرى بوجوب إلغائها على الفور، وأن تمتنع عن القيام بأية أعمال مماثلة، كما طلب إلى إسرائيل إبلاغ مجلس الأمن دون أي تأخير عن نواياها بصدد تنفيذ هذا القرار، وطالب الأمين العام أن يقدم إليه تقريراً عن هذا الأمر.

وقدم الأمين العام التقرير المطلوب في ٥ ديسمبر ١٩٦٩م رقم ٩٥٣٧ - س ضمنه المعلومات التي

حصل عليها من الحكومة الإسرائيلية، وأبرزها أنه من غير المعقول تجزئة القدس مرة أخرى. « (٢٠٦) »
 «وزيادة في إيمان إسرائيل في مخططاتها ونواياها الشريرة تجاه القدس فقد اتخذت قراراً يجعل القدس عاصمة لدولة إسرائيل، وطالبت جميع الممثلات والسفارات الأجنبية بفتح مؤسساتها فيها، كما أقدمت إسرائيل على توسع حدود المدينة باعتبارها القدس الكبرى، بحيث تصبح مساحتها مائة ميل مربعاً حسب المخطط الهيكلي لهذه المدينة وبذلك تصبح مساحتها ٤٠٪ من مساحة الضفة الغربية، وتكون حدودها من البحر الميت شرقاً، إلى بيت شيمش غرباً ومن بيت إيل شمالاً إلى كرمي تسور في منطقة الخليل جنوباً ويطلق عليها « القدس العظمى، وقد أقر رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين هذه الخطة عام ١٩٩٣ م. وبتاريخ ١١/١١/١٩٩٣م أعلن عن مخطط لتوسيع القدس الكبرى، يربط منطقة مستوطنات معالي أدوميم بمستوطنة متسبيه يريحو من خلال إقامة سلسلة سكنية في منطقة بيت جالا على أرض قرية الولجه، وما بين (٣-٤) ألف وحدة سكنية بين القدس وبيت جالا. مع العلم بأن هذا يخالف ما تم الاتفاق عليه في اتفاقية أوصلو الموقعة من الأطراف المعنية بالقضية الفلسطينية بتاريخ ١٣/٩/١٩٩٣م، التي بدأت معها مرحلة جديدة، تم الاتفاق خلالها أن يجمد كل ما من شأنه أن يغير الأوضاع القائمة في الأراضي المحتلة، بما في ذلك القدس التي اتفق أن تكون إحدى موضوعات الحل الدائم، ولكن الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة لم تتوان عن إحداث هذه التغييرات، ولعل هبة النفق (انتفاضة الأقصى المباركة) وغيرها دليل على ذلك» (٢٠٧)

«إن السياسة الاستيطانية الإسرائيلية كانت امتداداً للسياسة الاستيطانية للحركة الصهيونية، التي لا يمكن لإسرائيل أن تستمر، وتحافظ على وجودها من دون الاستيطان، بحيث شكلت الركيزة الأساسية في المشروع الصهيوني، وكان القدس جزءاً من هذه السياسة الاستيطانية الإسرائيلية، لأهميتها ومكانتها في الفكر والمشروع الصهيوني، التي تحت غطاء هذه الأهمية، استطاعت الحركة الصهيونية جلب يهود العالم إلى فلسطين.

فور احتلال الجزء الشرقي لمدينة القدس في عام ١٩٦٧م، سارعت الحكومة الإسرائيلية إلى تغيير حدود البلدية، وذلك بضمها ما يقارب (٧٠ كم^٢) جديدة لحدود بلدية القدس الغربية، لتصبح مساحة القدس الموحدة - على حد تعبيرهم (١٠٨ كم^٢) ولتتوافق مع المخططات التي كانت تبنتها الحكومة الإسرائيلية للمدينة، من أجل تحويلها من مدينة ذات طابع حضاري عريبي إلى مدينة يهودية، من خلال الاستيطان المكثف للمدينة، حيث أدى ضم المدينة المقدسة إلى تدفق كميات كبيرة من الأموال ليها، من أجل استيطانها وإقامة ضواح استيطانية فيها.

وهذا بدوره تطلب الحصول على الأرض، التي سعت الحكومة جاهدة للحصول عليها من خلال سلسلة قوانين عملت على سنها، أو تلك التي كانت قائمة منذ عهد الاحتلال البريطاني، واعتمدت عليها الحكومة الإسرائيلية في سلسلة من المصادرات التي قامت بها للاستيلاء على أراضي القدس

٢٠٦ () حكيم، سامي، القدس والتسوية، بيروت: منشورات دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م، ص 126 .

٢٠٧ () محمد رشيد عناب، سبق ذكره ص 86 .

العربية منذ عام ١٩٦٧م وحتى الآن، بحيث شكلت هذه المصادرات القاعدة الأساسية للمستوطنات في مدينة القدس وضواحيها، التي تأثرت بالقرارات السياسية للحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، وقد مرت عملية المصادرات هذه بعدة مراحل زمنية كان لحجم الأراضي المصادرة التي كانت ترتفع وتيرته في سنوات محددة، وانخفاض تلك الوتيرة من المصادرات، بل تكاد تكون معدومة في سنوات تالية» (٢٠٨)

المبحث الرابع

مخطط الاستيطان الصهيوني في القس بعد حرب ١٩٦٧م

للقدس في الفكر الصهيوني والعقيدة اليهودية مركزية خاصة (على حد تعبيرهم)، فقد استمرت على مدى أجيال عديدة تغذي هذا الفكر بهذه الروح وتحشد امكانياتها الفكرية وتعبئة كل يهود العالم، بأن القدس هي ملاذ هذه الأمة المشتتة، وأنه لا بد من تشديد القبضة عليها حال احتلالها، وعاشت في فكر كل يهودي وصهيوني عل السواء.

ما كانت الحرب تضع أوزارها عشية حرب الأيام الستة، حتى باشرت الحكومة الإسرائيلي بسحق حي المغاربة داخل أسواق القدس، ووضع حجر الأساس لإعادة بناء الهيكل المزعوم، بل تعدى الأمر هذا حيث قامت بطرد العديد من سكان الأحياء العربية وتجريدها من سكانها، وزرع المستوطنين اليهود فيها حيث اتبعت المراحل التالية في هذا الشأن

المرحلة الأولى: أعلنت الحكومة الإسرائيلية عام ١٩٦٨م مصادرتها ٢٨٣٠ دونما من أراضي القدس الشرقية منها:

٢٣٤٥ دونما من أراضي قرية شعفاط العيسوية وجبل المشارف ولفتا.

٤٨٥ دونما من أراضي البلدة القديمة (خلة نوح)، فكان أولى المستوطنات هي رامات أشكول، وجفعات شايبيرا (التلة الفرنسية) ولتوسيع الجامعة العبرية ومستشفى هداسا في جبل المشارف ومستوطنة دفنا.

٨٨١ دونما تم مصادرتها بعد ثلاثة أشهر من نفس العام منها ٧٦٥ دونما من أراضي قريتي حزما وبيت حنينا وأقامت عليهم مستوطنة نفي يعقوب. ١١٦ دونما في البلدة القديمة . كذلك قامت بإنشاء طوق من المستوطنات في الجهة الشمالية للمدينة على شكل قلاع عسكرية محصنة تخوفا من الحرب القادمة لصد الهجمات عن المدينة.

المرحلة الثانية:

قامت السلطات الإسرائيلية عام ١٩٧٠م بمصادرة ١٢٢٨٠ دونما على النحو التالي:

٤٧٠ دونما من أراضي قرية حزما وبيت حنينا لتوسيع مستوطنة نفي يعقوب.

٤٨٤٠ دونما من أراضي قرية لفتا وبيت حنينا وبيت إكسا لإقامة مستوطنة رموت.

٢٢٤٠ دونما من أراضي قرية صور باهر لإقامة مستوطنة تليوت الشرقية عليها.

٢٧٠٠ دونما من أراضي بيت جالا والمالحة وشرفات وأقامت عليها مستوطنة جيلو.

- ١٢٠٠ دونما من أراضي قلنديا لإقامة مستوطنة عطروت الصناعية عليها .
- ١٣٠ دونما من منطقة الشماعة لإقامة قرية داود التجارية والسياحية عليها .
- ١٠٠ دونما من وادي الرابية لتضم شارع يافا .
- ٦٠٠ دونما في منطقة رامات راحل .

تركز هذا النشاط الاستيطاني المحموم في غالب الأحوال في الجانب الشمالي لمدينة القدس أي في منطقة بيت حنيئا ولفتا وحزما، كما أنه امتد إلى الجانب الجنوبي ليشمل منطقة بيت جالا والمالحة وشرفات جنوبا .

وفي عام ١٩٧٥م أنشأت الحكومة الإسرائيلية مستوطنة معالي أدوميم في الجانب الشرقي للقدس فلم تولي هذا الجانب اهتماماً حيث كانت الحكومة الإسرائيلية تراهن على الصلح مع الأردن في هذه المرحلة. وفي عام ١٩٧٧م قامت الحكومة الإسرائيلية بمصادرة ٧٠٠ دونما من أراضي قرية أبو ديس شرقاً .

المرحلة الثالثة:

ففي عام ١٩٧٧م استولت حكومة الليكود على الحكم حيث شرعت في عام ١٩٧٨م بوضع سياج على ٤٥٠٠ دونماً من أراضي قرية عناتا لتضمها إلى مستوطنة معالي أدوميم. كما وضعت الحكومة الإسرائيلية يدها على ١٥٠٠٠ دونما من أراضي قرية أبو ديس لغايات مستوطنة معالي أدوميم، وفي نفس العام تم مصادرة ما يلي:

١٧٩٠ دونما من أراضي قرية عناتا بحجة أن هذه الأرض خصصت لإقامة المعسكر عليها ومن البديهي أن يتحول المعسكر إلى مستوطنة.

- مصادرة ٥٠٠ دونما شمال غرب رام الله لإقامة مستوطنة « متياهو » عليها .
- مصادرة ٥٠٠ دونما لتوسيع مستوطنة جفعات زئيف. على حساب أراضي الجيب ويدو .
- مصادرة ٤٤٠٠ دونما في عام ١٩٨٠ من أراضي قريتي بيت حنيئا وحزما .
- مصادرة ١٣٧ دونما في عام ١٩٨٢ من أراضي قلنديا .

المرحلة الرابعة:

تمشياً مع تدفق هجرة اليهود السوفييت الذين وفدوا على فلسطين والذي يربو عددهم عن نصف مليون بين عامي ١٩٩٣/٩٠ م فقد توجه أكثر من ثلثي هذا العدد للاستيطان في القدس وقد أقدمت الحكومة الإسرائيلية على ما يلي:

- مصادرة ١٨٥٠ دونما من أراضي بيت ساحور وأم طويلا لإقامة مستوطنة جبل ابوغنيم
- مصادرة ٢٠٢٤ دونما من أراضي قرية شعفاط لإقامة مستوطنة عليها باسم ريخس شعفاط. « شكلت الأراضي التي تم مصادرتها خلال المراحل الأربع من القدس وما حولها ما مساحته ٢٥٤٠٢ دونما أي ما يعادل ما مساحته ٣٦ و١٪ من مساحة القدس الشرقية، وما نسبته ٢٣ و٤٪ من مساحة القدس الكلية. » (٣٠٩)

٣٠٩ () المصدر نفسه ص 98 (بتصرف) .



جميع هذه الإجراءات الإسرائيلية التي اتخذتها إسرائيل بقوة السلاح، وبالحديد والنار وبالتعاون مع الإمبريالية العالمية، وعلى رأسها بريطانيا التي زرعت إسرائيل في جسم الأمة العربية والإسلامية مدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية، أوصل حال هذه البلاد إلى ما وصلت إليه، وإذا كان هذا الإجراء قد تم في أنحاء فلسطين، فمن باب أولى أن نتحدث عما حدث في لب الصراع ألا وهي القدس الشريف. كل هذه الإجراءات كان لها نتيجة حتمية، ألا وهي تغيير ميزان القوى البشري بين عرب القدس والسكان اليهود الذين يسكنون هذه المدينة حتى يكون الميزان الديموغرافي لصالح اليهود، ويكون الحال تحت الأمر الواقع فلا يكون هناك مجال في أي يوم من الأيام المساومة على القدس، لأن الأغلبية السكانية ترجح لصالح اليهود، فقامت إسرائيل بطرد ما يزيد عن ٦٠٠٠٠ مواطن عربي من القدس، وهيأت الأجواء لإسكان مئات الألوف من اليهود بدلا منهم، ومن الأقوال التي وردت على ألسنة زعماء الصهاينة في هذا الصدد ما قاله ابن غوريون رئيس دولة إسرائيل حيث قال « إن درع إسرائيل تكمن في زيادة عدد سكانها »

كما أن جميع الحكومات الإسرائيلية، منذ إقامة دولة إسرائيل قد سارت على نفس المنهجية فاستعملت سلاحاً له حدان. الحد الأول عملية تهجير الفلسطينيين المقدسيين من ديارهم، ومصادرة الأراضي. والحد الآخر هو تكريس الاستيطان وتوسيعه وتغذيته بكل ما أتيح للحكومات الإسرائيلية المتعاقبة من قوة.

وقد شهد شاهد من أهله على هذه الإجراءات، حيث صرحت سارة كامنكر Sara Kaminker عضو بلدية القدس سابقاً بقولها. (إن الإنجاز الذي حققته إسرائيل في القدس، هو من أعظم التغيرات الديموغرافية في تاريخ العالم). وإن من يشاهد اليوم القدس وما أصبحت عليه حالها من تغلغل استيطاني في قلب هذه المدينة المقدسة، وازدياد الأماكن التي استولى عليها اليهود داخل البلدة القديمة، أو ما يحيط بها من مستوطنات، تشكل سياجاً بل درعاً بشرياً ليفزعه ما آلت إليه حال هذه المدينة التي كانت بالأمس عربية إسلامية بطابعها الديموغرافي والديني، وها هي الآن أصبحت وكأنها قد جردت من جميع قيمها الشرقية والتاريخية، إذ أن الطابع الغربي قد أضفى عليها بشكل ملفت للنظر. !

وقضية الاستيطان في القدس طويلة، وشاقة ومريرة، وإن المتبع للاستيطان في هذه المرحلة، يلاحظ مدى التغلغل والهجمة الكاسحة التي تعتبر من أسوأ المراحل في حياة هذه المدينة منذ نشأتها الأولى، نجد لزاماً علينا أن نقدم كشفاً بالمستوطنات التي أنشئت في أكناف القدس خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٦٧م - ١٩٩٢ م كما ورد في كتاب الباحث (محمد رشيد عناب) الاستيطان الصهيوني في القدس كما هو مبين أدناه.



الرقم	اسم المستوطنة	سنة المصادرة	سنة الإنشاء	المساحة المصادرة	مساحة المستوطنة	الوحدات السكنية	عدد المستوطنين
.1	رامات أشكول	١٩٦٨م	١٩٦٨م	١١٦ دونم	١٣٠ دونم	٦٥٠	٢٣٠٠
.2	رامات أشكول وجفعات همفتار	١٩٦٨م	١٩٦٩م		١٠٣٩	٢٢٠٠	٦٦٠٠
.3	التلة الفرنسية جفعات شبراً	١٩٦٨م	١٩٦٨م	٣٣٤٥	٩٦١	٥٠٠٠	٦٥٠٠
.4	الجامعة العبرية وجبل سكويس	١٩٦٨م	١٩٦٨م		١١٩٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠
.5	ماميلا	١٩٧٠م	١٩٧٠م	١٣٠	١١٦	٣٠٠	-
.6	عطروت	١٩٧٠م	١٩٧٠م	١٢٠٠	٢٧١٥	مصانع	صناعية
.7	نفي يعقوب	١٩٧٠م	١٩٧١م	١٢٣٥	١٧٩٥	٤٢٠٠	١٨٨٠٠
.8	راموت	١٩٧٠م	١٩٧٣م	٤٨٤٠	٤٤٤٩	٨٤٠٠	٢٧٢٠٠
.9	معلوت دفنا	١٩٦٨م	١٩٧٣م	٤٨٥	٢٨٩	٢٤٠٠	٤٧٠٠
.10	جيلو	١٩٧٠م	١٩٧٠م	٢٧٠٠	٢٧٤٣	١٠٠٠٠	٣٠٢٠٠
.11	تلبوت الشرقية	١٩٧٠م	١٩٧٣م	٢٢٤٠	٢٢٤٠	٥٠٠٠	١٥٠٠٠
.12	بسفات زثيف ويسفات عومر	١٩٨٠م	١٩٨٢م	٤٤٠٠	٥٥١٨	٨٤٨٠	٢٩٠٠٠
.13	ريخس شفاط	١٩٩٢م	١٩٩١م	٢٠٢٤	١١٩٨	٢٠٨٣	-
.14	جفعات هاموتس	١٩٩١م	١٩٩١م	١٠٦٢	١٠٦٢	٣٠٠ بيت جاهز و٣٠٠٠ قيد الإنشاء	-
.15	هارحوماه	١٩٩١م	١٩٩١م	١٨٥٠	١٨٥٠	٦٥٠٠ قيد الإنشاء	-
.16	المجموع			٢٥٦٢٧	٢٧٣٩٥	٤٩١٢٠ قائمة ١١٥٨٣ قيد الإنشاء	٢٨٠٠ (*)

الخلاصة

يصادف وعد بلفور في هذا اليوم الذكرى السنوية المائة لهذا الوعد المشؤم الذي لم يحدث مثله في التاريخ البشري من حيث الظلم والقهر .

إن هذا الوعد أعطى الحق لشعب أن يسكن بل ويطرد شعبا آخر من أرضه التي عاش عليها ويمتلكها منذ آلاف السنين لشعب آخر ليس الحق في امتلاك أو طرد هذا الشعب بحجة أرض الميعاد (والرد المنطقي على ادعائهم بحقهم في بناء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م استنادا لدلتهم الغابرة منذ آلاف السنين هو استحالة إعادة تقسيم الدول على الكرة الأرضية بناء على التاريخ الغابر ولو صح ذلك لكان في الإمكان عودة الحكم العربي على اسبانيا مثلا ، وعودة حكم اسبانيا على أمريكا الجنوبية والمكسيك وعودة حكم المكسيك إلى قسم من الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك عودة حكم بريطانيا على الولايات المتحدة بالإضافة إلى الاستحالة الواقعية والسياسية ، فإن مبدأ الحق التاريخي لا وجود له في المبادئ السياسية الحديثة ولم يكن له أي شأن في تاريخ العلاقات بين الدول أو في نشأتها حتى لو افترضنا أن هذا المبدأ قائم وتناولنا الفرضية الإسرائيلية نفسها فالشعب الفلسطيني لا الشعب الإسرائيلي صاحب الحق الأقوى لأنه الأقدم في فلسطين)

هناك خطأ تاريخي في هذا الوعد لأمرين هامين وهما

أ - لقد منح ما لا يملك أرضا لمن لا يملكها

ب- هذا الوعد عبارة عن رسالة وليس صكا بين أصحاب الأرض الأصليين والمحتلين

ومن هذا المنطلق فإن وعد بلفور يعتبر لاغيا من الناحية القانونية والإنسانية أيضا وباطلا في عرف الدساتير والقوانين الدولية .

إن الإجراءات الإسرائيلية التي اتخذها الكيان الصهيوني في القدس عجيبة وغريبة ولا أساس لها من الصحة ، بحيث أنها شرعت القوانين كل ذلك من أجل مصلحتها وعلى الطرف الآخر اتخذت أشد لعقوبات والإجراءات لتصفية القدس مم سكانها العرب وزرعت فيها المستوطنين وكذلك بنت حولها سياجا من المستوطنات وسمنت المدينة وضخمته كل ذلك من أجل اختلال الميزان الديموجرافي ليكون لصالح اليهود والأخطر من ذلك أن إسرائيل تمشي قدما في سبيل هدم أولى القبلتين وثاني المسجدين المسجد الأقصى المبارك لبناء الهيكل المزعوم مكانه لا قدر الله .



التوصيات

- ١-نحن نعلم أن حجم المؤامرة كبير جدا ولكن بالصمود والتحدي والثبات على الأرض وإتباع جميع الوسائل لمقاومة المحتل وتقويت الفرصة عليه وعدم الانصياع لقراراته الفاشمة يمكن المقدسيين من الثبات في أرضهم .
- ٢-العمل على التواصل الداخلي والخارجي بين أبناء الشعب الواحد والأمة العربية والإسلامية من أجل الدفاع عن الحقوق المشروعة
- ٣- العمل على طرح هذه القضية في المحافل الدولية إلى أن تسنح الفرصة لهذه الأمة بأن تعود لوحدها ولم شملها والأخذ بيدها لإعادة المقدسات الإسلامية لأصحابها ووقف غول الاستيطان البشع عن هذه الديار



المصادر والمراجع

- (١) خوري، جريس سعد، عدنان مسلم، موسى درويش، القدس دراسات فلسطينية إسلامية مسيحية، ط١ القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراث في الأرض المقدسة، ١٩٩٦م مقال، خليل التفكجي،
- (٢) السكندر شولش، القدس في القرن التاسع عشر من (كامل العسلي ، القدس في التاريخ) عمان ، منشورات عمادة البحث العلمي ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٢م
- (٣) نويهض الحوت، بيان ، فلسطين القضية الشعب الحضارة ط١ بيروت دار الاستقلال
- (٤) أنتنشه، رفيق شاكر- السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين، الخليل : دار المستقبل ١٩٩٧ م.
- (٥) زعيتر، أكرم، القضية الفلسطينية، عمان، دار الجيل للنشر والتوزيع والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٨٦م،
- (٦) الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، ط١، عمان : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠،
- (٧) أحمد العلمي، الإجتياح البريطاني لفلسطين، عكا مؤسسة الأسوار ،، المطبعة العربية الحديثة القدس ١٩٩٨م
- (٨) القرضاوي، دكتور يوسف، القدس قضية كل مسلم، ط١: القاهرة : مكتبة وهبة، ١٩٩٨م،
- (٩) حكيم، سامي، القدس والتسوية، بيروت: منشورات دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٧م،
- (١٠) محمد رشيد عناب، الاستيطان الإسرائيلي في القدس ، ط١١٢٠٠١م
- (١١) الشبكة العنكبوتية



الفهرس

- 2 القدس في المشهد الفلسطيني
- 4 كلمة أ.د. ماهر النتشة - القائم بأعمال رئيس الجامعة
- 6 كلمة المهندس عدنان الحسيني - وزير شؤون القدس
- 9 كلمة سماحة الشيخ (محمد حسين) - مفتي القدس والديار الفلسطينية
- 10 كلمة السفير أحمد الروبضي
- 12 القدس المحكي الأول في الكتابة السير ذاتية
- 30 القدس في دواوين الشعراء الجزائريين المعاصرين
- الدلالات اللغوية والمعرفية للمصطلح السياسي والإعلامي
- 50 في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي
- 81 «القدس من حيث الألفاظ الدالة عليها في شعر سميح القاسم»
- 94 القدس في شعر الحركة الأسيرة الفلسطينية
- 118 «صورة القدس في شعر أيمن العتوم - ديوانه طيور القدس نموذجاً»
- 149 صورة القدس في الأغنية الشعبية الفلسطينية - أغاني (أبو عرب) نموذجاً
- 173 «فرض المنهاج التعليمي الإسرائيلي على مدارس شرقي القدس
- 192 الاستراتيجية الإسرائيلية تجاه تهويد مدينة القدس منذ العام 1993-2017م
- محاولات إسرائيل طمس الهوية الوطنية بتهويد التعليم في القدس الشريف
- 207 (1967-2017)
- صورة القدس في المناهج الفلسطينية الجديدة
- 240 قضية القدس في المواقع الإسلامية - موقع قناة القدس نموذجاً-
- 264 مشروع قانون التسوية الاسرائيلي (تسوية التوطين 2017)
- 280 دور الشباب المقدسي في انتفاضة القدس 2015
- 300 تداعيات الاستيطان الإسرائيلي على مستقبل مدينة القدس
- 342 التحولات الإقليمية في المشهد العربي وتأثيرها على قضية القدس
- 356 رؤية إسلامية لنهاية الاحتلال الإسرائيلي لبيت المقدس
- 374 وعد بلفور وإسقاطاته على الاستيطان اليهودي في القدس